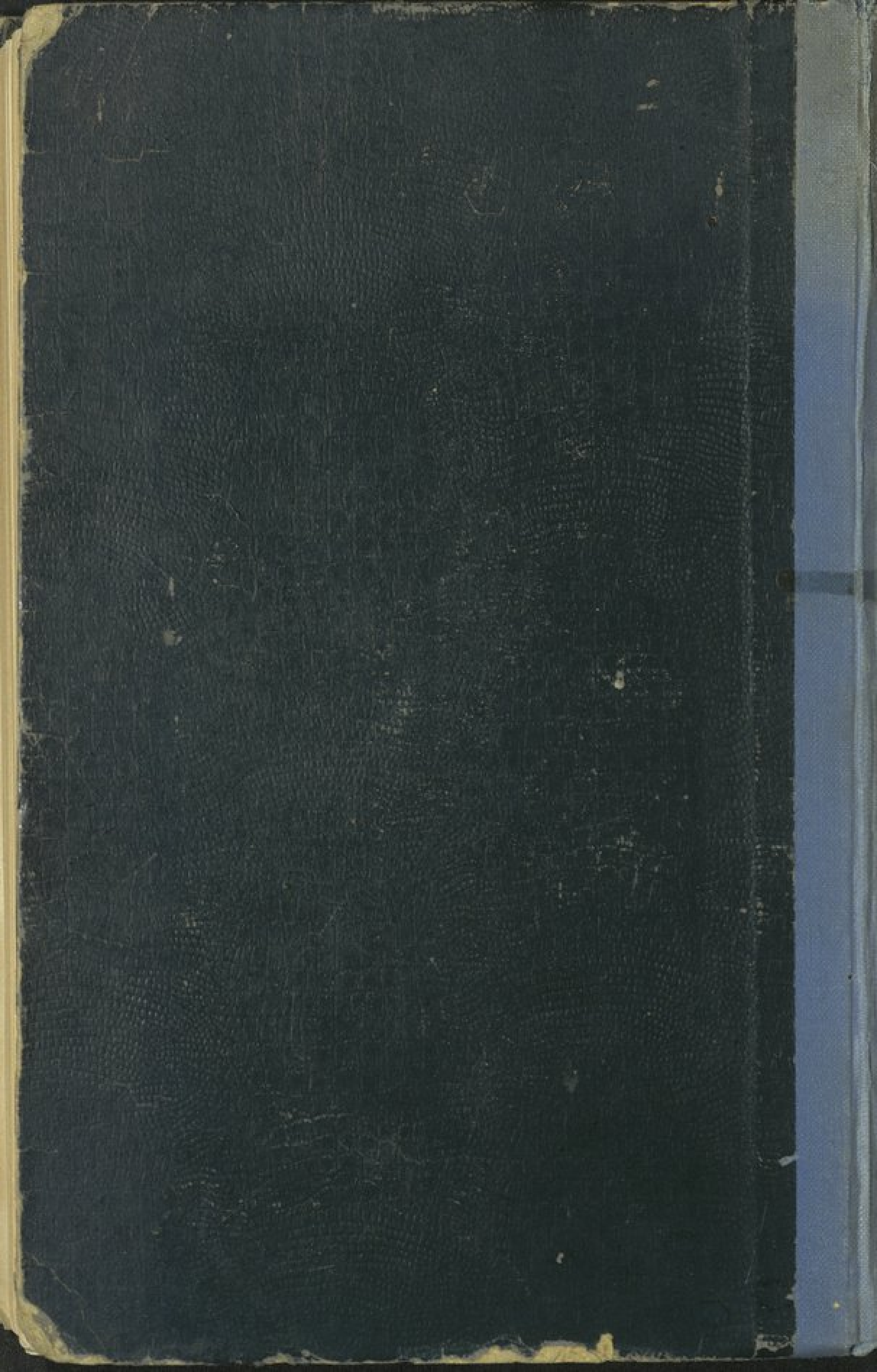


ترجمة المؤلف

(هو الحافظ زين الدين بن رجب)

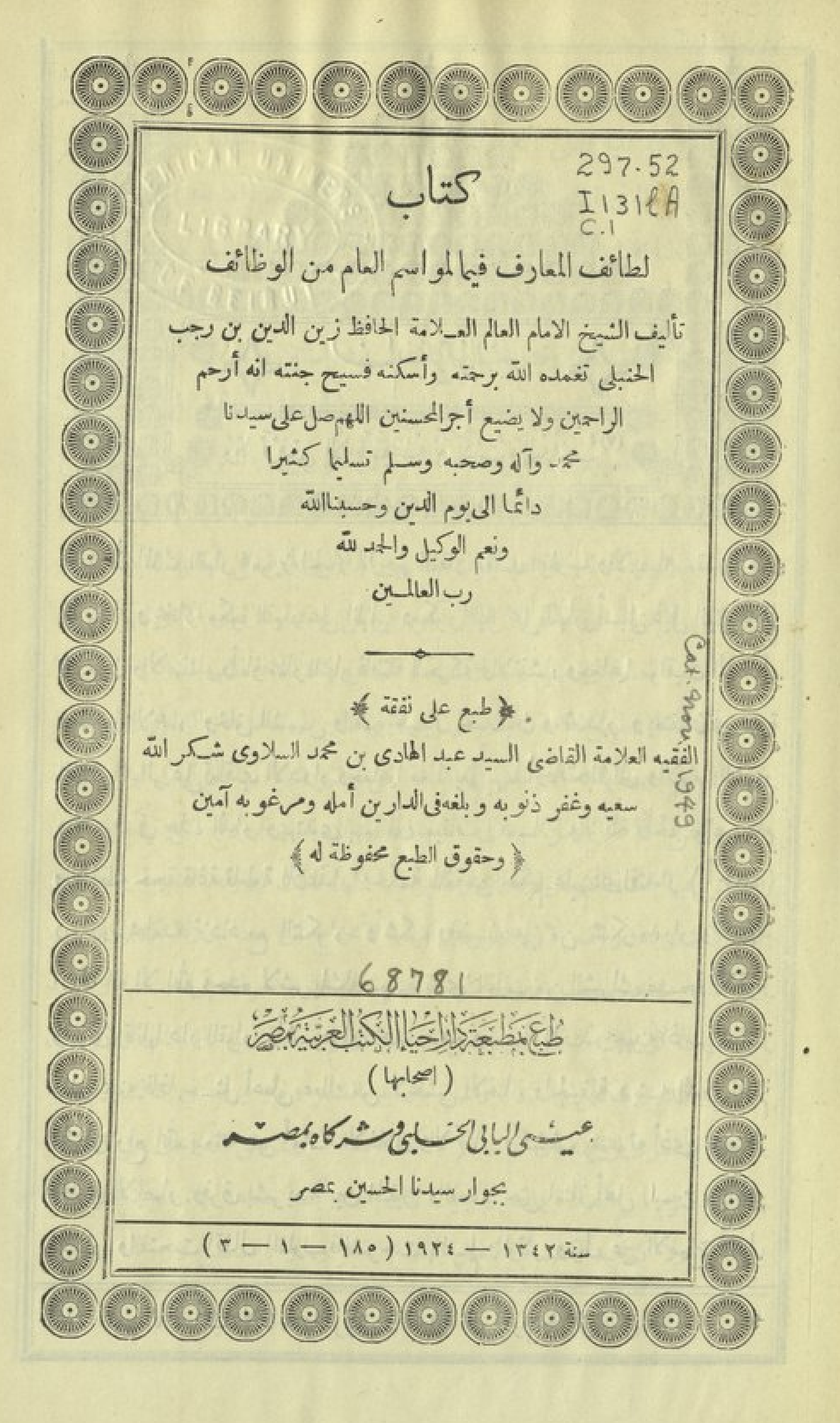
عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادى ثم الدمشق الشهير بابن رجب الشيخ الامام العالم العامل العلامة الزاهد القدوة البركة الحافظ العمدة الثقة الحجة زين الملة والشريعة والدنيا والدين شيخ الاسلام وأحد الاعلام واعظ المسلمين مفيد المحدثين جمال المصنفين أبو الفرج زين الدين بن الشيخ الامام المقرى المحدث شهاب الدين قدم مع والده من بغداد الى دمشق صغيرا سنة أربع وأربعين وسبعمائة فسمع وحدث عن جماعة وكان أحد الأئمة الحفاظ والعلماء الزهاد اجتمعت الفرق عليه ومالت القلوب اليه وصنف المصنفات العظمى منها شرح جامع الترمذى وشرح أربعين النووى وفتح البارى فى شرح البخارى وصل فيه الى الجنائز وتراجم أصحاب المذهب ذيل بها على من تقدمه وله غير ذلك درس بالحنبلية وكان لايعرف شيئا من أمور الناس ولايتردد الى أحد وكان يسكن بالمدرسة السكرية بالقصاعين وتوفي ليلة الاثنين رابع رمضان سنة خمس وتسعين وسبعمائة ودفن بتربة الباب الصغير ووالده وجده ذكرهما هو فى طبقاته رحمهم الله تعالى يقول المختصر ! الذيل الذى وضعه صاحب الترجمة هو ذيل طبقات أبي يعلى وهو الآن موجود كما هى موجودة فى مكتبة الملك الظاهر بدمشق يسر الله نشرهما أو نشر جامعهما العليمى آمين

﴿ تنبيه ﴾ ما نقلناه عن كشف الظنون من ترجمة الكتاب تحرينا فيه الاصل وان كان من عند قوله وختم بمجاس فى التوبة الخ ليس بالنسخة التى طبعنا عليها وانما المؤلف هنا ختم كتابه بمجاس في التوبة

ترجمة هذا الكتاب

قال في كشف الظنون

لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف للشيخ زين الدين أبي الفرج بن رجب عبدالرحمن بن أحمد الحنبلي المتو في سنة ٧٩٥ وهو في المواعظ اوله الحمد لله الملك القهار العزيز الجبار الخ جعل للوظائف المتعلقة بالشهور مجالس مرتبة على ترتيب شهور السنة الهلالية فابتدأ بالمحرم وختم بذى الحجة وذكر في كل شهر مافيه من الوظائف وختم بمجلس في التوبة لابي منصور عبدالملك بن محمد الثعالبي المتوفي سنة ٤٣٠ أوله اما بعد حمد الله استفتاحا به الخ رتبه على عشرة أبواب الاول في ذكر الاوائل الثاني فى القاب الشعراء الذى لقبوا من أشعارهم الثالث في سائر الالقاب الاسلامية الرابع في الكتاب المتقدمين الخامس في الاعرقين من كل طبقة السادس في الغايات من طبقات الناس السابع في ظرائف الاتفاقات الثامن في فنون شتى من المعارف التاسع فى ملح النوادر العاشر في انموذج من خصائص البلدان



كتاب

لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف

تأليف الشيخ الامام العالم العلامة الحافظ زين الدين بن رجب
الحنبلي تغمده الله برحمته وأسكنه فسيح جنته انه أرحم
الراحمين ولا يضيع أجر المحسنين اللهم صل على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
دائما الى يوم الدين وحسبنا الله
ونعم الوكيل والحمد لله
رب العالمين

﴿ طبع على نفقة ﴾
الفقيه العلامة القاضي السيد عبد الهادي بن محمد السلاوي شكر الله
سعيه وغفر ذنوبه وبلغه في الدارين أمله ومرغوبه آمين

طبع بمطبعة دار احياء الكتب العربية بمصر
(اصحابها)
عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر
بجوار سيدنا الحسين بمصر
سنة ١٣٤٢ — ١٩٢٤ (١٨٥ — ١ — ٣)



الحمد لله الملك القهار العزيز الجبار الرحيم الغفار مقلب القلوب والابصار مقدر الامور كما يشاء ويختار مكور النهار على الليل ومكور الليل على النهار أسبل ذيل الليل فاظلم للسكون والاستتار وأنار منار النهار فاضاء للحركة والانتشار وجعلهما مواقيت الاعمال ومقادير الاعمار وخلق الشمس والقمر يجريان بحسبان ومقدار ويعتقبان في دارة الفلك الدائر على تعاقب الادوار وجعلهما معالم يعلم بهما أوقات الليالى والايام والشهور والاعوام في هذه الدار ويهتدي بهما الى ميقات الصلاة والزكاة والحج والصيام والافطار حجة قائمة قاطعة للاعذار وحكمة بالغة من حكيم عليم ذى اقتدار (أحمده) وحلاوة محامده تزداد مع التكرار وأشكره وفضله على من شكر مدرار وأشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له شهادة تبرئ القلب من الشرك بصحة الاقرار وتبوئ قائلها دار القرار وأشهد أن محمدا عبده ورسوله البدر جبينه اذا سر استنار واليم يمينه فاذا سئل أعطى عطاء من لايخشي الاقتار والحنيفية دينه الدين القيم المختار رفع الله يبعثته عن أمته الاغلال والآصار وكشف بدعوته أذى البصائر وقذي الابصار وفرق بشريعته بين المتقين والفجار حتى امتاز أهل اليمين من أهل اليسار وانفتحت اقفال القلوب فانشرحت بالعلم والوقار وزال عن الاسماع أثقال

(٧) اللهم انا نسألك الاعانة والتوفيق والهداية الى أقوم طريق

الاوقار صلى الله عليه وعلى آله أولى الاقدام والاقدار وعلى أصحابه أقطاب الاقطار صلاة تبلغهم بها في تلك الاوطان نهاية الاوطار وسلم تسليما (أما بعد) فقد قال الله عزوجل وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلاً من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وقال الله تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب فاخبر سبحانه وتعالى انه علق معرفة السنين والحساب علي تقدير القمر منازل وقيل بل على جعل الشمس ضياء والقمر نورا وجعل حساب السنة والشهر يعرف بالقمر واليوم والاسبوع يعرف بالشمس وبمعرفة ذلك يتم الحساب وقوله تعالى لتعلموا عدد السنين لما كان الشهر الهلالى لايحتاج الى عد لتوفيته بما بين الهلالين لم يقل لتعلموا عدد الشهور فان الشهر لايحتاج الى عده الا اذاغم آخره فيكمل عدده بالاتفاق الا فى شهر شعبان اذاغم آخره بالنسبة الى صوم رمضان خاصة فان فيه اختلافا مشهورا وأما السنة فلا بدمن عددها اذ ليس لها حد ظاهر فى السماء فيحتاج الى عددها بالشهور ولاسيما مع تطاول السنين وتعددها وجعل الله السنة اثنى عشر شهرا كما قال تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله وذلك بعدد البروج التى تكمل بدور الشمس فيها السنة الشمسية فاذا دار القمر فيها كلها كملت دورته السنوية وانما جعل الله الاعتبار بدور القمر لان ظهوره فى السماء لايحتاج الى حساب ولا كتاب بل هو أمر ظاهر يشاهد بالبصر بخلاف سير الشمس فانه تحتاج معرفته إلى حساب وكتاب فلم يحوجنا الى ذلك كما قال النبى صلى الله عليه وسلم انا أمة أمية لانكتب ولانحسب الشهر هكذا وهكذا وهكذا وأشار بأصابعه العشر وختم ابهامه في الثالثة صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فان غم عليكم فا كملوا العدة (١) وانما علق الله تعالى على الشمس أحكام اليوم من الصلاة والصيام حيث كان ذلك أيضا مشاهدا بالبصر لايحتاج الى حساب ولا كتاب فالصلاة تتعلق بطلوع الفجر وطلوع الشمس وزوالها وغروبها

(١) لماذا علق الله على الشمس أحكام اليوم من الصلاة والصيام

ومصير ظل الشيء مثله وغروب الشفق والصيام يتوقت بمدة النهار من طلوع الفجر الى غروب الشمس وقوله تعالي والحساب يعني بالحساب حساب مايحتاج اليه الناس من مصالح دينهم ودنياهم كصيامهم وفطرهم وحجهم وزكاتهم ونذورهم وكفاراتهم وعدد نسائهم ومدد ايلائهم ومدد اجاراتهم وحلول آجال ديونهم وغير ذلك مما يتوقت بالشهور والسنين وقد قال الله عزوجل ﴿ يسألونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس والحج ﴾ فاخبر ان الاهلة مواقيت للناس عموما وخص الحج من بين مايوقت به للاهتمام به وجعل الله سبحانه وتعالى فى كل يوم وليلة لعباده المؤمنين وظائف موظفة عليهم من وظائف طاعته فمنها ماهو فرض كالصلوات الخمس ومنها مايندبون اليه من غير افتراض كنوافل الصلاة والذكر وغير ذلك وجعل فى شهور الاهلة وظائف موظفة أيضا على عباده كالصيام والزكاة والحج ومنه فرض مفروض عليهم كصيام رمضان وحجة الاسلام ومنه ماهو مندوب كصيام شعبان وشوال والاشهر الحرم وجعل الله سبحانه بعض الشهور فضلا على بعض كما قال تعالى ﴿ منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم ﴾ وقال الله تعالى ﴿ الحج أشهر معلومات ﴾ وقال الله تعالى ﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن ﴾ كما جعل بعض الايام والليالى أفضل من بعض وجعل ليلة القدر خيرا من ألف شهر واقسم بالعشر وهو عشر ذى الحجة على الصحيح كما سنذكره في موضعه ان شاء الله تعالى ومامن هذه المواسم الفاضلة موسم الا ولله تعالى فيه وظيفة من وظائف طاعاته يتقرب بها إليه ولله فيها لطيفة من لطائف نفحاته يصيب بها من يشاء بفضله ورحمته عليه فالسعيد من اغتنم مواسم الشهور والايام والساعات وتقرب فيها الى مولاه بما فيها من وظائف الطاعات فعسى أن تصيبه نفحة من تلك النفحات فيسعد بها سعادة يأمن بعدها من النار وما فيها من اللفحات وقد خرج ابن أبى الدنيا والطبرانى وغيرهما من حديث أبى هريرة مرفوعا اطلبوا الخير دهركم وتعرضوا لنفحات رحمة ربكم فان لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده وسلوا الله أن يستر عوراتكم

ويؤمن روعاتكم وفى رواية للطبرانى من حديث محمد بن مسلمة مرفوعا ان لله فى أيام الدهر نفحات فتعرضوا لها فلعل أحدكم أن تصيبه نفحة فلا يشقى بعدها أبدا وفى مسند الامام أحمد عن عقبة بن عامر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس من عمل يوم الايختم عليه وروى ابن أبى الدنيا باسناده عن مجاهد قال مامن يوم الا يقول ابن آدم قد دخلت عليك اليوم وان ارجع اليك بعد اليوم فانظر ماذا تعمل فى فاذا انقضى طواه ثم يختم عليه فلا يفك حتى يكون الله هو الذى يفض ذلك الخاتم يوم القيامة ٭ يقول اليوم حين ينقضى الحمد لله الذى أراحنى من الدنيا وأهلها ولا ليلة تدخل على الناس الا قالت كذلك وباسناده عن مالك بن دينار قال كان عيسى عليه السلام يقول ان هذا الليل والنهار خزانتان فانظروا ماتضعون فيهما وكان يقول اعملوا الليل لما خلق له واعملوا النهار لما خلق له وعن الحسن قال ليس يوم يأتي من أيام الدنيا الا يتكلم يقول يا أيها الناس اني يوم جديد واني على ما يعمل فى شهيد واني لوقد غربت الشمس لم أرجع اليكم الى يوم القيامة وعنه انه كان يقول يا ابن آدم اليوم ضيفك والضيف مرتحل بحمدك أو يذمك وكذلك ليلتك وباسناده عن بكر المزني أنه قال مامن يوم أخرجه الله الى أهل الدنيا الا ينادى ابن آدم اغتنمنى لعله لايوم لك بعدى ولا ليلة الا تنادي ابن آدم اغتنمني لعله لا ليلة لك بعدى وعن عمر بن ذر انه كان يقول اعملوا لانفسكم رحمكم الله في هذا الليل وسواده فان المغبون من غبن خير الليل والنهار والمحروم من حرم خيرهما انما جعلا سبيلا للمؤمنين الى طاعة ربهم ووبالا على الآخرين للغفلة عن أنفسهم فاحيوا لله أنفسكم بذكره فانما تحيا القلوب بذكر الله عز وجل ٭ عن أبي موسى رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر ربه مثل الحي والميت كم من قائم لله فى هذا الليل قد اغتبط بقيامه فى ظلمة حفرته وكم من نائم فى هذا الليل قد ندم على طول نومه عند ما يري من كرامة الله عز وجل للعابدين غدا فاغتنموا ممر الساعات والليالى والايام رحمكم الله وعن داود الطائى انه قال إنما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهى بهم ذلك الى آخر سفرهم فان

استطعت أن تقدم في كل مرحلة زاد المابين يديها فافعل فان انقطاع السفر عن قريب ماهو والامر أعجل من ذلك فتزود لسفرك واقض ما أنت قاض من أمرك فكأنك بالامر قد بغتك قال ابن أبي الدنيا وأنشدنا محمود بن الحسين

مضى أمسك الماضي شهيداً معدلا | وأعقبه يوم عليك جديد
فيومك ان أغنيته عاد نفعه | عليك وماضي الامس ليس يعود
فان كنت بالامس اقترفت اساءة | فثن باحسان وأنت حميد
فلا ترج فعل الخير يوما الى غد | لعل غدا يأتي وأنت فقيد

وفى تفسير عبد بن حميد وغيره من التفاسير المسندة عن الحسن في قول الله عزوجل ﴿وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أوأراد شكورا﴾ قال من عجز بالليل كان لهمن أول النهار مستعتب ومن عجز بالنهار كان لهمن الليل مستعتب وعن قتادة قال ان المؤمن قد ينسى بالليل ويذكر بالنهار وينسى بالنهار ويذكر بالليل قال وجاء رجل الى سلمان قال لا أستطيع قيام الليل قال له فلا تعجز بالنهار قال قتادة فادوا الى الله من أعمالكم خيراً فى هذا الليل والنهار فانهما مطيتان تقحمان الناس الى آجالهم يقربان كل بعيد ويبليان كل جديد ويجيئان بكل موعود الى يوم القيامة وقد استخرت الله تعالى فى أن أجمع فى هذا الكتاب وظائف شهور العام وما يختص بالشهور ومواسمها من الطاعات كالصلاة والصيام والذكر والشكر وبذل الطعام وافشاء السلام وغيرذلك من خصال البررة الكرام ليكون ذلك عونا لنفسى ولاخوانى على التزود للمعاد والتأهب للموت قبل قدومه والاستعداد وأفوض أمرى الى الله ان الله بصير بالعباد ويكون أيضاً صالحا لمن يريد الانتصاب للمواعظ من المذكرين فان من أفضل الاعمال عند الله لمن أراد به وجه الله إيقاظ الراقدين وتنبيه الغافلين قال الله تعالى ﴿وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين﴾ ووعد من أمر بصدقة أومعروف أو اصلاح بين الناس فيبتغي به وجهه أجرا عظيما وأخبر نبيه صلى الله عليه وسلم ان من دعا الى هدى فله مثل أجر من تبعه وكفى بذلك فضلا عميا وقد جعلت هذه

الوظائف المتعلقة بالشهور مجالس مرتبة على ترتيب شهور السنة الهلالية فابدأ بالمحرم وأختم بذى الحجة واذكر فى كل شهر مافيه من هذه الوظائف ومالم يكن له وظيفة خاصة لم أذكر فيه شيئا وختمت ذلك كله بوظائف فصول السنة الشمسية وهى ثلاثة مجالس فى ذكر الربيع والشتاء والصيف وختمت الكتاب كله بمجلس في التوبة والمبادرة بها قبل انقضاء العمر فان التوبة وظيفة العمر كله وابدأ قبل ذكر وظائف الشهور بمجلس في فضل التذكير بالله يتضمن ذكر بعض ما فى مجالس التذكير من الفضل ٭ وسميته لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ٭ والله تعالى المسئول أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ومقربا اليه والى داره دار السلام والنعيم المقيم وأن ينفعنا به وعباده المؤمنين وأن يوفقنا لما يحب ويرضى ويختم لنا بخير في عافية فانه أكرم الاكرمين وأرحم الراحمين آمين وهذا أوان الشروع فيما أردناه والبداءة بالمجلس الاول كما شرطناه ولاحول ولاقوة الا بالله

﴿ مجلس في فضل التذكير بالله تعالى ومجالس الوعظ ﴾

خرج الامام أحمد والترمذى وابن حبان في صحيحه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال قلنا يارسول الله مالنا اذا كنا عندك رقت قلوبنا وزهدنا في الدنيا وكنا من أهل الآخرة فاذا خرجنا من عندك فآنسنا أهلنا وشممنا أولادنا أنكرنا أنفسنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو أنكم اذا خرجتم من عندي كنتم على حالكم ذلكم لزارتكم الملائكة في بيوتكم ولو لم تذنبوا لجاء الله بخلق جديد حتى يذنبوا فيغفر لهم قلت يارسول الله مم خلق الخلق قال من الماء قلت الجنة مابناؤها قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك الاذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران من يدخلها ينعم لاييأس ويخلد لايموت لاتبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم ٭ كانت مجالس النبى صلى الله عليه وسلم مع أصحابه عامتها مجالس تذكير بالله وترغيب وترهيب اما بتلاوة القرآن أو بما آتاه الله من الحكمة والموعظة الحسنة وتعليم ماينفع فى الدين كما أمره الله تعالى فى كتابه أن يذكر ويعظ ويقص وأن يدعو الى سبيل ربه بالحكمة

والموعظة الحسنة وان يبشر وينذر وسماه الله مبشراً ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا فقيل سراجا للمؤمنين في الدنيا ومنيرا للمذنبين يوم القيامة بالشفاعة وسمى سراجا لان السراج الواحد يوقد منه ألف سراج ولا ينتقص من نوره شيء كذلك خلق الله الانبياء من نور محمد صلى الله عليه وسلم ولم ينقص من نوره شيء ٭ قال العلماء رضى الله عنهم والسرج خمسة واحد فى الدنيا وواحد في الدين وواحد في السماء وواحد في الجنة وواحد في القلب ففى الدنيا النار وفي السماء الشمس وفى الدين محمد صلى الله عليه وسلم وواحد فى الجنة عمر سراج أهل الجنة وفي القلب المعرفة والتبشير والانذار هو الترغيب والترهيب فلذلك كانت تلك المجالس توجب لاصحابه كما ذكره أبو هريرة رضي الله عنه فى هذا الحديث رقة القلوب والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة فأما رقة القلوب فتنشأ عن الذكر فان ذكر الله يوجب خشوع القلب وصلاحه ورقته ويذهب بالغفلة عنه قال الله تعالى ﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ وقال الله عزوجل ﴿ إنما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ وقال تعالى ﴿ وبشر المخبتين الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ﴾ وقال تعالى ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون ﴾ وقال تعالى ﴿ الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثانى تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله ﴾ وقال العرباض بن سارية وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون وقال ابن مسعود نعم المجلس المجلس الذى تنشر فيه الحكمة وترجى فيه الرحمة هى مجالس الذكر ٭ وشكا رجل الى الحسن قساوة قلبه فقال أدنه من الذكر وقال مجلس الذكر محياة العلم ويحدث فى القلب الخشوع ٭ القلوب الميتة تحيا بالذكر كما تحيا الارض الميتة

بالقطر بيت شعر

بذكر الله ترتاح القلوب　　ودنيانا بذكراه تطيب

وأما الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة فيما يحصل في مجالس الذكر من ذكر عيوب الدنيا وذمها والتزهيد فيها وذكر فضل الجنة ومدحها والترغيب فيها وذكر النار وأهوالها والترهيب منها وفي مجالس الذكر تنزل الرحمة وتغشى السكينة وتحف الملائكة ويذكر الله أهلها فيمن عنده وهم القوم لا يشقى بهم جليسهم فربما رحم معهم من جلس اليهم وان كان مذنبا وربما بكي فيهم باك من خشية الله فوهب أهل المجلس كلهم له وهي رياض الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة قال مجالس الذكر فاذا انقضى مجلس الذكر * فاهله بعد ذلك على أقسام * فمنهم من يرجع الى هواه فلا يتعلق بشيء مما سمعه في مجلس الذكر ولا يزداد هدى ولا يرتدع عن ردى وهؤلاء اشر الاقسام ويكون ما سمعوه حجة عليهم فتزداد به عقوبتهم وهؤلاء الظالمون لانفسهم ﴿ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأولئك هم الغافلون ﴾ ومنهم من ينتفع بما سمعه وهم على أقسام فمنهم من يرده ما سمعه عن المحرمات ويوجب له التزام الواجبات وهؤلاء المقتصدون أصحاب اليمين ومنهم من يرتقي عن ذلك الى التشمير في نوافل الطاعات والتورع عن دقائق المكروهات ويشتاق الى اتباع آثار من سلف من السادات وهؤلاء السابقون المقربون وينقسم المنتفعون بسماع مجالس الذكر في استحضار ما سمعوه في المجالس والغفلة عنه الي ثلاثة أقسام فقسم يرجعون الى مصالح دنياهم المباحة فيشتغلون بها فتذهل بذلك قلوبهم عما كانوا يجدونه في مجلس الذكر من استحضار عظمة الله وجلاله وكبريائه ووعده ووعيده وثوابه وعقابه وهذا هو الذي شكاه الصحابة الى النبي صلى الله عليه وسلم وخشوا لكمال معرفتهم وشدة خوفهم أن يكون نفاقا فاعلمهم النبي صلى الله عليه وسلم انه ليس بنفاق * وفي صحيح مسلم عن حنظلة انه قال يارسول الله نافق حنظلة قال وماذاك قال نكون عندك تذكرنا بالجنة والنار كانها رأى عين فاذا رجعنا من عندك عافسنا (١)

(١) معنى عافسنا عالجنا

الازواج والضيعة ونسينا كثيراً فقال لو تدومون على الحال التى تقومون بها من عندى لصافحتكم الملائكة في مجالسكم وفى طرقكم ولكن ياحنظلة ساعة وساعة وفي رواية له أيضاً لو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم في الطرق ٭ ومعنى هذا ان استحضار ذكر الآخرة بالقلب فى جميع الاحوال عزيز جدا ولا يقدر كثير من الناس أو أكثرهم عليه فيكتفى منهم بذكر ذلك أحيانا وان وقعت الغفلة عنه في حال التلبس بمصالح الدنيا المباحة ولكن المؤمن لا يرضى من نفسه بذلك بل يلوم نفسه عليه ويحزنه ذلك من نفسه ٭ العارف يتأسف في وقت الكدر على زمن الصفا ويحن الى زمان القرب والوصال في حال الجفا شعر

ما أذكر عيشنا الذي قد سلفا   الا وجف القلب وكم قد وجفا
واها لزماننا الذي كان صفا   هل يرجع بعد فوته وا أسفا

وقسم آخر يستمرون على استحضار حال مجلس سماع الذكر فلا يزال تذكر ذلك بقلوبهم ملازما لهم وهؤلاء على قسمين أحدهما من يشغله ذلك عن مصالح دنياه المباحة فينقطع عن الخلق فلا يقوى على مخالطتهم ولا القيام بوفاء حقوقهم وكان كثير من السلف على هذه الحال فمنهم من كان لا يضحك أبدا ومنهم من كان يقول لو فارق ذكر الموت قلبى ساعة لفسد ٭ والثانى من يستحضر ذكر الله وعظمته وثوابه وعقابه بقلبه ويدخل يدنه في مصالح دنياه من كتساب الحلال والقيام على العيال ويخالط الخلق فيما يوصل اليهم به النفع مما هو عبادة فى نفسه كتعلم العلم والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهؤلاء أشرف القسمين وهم خلفاء الرسل وهم الذين قال فيهم على رضى الله عنه صحبوا الدنيا بابدان أرواحها معلقة بالمحل الاعلى وقد كان حال النبى صلى الله عليه وسلم عند الذكر تتغير ثم يرجع بعد انقضائه الى مخالطة الناس والقيام بحقوقهم ٭ ففى مسند البزار ومعجم الطبراني عن جابر رضى الله عنه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا نزل عليه الوحى قلت نذير قوم فاذا سُرِّى عنه فأكثر الناس ضحكا وأحسنهم خلقا ٭ وفي مسند الامام أحمد عن على أو الزبير قال كان رسول الله

صلى الله عليه وسلم يخطبنا فيذكرنا بأيام الله حتى نعرف ذلك في وجهه وكانه نذير جيش يصبحهم الامر غدوة وكان اذا كان حديث عهد بجبريل لم يتبسم ضاحكا حتى يرتفع عنه ٭ وفى صحيح مسلم عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا خطب وذكر الساعة اشتد غضبه وعلا صوته كانه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم ٭ وفى الصحيحين عن عدى بن حاتم ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اتقوا النار وأشاح ثم قال اتقوا النار ثم اعرض واشاح ثلاثا حتى ظننا انه ينظر اليها ثم قال اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة ٭ وسئلت عائشة كيف كان رسول الله اذا خلا مع نسائه قالت كان كرجل من رجالكم الا انه كان أكرم الناس وأحسن الناس خلقا وكان ضحاكا بساما فهذه الطبقة خلفاء الرسل عاملوا الله بقلوبهم وعاشروا الخلق بابدانهم كما قالت رابعة

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثى وأبحت جسمي من أراد جلوسى

فالجسم منى للجليس مؤانس وحبيب قلبى في الفؤاد أنيسى

(المواعظ) سياط تضرب بها القلوب فتؤثر فى القلوب كتأثير السياط في البدن والضرب لا يؤثر بعد انقضائه كتأثيره فى حال وجوده لكن يبقى أثر التألم بحسب قوته وضعفه فكلما قوي الضرب كانت مدة بقاء الالم أكثر ٭ كان كثير من السلف اذا خرجوا من مجالس سماع الذكر خرجوا عليهم السكينة والوقار فمنهم من كان لا يستطيع أن يأكل طعاما عقب ذلك ومنهم من كان يعمل بمقتضى ماسمعه مدة (أفضل الصدقة) تعليم جاهل أو ايقاظ غافل ماوصل المستثقل في نوم الغفلة بافضل من ضربه بسياط الموعظة ليستيقظ ٭ المواعظ كالسياط تقع على نياط القلوب فمن آلمته فصاح فلا جناح ومن زاد ألمه فمات فدمه مباح شعر

قضى الله فى القتلى قصاص دمائهم ولكن دماء العاشقين جبار

وعظ عبدالواحد بن زيد يوما فصاح به رجل يا أبا عبيدة كف فقد كشفت بالموعظة قناع قلبي فاتم عبدالواحد موعظته فمات الرجل ٭ صاح رجل فى حلقة الشبلى فمات

فاستعدى أهله على الشبلى الى الخليفة فقال الشبلي نفس رقت فحنت فدعيت فاجابت فما ذنب الشبلى

فكر فى أفعاله ثم صاح لاخير في الحب بغير افتضاح
قد جئتكم مستأمنا فارحموا لاتقتلوني قدرميت السلاح

إنما يصلح التأديب بالسوط من صحيح البدن ثابت القلب قوى الذراعين فيؤلم ضربه فيردع فأما من هو سقيم البدن لاقوة له فماذا ينفع تأديبه بالضرب كان الحسن اذا خرج الى الناس كأنه رجل عاين الآخرة ثم جاء يخبر عنها وكانوا اذا خرجوا من عنده خرجوا وهم لايعدون الدنيا شيئا وكان سفيان الثورى يتعزى بمجالسه عن الدنيا وكان أحمد لاتذكر الدنيا فى مجلسه ولاتذكر عنده قال بعضهم لاتنفع الموعظة الا اذاخرجت من القلب فانها تصل الى القلب فأما اذا خرجت من اللسان فانها تدخل من الاذن ثم تخرج من الاخرى قال بعض السلف ان العالم اذا لم يرد بموعظته وجه الله زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا ٥ كان يحيى بن معاذ ينشد فى مجالسه شعر

مواعظ الواعظ لن تقبلا حتى يعيها نفسه [1] أولا
يا قوم من أظلم من واعظ قد خالف ما قاله فى الملا
أظهر بين الناس احسانه وبارز الرحمن لما خلا

العالم الذى لايعمل بعلمه كمثل المصباح يضىء للناس ويحرق نفسه قال أبو العتاهية

وبخت غيرك بالعمى فأفدته بصرا وأنت محسن لعماك
وفتيلة المصباح تحرق نفسها وتضىء للاعشى وأنت كذاك

المواعظ ذرياق الذنوب فلاينبغي أن يسقى الذرياق الا طبيب حاذق معافي فاما لذيغ الهوى فهو الى شرب الذرياق أحوج من أن يسقيه لغيره ٥ في بعض الكتب السالفة اذا أردت أن تعظ الناس فعظ نفسك فان اتعظت والا فاستحى مني شعر

(١) في نسخة قلبه

وغير تقى يأمر الناس بالتقى ... طبيب يداوى الناس وهو سقيم
يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلا لنفسك كان ذا التعليم
فابدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فان انتهت عنه فانت حكيم
فهناك يقبل ما تقول ويقتدي ... بالقول منك وينفع التعليم
لاتنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك اذا فعلت عظيم

لما جلس عبدالواحد بن زيد للوعظ أتته امرأة من الصالحات فأنشدته

يا واعظا قام لاحتساب ... يزجر قوما عن الذنوب
تنهى وأنت المريب حقا ... هذا من المنكر العجيب
لوكنت أصلحت قبل هذا ... عيبك أو تبت من قريب
كان لما قلت يا حبيبي ... موقع صدق من القلوب
تنهي عن الغى والتمادى ... وأنت فى النهي كالمريب

لما حاسب المتقون أنفسهم خافوا من عاقبة الوعظ والتذكير قال رجل لابن عباس أريد أن آمر بالمعروف وأنهي عن المنكر فقال له ابن عباس ان لم تخش أن تفضحك هذه الآيات الثلاث فافعل والافابدأ بنفسك ثم تلا ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ وقوله تعالى ﴿لم تقولون مالاتفعلون كبر مقتا عندالله أن تقولوا مالا تفعلون﴾ وقوله حكاية عن شعيب عليه السلام ﴿وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه﴾ قال النخعي كانوا يكرهون القصص لهذه الآيات الثلاث قيل لمطرف ألا تعظ أصحابك قال أكره أن أقول مالا أفعل تقدم بعض التابعين ليصلى بالناس اماما فالتفت الى المأمومين يعدل الصفوف وقال استووا فغشي عليه فسئل عن سبب ذلك فقال لما قلت لهم استقيموا فكرت فى نفسي فقلت لها فأنت هل استقمت مع الله طرفة عين شعر

ما كل من وصب الدوا يستعمله ... ولا كل من وصب التقى ذو تقى

شعر

وصفت التقى حتى كأني ذو تقى   وريح الخطايا من ثيابي تعبق[1]

ومع هذا كله فلا بد للانسان من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر والوعظ والتذكير ولولم يعظ الا معصوم من الزلل لم يعظ الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد لانه لاعصمة لاحد بعده بيت

لئن لم يعظ العاصين من هو مذنب   فمن يعظ العاصين بعد محمد

وروى ابن أبي الدنيا باسناد فيه ضعف عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مروا بالمعروف وان لم تعملوا به كله وانهوا عن المنكر وان لم تتناهوا عنه كله وقيل للحسن ان فلانا لايعظ ويقول أخاف أن أقول مالا أفعل فقال الحسن وأينا يفعل مايقول ود الشيطان انه ظفر بهذا فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر وقال مالك عن ربيعة قال سعيد بن جبير لوكان المرء لايأمر بالمعروف ولاينهى عن المنكر حتى لايكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر قال مالك وصدق ومن ذا الذى ليس فيه شيء بيت

من ذا الذي ما ساء قط   ومن له الحسنى فقط

خطب عمر بن عبد العزيز رحمه الله يوما فقال في موعظته اني لأقول هذه المقالة وما أعلم عند أحد من الذنوب أكثر مما أعلم عندي فاستغفر الله وأتوب اليه وكتب الى بعض نوابه على بعض الامصار كتابا يعظه فيه وقال فى آخره وانى لاعظك بهذا واني لكثير الاسراف على نفسى غير محكم لكثير من أمرى ولو أن المرء لايعظ أخاه حتى يحكم نفسه اذا لتواكل الخير واذا لرفع الامر بالمعروف والنهى عن المنكر واذا لاستحلت المحارم وقل الواعظون والساعون لله بالنصيحة في الارض فالشيطان وأعوانه يودون أن لايأمر أحد بمعروف ولاينهى عن منكر واذا أمرهم أحد أونهاهم عابوه بما فيه وبما ليس فيه كما قيل شعر

وأعلنت الفواحش فى البوادى   وصار الناس أعوان المريب

(١) فى نسخه تسطع

اذا ما عبتهم عابوا مقالى   لما فى القوم من تلك العيوب
وودوا لو كففنا فاستوينا   فصار الناس كالشيء المشوب
وكنا نستطب اذا مرضنا   فصار هلا كنا بيد الطبيب

كان بعض العلماء المشهورين له مجلس للوعظ فجلس يوما فنظر الى من حوله وهم خلق كثير وما منهم الامن قد رق قلبه أودمعت عينه فقال لنفسه فيما بينه و بينها كيف بك ان نجا هؤلاء وهلكت أنت ثم قال في نفسه اللهم ان قضيت على غدا بالعذاب فلا تعلم هؤلاء بعذابي صيانة لكرمك لا لاجلى لئلا يقال عذب من كان في الدنيا يدل عليه الهى قد قيل لنبيك صلى الله عليه وسلم اقتل ابن أبي المنافق فقال لايتحدث الناس ان محمدا يقتل أصحابه فامتنع من عقابه لما كان في الظاهر ينسب اليه وأنا على كل حال فاليك أنسب زور رجل شفاعة الى بعض الملوك على لسان بعض أكابر الدولة فاطلع المزور عليه على الحال فسعى عند الملك فى قضاء تلك الحاجة واجتهد حتى قضيت ثم قال للمزور عليه ما كنا نخيب من علق أمله بنا ورجى النفع من جهتنا إلهى فانت أكرم الا كرمين وأرحم الراحمين فلا تخيب من علق أمله ورجاه بك وانتسب اليك ودعا عبادك الى بابك وان كان متطفلا على كرمك ولم يكن أهلا للسمسرة بينك و بين عبادك لكنه طمع في سعة جودك وكرمك فانت أهل الجود والكرم وربما استحيا الكريم من رد من تطفل على سماط كرمه بيت

ان كنت لا أصلح للقرب   فشأنكم صفح عن الذنب

وقوله صلى الله عليه وسلم لو لم تذنبوا لجاء الله بخلق جديد حتى يذنبوا فيغفر لهم وخرجه مسلم من وجه آخر عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ثم لجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفرلهم وفى حديث أبي أيوب عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لولا انكم تذنبون لخلق الله خلقا يذنبون ثم يغفر لهم وفى رواية له أيضا لو لم يكن لكم ذنوب يغفرها الله لجاء الله بقوم لهم ذنوب فيغفر لهم والمراد بهذا ان لله تعالى حكمة فى القاء الغفلة على قلوب عباده احيانا حتى تقع

منهم بعض الذنوب فانه لو استمرت لهم اليقظة التى يكونون عليها في حال سماع الذكر لما وقع منهم ذنب وفي ايقاعهم فى الذنوب احيانا فائدتان عظيمتان احداهما اعتراف المذنبين بذنوبهم وتقصيرهم في حق مولاهم وتنكيس رؤس عجبهم وهذا أحب الى الله من فعل كثير من الطاعات فان دوام الطاعات قد توجب لصاحبها العجب وفي الحديث لو لم تذنبوا لخشيت عليكم ماهو أشد من ذلك العجب قال الحسن لو أن ابن آدم كلما قال أصاب وكلما عمل أحسن أوشك أن يجن من العجب قال بعضهم ذنب أفتقر به اليه أحب الى من طاعة أدل بها عليه أنين المذنبين أحب اليه من زجل المسبحين لان زجل المسبحين ربما شابه الافتخار وأنين المذنبين يزينه الانكسار والافتقار * فى حديث ان الله لينفع العبد بالذنب يذنبه قال الحسن ان العبد ليعمل الذنب فلا ينساه ولا يزال متخوفا منه حتى يدخل الجنة * المقصود من زلل المؤمن ندمه ومن تفريطه أسفه ومن اعوجاجه تقويمه ومن تأخره تقديمه ومن زلقه في هوة الهوى أن يؤخذ بيده فينجى الى نجوة النجاة شعر

قرة عينى لابدلى منك وان … أوحش بينى وبينك الزلل

قرة عينى أنا الغريق فخذ … كف غريق عليك يتكل

﴿ الفائدة الثانية ﴾ حصول المغفرة والعفو من الله لعبده فان الله يحب أن يعفو ويغفر ومن أسمائه الغفار والعفو والتواب فلو عصم الخلق فلمن كان العفو والمغفرة قال بعض السلف أول ماخلق الله القلم كتب اني أنا التواب أتوب على من تاب * قال أبو الجلد قال رجل من العاملين لله بالطاعة اللهم أصلحنى صلاحا لافساد على بعده فأوحى الله تعالى اليه ان عبادى المؤمنين كلهم يسألونى مثل ماسألت فاذا أصلحت عبادي كلهم فعلى من أتفضل وعلى من أعود بمغفرتي كان بعض السلف يقول لو أعلم أحب الاعمال الى الله لاجهدت نفسى فيها فرأى فى منامه قائلا يقول له انك تريد مالا يكون ان الله يحب أن يغفر قال يحيي بن معاذ لو لم يكن العفو أحب الاشياء اليه لم يبتل بالذنب أكرم الخلق عليه شعر

يا رب أنت رجائي وفيك حسنت ظني
يا رب فاغفر ذنوبي وعافني واعف عني
العفو منك الهي والذنب قد جاء مني
والظن فيك جميل حقق بحقك ظني

وقوله صلى الله عليه وسلم لابى هريرة لما سأله مم خلق الخلق فقال له من الماء يدل على ان الماء أصل جميع المخلوقات ومادتها وجميع المخلوقات خلقت منه وفى المسند من وجه آخر عن أبى هريرة قال قلت يارسول الله اذا رأيتك طابت نفسى وقرت عيني فانبئني عن كل شيء فقال كل شيء خلق من ماء وقد حكى ابن جرير وغيره عن ابن مسعود وطائفة من السلف ان أول المخلوقات الماء وروي الجوزجانى باسناده عن عبدالله بن عمرو انه سئل عن بدء الخلق فقال من تراب وماء وطين ومن نار وظلمة فقيل له فما بدء الخلق الذى ذكرت قال من ماء ينبوع وقد أخبر الله تعالى فى كتابه ان الماء كان موجودا قبل خلق السموات والارض فقال تعالى ﴿ وهو الذي خلق السموات والارض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ﴾ وفى صحيح البخاري عن عمران ابن حصين عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان الله ولم يكن شيء قبله وفي رواية معه وكان عرشه على الماء وكتب فى الذكر كل شيء ثم خلق السموات والارض وفى صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله قدر مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء وروي ابن جرير وغيره عن ابن عباس ان الله عزوجل كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئا غير ماخلق قبل الماء فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخانا فارتفع فوق الماء فسمى عليه فسمى سماء ثم أيبس الماء فجعله أرضا واحدة ثم فتقها فجعلها سبع أرضين ثم استوي الى السماء وهي دخان وكان ذلك الدخان من نفس الماء حين تنفس ثم جعلها سماء واحدة ثم فتقها فجعلها سبع سموات وعن وهب ان العرش كان قبل أن تخلق السموات والارض على الماء فلما أراد الله أن يخلق السموات والارض قبض

من صفات الماء قبضة ثم فتح القبضـة فارتفعت دخانا ثم قضاهن سبع سموات في يومين ثم أخذ طينة من الماء فوضعها فى مكان البيت ثم دحا الارض منها وقال بعضهم خلق الله الارض أولا ثم خلق السماء ثم دحا الارض بعد أن خلق السماء وقيـل خلق الله تعالى زمردة خضراء كغلظ السموات والارض ثم نظر اليها نظر العظمة فانماعت يعني ذابت فصارت ماء فمن ثم يرى الماء دائما يتحرك من تلك الهيبة ثم ان الله تعالى رفع من البحر بخارا وهو الدخان الذي ذكره فى قوله ﴿ ثم استوى الى السماء وهي دخان ﴾ فخلق السماء من الدخان وخلق الارض من الماء والجبال من موج الماء وقال وهب أول ماخلق الله تعالى مكانا مظلما ثم خلق جوهرة فاضاءت ذلك المكان ثم نظر الى الجوهرة نظرة الهيبة فصارت ماء فارتفع بخارها و زبدها فخلق من البخار السموات ومن الزبد الارضين وروى عبدالله بن عمرو عن النبي صـلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عزوجل خلق خلقه من ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره فمن أصابه يومئذ من ذلك النور اهتدى ومن أخطأه ضل وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكعب الاحبار ما أول شئ ابتدأ الله تعالى من خلقه قال كعب كتب الله كتابا لم يكتبه قلم ولادواة أي مداد كتابه الزبرجد واللؤلؤ والياقوت انني أنا الله لا اله الا أنا وحدي لاشريك لى وان محمـدا عبدى ورسولي سبقت رحمتى غضبي قال كعب فاذا كان يوم القيامة أخرج الله ذلك الكتاب فيخرج من النار مثلى عدد أهل الجنة فيدخلهم الجنة وقال سلمان وعبدالله ابن عمرو ان لله تعالى مائة رحمة كما بين السماء والارض فانزل منها رحمة واحـدة الى أهل الدنيا فبها يتراحم الجن والانس وطير السماء وحيتان الماء وما بين الهواء ودواب الارض وهوامها وادخر عنده تسعة وتسعين رحمة فاذا كان يوم القيامة أنزل تلك الرحمة الى ماعنده فيرحم بها عباده والآثار في هذا الباب كثيرة وهذا كله يبين ان السموات والارض خلقت مـن الماء والخلاف في ان المـاء هـل هـو أول المخلوقات أم لا مشهور وحـديث أبي هريرة يدل على ان الماء مادة جميع المخلوقات وقـد دل القـرآن على ان الماء مادة جميع الحيوانات قال الله تعالى ﴿ وجعلنا من الماء كل شئ حى ﴾

وقال تعالى ﴿ والله خلق كل دابة من ماء ﴾ وقول من قال ان المراد بالماء النطفة التى يخلق منها الحيوانات بعيد لوجهين أحدهما ان النطفة لاتسمي ماء مطلقا بل مقيدا لقوله تعالي ﴿ خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ وقوله تعالى ﴿ ألم نخلقكم من ماء مهين ﴾ والثانى ان من الحيوانات مايتولد من غير نطفة كدود الخل والفاكهة ونحو ذلك فليس كل حيوان مخلوقا من نطفة والقرآن دل على خلق جميع مايدب ومافيه حياة من ماء فعلم بذلك ان أصل جميعها الماء المطلق ولاينافى هذا قوله تعالى ﴿ والجان خلقناه من قبل من نار السموم ﴾ وقول النبى صلى الله عليه وسلم خلقت الملائكة من نور فان حديث أبى هريرة دل على ان أصل النور والنار الماء كما ان أصل التراب الذى خلق منه آدم الماء فان آدم خلق من طين والطين تراب مختلط بماء اوالترب خلق من الماء كما تقدم عن ابن عباس وغيره وزعم مقاتل ان الماء خلق من النور وهو مردود بحديث أبي هريرة هذا وغيره ولايستنكر خلق النار من الماء فان الله عزوجل جمع بقدرته بين الماء والنار في الشجر الاخضر وجعل ذلك من أدلة القدرة على البعث وذكر الطبائعيون ان الماء بانحداره يصير بخارا والبخار ينقلب هواء والهواء ينقلب نارا والله أعلم وقوله صلى الله عليه وسلم لابى هريرة حين سأله عن بناء الجنة فقال لبنة من ذهب ولبنة من فضة وملاطها المسك الاذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وتربتها الزعفران وقد روى أيضًا هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عمر مرفوعا أخرجه الطبرانى فهذه أربعة أشياء أحدها بناء الجنة ويحتمل أن المراد بنيان قصورها ودورها ويحتمل أن يراد بناء حائطها وسورها المحيط بها وهو أشبه وقد روي من وجه آخر عن أبي هريرة مرفوعا وموقوفا وهو أشبه حائط الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب ودرجها الياقوت واللؤلؤ قال وكنا نتحدث ان رضراض أنهارها اللؤلؤ وترابها الزعفران وفي مسند البزار عن أبى سعيد مرفوعا خلق الله الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها المسك فقال لها تكلمى فقالت قد أفلح المؤمنون فقالت الملائكة طوبى لك منزل الملوك ومما يبين ان المراد ببناء الجنة فى هذه الاحاديث بناء

سورها المحيط بها ما في الصحيحين عن أبي موسى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال جنتان من ذهب وآنيتهما ومافيهما وجنتان من فضة وآنيتهما ومافيهما وقدروى عن أبي موسى مرفوعا وموقوفا جنتان من ذهب للمقربين وجنتان من فضة لاصحاب اليمين وفى الصحيح أيضاً عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال انها جنان كثيرة وقد روى ان بناء بعضها من در وياقوت خرج ابن أبى الدنيا من حديث أنس مرفوعا خلق الله جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجد خضراء ملاطها المسك وحصباؤها اللؤلؤ وحشيشها الزعفران ثم قال لها انطق قالت قد أفلح المؤمنون قال وعزتى لايجاورني فيك بخيل وروى عطية عن أبى سعيد قال ان الله خلق جنة عدن من ياقوتة حمراء ثم قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها تكلمى فقالت طوبى لمن رضيت عنه ثم اطبقها وعلقها بالعرش فهى تفتح في كل سحر فذلك برد السحر وعن ابن عباس قال كان عرش الله على الماء ثم اتخذ لنفسه جنة ثم اتخذ دونها أخرى وطبقهما بلؤلؤة واحدة لاتعلم الخلائق مافيهما وهما اللتان لاتعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون (وذكر صفوان) بن عمرو عن بعض مشايخه قال الجنة مائة درجة أولها درجة فضة وأرضها فضة ومساكنها فضة وترابها المسك والثانية ذهب وأرضها ذهب وآنيتها ذهب وترابها المسك والثالثة لؤلؤ وأرضها لؤلؤ وآنيتها لؤلؤ وترابها المسك وسبع وتسعون بعدذلك مالاعين رأت ولاأذن سمعت ولاخطر على قلب بشر ثم تلا ﴿فلاتعلم نفس ماأخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ وفى صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة يرفعه سأل موسى ربه قال يارب ماأدني أهل الجنة منزلة قال هو رجل يجيء بعدماأدخل أهل الجنة لجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول يارب كيف وقد أخذ الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت يارب فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله فقال فى الخامسة رضيت يارب فيقال هذالك وعشرة أمثاله ولك مااشتهت نفسك ولذت عينك فيقول رضيت رب قال فاعلاهم منزلة قال أولئك الذين أردت غرست

كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم ترعين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر قال ومصداقه فى كتاب الله ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾ الثانى ملاط الجنة وانه المسك الاذفر وقد تقدم مثل ذلك فى غير حديث والملاط هو الطين ويقال الطين الذي يبنى منه البنيان والاذفر الخالص ففى الصحيحين عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال دخلت الجنة فاذا فيها جنابذ اللؤلؤ واذا ترابها المسك والجنابذ مثل القباب وقد قيل انه أراد بترابها ما خالطه الماء وهو طينها كما في صحيح البخاري عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الكوثر طينه المسك الاذفر وقد قيل فى تأويل قوله تعالى ﴿ ختامه مسك ﴾ ان المراد بالختام مايبقى في سفل الشراب من التفل وهذا يدل على ان أنهارها تجري على المسك ولذلك يرسب منه فى الاناء فى آخر الشراب كما يرسب الطين في آنية الماء فى الدنيا الثالث حصباء الجنة وانه اللؤلؤ والياقوت والحصباء الحصي الصغار وهو الرضراض وفى المسند عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم في ذكر الكوثر ان رضراضه اللؤلؤ وفى رواية حصباؤه اللؤلؤ وفى الترمذى من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان مجراه على الدر والياقوت وفى الطبرانى من حديث عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حاله المسك الابيض ورضراضه الجوهر وحصباؤه اللؤلؤ وفي المسند من حديث ابن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال حاله المسك ورضراضه التوم والتوم الجوهر والحال الطين قال أبو العالية قرأت فى بعض الكتب يامعشر الربانيين من أمة محمد اندبوا لدار أرضها زبرجد أخضر تجري عليها أنهار الجنة فيها الدر واللؤلؤ والياقوت وسورها زبرجد أخضر متدليا عليها أشجار الجنة بثمارها الرابع تراب الجنة وانه الزعفران وقد سبق في رواية أخرى الزعفران والورس وقد قيل ان المراد بالتراب ههنا تربة الارض التى لاماء عليها فاما ما كان عليه ماء فانه مسك كما سبق وسبق أيضا في بعض الروايات حشيشها الزعفران وهو نبات أرضها وترابها فأما حديث ترابها المسك فقد قيل انه محمول على تراب يخالطه الماء كما تقدم وقيل ان المراد ان ريح ترابها ريح المسك

ولونه لون الزعفران ويشهد لهذا حديث الكوثران حاله المسك الابيض فريحه ريح
المسك ولونه مشرق لايشبه لون مسك الدنيا بل هو أبيض وقد يكون منه أبيض ومنه
أصفر والله أعلم وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم سأل
ابن صياد عن تربة الجنة فقال درمكة بيضاء مسك خالص فصدقه النبي صلى الله عليه وسلم
وفى رواية ان ابن صياد سأل النبى صلى الله عليه وسلم وصدقه وفى المسند والترمذى
عن البراء بن عازب ان النبى صلى الله عليه وسلم قال تربة الجنة درمكة ثم سأل اليهود
فقالوا خبزة فقال الخبز من الدرمك والتى تجتمع به هذه الاحاديث كلها ان تربة الجنة
في لونها بيضاء ومنها مايشبه لون الزعفران في بهجته واشراقه وريحها ريح المسك الاذفر
الخالص وطعمها طعم الخبز الحوارى الخالص وقد يختص هذا بالابيض منها فقد
اجتمعت لها الفضائل كلها لا أحرمنا الله ذلك بوجهه وكرمه وقوله صلى الله عليه وسلم
من يدخلها ينعم لاييأس ويخلد لايموت لاتبلى ثيابهم ولايفني شبابهم اشارة الى بقاء
الجنة وبقاء جميع مافيها من النعيم وان صفات أهلها الكاملة من الشباب لاتتغير أبدا
وملابسهم التى عليهم من الثياب لاتبلى أبدا وقد دل القرآن على مثل هذا فى مواضع
كثيرة كقوله ﴿ وجنات لهم فيها نعيم مقيم ﴾ وقوله تعالى ﴿ أكلها دائم وظلها ﴾ وقوله
تعالى ﴿ خالدين فيها أبدا ﴾ فى مواضع كثيرة وفى صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبى
صلى الله عليه وسلم قال من يدخل الجنة ينعم لاييأس لاتبلى ثيابه ولايفنى شبابه وفيه
أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل أهل الجنة الجنة نادي مناد ان لكم
أن تنعموا ولاتبأسوا أبدا وان لكم أن تصحوا ولاتسقموا أبدا وان لكم أن تشبوا
ولاتهرموا أبدا ونودوا أن تلكم الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون وفى رواية
لغيره زيادة وأن تحيوا فلا تموتوا أبدا وفى الترمذي مرفوعا أهل الجنة جرد مرد
كحل لايفنى شبابهم ولاتبلى ثيابهم وعن أبى سعيد مرفوعا يدخل أهل الجنة الجنة
أبناء ثلاثين لايزيدون عليها أبدا ومن حديث على مرفوعا ان فى الجنة مجتمعا للحور
العين يرفعن باصوات لم يسمع الخلائق مثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد ونحن

الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط طوبى لمن كان لنا وكنا له وخرج الطبراني من حديث ابن عمر مرفوعا ان مما يتغنين به الحور العين نحن الخالدات فلا نمتنه نحن الآمنات فلا نخفنه نحن المقيمات فلا نظعنه ومن حديث أم سلمة مرفوعا ان نساء أهل الجنة يقلن نحن الخالدات فلا نموت ونحن الناعمات فلا نبأس أبدا ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا طوبى لمن كنا له وكان لنا وفيما ذكره صلى الله عليه وسلم فى صفة من يدخل الجنة تعريض بذم الدنيا الفانية فانه من يدخلها وان نعم فيها فانه يبأس ومن أقام فيها فانه يموت ولا يخلد ويفنى شبابهم وتبلى ثيابهم وتبلى أجسامهم وفى القرآن نظير هذا وهذا التعريض بذم الدنيا وفنائها مع مدح الآخرة وذكر كمالها وبقائها كما قال تعالى ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد﴾ وقال الله تعالى ﴿إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها﴾ الآية ثم قال ﴿والله يدعوا الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ وقال الله تعالى (وما هذه الحياة الدنيا الا لهو ولعب وان الدار الآخرة) الآية وقال الله تعالى (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فأصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شىء مقتدرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا) وقال الله تعالى (اعلموا أنما الحياة لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته) الى قوله (سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض أعدت للذين آمنوا بالله ورسله) وقال الله تعالى (بل

تؤثرون الحياة الدنيا والآخرة خير وأبقى) وقال الله تعالى (أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل) وقال الله تعالى عن مؤمن آل فرعون أنه قال لقومه (ياقوم انما هذه الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هى دار القرار) والمتاع هو مايتمتع به صاحبه برهة ثم ينقطع ويفنى فما عيبت الدنيا بأكثر من ذكر فنائها وتقلب أحوالها وهو أدل دليل على انقضائها وزوالها فتتبدل صحتها بالسقم ووجودها بالعدم وشبيبتها بالهرم ونعيمها بالبؤس وحياتها بالموت فتفارق الاجسام النفوس وعمارتها بالخراب واجتماعها بفرقة الاحباب وكل مافوق التراب تراب قال بعض السلف فى يوم عيد وقد نظر الى كثرة الناس وزينة لباسهم هل ترون الآخر فانبلى آو لحايا كله الدود غدا كان الامام أحمد رضى الله عنه يقول يادار تخربين ويموت سكانك وفى الحديث عجبا لمن رأي الدنيا وسرعة تقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها قال الحسن ان الموت قد فضح الدنيا فلم يدع لذي لب بها فرحا وقال مطرف ان هذا الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم فالتمسوا نعيما لاموت فيه وقال يونس بن عبيد ما ترك ذكر الموت لنا قرة عين في أهل ولامال وقال يزيد الهاشمى أمن أهل الجنة الموت فطاب لهم العيش وأمنوا الاسقام فهنيئا لهم في جوار الله طول المقام ٭ عيوب الدنيا بادية وهى تغيرها ومواعظها منادية لكن حبها يعمى ويصم فلا يسمع محبها نداءها ولا يري كشفها للغير وايذاءها شعر

قد نادت الدنيا على نفسها لو كان فى العالم من يسمع
كم واثق بالعمر أفنيته وجامع بددت ما يجمع

كم قد تبدل نعيمها بالضر والبؤس كم أصبح من هو واثق بملكها وأمسي وهو منها قنوط بؤوس قالت بعض بنات ملوك العرب الذين نكبوا أصبحنا ومافي الارض أحد الا وهو يحسدنا ويخشانا وأمسينا وما في العرب أحد الا وهو يرحمنا ٭ دخلت أم جعفر بن يحيي البرمكي على قوم فى عيد أضحى تطلب جلد كبش تلبسه وقالت هجم على مثل هذا العيد وعلى رأسى أربعمائة وصيفة قائمة وأنا أزعم أن ابنى جعفرا عاق لى كانت أخت

أحمد بن طولون صاحب مصر كثيرة السرف فى انفاق المال حتى انها زوجت بعض لعبها فانفقت على وليمة عرسها مائة ألف دينار فما مضى الاقليـل حتى رؤيت في سوق من أسواق بغـداد وهي تسأل الناس اجتاز بعض الصالحين بدار فيها فرح وقائلة تقول في غنائها

ألا يادار لا يدخلك حزن ولا يزرى بصاحبك الزمان

ثم اجتاز بها عن قريب واذا الباب مسود وفي الدار بكاء وصراخ فسأل عنهم فقيـل مات رب الدار فطرق الباب وقال سمعت من هذه الدار قائلة تقول كذا وكذا فبكت امرأة وقالت ياعبدالله ان الله يغـير ولا يتغير والموت غاية كل مخلوق فانصرف من عندهم باكيا بعث أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى خلافته وفدا الى اليمن فاجتازوا فى طريقهم بماء من مياه العرب عنده قصور مشيدة وهناك مواش عظيمة ورقيق كثير ورأى نسوة كثيرة مجتمعات فى عرس لهن وجارية بيدها دف تقول

معشر (٧) الحساد موتوا كمدا كذا نكون ما بقينا أبدا

فنزلوا بقربهم فأكرمهم سيد الماء واعتذر اليهم باشتغاله بالعرس فدعوا له وارتحلوا ثم ان بعض أولئك الوفد أرسلهم معاوية الى اليمن فمروا بالقرب من ذلك المـاء فعدلوا اليه لينزلوا فيه فاذا القصور المشـيدة قد خربت كلها وليس هناك ماء ولا أنيس ولم يبق من تلك الآثار الا تل خراب فذهبوا اليه فاذا عجوز عمياء تأوي الى نقب في ذلك التل فسألوها عن أهل ذلك الماء فقالت هلكوا كلهم فسألوها عن ذلك العرس المتقدم فقالت كانت العروس أختي وأنا كنت صاحبة الدف فطلبوا أن يحملوها معهم فابت وقالت عزيز على أن أفارق هـذه العظام البالية حتى أصير الى ماصارت اليـه فبينما هى تحدثهم اذ مالت فنزعت نزعا يسيرا ثم ماتت فدفنوها وانطلقوا حمل الى سليمان بن عبد الملك فى خلافته من خراسان ستة أحمال مسك الى الشام فادخلت على ابنه أيوب وهو ولى عهده فدخل عليه الرسول بها في داره فدخل الى دار بيضاء وفيها غلمان عليهم ثياب بياض وحليتهم فضة ثم دخل الى دار صفراء فيها غلمان عليهم ثياب

(٧) الشطر الاول غير متزن ولعل صوابه معاشر وليحرر كذا بهامش الاصل

صفر وحليهم الذهب ثم دخل الى دار خضراء فيها غلمان عليهم ثياب خضر وحليهم الزمرد ثم دخل على أيوب وهو وجاريته على سرير فلم يعرف أحدهما من الآخر لقرب شبههما فوضع المسك بين يديه فانتهبه كله الغلمان ثم خرج الرسول فغاب بضعة عشر يوما ثم رجع فمر بدار أيوب وهي بلاقع فسأل عنهم فقيل له أصابهم الطاعون فماتوا ه كان يزيد بن عبد الملك وهو الذى انتهت اليه الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز له جارية تسمي حبابة وكان شديد الشغف بها ولم يقدر على تحصيلها الا بعد جهد شديد فلما وصلت اليه خلى بها يوما في بستان وقد طار عقله فرحا بها فبينما هو يلاعبها ويضاحكها اذ رماها بحبة رمان أو حبة عنب وهي تضحك فدخلت في فيها فشرقت بها فماتت فما سمحت نفسه بدفنها حتى أراحت فعوتب على ذلك فدفنها ويقال انه نبشها بعد دفنها ويروى انه دخل بعد موتها الى خزائنها ومقاصيرها ومعه جارية لها فتمثلت الجارية ببيت

كفى حزنا بالواله الصب أن يرى منازل من يهوي معطلة قفرا

فصاح وخر مغشيا عليه فلم يفق الى أن مضي هوي من الليل ثم أفاق فبكى بقية ليلته ومن الغد فدخلوا عليه فوجدوه ميتا ه قال بعض السلف مامن حبرة الا يتبعها عبرة وما كان ضحك في الدنيا الا كان بعده بكاء من عرف الدنيا حق معرفتها حقرها وأبغضها كما قيل

أما لو بيعت الدنيا بفلس أنفت لعاقل أن يشتريها

ومن عرف الآخرة وعظمتها رغب فيها ه عباد الله هلموا الى دار لايموت سكانها ولايخرب بنيانها ولايهرم شبابها ولا يتغير حسنها واحسانها هواؤها النسيم وماؤها التسنيم يتقلب أهلها في رحمة أرحم الراحمين ويتمتعون بالنظر الى وجهه كل حين ﴿ دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين ﴾ قال عون ابن عبد الله بن عتبة بنى ملك ممن كان قبلنا مدينة فتنوق في بنائها ثم صنع طعاما ودعا الناس اليه وأقعد على أبوابها ناسا يسألون كل من خرج هل رأيتم عيبا فيقولون لا حتى

جاء في آخر الناس قوم عليهم أكسية فسألوهم هل رأيتم عيبا فقالوا عيبين فادخلوهم على الملك فقال هل رأيتم عيبا فقالوا عيبين قال وما هما قالوا تخرب ويموت صاحبها قال فتعلمون دارا لاتخرب ولايموت صاحبها قالوا نعم فدعوه فاستجاب لهم وانخلع من ملكه وتعبد معهم فحدث عون بهذا الحديث عمر بن عبدالعزيز فوقع منه موقعا حتى هم أن يخلع نفسه من الملك فأتاه ابن عمه مسلمة فقال اتق الله ياأمير المؤمنين في أمة محمد فوالله لئن فعلت ليقتتلن باسيافهم قال ويحك يامسلمة حملت مالا أطيق وجعل يرددها ومسلمة يناشده حتى سكن

﴿ وظائف شهر الله المحرم ويشتمل على مجالس ﴾

المجلس الاول فى فضل شهر الله المحرم وعشره الأول

خرج مسلم من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله الذي تدعونه المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة قيام الليل * الكلام على هذا الحديث فى فصلين فى أفضل التطوع بالصيام وأفضل التطوع بالقيام * الفصل الاول في أفضل التطوع بالصيام وهذا الحديث صريح في ان أفضل ماتطوع به من الصيام بعد رمضان صوم شهر الله المحرم وقد يحتمل أن يراد انه أفضل شهر تطوع بصيامه كاملا بعد رمضان فاما بعض التطوع ببعض شهر فقد يكون أفضل من بعض أيامه كصيام يوم عرفة أوعشر ذي الحجة أوستة أيام من شوال ونحو ذلك ويشهد لهذا ماخرجه الترمذى من حديث على ان رجلا أتي النبى صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أخبرنى بشهر أصومه بعد شهر رمضان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت صائما شهرا بعد رمضان فصم المحرم فانه شهر الله وفيه يوم تاب الله فيه على قوم ويتوب على آخرين وفى اسناده مقال ولكن يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصوم شهر شعبان ولم ينقل انه كان يصوم المحرم انما كان يصوم عاشوراء وقوله في آخر سنة لئن عشت الى قابل لاصومن التاسع يدل على انه كان لايصوم التاسع قبل ذلك وقد أجاب الناس عن هذا السؤال باجوبة فيها ضعف والذى ظهر لي

والله أعلم ان التطوع بالصيام نوعان أحدهما التطوع المطلق بالصوم فهذا أفضله المحرم كما ان أفضل التطوع المطلق بالصلاة قيام الليل والثاني ماصيامه تبع لصيام رمضان قبله وبعده فهذا ليس من التطوع المطلق بل صيامه تبع لصيام رمضان وهو ملتحق بصيام رمضان ولهذا قيل ان صيام ستة أيام من شهر شوال يلتحق بصيام رمضان ويكتب بذلك لمن صامها مع رمضان صيام الدهر فرضا وقد روي ان اسامة بن زيد كان يصوم الاشهر الحرم فأمره النبى صلى الله عليه وسلم بصيام شوال فترك الاشهر الحرم وصام شوالا وسنذكر ذلك فى موضعه ان شاء الله تعالى فهذا النوع من الصيام ملتحق برمضان وصيامه أفضل التطوع مطلقا فاما التطوع المطلق فافضله صيام الاشهر الحرم وقد روي عن النبى صلى الله عليه وسلم انه أمر رجلا أن يصوم الاشهر الحرم وسنذكره فى موضع آخر ان شاء الله تعالى ٭ وأفضل صيام الاشهر الحرم صيام شهر الله المحرم ويشهد لهذا انه صلى الله عليه وسلم قال في هذا الحديث وأفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل ومراده بعد المكتوبة ولواحقها من سننها الرواتب فان الرواتب قبل الفرائض وبعدها أفضل من قيام الليل عند جمهور العلماء لالتحاقها بالفرائض وانما خالف في ذلك بعض الشافعية فكذلك الصيام قبل رمضان وبعده ملتحق برمضان وصيامه أفضل من صيام الاشهر الحرم وأفضل التطوع المطلق بالصيام صيام المحرم ٭ وقد اختلف العلماء فى أى الاشهر الحرم أفضل فقال الحسن وغيره أفضلها شهر الله المحرم ورجحه طائفة من المتأخرين وروى وهب بن جرير عن قرة بن خالد عن الحسن قال ان الله افتتح السنة بشهر حرام وختمها بشهر حرام فليس شهر في السنة بعد شهر رمضان أعظم عند الله من المحرم وكان يسمى شهر الله الاصم من شدة تحريمه وقد روي عنه مرفوعا ومرسلا قال آدم بن أبي اياس حدثنا أبو هلال الراسبى عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة فى جوف الليل الاوسط وأفضل الشهور بعد شهر رمضان المحرم وهو شهر الله الاصم وخرج النسائى من حديث أبي ذر قال سألت النبى صلى الله عليه وسلم أي الليل خير وأى الاشهر أفضل فقال

خير الليل جوفه وأفضل الاشهر شهر الله الذى تدعونه المحرم واطلاقه فى هذا الحديث أفضل الاشهر محمول على مابعد رمضان كما في رواية الحسن المرسلة وقال سعيد بن جبير وغيره أفضل الاشهر الحرم ذوالقعدة أو ذوالحجة بل قد قيل انه أفضل الاشهر مطلقا وسنذكره في موضعه ان شاء الله تعالى وزعم بعض الشافعية ان أفضل الاشهر الحرم رجب وهو قول مردود وأفضل شهر الله المحرم عشره الاول وقد زعم يمان بن رآب انه العشر الذى أقسم الله به فى كتابه ولكن الصحيح ان العشر المقسم به عشر ذى الحجة كما سيأتي في موضعه ان شاء الله تعالى وقال أبو عثمان النهدي كانوا يعظمون ثلاث عشرات العشر الاخير من رمضان والعشر الاول من ذي الحجة والعشر الاول من المحرم وقد وقع هذا فى بعض نسخ كتاب فضائل العشر لابن أبي الدنيا عن أبي عثمان عن أبى ذر عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يعظم هذه العشرات الثلاث وليس ذلك بمحفوظ وقد قيل انه العشر الذى أتم الله به ميقات موسى عليه السلام أربعين ليلة وان التكلم وقع فى عاشره وروى عن وهب بن منبه قال أوحي الله تعالى الى موسى عليه السلام ان مر قومك أن يتوبوا الى في أول عشر المحرم فاذا كان يوم العاشر فليخرجوا الي أغفر لهم وعن قتادة ان الفجر الذى أقسم الله به فى أول سورة الفجر هو فجر أول يوم من المحرم تنفجر منه السنة ولما كانت الاشهر الحرم أفضل الاشهر بعد رمضان أو مطلقا وكان صيامها كلها مندوبا اليه كما أمر به النبى صلى الله عليه وسلم وكان بعضها ختام السنة الهلالية وبعضها مفتاحا لها فمن صام شهر ذى الحجة سوى الايام المحرم صيامها منه وصام المحرم فقد ختم السنة بالطاعة وافتتحها بالطاعة فيرجي أن تكتب له سنته كلها طاعة فان من كان أول عمله طاعة وآخره طاعة فهو فى حكم من استغرق بالطاعة مابين العملين وفي حديث مرفوع مامن حافظين يرفعان الى الله صحيفة فيري في أولها وفى آخرها خيرا الا قال الله لملائكته أشهدكم اني قد غفرت لعبدى مابين طرفيها خرجه الطبرانى وغيره وهو موجود فى بعض نسخ كتاب الترمذى وفى حديث آخر مرفوع ابن آدم اذكرنى من أول النهار ساعة ومن

آخر النهار ساعة اغفرلك مابين ذلك الا الكبائر أو تتوب منها وقال ابن المبارك من ختم نهاره بذكر كتب نهاره كله ذكرا يشير الى ان الاعمال بالخواتم فاذا كان البداءة والختام ذكرا فهو أولى أن يكون حكم الذكر شاملا للجميع ويتعين افتتاح العام بتوبة نصوح تمحو ماسلف من الذنوب السالفة في الايام الخالية شعر

قطعت شهور العام لهوا وغفلة ولم تحترم فيما أتيت المحرما
فلا رجبا وافيت فيه بحقه ولاصمت شهر الصوم صوما متمما
ولافى ليالى عشر ذي الحجة الذى مضى كنت قواما ولا كنت محرما
فهل لك أن تمحو الذنوب بعبرة وتبكي عليها حسرة وتندما
وتستقبل العام الجديد بتوبة لعلك أن تمحو بها ماتقدما

وقد سمى النبى صلى الله عليه وسلم المحرم شهر الله واضافته الى الله تدل على شرفه وفضله فان الله تعالى لايضيف اليه الا خواص مخلوقاته كما نسب محمدا وابراهيم واسحاق ويعقوب وغيرهم من الانبياء الى عبوديته ونسب اليه بيته وناقته ولما كان هذا الشهر مختصا باضافته الى الله تعالى وكان الصيام من بين الاعمال مضافا الى الله تعالى فانه له من بين الاعمال ناسب أن يختص هذا الشهر المضاف الى الله بالعمل المضاف اليه المختص به وهو الصيام وقد قيل فى معنى اضافة هذا الشهر الى الله عزوجل انه اشارة الى ان تحريمه الى الله عزوجل ليس لاحد تبديله كما كانت الجاهلية يحلونه ويحرمون مكانه صفرا فاشار الى انه شهر الله الذى حرمه فليس لاحد من خلقه تبديل ذلك وتغييره شعر

شهر الحرام مبارك ميمون والصوم فيه مضاعف مسنون
وثواب صائمه لوجه الهه فى الخلد عند مليكه مخزون

الصيام سر بين العبد وبين ربه ولهذا يقول الله تبارك وتعالى كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لى وأنا أجزي به انه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلى وفى الجنة باب يقال له الريان لايدخل منه الا الصائمون فاذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه غيرهم

وهوجنة للعبد من النار كجنة أحدكم من القتال [1] وفي المسند عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من صام يوما ابتغاء وجه الله تعالى بعده الله من نار جهنم كبعد غراب طار وهو فرخ حتى مات هرما وفيه ان أبا امامة قال للنبى صلى الله عليه وسلم أوصنى قال عليك بالصوم فانه لاعدل له فكان أبو امامة وأهله يصومون فاذا رؤي في بيتهم دخان بالنهار علم انه قد نزل بهم ضيف وممن سرد الصوم عمر وأبو طلحة وعائشة وغيرهم من الصحابة وخلق كثير من السلف وممن صام الاشهر الحرم كلها ابن عمر والحسن البصرى وغيرهما قال بعضهم انما هو غداء وعشاء فان أخرت غداءك الى عشائك أمسيت وقد كتبت في ديوان الصائمين للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه اذا وجد ثواب صيامه مدخورا سمع بعضهم مناديا ينادى على السحور في رمضان ياماخبأنا للصوام فانتبه لذلك وسرد الصوم وروى ان الصائمين توضع لهم مائدة تحت العرش فيأكلون والناس في الحساب فيقول الناس مابال هؤلاء يأكلون ونحن نحاسب فيقال كانوا يصومون وأنتم تفطرون وروى انهم يحكمون فى ثمار الجنة والناس فى الحساب روى ذلك ابن أبي الدنيا فى كتاب الجوع قال الله تعالى ﴿ والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما ﴾ وقال تعالى ﴿ كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية ﴾ قال مجاهد وغيره نزلت في الصوام من ترك لله طعامه وشرابه وشهوته عوضه الله خيرا من ذلك طعاما وشرابا لاينفد وأزواجا لاتموت في التوراة طوبي لمن جوع نفسه ليوم الشبع الاكبر طوبي لمن ظمأ نفسه ليوم الرى الاكبر طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد غيب لم يره طوبي لمن ترك طعاما ينفد فى دار تنفد لدار ﴿ أكلها دائم وظلها ﴾ شعر

من يرد ملك الجنان فليذر عنه التواني	وليقم فى ظلمة الليل الى نور القران
وليصل صوما بصوم ان هذا العيش فاني	انما العيش جوار الله فى دار الامان

(١) الذي في المسند روي من حديث أبي هريرة وسلمة بن قيصر وغيرهما من الصحابة

كان بعض الصالحين يكثر الصوم فرأى فى منامه كأنه دخل الجنة فنودي من ورائه يافلان تذكر انك صمت لله يوما قط قال اي والله يوم ويوم ويوم فاذا صواني النثار قد أخذته يمنة ويسرة كان بعض الصالحين قدصام حتى انحنى وانقطع صوته فمات فرأى بعض أصحابه في المنام فسئل عن حاله فقال

قد كسي حلة البهاء وطافت بالاباريق حوله الخدام

ثم حلي وقيل ياقارئي ارقه فلعمري لقد براك الصيام

صام بعض التابعين حتى اسود من طول صيامه وصام الاسود بن يزيد حتى اخضر جسمه واصفر فكان اذا عوتب فى رفقه بجسده يقول كرامة هذا الجسد أريد وصام بعضهم حتى وجد طعم دماغه في حلقه كان بعضهم يسرد الصوم فمرض وهو صائم فقالوا له أفطر فقال ليس هذا وقت ترك وقيل لآخر منهم وهو مريض افطر فقال كيف أفطر وأنا أسير لا أدرى مايفعل بى مات عامر بن عبدالله بن الزبير وهو صائم ما أفطر ودخلوا على أبي بكر بن أبي مريم وهو فى النزع وهو صائم فعرضوا عليه ماء ليفطر فقال أغربت الشمس قالوا لا فابي أن يفطر ثم أتوه بماء وقد اشتد نزعه فاوما اليهم أغربت الشمس قالوا نعم فقطروا في فيه قطرة من ماء ثم مات واحتضر ابراهيم ابن هانىء صاحب الامام أحمد وهو صائم وطلب ماء وسأل أغربت الشمس فقالوا لا وقالوا له قد رخص لك في الفرض وأنت متطوع قال امهل ثم قال لمثل هذا فليعمل العاملون ثم خرجت نفسه وما أفطره الدنيا كلها شهر صيام المتقين وعيد فطرهم يوم لقاء ربهم ومعظم نهار الصيام قد ذهب وعيد اللقاء قد اقترب

وقد صمت عن لذات دهرى كلها ويوم لقاكم ذاك فطر صيامى

ولما كان الصيام سرا بين العبد وبين ربه اجتهد المخلصون في اخفائه بكل طريق حتى لايطلع عليه أحد قال بعض الصالحين بلغنا عن عيسى بن مريم عليه السلام انه قال اذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن لحيته ويمسح شفتيه من دهنه حتى ينظر اليه الناظر فيظن انه ليس بصائم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال اذا أصبح أحدكم صائما

فليترجل يعني يسرح شعره و يدهنه واذا تصدق بصدقة عن يمينه فليخفها عن شماله واذا صلى تطوعا فليصل داخل بيته ه وقال أبو التياح أدركت أبي وشيخة الحى اذا صام أحدهم ادهن ولبس صالح ثيابه صام بعض السلف أربعين سنة لا يعلم به أحد كان له دكان فكان كل يوم يأخذ من بيته رغيفين ويخرج الى دكانه فيتصدق بهما فى طريقه فيظن أهله أنه يأكلهما فى السوق ويظن أهل السوق انه قد أكل في بيته قبل أن يجيء ه اشتهر بعض الصالحين بكثرة الصيام فكان يقوم يوم الجمعة فى مسجد الجامع فيأخذ ابريق الماء فيضع بلبلته في فيه ويمتصها والناس ينظرون اليه ولا يدخل حلقه منه شيء لينفي عن نفسه ما اشتهر به من الصوم كم يستر الصادقون أحوالهم وريح الصدق ينم عليهم ما أسر أحد سريرة الا ألبسه الله رداءها علانية

كم أكتم حبكم عن الاغيار والدمع يذيع فى الهوى أسرارى

كم أستركم هتكتمو أسرارى من يخفى فى الهوى لهيب النار

ريح الصائم أطيب عند الله من ريح المسك فكلما اجتهد صاحبه على اخفائه فاح ريحه للقلوب فتستنشقه الارواح وربما ظهر بعد الموت و يوم القيامة

فكاتم الحب يوم البين منهتك وصاحب الوجد لا تخفي سرائره

ولما دفن عبد الله بن غالب كان يفوح من تراب قبره رائحة المسك فرؤى في المنام فسئل عن تلك الرائحة التى توجد من قبره فقال تلك رائحة التلاوة والظمأ وجاء فى حديث مرفوع يخرج الصائمون من قبورهم يعرفون بريح صيامهم أفواههم أطيب من ريح المسك

وهبنى كتمت السر أو قلت غيره أتخفى على أهل القلوب السرائر

أبي ذاك ان السر في الوجه ناطق وان ضمير القلب فى العين ظاهر

﴿ الفصل الثانى في فضل قيام الليل ﴾

وقد دل حديث أبي هريرة رضى الله عنه هذا على انه أفضل الصلاة بعد المكتوبة وهل هو أفضل من السنن الراتبة فيه خلاف سبق ذكره وقال ابن مسعود رضى الله

عنه فضل صلاة الليل على صلاة النهار كفضل صدقة السر على صدقة العلانية وخرجه الطبراني عنه مرفوعا والمحفوظ وقفه وقال عمرو بن العاص ركعة بالليل خير من عشر بالنهار خرجه ابن أبي الدنيا وانما فضلت صلاة الليل على صلاة النهار لأنها أبلغ في الاسرار وأقرب الي الاخلاص كان السلف يجتهدون على اخفاء تهجدهم قال الحسن كان الرجل يكون عنده زواره فيقوم من الليل يصلي لا يعلم به زواره وكانوا يجتهدون في الدعاء ولا يسمع لهم صوت وكان الرجل ينام مع امرأته على وسادة فيبكي طول ليلته وهي لا تشعر وكان محمد بن واسع يصلي فى طريق الحج طول ليله ويأمر حاديه أن يرفع صوته ليشغل الناس عنه وكان بعضهم يقوم من وسط الليل ولا يدرى به فاذا كان قرب طلوع الفجر رفع صوته بالقرآن يوهم انه قام تلك الساعة ولان صلاة الليل أشق على النفوس فان الليل محل النوم والراحة من التعب بالنهار فترك النوم مع ميل النفس اليه مجاهدة عظيمة قال بعضهم أفضل الاعمال ما أكرهت عليه النفوس ولان القراءة فى صلاة الليل أقرب الى التدبر فانه تنقطع الشواغل بالليل ويحضر القلب ويتواطأ هو واللسان على الفهم كما قال تعالى ﴿ ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا ﴾ ولهذا المعنى أمر بترتيل القرآن في قيام الليل ترتيلا ولهذا كانت صلاة الليل تنهاه عن الاثم كما يأتي في حديث خرجه الترمذى وفي المسند عن أبي هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قيل له ان فلانا يصلى من الليل فاذا أصبح سرق فقال سينهاه ماتقول ولان وقت التهجد من الليل أفضل أوقات التطوع بالصلاة وأقرب مايكون العبد من ربه وهو وقت فتح أبواب السماء واستجابة الدعاء واستعراض حوائج السائلين وقد مدح الله تعالى المستيقظين بالليل لذكره ودعائه واستغفاره ومناجاته فقال الله تعالى ﴿ تتجافي جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ وقال الله تعالى ﴿ والمستغفرين بالاسحار ﴾ وقال تعالى ﴿ كانوا قليلا من الليل مايهجعون وبالاسحار هم يستغفرون ﴾ وقال الله تعالى ﴿ والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ﴾

وقال الله تعالى ﴿ أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجوا رحمة ربه قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ وقال تعالى ﴿ من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الله وهم يسجدون ﴾ وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ﴾ وقال تعالى ﴿ ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها المزمل قم الليل الا قليلا نصفه أوانقص منه قليلا أو زد عليه ﴾ قالت عائشة رضى الله عنها لرجل لا تدع قيام الليل فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يدعه وكان اذا مرض أو قالت كسل صلى قاعدا وفى رواية أخرى عنها قالت بلغنى عن قوم يقولون ان أدينا الفرائض لم نبال أن لا نزداد ولعمرى لا يسألهم الله الا عما افترض عليهم ولكنهم قوم يخطئون بالليل والنهار وما أنتم الا من نبيكم وما نبيكم الا منكم والله ماترك رسول الله صلى الله عليه وسلم قيام الليل ونزعت كل آية فيها قيام الليل فاشارت عائشة رضى الله عنها الى أن قيام الليل فيه (فائدتان عظيمتان) الاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتأسي به وقد قال الله عزوجل ﴿ لقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة ﴾ وتكفير الذنوب والخطايا فان بنى آدم يخطئون بالليل والنهار فيحتاجون الى الاستكثار من مكفرات الخطايا [٧] وقيام الليل من أعظم المكفرات كما قال النبى صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل قيام العبد في جوف الليل يكفر الخطيئة ثم تلا ﴿ تتجافى جنوبهم عن المضاجع ﴾ الآية خرجه الامام أحمد وغيره وقد روى ان المتهجدين يدخلون الجنة بغير حساب وروى عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد عن النبى صلي الله عليه وسلم قال اذا جمع الله الاولين والآخرين يوم القيامة جاء مناد ينادى بصوت يسمع الخلائق سيعلم الخلائق اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادى أين الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادى ليقم الذين كانوا يحمدون الله في السراء والضراء فيقومون وهم قليل ثم يحاسب سائر الناس خرجه ابن أبى الدنيا وغيره ويروى عن شهر بن حوشب عن ابن عباس رضي الله عنهما من قوله ويروى

(٧) قيام الليل من أعظم مكفرات الذنوب

نحوه أيضا من حديث أبي اسحاق عن عبدالله بن عطاء عن عقبة بن عامر مرفوعا وموقوفا ويروى نحوه أيضا عن عبادة بن الصامت وربيعة الجرشي والحسن وكعب من قولهم قال بعض السلف قيام الليل يهون طول القيام يوم القيامة واذا كان أهله يسبقون الى الجنة بغير حساب فقد استراح أهله من طول الموقف للحساب وفي حديث أبي امامة وبلال المرفوع عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم وان قيام الليل قربة الى الله تعالى وتكفير للسيئات ومنهاة عن الاثم ومطردة للداء عن الجسد خرجه الترمذى ففي هذا الحديث ان قيام الليل يوجب صحة الجسد ويطرد عنه الداء وكذلك صيام النهار ففي الطبراني من حديث أبي هريرة مرفوعا صوموا تصحوا وكما أن قيام الليل يكفر السيئات فهو يرفع الدرجات وقد ذكرنا ان أهله من السابقين الى الجنة بغير حساب وفي حديث المنام المشهور الذي خرجه الامام أحمد والترمذى ان الملأ الاعلى يختصمون في الدرجات والكفارات وفيه ان الدرجات اطعام الطعام وافشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام وفي المسند والترمذى وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها وانها لاهل هذه الخصال الثلاثة وفي حديث عبدالله بن سلام المشهور المخرج في السنن انه أول ماسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند قدومه المدينة ياأيها الناس اطعموا الطعام وافشوا السلام وصلوا الارحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام ومن فضائل التهجد ان الله تعالى يحب أهله ويباهي بهم الملائكة ويستجيب دعاءهم روى الطبراني وغيره من حديث أبي الدرداء رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة يحبهم الله ويضحك اليهم ويستبشر بهم فذكر منهم الذى له امرأة حسناء وفراش حسن فيقوم من الليل فيقول الله تعالى يذر شهوته فيذكرني ولو شاء رقد والذى اذا كان في سفر وكان معه ركب فسهر واثم هجعوا فقام من السحر في سراء وضراء وخرج الامام أحمد والترمذى والنسائى من حديث أبى ذر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ثلاثة يحبهم الله فذكر منهم وقوم ساروا

ليلهم حتى اذا كان النوم أحب اليهم مما يعدل به فوضعوا رؤسهم فقام يتملقني ويتلو آياتي وصححه الترمذى وفي المسند عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال عجب ربنا من رجلين رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين أهله وحبه الى صلاته فيقول ربنا تبارك وتعالى يا ملائكتي انظروا الى عبدي ثار من فراشه ووطائه من بين حبه وأهله الي صلاته رغبة فيما عندي وشفقة مما عندى ورجل غزا في سبيل الله عزوجل وانهزم أصحابه وعلم ما عليه في الانهزام وماله فى الرجوع فرجع حتى اهريق دمه فيقول الله عزوجل لملائكته انظروا الى عبدي رجع رجاء فيما عندى وشفقة مما عندي حتى اهريق دمه رواه أحمد وذكر بقية الحديث وقوله ثار فيه اشارة الى قيامه بنشاط وعزم ويروى من حديث عطية عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله يضحك الي ثلاثة نفر رجل قام من جوف الليل فاحسن الطهور فصلى ورجل نام وهو ساجد ورجل فى كتيبة منهزمة فهو على فرس جواد لو شاء أن يذهب لذهب وخرجه ابن ماجه من رواية مجالد عن أبى الوداك عن أبى سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليضحك الى ثلاثة الصف فى الصلاة والرجل يصلى فى جوف الليل والرجل يقاتل أراه قال خلف الكتيبة وروينا من حديث أبان عن أنس عن ربيعة بن وقاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ثلاث مواطن لا ترد فيها دعوة رجل يكون فى برية حيث لا يراه أحد فيقوم فيصلى فيقول الله لملائكته أري عبدى هذا يعلم ان له ربا يغفر الذنب فانظروا مايطلب فتقول الملائكة أى رب رضاك ومغفرتك فيقول اشهدوا اني قد غفرت له ورجل يقوم من الليل فيقول الله عزوجل أليس قد جعلت الليل سكنا والنوم سباتا فقام عبدي هذا يصلى ويعلم ان له ربا فيقول الله للملائكته انظروا مايطلب عبدى هذا فتقول الملائكة يارب رضاك ومغفرتك فيقول اشهدوا أنى قد غفرت له وذكر الثالث الذى يكون فى فئة فيفر أصحابه ويثبت هو وهو مذكور أيضاً في كل الاحاديث المتقدمة وفى المسند وصحيح ابن حبان عن عقبة بن عامر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال رجلان من أمتى يقوم أحدهما من

الليل يعالج نفسه الى الطهور وعليه عقد فيتوضأ فاذا وضأ يديه انحلت عقدة واذا وضأ وجهه انحلت عقدة واذا مسح رأسه انحلت عقدة واذا وضأ رجليه انحلت عقدة فيقول الرب عزوجل للذين وراء الحجاب انظروا الى عبدي هذا يعالج نفسه ماسألني عبدي هذا فهو له وفي الصحيحين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم الرجل عبدالله يعني ابن عمر لوكان يصلي من الليل فكان عبدالله لاينام بعد ذلك من الليل الا قليلا كان أبو ذر رضي الله عنه يقول للناس أرأيتم لوأن أحدكم أراد سفرا أليس يتخذ من الزاد مايصلحه ويبلغه قالوا بلى قال فسفر طريق القيامة أبعد فخذوا له مايصلحكم حجوا حجة لعظائم الامور صوموا يوما شديدا حره لحر يوم النشور صلوا ركعتين في ظلمة الليل لظلمة القبور تصدقوا بصدقة لشر يوم عسير أين رجال الليل أين الحسن وسفيان وفضيل أبيات من الشعر

يارجال الليل جدوا رب داع لا يرد ... مايقوم الليل الا من له عزم وجد

ليس شيء كصلا ... ة الليل للقبر يعد صلى كثير من السلف صلاة الصبح بوضوء العشاء عشرين سنة ومنهم من صلى كذلك أربعين سنة قال بعضهم منذ أربعين سنة ما أحزنني الا طلوع الفجر قال ثابت كابدت قيام الليل عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة أخرى أفضل قيام الليل وسطه قال النبي صلى الله عليه وسلم أفضل القيام قيام داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمع الصارخ يقوم للصلاة والصارخ الديك وهو يصيح وسط الليل وخرج النسائي عن أبي ذر قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي الليل خير قال جوفه وخرج الامام أحمد عن أبي ذر قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم أي قيام الليل أفضل قال جوف الليل الغابر أونصف الليل وقليل فاعله وخرج ابن أبي الدنيا من حديث أبي امامة ان رجلا قال يارسول الله أي الصلاة أفضل قال جوف الليل الاوسط قال أي الدعاء أسمع قال دبر المكتوبات وخرجه الترمذي والنسائي ولفظهما انه سأله أي الدعاء أسمع قال جوف الليل الاخير ودبر الصلوات المكتوبات

وخرج الترمذي من حديث عمرو بن عنبسة سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول أقرب مايكون الرب من العبد في جوف الليل فان استطعت أن تكون ممن يذكر الله في تلك الساعة فكن ويروى ان داود عليه السلام قال يارب أى وقت أقوم لك قال لاتقم أول الليل ولا آخره ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بي وأخلو بك وارفع الىّ حوائجك وفى الاثر المشهور كذب من ادعى محبتى فاذا جنه الليل نام عنى أليس كل محب يحب خلوة حبيبه فها أناذا مطلع على أحبابى اذا جنهم الليل جعلت أبصارهم في قلوبهم فخاطبونى على المشاهدة وكلمونى على حضورى غدا أقر أعين أحبابى في جنانى شعر

الليل لى ولاحبابي أحادثهم　　قد اصطفيتهم كي يسمعوا ويعوا
لهم قلوب باسرارى بها ملئت　　على ودادي وارشادي لهم طبعوا
سروا فما وهنوا عجزا ولا ضعفوا　　وواصلوا حبل تقريبى فما انقطعوا

ماعند المحبين ألذ من أوقات الخلوة بمناجاة محبوبهم هو شفاء قلوبهم ونهاية مطلوبهم

كتمت اسم الحبيب من العباد　　ورددت الصبابة فى فؤادي
فيا شوقا الى بلد خلي　　لعلى باسم من أهوى أنادي

كان داوود الطائى يقول في الليل همك عطل على الهموم وحالف بيني وبين السهاد وشوقى الى النظر اليك أوثقَ منى اللذات وحال بيني وبين الشهوات وكان عتبة الغلام يقول فى مناجاته بالليل ان تعذبنى فانى لك محب وان ترحمنى فانى لك محب شعر

لوانك أبصرت أهل الهوى　　اذا غارت الانجم الطلع
فهذا ينوح على ذنبه　　وهذا يصلى وذا يركع

من لم يشاركهم فى هواهم وذوق حلاوة نجواهم لم يدر ماالذي أبكاهم من لم يشاهد جمال يوسف لم يدر ماالذي ألم قلب يعقوب

من لم يبت والحب حشو فؤاده　　لم يدر كيف تفتت الاكباد

كان أبو سليمان يقول أهل الليل في ليلهم ألذ من أهل اللهو فى لهوهم ولولا

الليـل ما أحببت البقاء فى الدنيا وسـط الليل للمحبين للخلوة بمناجاة حبيبهـم والسحر للمذنبين للاستغفار من ذنوبهم فوسط الليل خاص لخلوة الخواص والسحر عام لرفع قصص الجميع وبروز التواقيع لاهلها بقضاء الحوائج فمن عجز عن مسابقة المحبين فى ميـدان مضمارهم فلايعجز عن مشاركة المذنبين في استغفارهم واعتـذارهم صحائف التائبين خدودهم ومدادهم دموعهم قال بعضهم اذا بكي الخائفون فقد عاتبوا(١) الله بدموعهم رسائل الاسـحار تحمل ولايدرى بها الفلك وأجوبتها ترد الى الاسرار ولايعلم بها الملك شعر

صحـائفنا اشارتنـا ... وأ كثر رسلنا الحرق
لان الكتب قدتقرا ... بغير الدمع لاتشـق

لاتزال القصص تستعرض ويوقع بقضاء حوائج أهلها الى أن يطلع الفجر ينزل الله كل ليلة الى السماء الدنيا فيقول هـل من تائب فاتوب عليه هل من مستغفر فاغفر له هل من داع فاجيب دعوته الى أن ينفجر الفجر فلذلك كانوا يفضلون صـلاة آخر الليل على أوله شعر

نحن الذين اذا أتانا سائل ... نوليه احسانا وحسن تكرم
ونقول في الاسحار هل من تائب ... مستغفر لينال خير المغنم

الغنيمة تقسم على كل من حضر الوقعة فيعطي منها الرجالة والاجراء والغلمان مع الامراء والابطال والشجعان والفرسان فما يطلع فجر الاجر الا وقد حاز القوم الغنيمة وفازوا بالفخر وحمدوا عند الصباح السرى وما عند أهل الغفلة والنوم خبر مما جري كان بعض الصالحين يقوم الليل فاذا كان السحر نادى بأعلى صوته يا أيها الركب المعرسون أكل هذا الليل ترقدون ألاتقومون فترحلون فاذا سمع الناس صوته وثبوا من فرشهم فيسمع من هنا باك ومن هنا داع ومن هنا تال ومن هنا متوضيء فاذا طلع الفجر نادى بأعلى صوته عند الصباح يحمد القوم السرى

---

(١) نسخة كاتبوا

يانفس قومى فقد نام الورى ان تصنعي الخير فذو العرش يري
وأنت ياعين دعى عنك الكرى عند الصباح يحمد القوم السرى

يا قوام الليل اشفعوا فى النوام يا أحياء القلوب ترحموا على الاموات قيل لابن مسعود رضي الله عنه ما نستطيع قيام الليل قال أقعدتكم ذنوبكم وقيل للحسن قد أعجزنا قيام الليل قال قيدتكم خطاياكم وقال الفضيل بن عياض اذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم انك محروم كبلتك خطيئتك قال الحسن ان العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل قال بعض السلف أذنبت ذنبا فحرمت به قيام الليل ستة أشهر مايؤهل الملوك للخلوة بهم الا من أخلص في ودهم ومعاملتهم فاما من كان من أهل المخالفة فلا يؤهلونه فى بعض الآثار ان جبريل عليه السلام ينادي كل ليلة أقم فلانا وأنم فلانا قام بعض الصالحين فى ليلة باردة وعليه ثياب رثة فضر به البرد فبكي فهتف به هاتف أقمناك وأنمناهم ثم تبكى علينا (٢)

ياحسنهم والليل قد جنهم ونورهم يفوق نور الانجم
ترنموا بالذكر فى ليلهم فعيشهم قد طاب في الترنم
قلوبهم للذكر قد تفرغت دموعهم كلؤلؤ منظم
أسحارهم بهم لهم قد أشرقت وخلع الغفران خير القسم

الليل منهل يرده أهل الارادة كلهم ويختلفون فيما يردون و يريدون قد علم كل اناس مشربهم فالمحب يتنعم بمناجاة محبوبه والخائف يتضرع لطلب العفو ويبكي على ذنوبه والراجى يلح فى سؤال مطلوبه والغافل المسكين أحسن الله عزاءه فى حرمانه وفوات نصيبه قال النبى صلى الله عليه وسلم لعبدالله بن عمرو رضى الله عنهما لايكن مثل فلان كان يقوم الليل فترك قيام الليل مرضت رابعة مرة فصارت تصلى وردها بالنهار فعوفيت وقد ألفت ذلك وانقطع عنها قيام الليل فرأت ذات ليلة فى نومها كانها أدخلت الى روضة خضراء عظيمة وفتح لها فيها باب دار فسطع منها نور حتى كاد

(٢) أبيات شعرية

يخطف بصرها فخرج منها وصفاء كأن وجوههم اللؤلؤ بايديهم مجامر فقالت لهم امرأة كانت مع رابعة أين تريدون قالوا نريد فلانا قتل شهيدا فى البحر فنجمره فقالت لهم أفلا تجمرون هذه المرأة تعني رابعة فنظروا اليها وقالوا قد كان لها حظ في ذلك فتركته فالتفتت تلك المرأة الى رابعة وأنشدت

صلاتك نورٌ والعبادُ رقود ونومك ضد للصلاة عنيد

كان بعض العلماء يقوم السحر فنام عن ذلك ليالى فرأى فى منامه رجلين وقفا عليه وقال أحدهما للآخر هذا كان من المستغفرين بالاسحار فترك ذلك يامن كان له قلب فانقلب يامن كان له وقت مع الله فذهب قيام السحر يستوجبن لك صيام النهار يسائل عنك ليالى الوصال تعاتبك على الهجر (٧)

تغيرتمو عنا بصحبة غيرنا وأظهرتم الهجران ماهكذا كنا
وأقسمتمو أن لا تحولوا عن الهوي فحلتم عن العهد القديم وماحلنا
ليالى كنا نستقي من وصالكم وقلبي الى تلك الليالى قد حنا

قيل للنبى صلى الله عليه وسلم ان فلانا نام حتى أصبح فقال بال الشيطان في اذنه كان سرى يقول رأيت الفوائد ترد في ظلمة الليل ماذا فات من فاته خير الليل لقد حصل أهل الغفلة والنوم على الحرمان والويل كان بعض السلف يقوم الليل فنام ليلة فاتاه آت فى منامه فقال له قم فصل ثم قال له أما علمت أن مفاتح الجنة مع أصحاب الليل هم خزانها هم خزانها وكان آخر يقوم الليل فنام ليلة فاتاه آت في منامه فقال مالك قصرت في الخطبة أما علمت أن المتهجد اذاقام الى تهجده قالت الملائكة قام الخاطب الى خطبته وَرَأي بعضهم حوراء في نومه فقال لها زوجيني نفسك قالت اخطبني الى ربي وأمهرني قال ما مهرك قالت طول التهجد نام ليلة أبو سليمان فايقظته حوراء وقالت ياأبا سليمان تنام وأنا أربي لك في الخدور من خمسمائة عام واشترى بعضهم من الله تعالى حوراء بصداق ثلاثين ختمة فنام ليلة قبل أن يكمل الثلاثين فرآها فى منامه تقول له

أتخطب مثلي وعني تنام ونوم المحبين عنى حرام

(٧) هكذا بالاصل ولعل فيه بعض التحريف فليتأمل اه مصححه

لانا خلقنا لكل امرئ كثير الصلاة براه الصيام

كان النبي صلى الله عليه وسلم يطرق باب فاطمة وعلى ويقول ألا تصليان[1] وفى الحديث اذا استيقظ الرجل وأيقظ أهله فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات كانت امرأة حبيب توقظه بالليل وتقول ذهب الليل وبين أيدينا طريق بعيد وزادنا قليل وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا ونحن قد بقينا شعر

ياراقد الليل كم ترقد قم يا حبيبي قد دنا الموعد
وخذ من الليل وأوقاته وردا اذا ما هجع الرقد
من نام حتى ينقضى ليله لم يبلغ المنزل أو يجهد
قل لاولى الالباب أهل التقى قنطرة العرض لكم موعد

﴿ المجلس الثاني فى يوم عاشوراء ﴾

فى الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما انه سئل عن يوم عاشوراء فقال مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صام يوما يتحرى فضله على الايام الا هذا اليوم يعنى يوم عاشوراء وهذا الشهر يعنى رمضان ٭ يوم عاشوراء له فضيلة عظيمة وحرمة قديمة وصومه لفضله كان معروفا بين الانبياء عليهم السلام وقد صامه نوح وموسى عليهما السلام كما سنذكره ان شاء الله تعالى وروى ابراهيم الهجرى عن أبي عياض عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال يوم عاشوراء كانت تصومه الانبياء فصوموه أنتم خرجه بقى بن مخلد في مسنده وقد كان أهل الكتاب يصومونه وكذلك قريش في الجاهلية كانت تصومه قال دلهم بن صالح قلت لعكرمة عاشوراء ماأمره قال أذنبت قريش في الجاهلية ذنبا فتعاظم فى صدورهم فسألوا ماتوبتهم قيل صوم عاشوراء يوم العاشر من المحرم وكان للنبى صلي الله عليه وسلم في صيامه أربع حالات الحالة الاولى انه كان يصومه بمكة ولا يأمر الناس بالصوم ففى الصحيحين

(١) هذا الحديث الذى أشار اليه المصنف في ايقاظ الرجل أهله رواه أبو داود والنسائى وغيرهما من حديث أبي سعيد الخدري وهو حديث حسن

عن عائشة رضى الله عنها قالت كان عاشوراء يوما تصومه قريش فى الجاهلية وكان النبى صلى الله عليه وسلم يصومه فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه فلما نزلت فريضة شهر رمضان كان رمضان هو الذى يصومه فترك يوم عاشوراء فمن شاء صامه ومن شاء أفطره وفي رواية للبخارى وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من شاء فليصمه ومن شاء أفطر الحالة الثانية ان النبى صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة ورأى صيام أهل الكتاب له وتعظيمهم له وكان يحب موافقتهم فيما لم يؤمر به صامه وأمر الناس بصيامه وأكد الامر بصيامه والحث عليه حتى كانوا يصومونه أطفالهم ففى الصحيحين عن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فوجد اليهود صياما يوم عاشوراء فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماهذا اليوم الذى تصومونه قالوا هذا يوم عظيم أنجي الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه فصامه موسى شكرا فنحن نصومه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فنحن أحق وأولى بموسي منكم فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمر بصيامه وفي مسند الامام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه قال مر النبى صلى الله عليه وسلم بأناس من اليهود قد صاموا عاشوراء فقال ماهذا من الصوم؟ قالوا هذا اليوم الذى نجى الله عزوجل موسى عليه السلام وبنى اسرائيل من الغرق وغرق فيه فرعون وهذا يوم استوت فيه السفينة على الجودى فصام نوح وموسى عليهما السلام شكرا لله عزوجل فقال النبى صلى الله عليه وسلم أنا أحق بموسى وأحق بصوم هذا اليوم فأمر أصحابه بالصوم وفي الصحيحين عن سلمة بن الاكوع رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم أمر رجلا من أسلم ان أذن في الناس من أكل فليصم بقية يومه ومن لم يكن أكل فليصم فان اليوم يوم عاشوراء وفيهما أيضا عن الربيع بنت معوذ قالت أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم غداة عاشوراء الى قري الانصار التى حول المدينة من كان أصبح صائما فليتم صومه ومن كان أصبح مفطرا فليتم بقية يومه فكنا بعد ذلك نصومه ونصوم صبياننا الصغار منهم ونذهب الى المسجد فنجعل لهم اللعبة من العهن فاذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه

اياها حتى يكون عند الافطار وفي رواية فاذا سالونا الطعام أعطيناهم اللعبة نلهيهم حتى يتموا صومهم وفى الباب أحاديث كثيرة جدا وخرج الطبراني باسناد فيه جهالة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يدعو يوم عاشوراء برضعائه ورضعاء ابنته فاطمة فيتفل فى أفواههم ويقول لامهاتهم لاترضعوهم الى الليل وكان ريقه صلى الله عليه وسلم يجزيهم وقد اختلف العلماء رضي الله عنهم هل كان صوم يوم عاشوراء قبل فرض شهر رمضان واجباً أم كان سنة متأكدة على قولين مشهورين ومذهب أبى حنيفة انه كان واجبا حينئذ وهو ظاهر كلام الامام أحمد وأبى بكر الاثرم وقال الشافعي رحمه الله بل كان متأكد الاستحباب فقط وهو قول كثير من أصحابنا وغيرهم ٥ الحالة الثالثة انه لما فرض صيام شهر رمضان ترك النبى صلى الله عليه وسلم أمر الصحابة بصيام عاشوراء وتأكيده فيه وقد سبق حديث عائشة فى ذلك وفى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما قال صام النبى صلى الله عليه وسلم عاشوراء وأمر بصيامه فلما فرض رمضان ترك ذلك وكان عبدالله لايصومه الا أن يوافق صومه وفى رواية لمسلم ان أهل الجاهلية كانوا يصومون يوم عاشوراء وان رسول الله صلى الله عليه وسلم صامه والمسلمون قبل أن يفرض رمضان فلما فرض رمضان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عاشوراء يوم من أيام الله فمن شاء صامه ومن شاء تركه وفى رواية له أيضاً فمن أحب منكم أن يصومه فليصمه ومن كره فليدعه وفي الصحيحين أيضاً عن معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هذا يوم عاشوراء ولم يكتب الله عليكم صيامه وأنا صائم فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر وفي رواية لمسلم التصريح برفع آخره ٥ وفي رواية للنسائي ان آخره مدرج من قول معاوية وليس بمرفوع وفى صحيح مسلم عن ابن مسعود انه قال فى يوم عاشوراء هو يوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه قبل أن ينزل رمضان فلما نزل شهر رمضان ترك وفى رواية انه تركه وفيه أيضاً عن جابر بن سمرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا بصيام يوم عاشوراء ويحثنا عليه ويتعاهدنا عنده فلما فرض رمضان لم يأمرنا ولم ينهنا عنه ولم

يتعاهدنا عنده وخرج الامام أحمد والنسائي وابن ماجه من حديث قيس بن سعد قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بصيام عاشوراء قبل أن ينزل رمضان فلما نزل رمضان لم يأمرنا ولم ينهنا وفى رواية ونحن نفعله فهذه الاحاديث كلها تدل على ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يجدد أمر الناس بصيامه بعد فرض صيام شهر رمضان بل تركهم على ما كانوا عليه من غير نهي عن صيامه فان كان أمره صلى الله عليه وسلم بصيامه قبل فرض صيام شهر رمضان للوجوب فانه ينبنى على ان الوجوب اذا نسخ فهل يبقى الاستحباب أم لا وفيه اختلاف مشهور بين العلماء رضى الله عنهم وان كان أمره للاستحباب المؤكد فقد قيل انه زال التأكيد وبقى أصل الاستحباب ولهذا قال قيس بن سعد ونحن نفعله وقد روى عن ابن مسعود وابن عمر رضى الله عنهما مايدل على ان أصل استحباب صيامه زال وقال سعيد بن المسيب لم يصم رسول الله صلى الله عليه وسلم عاشوراء وروي عنه عن سعد بن أبي وقاص والمرسل أصح قاله الدارقطنى وأكثر العلماء على استحباب صيامه من غير تأكيد وممن روى عنه صيامه من الصحابة عمر وعلى وعبدالرحمن بن عوف وأبو موسى وقيس بن سعد وابن عباس وغيرهم ويدل على بقاء استحبابه قول ابن عباس رضى الله عنهما لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم يوما يتحري فضله على الايام الا يوم عاشوراء وشهر رمضان وابن عباس انما صحب النبى صلى الله عليه وسلم بآخرة وانما عقل منه صلى الله عليه وسلم ما كان من آخر أمره وفى صحيح مسلم عن أبي قتادة ان رجلا سأل النبى صلى الله عليه وسلم عن صيام عاشوراء فقال أحتسب على الله أن يكفر السنة التى قبله وانما سأله عن التطوع بصيامه فانه سأله أيضا عن صيام يوم عرفة وصيام الدهر وصيام يوم وفطر يوم وصيام يوم وفطر يومين فعلم انه انما سأله عن صيام التطوع وخرج الامام أحمد والنسائى من حديث حفصة بنت عمر أم المؤمنين رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يدع صيام يوم عاشوراء والعشر وثلاثة أيام من كل شهر وخرجه أبو داود الا ان عنده عن بعض أزواج النبى صلى الله عليه وسلم

غير مسماة الحالة الرابعة أن النبى صلى الله عليه وسلم عزم في آخر عمره على أن لا يصومه مفردا بل يضم اليه يوما آخر مخالفة لاهل الكتاب في صيامه ففى صحيح مسلم عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال حين صام رسول الله صلى الله عليه وسلم عاشوراء وأمر بصيامه قالوا يارسول الله انه يوم تعظمه اليهود والنصارى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا كان العام المقبل ان شاء الله صمنا اليوم التاسع قال فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى رواية له أيضا عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن بقيت الى قابل لاصومن التاسع مع العاشر يعنى عاشوراء وخرجه الطبراني ولفظه ان عشت الى قابل صمت التاسع مخافة أن يفوتنى عاشوراء وفى مسند الامام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال صوموا يوم عاشوراء وخالفوا اليهود صوموا قبله يوما و بعده يوما وجاء في رواية أو بعده فاما أن تكون أو للتخيير أو يكون شكا من الراوى هل قال قبله أو بعده وروى هذا الحديث بلفظ آخر وهو لئن بقيت لآمرن بصيام يوم قبله ويوم بعده يعنى عاشوراء وفي رواية أخرى لئن بقيت الى قابل لاصومن التاسع ولآمرن بصيام يوم قبله ويوم بعده يعنى عاشوراء أخرجهما الحافظ أبو موسى المديني وقد صح هذا عن ابن عباس من قوله من رواية ابن جريج قال أخبرنا عطاء انه سمع ابن عباس يقول فى يوم عاشوراء خالفوا اليهود صوموا التاسع والعاشر قال الامام أحمد أنا أذهب اليه وروى عن ابن عباس انه صام التاسع والعاشر وعلل بخشية فوات عاشوراء وروي ابن أبي ذئب عن شعبة مولى ابن عباس عن ابن عباس انه كان يصوم عاشوراء في السفر ويوالى بين اليومين خشية فواته وكذلك روى عن أبى اسحاق انه صام يوم عاشوراء ويوما قبله ويوما بعده وقال انما فعلت ذلك خشية أن يفوتنى وروى عن ابن سيرين أنه كان يصوم ثلاثة أيام عند الاختلاف فى هلال الشهر احتياطا وروى عن ابن عباس والضحاك ان يوم عاشوراء هو تاسع المحرم قال ابن سيرين كانوا لا يختلفون انه اليوم العاشر الا ابن عباس فانه قال انه

التاسع وقال الامام أحمد في رواية الميموني لأدرى هو التاسع أو العاشر ولكن نصومهما فان اختلف في الهلال صام ثلاثة أيام احتياطا وابن سيرين يقول ذلك وممن رأي صيام التاسع والعاشر الشافعي رضى الله عنه وأحمد واسحاق وكره أبو حنيفة افراد العاشر وحده بالصوم وروى الطبراني من حديث ابن أبي الزناد عن أبيه عن خارجة ابن زيد عن أبيه قال ليس يوم عاشوراء باليوم الذي يقول الناس انما كان يوم تستر فيه الكعبة وتقاس فيه الحبشة عند النبي صلى الله عليه وسلم وكان يدور في السنة فكان الناس يأتون فلانا اليهودي يسألونه فلما مات اليهودي أتوا زيد بن ثابت فسألوه وهذا فيه اشارة الى ان عاشوراء ليس هو في المحرم بل يحسب بحساب السنة الشمسية كحساب أهل الكتاب وهذا خلاف ما عليه عمل المسلمين قديما وحديثا وفي صحيح مسلم عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعد من هلال المحرم ثم يصبح يوم التاسع صائما[1] وابن أبي الزناد لا يعتمد على ما ينفرد به وقد جعل الحديث كله عن زيد بن ثابت وآخره لا يصلح أن يكون من قول زيد فلعله من قول من دونه والله أعلم وكان طائفة من السلف يصومون عاشوراء في السفر منهم ابن عباس وأبو اسحاق السبيعي والزهري وقال رمضان له عدة من أيام أخر وعاشوراء يفوت ونص أحمد على انه يصام عاشوراء في السفر وروى عبد الرزاق في كتابه عن اسرائيل عن سماك بن حرب عن معبد القرشي قال كان النبي صلى الله عليه وسلم بقديد فاتاه رجل فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أطعمت اليوم شيئا ليوم عاشوراء قال لا الا اني شربت ماء قال فلا تطعم شيئا حتى تغرب الشمس وأمر من وراءك أن يصوموا هذا اليوم ولعل المأمور كان من أهل قديد وروى باسناده عن طاوس انه كان يصوم عاشوراء في الحضر ولا يصومه في السفر ومن أعجب ما ورد في عاشوراء انه كان يصومه الوحش والهوام وقد روي مرفوعا ان الصرد[2] أول طير صام عاشوراء خرجه الخطيب في

(١) ابن أبي الزناد لا يعتمد على ما ينفرد به (٢) (فائدة) قال الشيخ عبد العظيم المنذري في الترغيب والترهيب الصرد بضم الصاد المهملة وفتح الراء طائر معروف ضخم الرأس والمنقار له رأس عظيم نصفه أبيض ونصفه اسود ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل أربع النملة والنحلة والهدهد والصرد لحرمة لحمه

تاريخه واسناده غريب وقد روى ذلك عن أبي هريرة وروى عن فتح بن شخرف قال كنت أفت للنمل الخبز كل يوم فلما كان يوم عاشوراء لم يأكاوه وروى عن القادر بالله الخليفة العباسي انه جرى له مثل ذلك وانه عجب منه فسأل أبا الحسن القزويني الزاهد فذكر له ان يوم عاشوراء تصومه النمل وروي أبو موسى المديني باسناده عن قيس بن عباد قال بلغني ان الوحش كانت تصوم عاشوراء وباسناد له عن رجل أتى البادية يوم عاشوراء فرأى قوما يذبحون ذبائح فسألهم عن ذلك فاخبروه ان الوحوش صائمة وقالوا اذهب بنا نرك فذهبوا به الى روضة فاوقفوه قال فلما كان بعد العصر جاءت الوحوش من كل وجه فاحاطت بالروضة رافعة رؤسها الى السماء ليس شيء منها يأكل حتى اذا غابت الشمس أسرعت جميعا فأكلت وباسناده عن عبدالله بن عمرو قال بين الهند والصين أرض كان بها بطة من نحاس على عمود من نحاس فاذا كان يوم عاشوراء مدت منقارها فيفيض من منقارها ماء يكفيهم لزروعهم ومواشيهم الي العام المقبل ورؤى بعض العلماء المتقدمين فى المنام فسئل عن حاله فقال غفر لى بصيام عاشوراء ستين سنة وفي رواية ويوم قبله ويوم بعده وذكر عبدالوهاب الخفاف في كتاب الصيام قال سعيد قال قتادة كان يقال صوم عاشوراء كفارة لما ضيع الرجل من زكاة ماله وقد روى ان يوم عاشوراء كان يوم الزينة الذي كان فيه ميعاد موسي لفرعون وانه كان عيدا لهم ويروى ان موسى عليه السلام كان يلبس فيه الكتان ويكتحل فيه بالاثمد وكان اليهود من أهل المدينة وخيبر فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخذونه عيدا وكان أهل الجاهلية يقتدون بهم في ذلك وكانوا يسترون فيه الكعبة ولكن شرعنا ورد بخلاف ذلك فى الصحيحين عن أبي موسى قال كان يوم عاشوراء يوما تعظمه اليهود وتتخذه عيدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صوموه أنتم وفي رواية لمسلم كان أهل خيبر يصومون يوم عاشوراء يتخذونه عيدا ويلبسون نساءهم فيه حليهم وشارتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فصوموه

أنتم وخرجه النسائي وابن حبان وعندهما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خالفوهم فصوموه وهذا يدل على النهى عن اتخاذه عيدا وعلى استحباب صيام أعياد المشركين فان الصوم ينافى اتخاذه عيدا فيوافقون فى صيامه مع صيام يوم آخر معه كما تقدم فان فى ذلك مخالفة لهم في كيفية صيامه أيضا فلا تبقى فيه موافقة لهم في شيء بالكلية وعلى مثل هذا يحمل ماخرجه الامام أحمد والنسائى وابن حبان من حديث أم سلمة ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصوم يوم السبت ويوم الاحد أكثر مايصوم من الايام ويقول انهما يوما عيد للمشركين فانا أحب أن أخالفهم فانه اذا صام اليومين معا خرج بذلك من مشابهة اليهود والنصارى في تعظيم كل طائفة ليومها منفردا وصيامه فيه مخالفة لهم في اتخاذه عيدا ويجمع بذلك بين هذا الحديث و بين حديث النهى عن صيام يوم السبت [1] وكل ماروى فى فضل الاكتحال فى يوم عاشوراء والاختضاب والاغتسال فيه فموضوع لايصح وأما الصدقة فيه فقد روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال من صام عاشوراء فكأنما صام السنة ومن تصدق فيه كان كصدقة السنة أخرجه أبو موسى المدينى وأما التوسعة فيه على العيال فقال حرب سألت أحمد عن الحديث الذي جاء من وسع على أهله يوم عاشوراء فلم يره شيئا وقال ابن منصور قلت لاحمد هل سمعت فى الحديث من وسع على أهله يوم عاشوراء أوسع الله عليه سائر السنة فقال نعم رواه سفيان بن عيينة عن جعفر الاحمر عن ابراهيم بن محمد عن المنتشر وكان من أفضل أهل زمانه انه بلغه انه من وسع على عياله يوم عاشوراء أوسع الله عليه سائر سنته قال ابن عيينة جربناه منذ خمسين سنة أو ستين سنة فما رأينا الاخير وقول حرب ان أحمد لم يره شيئا انما أراد به الحديث الذي يروى مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فانه لايصح اسناده وقد روى من وجوه متعددة لايصح منها شيء وممن قال ذلك محمد بن عبد الله بن عبد الحكم وقال العقيلى هو غير محفوظ وقد روى عن عمر من قوله وفى اسناده مجهول لايعرف وأما اتخاذه مأتما كما تفعله الرافضة لاجل قتل

(١) كل ماروى فى فضل الاكتحال والاختضاب والاغتسال يوم عاشوراء فموضوع

الحسين بن على رضي الله عنهما فيه فهو من عمل من ضل سعيه في الحياة الدنيا وهو يحسب انه يحسن صنعا ولم يأمر الله ولا رسوله باتخاذ أيام مصائب الانبياء وموتهم مأتما فكيف بمن دونهم ٥ ومن فضائل يوم عاشوراء انه يوم تاب الله فيه على قوم وقد سبق حديث على الذي خرجه الترمذي ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لرجل ان كنت صائما شهرا بعد رمضان فصم المحرم فان فيه يوما تاب الله على قوم ويتوب فيه على آخرين وقد صح من حديث أبى اسحاق عن الاسود بن يزيد قال سألت عبيد بن عمير عن صيام يوم عاشوراء فقال المحرم شهر الله الاصم فيه يوم تيب فيه على آدم فان استطعت أن لا يمر بك الاصمته كذا روى عن شعبة عن أبي اسحاق ورواه اسرائيل عن أبى اسحاق ولفظه قال ان قوما اذنبوا فتابوا فيه فتيب عليهم فان استطعت أن لا يمر بك الاوأنت صائم فافعل ورواه يونس عن أبى اسحاق ولفظه قال ان المحرم شهر الله وهو رأس السنة تكتب فيه الكتب ويؤرخ فيه التاريخ وفيه تضرب الورق وفيه يوم تاب فيه قوم فتاب الله عليهم فلا يمر بك الاصمته يعني يوم عاشوراء وروي أبو موسى المدينى من حديث أبي موسى مرفوعا هذا يوم تاب الله فيه على قوم فاجعلوه صلاة وصوما يعنى يوم عاشوراء وقال حسن غريب وليس كما قال وروى باسناده عن على قال يوم عاشوراء هو اليوم الذى تيب فيه على قوم يونس وعن ابن عباس قال هو اليوم الذى تيب فيه على آدم وعن وهب ان الله تعالى أوحى الى موسى عليه السلام أن مر قومك يتوبوا الي في أول عشر المحرم فاذا كان يوم العاشر فليخرجوا الي حتى أغفر لهم وروى عبد لرزاق عن ابن جريج عن رجل عن عكرمة قال هو يوم تاب الله فيه على آدم يوم عاشوراء وروى عبد الوهاب الخفاف عن سعيد عن قتادة قال كنا نتحدث ان اليوم الذى تيب فيه على آدم يوم عاشوراء وهبط فيه آدم الى الارض يوم عاشوراء وقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث على ويتوب فيه على آخرين حث للناس على تجديد التوبة النصوح فى يوم عاشوراء وترجية لقبول التوبة فمن تاب فيه الى الله عزوجل من ذنوبه تاب الله عليه كما تاب فيه على من قبلهم وقد

قال الله تعالى عن آدم ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم﴾ وأخبر عنه وعن زوجه أنهما قالا ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ كتب عمر بن عبد العزيز الى الامصار كتابا وقال فيه قولوا كما قال أبوكم آدم عليه السلام ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ وقولوا كما قال نوح ﴿والا تغفرلي وترحمني أكن من الخاسرين﴾ وقولوا كما قال موسى ﴿رب اني ظلمت نفسي فاغفرلى﴾ وقولوا كما قال ذوالنون ﴿لا اله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين﴾ اعتراف المذنب بذنبه مع الندم عليه توبة مقبولة قال الله عزوجل ﴿وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم﴾ قال النبى صلى الله عليه وسلم ان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه وفى دعاء الاستفتاح الذى كان النبى صلى الله عليه وسلم يستفتح به اللهم أنت ربي لا اله الا أنت ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفرلى انه لا يغفر الذنوب الا أنت وفي الدعاء الذى علمه النبى صلى الله عليه وسلم للصديق أن يقوله في صلاته اللهم اني ظلمت نفسى ظلما كثيرا ولا يغفر الذنوب الا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني انك أنت الغفور الرحيم وفي حديث شداد بن أوس عن النبى صلى الله عليه وسلم سيد الاستغفار أن يقول العبد اللهم أنت ربى لا اله الا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفرلى انه لا يغفر الذنوب الا أنت الاعتراف يمحو الاقتراف كما قيل

فان اعتراف المرء يمحوا اقترافه كما ان انكار الذنوب ذنوب

لما أهبط آدم من الجنة بكي على تلك المعاهد فيما يروي ثلاثمائة عام وحق له ذلك كان في دار لا يجوع فيها ولا يعرى ولا يظمأ فيها ولا يضحي فلما نزل الى الارض أصابه ذلك كله وكان اذا رأى جبريل عليه السلام يتذكر برؤيته تلك المعاهد فيشتد بكاؤه حتى يبكي جبريل عليه السلام لبكائه ويقول له ماهذا البكاء يا آدم فيقول وكيف لا أبكي وقد أخرجت من دار النعمة الى دار البؤس فقال له بعض ولده لقد آذيت

أهل الارض ببكائك فقال انما أبكى على أصوات الملائكة حول العرش وفى رواية قال انما أبكى علي جوار ربي في دار تربتها طيبة أسمع فيها أصوات الملائكة وفي رواية قال أبكى علي دار لورأيتها لزهقت نفسك شوقا اليها وروى انه قال لولده كنا نسلا من نسل السماء خلقنا كخلقهم وغذينا بغذائهم فسبانا عدونا ابليس فليس لنا فرح ولا راحة الا الهم والعناء حتى نرد الى الدار التى أخرجنا منها

فحى على جنات عدن فانها   منازلك الاولى وفيها المخيم
ولكننا سبى العدو فهل ترى   نعود الى أوطاننا ونسلم

لما التقى آدم وموسى عليهما السلام عاتب موسى آدم على اخراجه نفسه وذريته من الجنة فاحتج آدم بالقدر السابق والاحتجاج بالقدر على المصائب حسن كما قال صلى الله عليه وسلم ان أصابك شئ فلا تقل لو أنى فعلت كذا كان كذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل شعر

والله لولا سابق الاقدار   لم تبعد قط داركم عن دارى
من قبل النأى جزية المقدار   هل يمحو العبد ماقضاه البارى

لما ظهرت فضائل آدم عليه السلام على الخلائق بسجود الملائكة له و بتعليمه أسماء كل شئ واخباره الملائكة بها وهم يستمعون له كاستماع المتعلم من معلمه حتى أقروا بالعجز عن علمه وأقروا له بالفضل وأسكن هو وزوجته الجنة ظهر الحسد من ابليس وسعى فى الاذي وما زالت الفضائل اذا ظهرت تحسد شعر

لامات حسادك بل خلدوا   حتى يروا منك الذي يكمد
لازلت محسودا على نعمة   فانما الكامل من يحسد

فما زال يحتال على آدم حتى تسبب في اخراجه من الجنة ومافهم الابله ان آدم اذا خرج منها كملت فضائله ثم عاد الى الجنة على أكمل من حاله الاول انما أهلك ابليس العجب بنفسه ولذلك قال أنا خير منه وانما كملت فضائل آدم باعترافه على نفسه ﴿قالا ربنا ظلمنا أنفسنا﴾ كان ابليس كلما أوقد نار الحسد لآدم فاح بها ريح طيب

آدم واحترق ابليس شعر

واذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود
لولا اشتعال النار فيما جاورت ما كان يعرف طيب عرف العود

قال بعض السلف آدم أخرج من الجنة بذنب واحد وأنتم تعملون الذنوب وتكثرون منها وتريدون أن تدخلوا بها الجنة شعر

تصل الذنوب الى الذنوب وترتجى درج الجنان بها وفوز العابد
ونسيت ان الله أخرج آدما منها الى الدنيا بذنب واحد

احذروا هذا العدو الذي أخرج أباكم من الجنة فانه ساع في منعكم من العود اليها بكل سبيل والعداوة بينكم وبينه قديمة فانه ما أخرج من الجنة وطرد عن الخدمة الا بسبب تكبره على أبيكم وامتناعه من السجود له لما أمر به وقد ابلس من الرحمة وأيس من العود الى الجنة وتحقق خلوده فى النار فهو يجتهد على أن يخلد معه فى النار بنى آدم بتحسين الشرك فان عجز قنع بما دونه من الفسوق والعصيان وقد حذركم مولاكم منه وقد أعذر من أنذر فخذوا حذركم (يابنى آدم لايفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة) العجب ممن عرف ربه ثم عصاه وعرف الشيطان ثم أطاعه ﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء من دونى وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ﴾

رعى الله من نهوى وان كان مارعي حفظنا له العهد القديم فضيما
وصاحبت قوما كنت أنهاك عنهم وحقك ما أبقيت للصلح موضعا

لما أهبط آدم الى الارض وعد العود الى الجنة هو ومن آمن من ذريته واتبع الرسل ﴿ يابنى آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتى فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ فليبشر المؤمنون بالجنة هى اقطاعهم وقدوصل منشور الاقطاع مع جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الانهار ﴾ انما خرج الاقطاع عمن خرج عن الطاعة فامامن تاب وآمن فالاقطاع مردود عليه المؤمنون في دار الدنيا فى سفر جهاد يجاهدون فيه

النفوس والهوى فاذا انقضى سفر الجهاد عادوا الي وطنهم الاول الذى كانوا فيه في صلب آدم تكفل الله للمجاهد فى سبيله أن يرده الى وطنه بما نال من أجر أو غنيمة وصلت اليكم معشر الامة رسالة من أبيكم ابراهيم مع نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسرى بى ابراهيم فقال يا محمد أقرئ أمتك السلام وأخبرهم ان الجنة عذبة الماء طيبة التربة وانها قيعان وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وخرج النسائي والترمذى عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قال سبحان الله العظيم وبحمده غرست له نخلة فى الجنة وخرج ابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا من قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر يغرس لك بكل واحدة شجرة في الجنة وخرجه الطبراني من حديث ابن عباس مرفوعا وخرجه ابن أبى الدنيا من حديث أبي هريرة مرفوعا من قال سبحان الله العظيم بنى له برج فى الجنة وروى موقوفا وعن الحسن قال الملائكة يعملون لبنى آدم في الجنان يغرسون و يبنون فربما امسكوا فيقال لهم قد أمسكتم فيقولون حتى تأتينا النفقات وقال الحسن فاتعبوهم بابى أنتم وأمى على العمل وقال بعض السلف بلغنى ان دور الجنة تبنى بالذكر فاذا أمسك عن الذكر امسكوا عن البناء فيقال لهم فيقولون حتى تأتينا نفقتنا ٭ أرض الجنة اليوم قيعان والاعمال الصالحة لها عمران بها تبنى القصور وتغرس أرض الجنان فاذا تكامل الغراس والبنيان انتقل اليه السكان ٭ رأى بعض الصالحين فى منامه قائلا يقول له قد أمرنا بالفراغ من بناء دارك واسمها دار السرور فابشر وقد أمرنا بتنجيدها وتزيينها والفراغ منها الى سبعة أيام فلما كان بعد سبعة أيام مات فرؤى فى المنام فقال أدخلت دار السرور فلا تسأل عما فيها لم ير مثل الكريم اذا حل به لمطيع ٭ رأي بعضهم كانه أدخل الجنة وعرض عليه منازله وأزواجه فلما أراد أن يخرج تعلق به أزواجه وقالوا بالله حسن عملك فكلما حسنت عملك ازددنا نحن حسنا العاملون اليوم يسلفون رؤس أموال الاعمال فيما تشتهى الانفس وتلذ الاعين الى أجل يوم المزيد في سوق الجنة فاذا حل الاجل

دخلوا السوق فحملوا منه مايشاؤن بغير نقد ثمن على قدر ماسلف من تعجيل رأس مال السلف لكن بغير مكيال ولا ميزان فيامن عزم أن يسلف اليوم الى ذلك الموسم عجل بتقبيض رأس المال فان تأخير التقبيض يفسد العقد فلله ذاك السوق الذي هو موعد المزيد لوفد الحب لوكنت منهم فما شئت منه خذ بلا ثمن له فقد أسلف التجار فيه وأسلموا في الحديث ان الجنة تقول يارب ائتنى بأهلى وبما وعدتنى فقد كثر حريرى واستبرق وسندسى ولؤلؤي ومرجانى وفضتى وذهبى وأباريقى وخمرى وعسلى ولبنى فأتنى باهلى وبما وعدتنى وفي الحديث أيضا من سأل الله الجنة شفعت له الجنة الى ربها وقالت اللهم ادخله الجنة وفى الحديث أيضا ان الجنة تفتح في كل سحر ويقال لها ازدادى طيبا لاهلك فتزداد طيبا فذلك البرد الذي يجده الناس فى السحر قلوب العارفين تستنشق احيانا نسيم الجنة قال أنس بن النضر يوم أحد واهالريح الجنة والله اني لاجد ريح الجنة من قبل أحد ثم تقدم فقاتل حتى قتل شعر

تمر الصبا صبحا بساكن ذى الغضا ويصدع قلبى أن يهب هبوبها
قريبـــة عهـد بالحبيب وانمـا هوي كل نفس أين حل حبيبها

كم لله من لطف وحكمة فى اهباط آدم الى الارض لولا نزوله لما ظهر جهاد المجاهـدين واجتهاد العابدين المجتهدين ولاصـعدت زفرات أنفاس التائبين ولا نزلت قطرات دموع المذنبـين يا آدم ان كنت اهبطت من دار القرب ﴿فاني قريب أجيب دعوة الداعى﴾ ان كان حصل لك بالاخراج من الجنة كسر فانا عند المنكسرة قلوبهم من أجلى ان كان فاتك فى السماء سماع زجل المسبحين فقد تعوضت فى الارض بسماع أنين المذنبين أنين المذنبين أحب الينا من زجل المسبحين زجـل المسبحين ربما يشوبه الافتخار وأنين المذنبين يزينه الانكسار لولم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون ثم يستغفرون فيغفر لهم سبحان من اذا لطف بعبده فى المحن قلبها منحا واذاخـذل عبدا لم ينفعه كثرة اجتهاده وعاد عليه وبالا لقن آدم حجته وألقى اليه ماتقبل به توبته ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾ وطرد ابليس بعد طول خـدمته فصار عمله

هباء منثورا ﴿قال اخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين﴾ اذا وضع عدله على عبد لم تلق له حسنة واذا بسط فضله على عبد لم تبق له سيئة

يعطى ويمنع من يشاء كما يشا وهباته ليست تقارنها الرشا

لما ظهر فضل آدم على الخلائق بالعلم وكان العلم لا يكمل بدون العمل بمقتضاه والجنة ليست دار عمل ومجاهـدة انما هى دار نعيم ومشاهدة قيل له يا آدم اهبط الى رباط الجهاد وصابر جنود الهوى بالجد والاجتهاد وأذ ردموع الاسف على البعاد فكأنك بالعيش المـاضى وقد عاد على أكمل من ذلك اوجه المعتاد شعر

عودوا الى الوصل عودوا فالهجر صعب شـديد
لو ذاق طعم الفراق رضوى لـكاد من وجـده يميد
قد حملونى عذاب شوق يعجز عن حمله الحديد
قالت وقلبى أسير وجد متيم في الجفا عميـد
أنتم لنا فى الهوى موال ونحـن فى أسركم عبيد

﴿المجلس الثالث في قدوم الحاج﴾

في الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى صـلى الله عليه وسـلم قال من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه (مباني الاسلام الخمس) كل واحد منها يكفر الذنوب والخطايا ويهدمها ولا اله الا الله لاتبقى ذنبا ولا يسبقها عمل والصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لمابينهن ما اجتنبت الكبائر والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار والحج الذى لارفث فيه ولافسوق يرجع صاحبه من ذنوبه كيوم ولدته أمه وقد استنبط معنى هذا الحديث من القرآن طائفة من العلماء وتأولوا قول الله تعالى ﴿فمن تعجل فى يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه لمن اتقى﴾ بان من قضى نسكه ورجع منه فان آثامه تسقط عنه اذا اتقى الله عزوجـل فى أداء نسكه وسواء نفر فى اليوم الاول من يومي النفرمتعجلا

أومتأخرا[1] الى اليوم الثانى وفي مسند أبي يعلى الموصلى عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قضي نسكه وسلم المسلمون من لسانه ويده غفرله ماتقدم من ذنبه وما تأخر وفي الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم قال الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وفى صحيح مسلم عنه صلى الله عليه وسلم قال الحج يهدم ماقبله فالحج المبرور يكفر السيئات ويوجب دخول الجنات وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن بر الحج فقال اطعام الطعام وطيب الكلام فالحج المبرور مااجتمع فيه فعل أعمال البر مع اجتناب أعمال الاثم فما دعا الحاج لنفسه ولا دعا له غيره باحسن من الدعاء بأن يكون حجه مبرورا ولهذا يشرع للحاج اذا فرغ من أعمال حجه وشرع فى التحلل من احرامه برمى جمرة العقبة يوم النحر أن يقول اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا روى ذلك عن ابن مسعود وابن عمر من قولهما وروي عنهما مرفوعا وكذلك يدعي للقادم من الحج بان يجعل الله حجه مبرورا وفى الاثر ان آدم عليه السلام لماحج البيت وقضى نسكه أتته الملائكة فقالواله يا آدم برحجك لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام وكذلك كان السلف يدعون لمن رجع من حجه لما حج خالد الحذاء ورجع قال له أبو قلابة برالعمل معناه جعل الله عملك مبرورا (للحج المبرور علامات لاتخفى) قيل للحسن الحج المبرور جزاؤه الجنة قال آية ذلك أن يرجع زاهدا في الدنيا راغبا فى الآخرة وقيل له جزاء الحج المغفرة قل آية ذلك أن يدع سيء ما كان عليه من العمل الحج المبرور مثل حج ابراهيم بن أدهم مع رفيقه الرجل الصالح الذى صحبه من بلخ فرجع من حجه زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة وخرج عن ملكه وماله وأهله وعشيرته و بلاده واختار بلاد الغربة وقنع بالاكل من عمل يده اما من الحصاد أومن نظارة البساتين حج مرة مع جماعة من أصحابه فشرط عليهم فى ابتداء السفر أن لايتكلم أحدهم الا لله تعالى ولاينظر الا له فلما وصلوا وطافوا بالبيت رأوا جماعة من أهل خراسان في الطواف معهم غلام جميل قد فتن الناس بالنظر اليه فجعل ابراهيم يسارقه

(١) في نسخة أوتأخر

النظر ويبكي فقال له بعض أصحابه يا أبا اسحاق ألم تقل لنا لا ننظر الا الله تعالى فقال ويحك هذا ولدى وهؤلاء خدمى وحشمي شعر

هجرت الخلق طرا في هواك ... وأيتمت العيال لكي أراكا

فلو قطعتني فى الحب اربا ... لما حن الفؤاد الى سواكا

قال بعض السلف استلام الحجر الاسود هو أن لا يعود الى معصية يشير الى ماقاله ابن عباس رضي الله عنهما ان الحجر الاسود يمين الله فى الارض فمن استلمه وصافحه فكأنما صافح الله وقبل يمينه وقال عكرمة الحجر الاسود يمين الله في الارض فمن لم يدرك بيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فمسح الركن فقد بايع الله ورسوله وورد فى حديث ان الله لما استخرج من ظهر آدم ذريته وأخذ عليهم الميثاق كتب ذلك العهد في رق ثم استودعه هذا الحجر فمن ثم يقول من يستلمه وفاء بعهدك فمستلم الحجر يبايع الله على اجتناب معاصيه والقيام بحقوقه ﴿ فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيما ﴾ يا معاهدينا على التوبة بيننا وبينكم عهود أكيدة أولها ﴿ يوم ألست بربكم فقلتم بلى ﴾ والمقصود الاعظم من هذا العهد أن لا تعبدوا الا اياه وتمام العمل بمقتضاه ﴿ ان اتقوا الله حق تقواه ﴾ وثانيهما يوم أرسل اليكم رسوله وأنزل عليكم فى كتابه ﴿ وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم ﴾ قال سهل التستري من قال لا اله الا الله فقد بايع الله فحرام عليه اذ بايعه أن يعصيه في شيء من أمره في السر والعلانية أو يوالى عدوه أو يعادى وليه (١)

يا بنى الاسلام من علمكم ... بعد اذ عاهدتم نقض العهود

كل شيء فى الهوى مستحسن ... ما خلا الغدر واخلاف الوعود

وثالثها لمن حج اذا استلم الحجر فانه يجدد البيعة ويلتزم الوفاء بالعهد المتقدم ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ الحر الكريم لا ينقض العهد القديم

أحسبتم ان الليالى غيرت ... عقد الهوى لا كان من يتغير

---

(١) بيتان من الشعر

يفنى الزمان وليس تنسى عهدكم وعلى محبتكم أموت وأحشر

اذا دعتك نفسك الى نقض عهد مولاك فقل لها معاذ الله ﴿ انه ربى أحسن مثواى انه لايفلح الظالمون ﴾ اجتاز بعضهم على منظور مشتهى فهمت عينه ان تمتد فصاح

حلفت بدين الحب لاخنت عهدكم وذلك عهد لو عرفت وثيق

تاب بعض من تقدم ثم نقض فهتف به هاتف بالليل شعر

سأترك ما بيني و بينك واقفا فان عدت عدنا والوداد مقيم

تواصل قوما لاوفاء لعهدهم[2] وتترك مثلى والحفاظ قديم

من تكرر منه نقض العهد لم يوثق بمعاهدته ٥ دخل بعض السلف على مريض مكروب فقال له عاهد الله على التوبة لعله أن يقيلك صرعتك فقال كنت كلما مرضت عاهدت الله على التوبة فيقيلنى فلما كان هذه المرة ذهبت أعاهد كما كنت أعاهد فهتف بى هاتف من ناحية البيت قد أقلناك مرارا فوجدناك كذابا ثم مات عن قريب لا كان من نقض العهد من كان ماينقض العهد الاخوان شعر

ترى الحى الالى بانوا على العهد كما كانوا

أم الدهر بهم خاننا ودهر المرء خوان

اذا عز بغير الله يوما معشر هانوا

من رجع من الحج فليحافظ على ماعاهد الله عليه عند استلام الحجر ٥ حج بعض من تقدم فبات بمكة مع قوم فدعته نفسه الى معصية فسمع هاتفا يقول ويلك ألم تحج فعصمه الله من ذلك قبيح بمن كمل القيام بمباني الاسلام الخمس أن يشرع فى نقض مابنى بالمعاصى فى حديث مرسل خرجه ابن أبي الدنيا ان النبى صلى الله عليه وسلم قل لرجل يافلان انك تبنى وتهدم يعنى تعمل الحسنات والسيئات فقال يارسول الله سوف أبنى ولاأهدم شعر

خذ فى جد فقد تولى العمر كم ذا التفريط فقدتدانى الامر

(٢) فى نسخة لوعدهم

أقبل فعسى يقبل منك العذر　　كم تبنى كم تنقض كم ذا الغدر

علامة قبول الطاعة أن توصل بطاعة بعدها وعلامة رده أن توصل بمعصية ما أحسن الحسنة بعد الحسنة وأقبح السيئة بعد الحسنة ذنب بعد التوبة أقبح من سبعين قبلها النكسة أصعب من المرض الاول ما أوحش ذل المعصية بعد عز الطاعة ارحموا عزيز قوم بالمعاصى ذل وغنى قوم بالذنوب افتقر سلوا الله الثبات الى الممات وتعوذوا من الحور بعد الكور كان الامام أحمد يدعو ويقول اللهم أعزني بطاعتك ولا تذلني بمعصيتك وكان عامة دعاء ابراهيم بن أدهم اللهم انقلنى من ذل المعصية الى عز الطاعة فى بعض الآثار الالهية ﴿ يقول الله تبارك وتعالى ﴾ أنا العزيز فمن أراد العز فليطع العزيز شعر

ألا انما التقوى هي العز والكرم　　وحبك للدنيا هو الذل والسقم

وليس على عبد تقي نقيصة　　اذا حقق التقوى وان حاك أو حجم

الحاج اذا كان حجه مبرورا غفر له ولمن استغفر له وشفع فيمن شفع فيه وقد روي ان الله تعالى يقول لهم يوم عرفة أفيضوا مغفورا لكم ولمن شفعتم فيه وروى الامام أحمد باسناده عن أبي موسى الاشعرى قال ان الحاج ليشفع في أربعمائة بيت من قومه ويبارك فى أربعين من أمهات البعير الذي يحمله ويخرج من خطاياه كيوم ولدته أمه فاذا رجع من الحج المبرور رجع وذنبه مغفور ودعاؤه مستجاب فلذلك يستحب تلقيه والسلام عليه وطلب الاستغفار منه وتلقي الحاج مسنون وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن جعفر قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قدم من سفر تلقى بصبيان أهل المدينة[1] وانه قدم من سفر فسبق بى اليه فحملنى بين يديه ثم جيء باحد ابنى فاطمة فاردفه خلفه فادخلنا المدينة ثلاثة على دابة وقد ورد النهى عن ركوب ثلاثة على دابة فى حديث مرسل فان صح حمل على ركوب ثلاثة رجال فان الدابة يشق عليها حملهم بخلاف رجل وصغيرين وفى المسند وصحيح الحاكم عن عائشة قالت أقبلنا من مكة فى حج أو عمرة

(١) فى نسخة أهل بيته

فتلقانا غلمان من الانصار كانوا يتلقون أهاليهم اذاقدموا وكذلك السلام على الحاج اذا قدم ومصافحته وطلب الدعاء منه وفي المسند باسناد فيه ضعف عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا لقيت الحاج فسلم عليه وصافحه ومره أن يستغفر لك قبل أن يدخل بيته فانه مغفور له وفيه أيضا عن حبيب بن أبي ثابت قال خرجت مع أبي نتلقى الحاج ونسلم عليهم قبل أن يتدنسوا وروى معاذ بن الحكم حدثنا موسى ابن أعين عن الحسن قال اذاخرج الحاج فشيعوهم وزودوهم الدعاء واذا قفلوا فالقوهم وصافحوهم قبل أن يخالطوا الذنوب فان البركة في أيديهم وروى أبوالشيخ الاصبهاني وغيره من رواية لبنت عن مجاهد قال قال عمر يغفر للحاج ولمن استغفرله الحاج بقية ذي الحجة ومحرم وصفر وعشر من ربيع الاول وفي مسند البزار وصحيح الحاكم من حديث أبي هريرة مرفوعا اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج وروى أبومعاوية الضرير عن حجاج عن الحكم قال قال ابن عباس لو يعلم المقيمون ماللحاج عليهم من الحق لاتوهم حين يقدمون حتى يقبلوا رواحلهم (١) لانهم وفدالله في جميع الناس ماللمنقطع حيلة سوي التعلق باذيال الواصلين شعر

هل الدهر يوما بوصل يجود ... وأيامنا باللوى هل تعود
زمان تقضى وعيش مضى ... بنفسي وتالله تلك العهود
الا قل لزوار دار الحبيب ... هنيئا لكم في الجنان الخلود
أفيضوا علينا من الماء فيضا ... فنحن عطاش وأنتم ورود

أحب ما الى المحب سؤال من قدم من ديار الحبيب شعر

عارضا بي ركب الحجاز أسائله ... متى عهده بايام سلع
واستملا حديث من سكن الخيف ... ولا تكتباه الا بدمعي
فاتني أن أري الديار بطرفي ... فلعلي أرى الديار بسمعي
من معيد أيام جمع على ما ... كان منها وأين أيام جمعي

(١) في نسخة أرجلهم

لقاء الاحباب لقاح الالباب واخبار تلك الديار أحلى عند المحبين من الاسمار شعر

اذا قدم الركب يممتهم أحيي الوجوه قدوما [1] ووردا
واسالهم عن عقيق الحمي وعن أرض نجد ومن حل نجدا
حدثوني عن العقيق حديثا أنتم بالعقيق أقرب عهدا [2]
ألاهل سمعتم ضجيج الحجيج على ساحة الخيف والعيس تحدا
فذكر المشاعر والمروتين وذكر الصفا يطرد الهم طردا

أرواح القبول تفوح من المقبولين وأنوار الوصول تلوح على الواصلين شعر

تفوح أرواح نجد من ثيابهم عند القدوم لقرب العهد بالدار
أهفو الى الركب تعلو لى ركائبهم من الحمى فى اسيحاق واطمار
يارا كبان قفالى واقضيا وطرى وحدثانى عن نجد باخبار

ما يؤهل للاكثار من التردد الى تلك الآثار الا محب مختار حج على بن الموفق ستين حجة قال فلما كان بعد ذلك جلست في الحجر أفكر في حالى وكثرة ترداديــ الى ذلك المكان ولا أدري هل قبل مني حجى أم رد ثم نمت فرأيت في منامي قائلا يقول لي هل تدعو الى بيتك الا من تحب قال فاستيقظت وقد سري عنى ما كل من حج قبل ولا كل من صلى وصل قيل لابن عمر ما أكثر الحاج قال ما أقلهم وقال الركب كبير والحاج قليل حج بعض المتقدمين فتوفي في الطريق في رجوعه فدفنه أصحابه ونسوا الفاس في قبره فنبشوه ليأخذوا الفاس فاذا عنقه ويداه قد جمعت في حلقة الفاس فردوا عليه التراب ثم رجعوا الى أهله فسألوهم عن حاله فقالوا صحب رجلا فاخذ ماله فكان يحج منه شعر

اذا حججت بمال أصله سحت فما حججت ولكن حجت العير
لايقبل الله الا كل صالحة ما كل من حج بيت الله مبرور

(١) لعلها صدورا (٢) البيت الثالث هو من بحر الخفيف واللذين قبله واللذين بعده من بحر المتقارب فليتنبه

من حجه مبرور قليل ولكن قد وهب المسيء للمحسن وقد روى ان الله تعالى يقول عشية عرفة قد وهبت مسيئكم لمحسنكم حج بعض المتقدمين فنام ليلة فرأى ملكين نزلا من السماء فقال أحدهما للآخر كم حج العام قال ستمائة ألف فقال له كم قبل منهم قال ستة قال فاستيقظ الرجل وهو قلق مما رأى فرأى فى الليلة الثانية كأنهما نزلا وأعادا القول وقال أحدهما ان الله وهب لكل واحد من الستة مائة ألف كان بعض السلف يقول فى دعائه اللهم ان لم تقبلني فهبني لمن شئت من خلقك من رد عليه عمله ولم يقبل منه فقد يعوض مايعوض المصاب فيرحم بذلك قال بعض السلف في دعائه بعرفة اللهم ان كنت لم تقبل حجي وتعبي ونصبي فلا تحرمني أجر المصيبة على تركك القبول مني وقال آخر منهم اللهم ارحمني فان رحمتك قريب من المحسنين فان لم أكن محسنا فقد قلت وكان بالمؤمنين رحيما فان لم أكن كذلك فانا شيء وقد قلت ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾ فان لم أكن شيئا فانا مصاب برد عملي وتعبي ونصبي فلا تحرمني ماوعدت المصاب من الرحمة قال هلال بن يسار بلغني ان المسلم اذا دعا الله فلم يستجب له كتب له حسنة خرجه ابن أبي شيبة يعني جزاء لمصيبة رده

من كان في سخطه محسنا فكيف يكون اذا مارضي

قدوم الحاج يذكر بالقدوم على الله تعالى قدم مسافر فيما مضى على أهله فسروا به وهناك امرأة من الصالحات فبكت وقالت اذكرني هذا بقدومه القدوم على الله عزوجل فمن مسرور ومثبور قال بعض الملوك لابى حازم كيف القدوم على الله تعالى فقال أبو حازم أما قدوم الطائع على الله تعالى فكقدوم الغائب على أهله المشتاقين اليه وأما قدوم العاصى فكقدوم العبد الآبق على سيده الغضبان

لعلك غضبان وقلبى غافل سلام على الدارين ان كنت راضيا

فى بعض الآثار الاسرائيلية يقول الله عزوجل ألا طال شوق الابرار الى وأنا الى لقائهم أشد شوقا كم بين الذين ﴿لايحزنهم الفزع الاكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون﴾ وبين الذين يدعون الى نار جهنم دعا قال على رضى الله عنه

تتلقاهم الملائكة على أبواب الجنة ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ وتاتى كل غلمان صاحبهم يطيفون به فعل الولدان بالحميم جاء من الغيبة ابشر فقد أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا قد أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا وينطلق غلام من غلمانه الى أزواجه من الحور العين فيقول هذا فلان باسمه في الدنيا فيقلن أنت رأيته فيقول نعم فيستخفهن الفرح حتى يخرجن الى أسكفة الباب قال أبو سليمان الداراني تبعث الحوراء من الحور الوصيف من وصائفها فتقول ويحك انظر مافعل بولى الله فتستبطئه فتبعث وصيفا آخر فيأتي الاول فيقول تركته عند الميزان ويأتى الثاني فيقول تركته عند الصراط ويأتي الثالث فيقول قد دخل باب الجنة فيستخفها[1] الفرح فتقف على باب الجنة فاذا أتاها اعتنقته فيدخل خياشيمه من ريحها مالايخرج أبدا شعر

قد أزلفت جنة النعيم فيا ... طوبى لقوم بربعها نزلوا

أكوابهم عسجد يطاف بها ... والخمر والسلسبيل والعسل

والحور تلقاهم وقد كشفت ... عن الوجوه بها الاستار والكلل

﴿ وظيفة شهر صفر ﴾

في الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لاعدوى ولاهامة ولاصفر فقال اعرابي يارسول الله فما بال الابل تكون فى الرمل كانها الظباء فيخالطها البعير الاجرب فيجربها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أعدي الاول أما العدوي فمعناها ان المرض يتعدى من صاحبه الى من يقارنه من الاصحاء فيمرض بذلك وكانت العرب تعتقد ذلك في أمراض كثيرة منها الجرب ولذلك سأل الاعرابي عن الابل الصحيحة يخالطها البعير الاجرب فتجرب فقال النبى صلى الله عليه وسلم فمن أعدى الاول ومراده ان الاول لم يجرب بالعدوى بل بقضاء الله وقدره فكذلك الثانى وما بعده وقد وردت أحاديث اشكل على كثير من الناس فهمها حتى ظن بعضهم انها ناسخة لقوله لاعدوي مثل مافي الصحيحين عن أبى هريرة

(١) في نسخة فيستفزها

رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لايورد ممرض على مصح والممرض صاحب الابل المريضة والمصح صاحب الابل الصحيحة والمراد النهى عن ايراد الابل المريضة على الصحيحة ومثل قوله صلى الله عليه وسلم فر من المجذوم فرارك من الاسد وقوله صلى الله عليه وسلم فى الطاعون اذا سمعتم به بارض فلا تدخلوها ودخول النسخ فى هذا كما تخيله بعضهم لامعنى له فان قوله لاعدوى خبر محض لايمكن نسخه الا أن يقال هو نهي عن اعتقاد العدوى لانفى لها ولكن يمكن أن يكون ناسخا للنهى في هذه الاحاديث الثلاثة وما فى معناها والصحيح الذي عليه جمهور العلماء انه لانسخ في ذلك كله ولكن اختلفوا فى معنى قوله لاعدوى وأظهر ماقيل في ذلك انه نفى لما كان يعتقده أهل الجاهلية من أن هذه الامراض تعدى بطبعها من غير اعتقاد تقدير الله لذلك ويدل على هذا قوله فمن أعدي الاول يشير الى ان الاول انما جرب بقضاء الله وقدره فكذلك الثاني ومابعده خرج الامام أحمد والترمذى من حديث ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لايعدى شيء شيئا قالها ثلاثا فقال اعرابى يارسول الله النقبة من الجرب تكون بمشفر البعير أو بذنبه فى الابل العظيمة فتجرب كلها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فما أجرب الاول لاعدوى ولاهامة ولاصفر خلق الله كل نفس وكتب حياتها ومصابها ورزقها فاخبر ان ذلك كله بقضاء الله وقدره كما دل عليه قوله تعالى ﴿ ماأصاب من مصيبة فى الارض ولا في أنفسكم الا فى كتاب من قبل أن نبرأها ﴾ فاما نهيه صلى الله عليه وسلم عن ايراد الممرض على المصح وأمره بالفرار من المجذوم ونهيه عن الدخول الى موضع الطاعون فانه من باب اجتناب الاسباب التى خلقها الله تعالى وجعلها أسبابا للهلاك أو الاذي والعبد مأمور باتقاء أسباب البلاء اذا كان في عافية منها فكما انه يؤمر ان لايلقى نفسه فى الماء أو فى النار أو يدخل تحت الهدم ونحوه مما جرت العادة بانه يهلك أو يؤذى فكذلك اجتناب مقاربة المريض كالمجذوم أو القدوم على بلد الطاعون فان هذه كلها أسباب للمرض والتلف والله تعالى هو خالق

الاسباب ومسبباتها لاخالق غيره ولامقدر غيره وقد روى فى حديث مرسل خرجه

أبوداود في مراسيله ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بحائط مائل فاسرع وقال أخاف موت الفوات وروي متصلا والمرسل أصح وهذه الاسباب التي جعلها الله أسبابا يخلق المسببات بها كما دل عليه قوله تعالى ﴿ حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات ﴾ وقالت طائفة انه يخلق المسببات عندها لا بها وأما اذا قوي التوكل على الله تعالى والايمان بقضائه وقدره فقويت النفس على مباشرة بعض هذه الاسباب اعتمادا على الله ورجاء منه أن لا يحصل به ضرر ففي هذه الحال تجوز مباشرة ذلك لاسيما اذا كان فيه مصلحة عامة أو خاصة وعلى مثل هذا يحمل الحديث الذي خرجه أبو داود والترمذي ان النبي صلى الله عليه وسلم أخذ بيد مجذوم فادخلها معه في القصعة ثم قال كل باسم الله ثقة بالله وتوكلا عليه وقد أخذ به الامام أحمد وقد روى نحو ذلك عن عمر وابنه عبدالله وسلمان رضي الله عنهم ونظير ذلك ماروى عن خالد بن الوليد رضي الله عنه من أكل السم ومنه مشي سعد بن أبي وقاص وأبي مسلم الخولاني بالجيوش على متن البحر ومنه أمر عمر رضي الله عنه لتميم حيث خرجت النار من الحرة أن يردها فدخل اليها في الغار التي خرجت منه فهذا كله لا يصلح الا لخواص من الناس قوي ايمانهم بالله وقضائه وقدره وتوكلهم عليه وثقتهم به ونظير ذلك دخول المفاوز بغير زاد لمن قوي يقينه وتوكله خاصة وقد نص عليه أحمد واسحاق وغيرهما من الائمة وكذلك ترك التكسب والتطبب كل ذلك يجوز عند أحمد لمن قوي توكله فان التوكل أعظم الاسباب التي تستجلب بها المنافع وتدفع بها المضار كما قال الفضيل لو علم الله اخراج المخلوقين من قبلك[1] وتستدفع لاعطاك كل ماتريد وبذلك فسر الامام أحمد التوكل فقال هو قطع الاستشراف باليأس من المخلوقين قيل له فما الحجة فيه قال قول ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما ألقي في النار فعرض له جبريل عليه السلام فقال ألك حاجة قال أما اليك فلا فلا يشرع ترك الاسباب الظاهرة الا لمن تعوض عنها بالسبب الباطن وهو تحقيق

(١) كذا واءله من قلبك وفي الكلام حذف وليحرر كاتبه

التوكل عليه فانه أقوي من الاسباب الظاهرة لاهله وأنفع منها فالتوكل علم وعمل والعلم معرفة القلب بتوحيد الله بالنفع والضر وعامة المؤمنين تعلم ذلك والعمل هو ثقة القلب بالله وفراغه من كل ماسواه وهذا عزيز ويختص بخواص المؤمنين والاسباب نوعان أحدهما أسباب الخير فالمشروع انه يفرح بها ويستبشر ولا يسكن اليها بل الى خالقها ومسببها وذلك هو تحقيق التوكل على الله والايمان به كما قال تعالى فى الامداد بالملائكة ﴿ وما جعله الله الا بشري ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ﴾ ومن هذا الباب الاستبشار بالفال وهو الكلمة الصالحة يسمعها طالب الحاجة وأكثر الناس يركن بقلبه الى الاسباب وينسى المسبب لها وقل من فعل ذلك الا وكل اليها وخذل فان جميع النعم من الله وفضله كما قال تعالى ﴿ ما أصابك من حسنة فمن الله ﴾ ﴿ وما بكم من نعمة فمن الله ﴾

لانلت خيرا ما بقيت ولا عداني الدهر شر
ان كنت أعلم ان غير الله ينفع أو يضر

ولا تضاف النعم الى الاسباب بل الى مسببها ومقدرها كما فى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه صلى بهم الصبح فى أثر سماء ثم قال أتدرون ما قال ربكم الليلة قال أصبح من عبادي مؤمن بى وكافر فاما المؤمن فقال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب وأما الكافر فقال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاعدوي ولاهامة ولانوء ولاصفر وهذا مما يدل على ان المراد نفى تأثير هذه الاسباب بنفسها من غير اعتقاد انها بتقدير الله وقضائه فمن أضاف شيئا من النعم الى غير الله مع اعتقاده انه ليس من الله فهو مشرك حقيقة ومع اعتقاد انه من الله فهو نوع شرك خفى والنوع الثانى أسباب الشر فلا تضاف الا الى الذنوب لان جميع المصائب انماهي بسبب الذنوب كما قال تعالى ﴿ وماأصابك من سيئة فمن نفسك ﴾

(١) كذا بالاصل فليحرر اه مصححه

وقال تعالى ﴿ وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ﴾ فلا تضاف الى شئ من الاسباب سوى الذنوب كالعدوى أوغيرها والمشروع اجتناب ماظهر منها واتقاؤه بقدر ماوردت به الشريعة مثل اتقاء المجذوم والمريض والقدوم على مكان الطاعون وأما ماخفى منها فلا يشرع اتقاؤه واجتنابه فان ذلك من الطيرة المنهي عنها والطيرة من أعمال أهل الشرك والكفر وقد حكاها الله تعالى في كتابه عن قوم فرعون وقوم صالح وأصحاب القرية التى جاءها المرسلون وقد ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لاطيرة وفي حديث من ردته الطيرة فقد قارف الشرك وفي حديث ابن مسعود المرفوع الطيرة من الشرك ومامنا الا[7] ولكن الله يذهبه بالتوكل والبحث عن أسباب الشر من النظر في النجوم ونحوها من الطيرة المنهى عنها والباحثون عن ذلك غالبا لايشتغلون بما يدفع البلاء من الطاعات بل يأمرون بلزوم المنزل وترك الحركة وهذا لايمنع نفوذ القضاء والقدر ومنهم من يشتغل بالمعاصى وهذا مما يقوى وقوع البلاء ونفوذه والذي جاءت به الشريعة هو ترك البحث عن ذلك والاعراض عنه والاشتغال بمايدفع البلاء من الدعاء والذكر والصدقة وتحقيق التوكل على الله عزوجل والايمان بقضائه وقدره وفى مسند ابن وهب ان عبدالله بن عمرو بن العاص التقى هو وكعب فقال عبدالله لكعب علم النجوم فقال كعب لاخير فيه قال عبدالله لم قال ترى فيه ماتكره يريد الطيرة فقال كعب فان مضى وقال اللهم لاطير الاطيرك ولاخير الاخيرك ولارب غيرك فقال عبد الله ولا حول ولاقوة الا بك فقال كعب جاء بها عبد الله والذى نفسى بيده انها لرأس التوكل وكنز العبد في الجنة ولايقولهن عبد عند ذلك ثم يمضى الالم يضره شئ قال عبدالله أرأيت انلم يمض وقعد قال طعم قلبه طعم الاشراك وفي مراسيل أبى داود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال ليس عبد الاسيدخل قلبه طيرة فاذا أحس بذلك فليقل أنا عبدالله ماشاء الله لاقوة الا بالله لايأتي بالحسنات الا الله ولايذهب السيئات الا الله أشهدأن الله على كل شئ قدير ثم يمضى لوجهه وفى مسند الامام أحمد عن عبدالله بن عمر مرفوعا من رجعته الطيرة من حاجته فقد أشرك وكفارة ذلك أن

يقول أحدهم اللهم لاطير الاطيرك ولاخير الاخيرك ولا اله غيرك وخرج الامام أحمد وأبو داود من حديث عروة بن عامر القرشي قال ذكرت الطيرة عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أحسنها الفال ولاترد مسلما فاذا رأى أحدكم ما يكره فليقل اللهم لا يأتي بالحسنات الا أنت ولا يدفع السيئات الا أنت ولاحول ولاقوة الابك وخرجه أبو القاسم البغوى وعنده ولا تضر مسلما وفى صحيح ابن حبان عن أنس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاطيرة والطيرة على من تطير وقال النخعى قال عبدالله ابن مسعود لاتضر الطيرة الا من تطير ومعنى هذا ان من تطير تطيرا منهيا عنه وهو أن يعتمد على مايسمعه أويراه مما يتطير به حتى يمنعه مما يريد من حاجته فانه قد يصيبه مايكرهه فاما من توكل على الله ووثق به بحيث علق قلبه بالله خوفا ورجاء وقطعه عن الالتفات الى هذه الاسباب المخوفة وقال ماأمر به من هذه الكلمات ومضي فانه لايضره ذلك وقد روي عن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان اذاسمع نعق الغراب قال اللهم لاطير الاطيرك ولاخير الاخيرك ولذلك أمر النبى صلى الله عليه وسلم عند انعقاد أسباب العذاب السماوية المخوفة كالكسوف باعمال البر من الصلاة والدعاء والصدقة والعتق حتى يكشف ذلك عن الناس وهذا كله مما يدل على أن الاسباب المكروهة اذاوجدت فان المشروع الاشتغال بما يرجى به دفع العذاب المخوف منها من أعمال الطاعات والدعاء وتحقيق التوكل على الله والثقة به فان هذه الاسباب كلها مقتضيات لاموجبات ولها موانع تمنعها فاعمال البر والتقوي والدعاء والتوكل من أعظم مايستدفع به ومن كلام بعض الحكماء المتقدمين ضجيج الاصوات فى هيا كل العبادات بافنان اللغات تحلل ماعقدته الافلاك الدائرات وهذا على زعمهم واعتقادهم في الافلاك وأما اعتقاد المسلمين فان الله وحده هو الفاعل لما يشاء ولكنه يعقد أسبابا للعذاب وأسبابا للرحمة فاسباب العذاب يخوف الله بها عباده ليتوبوا اليه ويتضرعوا اليه مثل كسوف الشمس والقمر فانهما آيتان من آيات الله يخوف الله بهما عباده لينظر من يحدث له توبة فدل على ان كسوفهما سبب يخشى منه وقوع عذاب وقد أمرت عائشة

رضي الله عنها أن تستعيذ من شر القمر وقال هو الغاسق اذا وقب وقد أمر الله تعالى بالاستعاذة من شر غاسق اذا وقب وهو الليل اذا أظلم فانه ينتشر فيه شياطين الجن والانس والاستعاذة من القمر لانه آية الليل وفيه اشارة الى أن شر الليل المخوف لايندفع باشراق القمر فيه ولا يصير بذلك كالنهار بل يستعاذ منه وان كان مقمرا وخرج الطبراني من حديث جابر مرفوعا لاتسبوا الليل ولا النهار ولا الشمس ولا القمر ولا الريح فانها رحمة لقوم وعذاب لآخرين ومثل اشتداد الرياح فان الريح كما قاله صلى الله عليه وسلم من روح الله تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب وأمر اذا اشتدت الريح أن يسأل الله خيرها وخير ماأرسلت به ويستعاذ به من شرها وشر ماأرسلت به وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا رأى ريحا أوغيما تغير وجهه وأقبل وأدبر فاذا أمطرت سرى عنه ويقول قد عذب قوم بالريح ورأى قوم السحاب فقالوا هذا عارض ممطرنا وأسباب الرحمة يرجي بها عباده مثل الغيم الرطب والريح الطيبة ومثل المطر المعتاد عند الحاجة اليه ولهذا يقال عند نزوله اللهم سقيا رحمة ولاسقيا عذاب وأما من اتقى أسباب الضرر بعد انعقادها بالاسباب المنهي عنها فانه لاينفعه ذلك غالبا كمن ردته الطيرة عن حاجته خشية أن يصيبه ماتطير به فانه كثيرا مايصاب بما خشي منه كما قال ابن مسعود ودل عليه حديث أنس المتقدم وكمن اتقى الطاعون الواقع فى بلده بالفرار منه فانه قل أن ينجيه ذلك وقد فر كثير من المتقدمين والمتأخرين من الطاعون فاصابهم ولم ينفعهم الفرار وقد قال الله تعالى ﴿ ألم تر الي الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ﴾ وقد ذكر كثير من السلف انهم كانوا قد فروا من الطاعون فاصابهم وفر بعض المتقدمين من طاعون وقع فبينما هو يسير بالليل على حمار له اذ سمع قائلا يقول

لن يسبق الله على حمار ... ولا على منعة مطار
أو يأتى الحتف على مقدار ... قد يصبح الله امام السارى

فاصابه الطاعون فمات وأما قوله صلى الله عليه وسلم لاهامة فهو نفي لما كانت الجاهلية

تعتقده ان الميت اذامات صارت روحه أوعظامه هامة وهو طائر يطيروهو شبيه باعتقاد أهل التناسخ ان أرواح الموتي تنتقل الى أجساد حيوانات من غير بعث ولانشور وكل هذه اعتقادات باطلة جاء الاسلام بابطالها وتكذيبها ولكن الذى جاءت به الشريعة ان أرواح الشهداء فى حواصل طير خضر تأ كل من ثمار الجنة وترد من أنهار الجنة الى أن يردها الله الى أجسادها وروى أيضا ان نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله الى أجسادها يوم القيامة وأما قوله صلى الله عليه وسلم ولا صفر فاختلف فى تفسيره فقال كثير من المتقدمين الصفر داء فى البطن يقال انه دود فيه كبار كالحيات وكانوا يعتقدون انه يعدى فنفي ذلك النبى صلى الله عليه وسلم وممن قال هذا من العلماء ابن عيينة والامام أحمد وغيرهما ولكن لو كان كذلك لكان هذا داخلا فى قوله لاعدوى وقديقال هو من باب عطف الخاص على العام وخصه بالذكر لاشتهاره عندهم بالعدوي وقالت طائفة بل المراد بصفر شهر ثم اختلفوا فى تفسيره على قولين أحدهما ان المراد نفى ما كان أهل الجاهلية يفعلونه فى النسىء فكانوا يحلون المحرم ويحرمون صفر مكانه وهذا قول مالك والثانى ان المراد ان أهل الجاهلية كانوا يستيشمون بصفر ويقولون انه شهر مشؤم فابطل النبى صلى الله عليه وسلم ذلك وهذا حكاه أبو داود عن محمد بن راشد المكحولى عمن سمعه يقول ذلك ولعل هذا القول أشبه الاقوال وكثير من الجهال يتشاءم بصفر وربما ينهى عن السفر فيه والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهى عنها وكذلك التشاؤم بالايام كيوم الاربعاء وقد روى انه يوم نحس مستمر في حديث لا يصح بل فى المسند عن جابر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم دعا على الاحزاب يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء فاستجيب له يوم الاربعاء بين الظهر والعصر قال جابر فما نزل بى أمر مهم غائظ الا توخيت ذلك الوقت فدعوت الله فيه فرأيت الاجابة أوكما قال وكذلك تشاؤم أهل الجاهلية بشوال فى النكاح فيه خاصة وقد قيل ان أصله ان طاعونا وقع في شوال في سنة من السنين فمات فيه كثير من العرائس فتشاءم بذلك أهل الجاهلية وقد ورد الشرع

بابطاله قالت عائشة رضي الله عنها تزوجني رسول الله صلى الله عليه وسلم في شوال وبنى بي في شوال فاى نسائه كان أحظى عنده مني وكانت عائشة تستحب أن تدخل نساءها في شوال وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم أم سلمة في شوال أيضا فأما قول النبي صلى الله عليه وسلم لاعدوى ولاطيرة والشؤم في ثلاث في المرأة والدار والدابة خرجاه في الصحيحين من حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم فقداختلف الناس في معناه أيضا فروى عن عائشة رضى الله عنها انها أنكرت هذا الحديث أن يكون من كلام النبي صلى الله عليه وسلم وقالت انما قال كان أهل الجاهلية يقولون ذلك خرجه الامام أحمد وقال معمر سمعت من يفسر هذا الحديث يقول شؤم المرأة اذا كانت غير ولود وشؤم الفرس اذا لم يكن يغزي عليه في سبيل الله وشؤم الدار جار السوء وروي هذا المعنى مرفوعا من وجوه لاتصح ومنهم من قال قدروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لاشؤم وان يكن اليمن في شيء ففي ثلاثة فذكر هذه الثلاثة وقال هذه الرواية أشبه بأصول الشرع كذا قاله ابن عبدالبر ولكن اسناد هذه الرواية لايقاوم ذلك الاسناد والتحقيق أن يقال في اثبات الشؤم في هذه الثلاث ماذكرناه في النهى عن ايراد المريض على الصحيح والفرار من المجذوم ومن أرض الطاعون ان هذه الثلاث أسباب يقدر الله تعالى بها الشؤم واليمن ويقرنه ولهذا يشرع لمن استفاد زوجة أوأمة أودابة أن يسأل الله تعالى من خيرها وخير ماجبلت عليه ويستعيذ به من شرها وشر ماجبلت عليه كما في حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي خرجه أبوداود وغيره وكذا ينبغي لمن سكن دارا أن يفعل ذلك وقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم قوما سكنوا دارا فقل عددهم وقل مالهم أن يتركوها ذميمة فترك مالايجد الانسان فيه بركة من دار أو زوجة أودابة غير منهي عنه وكذلك من اتجر في شيء فلم يربح فيه ثلاث مرات فانه يتحول عنه روى ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه فانه قال من بورك له في شيء فلا يتغير عنه في المسند وسنن ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها مرفوعا اذا كان لاحدكم رزق

في شيء فلايدعه حتى يتغيرله أو يتنكر له وأما تخصيص الشؤم بزمان دون زمان كشهر صفر أو غيره فغير صحيح وانما الزمان كله خلق الله تعالى وفيه تقع أفعال بني آدم فكل زمان شغله المؤمن بطاعة الله فهو زمان مبارك عليه وكل زمان شغله العبد بمعصية الله فهو مشؤم عليه فالشؤم في الحقيقة هو معصية الله تعالى كما قال ابن مسعود رضى الله عنه اذا كان الشؤم في شيء ففيما بين اللحيين يعنى اللسان وقال مامن شيء أحوج الى طول سجن من لسان وقال عدى بن حاتم أيمن أمرء بى وأشامه بين لحييه يعنى لسانه وفى مسند أبي داود عن النبى صلى الله عليه وسلم قال حسن الملكة نماء وسوء الملكه شؤم والبر زيادة في العمر والصدقة تمنع ميتة السوء فجعل سوء الملكة شؤما وفي حديث آخر لايدخل الجنة سيء الملكة وهو من يسيء الى مماليكه ويظلمهم وفى الحديث ان الصدقة تدفع ميتة السوء وروي من حديث على مرفوعا باكروا بالصدقة فان البلاء لايتخطاها خرجه الطبراني وفى حديث آخر ان لكل يوم نحسا فادفعوا نحس ذلك اليوم بالصدقة فالصدقة تمنع وقوع البلاء بعد انعقاد أسبابه وكذلك الدعاء وفي الحديث ان البلاء والدعاء يلتقيان بين السماء والارض فيعتلجان الى يوم القيامة خرجه البزار والحاكم وخرج فى الترمذي من حديث سلمان مرفوعا لايرد القضاء الا بالدعاء وقال ابن عباس لاينفع الحذر من القدر ولكن الله يمحو بالدعاء مايشاء من القدر وعنه قال الدعاء يدفع القدر وهو اذادفع القدر فهو من القدر وهذا كقول النبى صلى الله عليه وسلم لما سئل عن الادوية والرقى هل ترد من قدر الله شيئا قال هى من قدر الله تعالى وكذلك قال عمر رضى الله عنه لما رجع من الطاعون فقال له أبو عبيدة أفرارا من قدر الله فقال عمر نفر من قدر الله الى قدر الله فان الله تعالي قدر المقادير ويقدر مايدفع بعضها قبل وقوعه وكذلك الاذكار المشروعة تدفع البلاء وفي حديث عثمان رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح ويمسى بسم الله الذى لايضر مع اسمه شيء فى الارض ولافى السماء وهو السميع العليم لم يصبه بلاء وفى المسند عن عائشة رضى الله عنها عن النبى صلى الله عليه وسلم قال

الشؤم سوء الخلق وخرجه الخرائطى ولفظه اليمن حسن الخلق وفي الجملة فلا شؤم الا المعاصى والذنوب فانها تسخط الله عزوجل فاذا سخط على عبده شقى في الدنيا والآخرة كما انه اذا رضى عن عبده سعد فى الدنيا والآخرة قال بعض الصالحين وقد شكي بلاء وقع في الناس فقال ما أرى ما أنتم فيه الا بشؤم الذنوب وقال أبو حازم كل مايشغلك عن الله من أهل أومال أو ولد فهو عليك مشؤم وقد قيل

فلا كان مايلهي عن الله انه يضر ويؤذى انه لمشـوم

فالشؤم فى الحقيقة هو معصية الله واليمن هو طاعة الله وتقواه كما قيل

ان رأيا دعا الى طاعة اللـه لرأى مبارك ميمون

والعـدوى التى تهلك من قاربها هى المعاصى فمن قاربها وخالطها وأصر عليها هلك وكذلك مخالطة أهل المعاصي ومن يحسن المعصية ويزينها ويدعو اليها من شياطين الانس وهم أضر من شياطين الجن قال بعض السلف شيطان الجن تستعيذ بالله منه فينصرف وشيطان الانس لايبرح حتى يوقعك في المعصية وفي الحديث يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل وفى حديث آخر لاتصحب الامؤمنا ولايأكل طعامك الاتقى ومما يروى لعلى رضى الله عنه

فلا تصحب أخا الجهـــل واياك واياه

فكم من جاهل أردي حكيما حين آخاه

يقـاس المرء بالمر ٠ اذا ما المرء ماشاه

وللشئ على الشى ٠ مقاييس وأشـباه

وللقلب على القلـب دليل حين يلقاه

فالعاصي مشؤم على نفسه وعلى غيره فانه لايؤمن أن ينزل عليه عذاب فيعم الناس خصوصا من لم ينكر عليه عمله فالبعد عنه متعين فاذا كثر الخبث هلك الناس عموما وكذلك أماكن المعاصى وعقوباتها يتعين البعد عنها والهرب منها خشية نزول العذاب كما قال النبى صلى الله عليه وسلم لاصحابه لما مر على ديار ثمود بالحجر لاتدخلوا على

هؤلاء المعذبين الا أن تكونوا باكين خشية أن يصيبكم ماأصابهم ولما تاب الذى قتل مائة نفس من بنى اسرائيل وسأل العالم هل لهمن توبة قال له نعم فامره أن ينتقل من قرية السوء الى القرية الصالحة فادركه الموت بينهما فاختصم فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله اليهم أن قيسوا بينهما فالى أيهما كان أقرب فألحقوه بها فوجدوه الى القرية الصالحة أقرب برمية حجر فغفرله ٥ هجران أماكن المعاصى واخوانها من جملة الهجرة المأمور بها فان المهاجر من هجر مانهي الله عنه قال ابراهيم بن أدهم من أراد التوبة فليخرج من المظالم والبدع مخالطة من كان يخالطه والا لم ينل مايريد احذروا الذنوب فانها مشومة عواقبهاذميمة وعقوباتهاأليمة والقلوب المحبة لها سقيمة السلامة منها غنيمة والعافية منها ليس لهاقيمة والبلية بها لاسيما بعدنزول الشيب داهية عظيمة

طاعـة الله خير ما اكتسب العبـد فكن طائعا لله لاتعصينه

ماهـلاك النفوس الا المعاصى فاجتنب ما نهاك لاتقربنـه

ان شيئا هلاك نفسك فيه ينبغى أن تصون نفسك عنه

يامن ضاع قلبه انشده فى مجالس الذكر عسى أن تجده يامن مرض قلبه احمله الى مجالس الذكر لعله أن يعافى مجالس الذكر مارستان الذنوب تداوى فيها أمراض القلوب كما تداوى أمراض الابدان فى مارستان الذكر نزه القلوب المؤمنين يتنزه فيها بسماع كلام الحكمة كمايتنزه أبصار أهل الدنيا في رياضها وبساتينها مجلسنا هذا حضرة فى روضة الخشوع طعامنا فيه الجوع وشرابنا فيه الدموع ونقلنا هذا الكلام المسموع نداوى فيه أمراضا أعيت جالينوس ويختيشوع نسقى فيه درياق الذنوب وفاروق المعاصى فمن شرب لم يكن له الى المعصية رجوع كم أفاق فيه من المعصـية مصروع وبرئ فيهمن الهوى ملسوع ووصل فيه الى الله مقطوع ماعيبه الاان الطبيب الذي له لوكان يستعمل مايصف للناس لكان اليه المرجوع ياضيعة العمران نجاالسامع وهلك المسموع ياخيبة المسعى ان وصل التابع وانقطع المتبوع

وغير تقي يأمر الناس بالتقى طبيب يداوي الناس وهو سقيم (٧)
يا أيها الرجل المقوم غيره هلا لنفسك كان ذا التقويم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيها فاذا انتهت عنه فأنت حكيم
فهناك يقبل ماتقول ويقتدى بالقول منك وينفع التعليم
لاتنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك اذا فعلت عظيم
كم ذا التمادي فها قدجاءنا صفر شهر به الفوز والتوفيق والظفر
فابدأ بما شئت من فعل تسر به يوم المعاد ففيه الخير ينتظر
توبوا الى الله فيه من ذنوبكم من قبل يبلغ فيكم حده العمر

﴿ وظائف شهر ربيع الاول ويشتمل على مجالس ﴾

(المجلس الاول في ذكر مولد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم)

خرج الامام أحمد من حديث العرباض بن سارية السلمى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اني عبد الله فى أم الكتاب لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل فى طينته وسوف أنبئكم بتأويل ذلك دعوة أبي ابراهيم وبشارة عيسي قومه ورؤيا أمى التى رأت انه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام وكذلك أمهات النبيين يرين وخرجه الحاكم وقال صحيح الاسناد وقد روي معناه من حديث أبي امامة الباهلى ومن وجوه أخر مرسلة المقصود من هذا الحديث ان نبوة النبى صلى الله عليه وسلم كانت مذكورة معروفة من قبل أن يخلقه الله ويخرجه الى دار الدنيا حيا وان ذلك كان مكتوبا في أم الكتاب من قبل نفخ الروح في آدم عليه السلام وفسر أم الكتاب باللوح المحفوظ وبالذكر في قوله تعالى ﴿يمحوا الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب﴾ وعن ابن عباس رضى الله عنهما انه سأل كعبا عن أم الكتاب فقال علم الله ماهو خالق وما خلقه عاملون فقال لعلمه كن كتابا فكان كتابا ولا ريب ان علم الله عزوجل

(٧) البيت الاول من الطويل والاربعة أبيات التى بعده من الكامل والثلاثة الاخر من البسيط اه مصححه

قديم أزلي لم يزل عالما[1] يحدثه من مخلوقاته ثم انه تعالي كتب ذلك في كتاب عنده قبل خلق السموات والارض كما قال تعالى ﴿ ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الا في كتاب من قبل أن نبرأها ان ذلك على الله يسير ﴾ وفي صحيح البخارى عن عمران بن حصين رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كان الله ولاشيء قبله وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء ثم خلق السموات والارض وفي صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والارض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء ومن جملة ما كتبه في هذا الذكر وهو أم الكتاب ان محمدا خاتم النبيين ومن حينئذ انتقلت المخلوقات من مرتبة العلم الى مرتبة الكتابة وهو نوع من أنواع الوجود الخارجى ولهذا قال سعيد بن راشد سألت عطاء هل كان النبى صلى الله عليه وسلم نبيا قبل أن يخلق قال اي والله وقبل أن تخلق الدنيا بالفى عام خرجه أبو بكر الآجري في كتاب الشريعة وعطاء الظاهر انه الخراساني وهذا اشارة الى ما ذكرناه من كتابة نبوته صلى الله عليه وسلم في أم الكتاب عند تقدير المقادير وقوله صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث انى عبدالله في أم الكتاب لخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته ليس المراد به والله أعلم انه حينئذ كتب في أم الكتاب ختمه للنبيين وانما المراد الاخبار عن كون ذلك مكتوبا في أم الكتاب في تلك الحال قبل نفخ الروح في آدم وهو أول ما خلق من النوع الانساني وجاء في أحاديث أخر انه في تلك الحال وجبت له النبوة وهذه مرتبة ثالثة وهى انتقاله من مرتبة العلم والكتابة الى مرتبة الوجود العينى الخارجى فانه صلى الله عليه وسلم استخرج حينئذ من ظهر آدم ونبئ فصارت نبوته موجودة في الخارج بعد كونها كانت مكتوبة مقدرة في أم الكتاب ففي حديث ميسرة الفجر قال قلت يارسول الله متى كنت نبيا قال وآدم بين الروح والجسد خرجه الامام أحمد والحاكم قال الامام أحمد في رواية مهنا وبعضهم يرويه متى كتبت نبيا من

(١) لعل به بتر والظاهر ان أصل الكلام عالما بما

الكتابة فان صحت هذه الرواية حملت مع حديث العرباض بن سارية على وجوب نبوته وثبوتها وظهورها في الخارج فان الكتابة انما تستعمل فيما هو واجب اما شرعا كقوله كتب عليكم الصيام أوقدرا كقوله ﴿ كتب الله لأغلبن أنا ورسلى ﴾ وفي حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنهم قالوا يارسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد خرجه الترمذى وحسنه وفي نسخة صححه وخرجه الحاكم وروي ابن سعد من رواية جابر الجعفى عن الشعبي قال قال رجل للنبى صلى الله عليه وسلم متى استنبئت قال وآدم بين الروح والجسد حيث أخذ منى الميثاق وهذه الرواية تدل على انه صلى الله عليه وسلم حينئذ استخرج من ظهر آدم ونبىء وأخذ ميثاقه فيحتمل أن يكون ذلك دليلا على ان استخراج ذرية آدم من ظهره وأخذ الميثاق منهم كان قبل نفخ الروح في آدم وقد روى هذا عن سلمان الفارسى وغيره من السلف ويستدل له أيضاً بظاهر قوله تعالى ﴿ ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم ﴾ على مافسره به [1] ابن مجاهد وغيره ان المراد اخراج ذرية آدم من ظهره قبل أمر الملائكة بالسجود له ولكن أكثر السلف على ان استخراج ذرية آدم منه كان بعد نفخ الروح فيه وعلى هذا يدل أكثر الاحاديث فتحمل على هذا أن يكون محمد صلى الله عليه وسلم خص باستخراجه من ظهر آدم قبل نفخ الروح فيه فان محمدا صلى الله عليه وسلم هو المقصود من خلق النوع الانسانى وهو عينه وخلاصته وواسطة عقده فلا يبعد أن يكون أخرج من ظهر آدم عند خلقه قبل نفخ الروح فيه وقد روى ان آدم عليه الصلاة والسلام رأى اسم محمد صلى الله عليه وسلم مكتوبا على العرش وان الله عزوجل قال لآدم لولا محمد ماخلقتك وقد خرجه الحاكم في صحيحه فيكون حينئذ من حين صور آدم طينا استخرج منه محمد صلى الله عليه وسلم ونبىء وأخذ منه الميثاق ثم أعيد الى ظهر آدم حتى خرج فى وقت خروجه الذى قدر الله خروجه فيه ويشهد لذلك ماروي عن قتادة ان النبى صلى الله عليه

(١) الظاهر ان ابن هنا زائدة فان المشهور بالتفسير هو مجاهد من غير ابن وليحرر

وسلم قال كنت أول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث وفى رواية أول الناس فى الخلق خرجه ابن سعد وغيره وخرجه الطبراني من رواية قتادة عن الحسن عن أبى هريرة مرفوعا والمرسل أشبه وفى رواية عن قتادة مرسلة ثم تلا ﴿ واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم ﴾ فبدأ به قبل نوح الذى هو أول الرسل فمحمد صلى الله عليه وسلم أول الرسل خلقا وآخرهم بعثا فانه استخرج من ظهر آدم لما صور ونبئ حينئذ وأخذ ميثاقه ثم أعيد الى ظهره ولا يقال فقد خلق آدم قبله لان آدم حينئذ كان مواتا لاروح فيه ومحمد صلى الله عليه وسلم كان حيا حين استخرج ونبئ وأخذ ميثاقه فهو أول النبيين خلقا وآخرهم بعثا فهو خاتم النبيين باعتبار ان زمانه تأخر عنهم فهو المقفى والعاقب الذى جاء عقب الانبياء ويقفوهم قال تعالى ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾ وفي الصحيحين عن جابر رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال مثلى ومثل الانبياء كمثل رجل بنى دارا فأكملها وأحسنها الاموضع لبنة فجعل الناس يدخلونها ويعجبون منها ويقولون لولا موضع اللبنة زاد مسلم قال فجئت فختمت الانبياء وفيهما أيضا عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم معناه وفيه فجعل الناس يطوفون به ويقولون هلا وضعت اللبنة فانا اللبنة وأنا خاتم النبيين وقد استدل الامام أحمد بحديث العرباض بن سارية هذا على ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يزل على التوحيد منذ نشأ ورد بذلك على من زعم غير ذلك بل قد يستدل بهذا الحديث على انه صلى الله عليه وسلم ولد نبيا فان نبوته وجبت له من حين أخذ الميثاق منه حين استخرج من صلب آدم فكان نبيا من حينئذ لكن كانت مدة خروجه الى الدنيا متأخرة عن ذلك وذلك لايمنع كونه نبيا قبل خروجه كمن يولى ولاية ويؤمر بالتصرف فيها في زمن مستقبل فحكم الولاية ثابت له من حين ولايته وان كان تصرفه يتأخر الى حين مجيء الوقت قال حنبل قلت لابى عبدالله يعنى أحمد من زعم ان النبى صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه قبل أن يبعث قال هذا قول سوء ينبغى لصاحب هذه

المقالة [1] يحذر كلامه ولا يجالس قلت له ان جارنا الناقد أبا العباس يقول هذه المقالة قال قاتله الله وأي شيء أبقى اذا زعم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان على دين قومه وهم يعبدون الاصنام قال الله تعالى حاكيا عن عيسى عليه السلام ﴿ ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد ﴾ قلت له و زعم ان خديجة كانت على ذلك حين تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قال أما خديجة فلا أقول شيئا قد كانت أول من آمن به من النساء ثم قال ما ذا يحدث الناس من الكلام [2] هؤلاء أصحاب الكلام لم يفلح سبحان الله لهذا القول واحتج فى ذلك بكلام لم أحفظه ه وذكر ان أمه حين ولدت رأت نورا أضاء له قصور الشام أوليس هذا عند ماولدت رأت هذا وقبل أن يبعث كان طاهرا مطهرا من الاوثان أوليس كان لا يأكل لما ذبح على النصب ثم قال احذروا الكلام فان أصحاب الكلام أمرهم لا يؤول الى خير خرجه أبو بكر عبد العزيز بن جعفر فى كتاب السنة ومراد الامام أحمد الاستدلال بتقدم البشارة بنبوته من الانبياء الذين قبله وبما شوهد عند ولادته من الآيات على انه كان نبيا من قبل خروجه الى الدنيا وولادته وهذا هو الذى يدل عليه حديث العرباض بن سارية هذا فانه صلى الله عليه وسلم ذكر فيه ان نبوته كانت حاصلة من حين كان آدم منجدلا في طينته والمراد بالمنجدل الطريح الملقى على الارض قبل نفخ الروح فيه ويقال للقتيل انه منجدل لذلك ثم استدل صلى الله عليه وسلم على سبق ذكره والتنويه باسمه ونبوته وشرف قدره لخروجه الى الدنيا بثلاث دلائل وهو مراده بقوله ﴿ وسأنبئكم بتأويل ذلك ﴾ الدليل الاول دعوة أبيه ابراهيم عليه السلام وأشار بذلك الى ماقص الله فى كتابه عن ابراهيم واسماعيل لانهما قالا عند بناء البيت الذي بمكة ﴿ ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم ﴾ فاستجاب الله دعاءهما وبعث في

(١) لعله سقط من هنا حرف أن (٢) هذه العبارة ركيكة ولعلها محرفة فلتحرر اه مصححه

أهل مكة منهم رسولا بهذه الصفة من ولد اسماعيل الذى دعا مع أبيه ابراهيم عليهما السلام بهذا الدعاء وقد امتن الله تعالى على المؤمنين ببعثه لهذا النبى منهم على هذه الصفة التى دعا بها ابراهيم واسماعيل قال تعالى ﴿ لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾ وقال سبحانه ﴿ هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ ومعلوم انه لم يبعث من مكة رسول فيهم بهذه الصفة غير محمد صلى الله عليه وسلم وهو من ولد اسماعيل كما ان أنبياء بنى اسرائيل من ولد اسحاق وذكر تعالى انه من على المؤمنين بهذه الرسالة فليس لله نعمة أعظم من ارسال محمد صلى الله عليه وسلم يهدي الى الحق والى طريق مستقيم وقوله في الاميين والمراد بهم العرب تنبيه لهم على قدر هذه النعمة وعظمها حيث كانوا أميين لا كتاب لهم وليس عندهم شئ من آثار النبوات كما كان عند أهل الكتاب فمن الله عليهم بهذا الرسول وبهذا الكتاب حتى صاروا أفضل الامم وأعلمهم وعرفوا ضلالة من ضل من الامم قبلهم وفي كونه منهم ٭ فائدتان احداهما ان هذا الرسول كان أيضاً أميا كامته المبعوث اليهم لم يقرأ كتابا قط ولم يخطه بيمينه كما قال تعالى ﴿ وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك ﴾ الآيات ولا خرج عن ديار قومه فاقام عند غيرهم حتى تعلم منهم شيئا بل لم يزل أميا بين أمة أمية لا يكتب ولا يقرأ حتى كمل الاربعين من عمره ثم جاء بعد ذلك بهذا الكتاب المبين وهذه الشريعة الباهرة وهذا الدين القيم الذى اعترف حذاق أهل الارض ونظارهم انه لم يقرع العالم ناموس أعظم منه وفي هذا برهان ظاهر على صدقه ٭ والفائدة الثانية التنبيه على ان المبعوث منهم وهم الاميون خصوصا أهل مكة يعرفون نسبه وشرفه وصدقه وأمانته وعفته وانه نشأ

بينهم معروفا بذلك كله وانه لم يكذب قط فكيف كان يدع الكذب على الناس

ثم يفترى الكذب على الله عزوجل فهذا هو الباطل ولذلك سأل هرقل عن هذه الاوصاف واستدل بها على صدقه فيما ادعاه من النبوة والرسالة وقوله يتلوا عليهم آياته يعني يتلو عليهم ما أنزله الله عليه من آياته المتلوة وهو القرآن وهو أعظم الكتب السماوية وقد تضمن من العلوم والحكم والمواعظ والقصص والترغيب والترهيب وذكر اخبار من سبق واخبار ما يأتي من البعث والنشور والجنة والنار مالم يشتمل عليه كتاب غيره حتى قال بعض العلماء لوأن هذا الكتاب وجد مكتوبا فى مصحف فى فلاة من الارض ولم يعلم من وضعه هناك لشهدت العقول السليمة انه منزل من عند الله وان البشر لاقدرة لهم على تأليف ذلك فكيف اذاجاء على يدى أصدق الخلق وأبرهم وأتقاهم وقال انه كلام الله وتحدى الخلق كلهم أن يأتوا بسورة مثله فعجزوا فيه فكيف يبقى مع هذا شك ولهذا قال تعالى ﴿ ذلك الكتاب لاريب فيه ﴾ وقال ﴿ أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ﴾ فلو لم يكن لمحمد صلى الله عليه وسلم من المعجزات الدالة على صدقه غير هذا الكتاب لكفاه فكيف وله من المعجزات الارضية والسماوية مالا يحصى وقوله ﴿ ويزكيهم ﴾ يعنى انه يزكى قلوبهم ويطهرها من أدناس الشرك والفجور والضلال فان النفوس تزكو اذا طهرت من ذلك كله ومن زكت نفسه فقد أفلح كما قال تعالى ﴿ قد أفلح من زكاها ﴾ وقال ﴿ قد أفلح من تزكي ﴾ وقوله ﴿ ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ يعنى بالكتاب القرآن والمراد ويعلمهم تلاوة ألفاظه ويعنى بالحكمة فهم معاني القرآن والعمل بما فيه فالحكمة هى فهم القرآن والعمل به فلا يكتفى بتلاوة ألفاظ الكتاب حتى يعلم معناه ويعمل بمقتضاه فمن جمع له ذلك كله فقد أوتي الحكمة قال تعالى ﴿ يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ﴾ قال الفضيل العلماء كثير والحكماء قليل وقال الحكماء ورثة الانبياء فالحكمة هى العلم النافع الذى يتبعه العمل الصالح وهو نور يقذف في القلب يفهم بها معنى العلم المنزل من السماء ويحض على اتباعه والعمل به ومن قال الحكمة السنة فقوله حق لان السنة تفسر القرآن وتبين معانيه وتحض على اتباعه والعمل به فالحكيم هو العالم

المستنبط لدقائق العلم المنتفع بعلمه بالعمل به ولا بي العتاهية

وكيف تحب أن تدعي حكيما　　وأنت لكل ماتهوى ركوب

وتضحك دائبا ظهرا لبطن　　وتذكر ماعملت فلا تتوب

قوله (وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين) اشارة الى ما كان الناس عليه قبل انزال هذا الكتاب من الضلال فان الله نظر حينئذ الى أهل الارض فمقتهم عربهم وعجمهم الابقايا من أهل الكتاب تمسكوا بدينهم الذي لم يبدل ولم يغير وكانوا قليلا جدا فاما عامة أهل الكتاب فكانوا قد بدلوا كتبهم وغيروها وحرفوها وأدخلوا في دينهم ماليس منه فضلوا وأضلوا وأما غير أهل الكتاب فكانوا على ضلال بين فالاميون أهل شرك يعبدون الاوثان والمجوس يعبدون النيران ويقولون بالهين اثنين وكذلك غيرهم من أهل الارض منهم من كان يعبد النجوم ومنهم من كان يعبد الشمس أو القمر فهدى الله المؤمنين بارسال محمد صلى الله عليه وسلم الى ماجاء به من الهدى والدين الحق وأظهر الله دينه حتى بلغ مشارق الارض ومغاربها فظهرت فيها كلمة التوحيد والعمل بالعدل بعد ان كانت الارض كلها ممتلئة من الشرك والظلم فالاميون هم العرب والآخرون الذين لم يلحقوا بهم هم أهل فارس والروم فكانت أهل فارس مجوسا والروم نصارى فهدي الله جميع هؤلاء برسالة محمد صلى الله عليه وسلم الى التوحيد وقد رؤي الامام بعد موته في المنام فسئل عن حاله فقال لولا النبي لكنا مجوسا قال فان أهل العراق لولا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لكانوا مجوسا وأهل الشام ومصر والروم لولا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم لكانوا نصاري وأهل جزيرة العرب لولا رسالة محمد لكانوا مشركين عباد أوثان ولكن رحم الله عباده بارسال محمد صلى الله عليه وسلم فأنقذهم من الضلال كما قال تعالى (وما أرسلناك الا رحمة للعالمين) ولهذا قال تعالى (ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم) فمن حصل له نصيب من دين الاسلام فقد حصل له الفضل العظيم وقد عظمت عليه نعمة الله فما أحوجه الي القيام بشكر هذه النعمة وسؤاله دوامها والثبات عليها الى الممات والموت

عليها فبذلك تتم النعمة فابراهيم عليه الصلاة والسلام هو امام الحنفاء المأمور محمد صلى الله عليه وسلم ومن قبله من الانبياء بالاقتداء به وهو الذى جعله الله للناس اماما وقد دعاهو وابنه اسماعيل بأن يبعث الله فى أهل مكة رسولا منهم موصوفا بهذه الاوصاف فاستجاب الله لهما وجعل هذا النبى مبعوثا فيهم من ولد اسماعيل بن ابراهيم كما دعيا بذلك وهو النبى الذى أظهر دين ابراهيم الحنيف بعد اضمحلاله وخفائه على أهل الارض فلهذا كان أولى الناس بابراهيم كما قال تعالى (ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا) وقال صلى الله عليه وسلم ان لكل نبى وليا من المؤمنين وانا ولى ابراهيم ثم تلا هذه الآية وكان صلى الله عليه وسلم أشبه ولد ابراهيم به صورة ومعنى حتى انه أشبهه في خلة الله تعالى فقال ان الله اتخذني خليلا كما اتخذ ابراهيم خليلاه الثانى بشارة عيسى به وعيسى آخر أنبياء بنى اسرائيل وقد قال تعالى ﴿ واذ قال عيسى بن مريم يابنى اسرائيل اني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ﴾ وقد كان المسيح عليه الصلاة والسلام يحض على اتباعه ويقول انه يبعث بالسيف فلا يمنعنكم ذلك منه وروى عنه أنه قل سوف أذهب أنا ويأتى الذي بعدى لايتحمدكم بدعواه ولكن يسل السيف فتدخلونه طوعا وكرها وفى المسند عن أبي الدرداء رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله عزوجل أوحى الى عيسى عليه السلام انى باعث بعدك أمة ان أصابهم مايحبون حمدوا وشكروا وان أصابهم مايكرهون احتسبوا وصبروا ولاحلم ولاعلم قال يارب كيف هذا ولاحلم ولاعلم قال أعطيهم من حلمى وعلمى قل ابن اسحاق حدثنى بعض أهل العلم ان عيسى بن مريم عليه السلام قال ان أحب الامم الى الله عزوجل لامة أحمد قيل له ومافضلهم الذي تذكر قال لم تذل لااله لا الله على ألسن أمة من الامم تذليلها على ألسنتهم ه الثالث مماذل على نبوته قبل ظهوره رؤيا أمه التى رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام وذكر ان أمهات النبيين كذلك يربين والرؤيا هنا ان أريد بها رؤيا المنام فقد روي ان آمنة بنت وهب

رأت فى أول حملها بالنبي صلى الله عليه وسلم أنها بشرت بأنه يخرج منها عند ولادتها نور يضيء له قصور الشام وروى الطبراني باسناده عن أبي مريم الكندي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل أى شيء كان أول من أمر نبوتك قال أخذ الله منى الميثاق كما أخذ من النبيين ميثاقهم وتلا ومنك ومن نوح الآية وبشري المسيح عيسى ابن مريم ورأت أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى منامها انه خرج من بين يديها سراج أضاءت لها منه قصور الشام ثم قال ووراء ذلك قريتين أوثلاثا وان أريدبها رؤية عين كما قال ابن عباس فى قول الله عزوجل ﴿ وماجعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس ﴾ انها رؤية عين أريها النبي صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به فقد روى ان أمه رأت ذلك عند ولادة النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن اسحاق كانت آمنة بنت وهب تحدث انها أتيت حين حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل لها انك حملت بسيد هذه الامة فاذا وقع الى الارض فقولى أعيذه بالواحد من شر كل حاسد وآية ذلك أن يخرج معه نور يملأ قصور بصرى من أرض الشام فاذا وقع فسميه محمدا فان اسمه فى التوراة أحمد يحمده أهل السماء وأهل الارض واسمه فى الانجيل أحمد يحمده أهل السماء وأهل الارض واسمه فى القرآن محمد وذكر ابن سعد عن الواقدى باسانيد له متعددة ان آمنة بنت وهب قالت لقد علقت به تعني النبى صلى الله عليه وسلم فما وجدت له مشقة حتى وضعته فلما فصل مني خرج معه نور أضاء له مابين المشرق والمغرب ثم وقع الى الارض معتمدا علي يديه ثم أخذ قبضة من التراب فقبضها ورفع رأسه الى السماء وفي حديث بعضهم وقع جاثيا على ركبتيه وخرج معه نور أضاءت له قصور الشام وأسواقها حتى رأت أعناق الابل ببصرى رافعا رأسه الى السماء وروى البيهقى باسناده عن عثمان بن أبي العاص حدثتني أمى انها شهدت ولادة آمنة بنت وهب رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة ولدته قالت فما شيء أنظر اليه الا نور واني أنظر الى النجوم تدنو حتى اني لاقول ليقعن علي وخرج الامام أحمد من حديث عتبة بن عبد السلمى عن النبى صلى الله عليه وسلم ان أمه قالت انى رأيت خرج منى

نور أضاءت منه قصور الشام وروى ابن اسحاق عن جهم بن أبي جهم عن عبدالله بن جعفر عمن حدث عن حليمة أم النبي صلى الله عليه وسلم التي أرضعته ان آمنة بنت وهب حدثتها أنها قالت اني حملت به فلم أر حملا قط كان أخف على منه ولا أعظم بركة منه لقد رأيت نورا كأنه شهاب خرج مني حين وضعته أضاءت له أعناق الابل ببصرى وخروج هذا النور عند وضعه اشارة الى مايجيء به من النور الذي اهتدي به أهل الارض وزال به ظلمة الشرك منها كما قال تعالى ﴿ قدجاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم ﴾ وقال تعالى ﴿ فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ وفي هذا المعنى يقول عمه العباس فى أبياته المشهورة السائرة

وأنت لما ولدت أشرقت الار ض وضاءت بنورك الافق

فنحن فى ذلك الضياء وفى النور وسبل الرشاد نخترق

وأما اضاءة قصور بصرى بالنور الذي خرج معه فهو اشارة الى ماخص الشام من نور نبوته بانها دار ملكه كما ذكر كعب ان فى الكتب السابقة محمد رسول الله مولده بمكة ومهاجره يثرب وملكه بالشام فمن مكة بدئت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والى الشام ينتهى ملكه ولهذا أسرى به صلى الله عليه وسلم الى الشام الى بيت المقدس كما هاجر ابراهيم عليه الصلاة والسلام من قبله الى الشام قال بعض السلف مابعث الله نبيا الا من الشام فان لم يبعثه منها هاجر اليها وفى آخر الزمان يستقر العلم والايمان بالشام فيكون نور النبوة فيها أظهر منه في سائر بلاد الاسلام وخرج الامام أحمد من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص وأبى الدرداء وخرج الحاكم من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال رأيت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتى فاتبعته بصرى فاذا هو عمود ساطع عمدبه الى الشام ألا وان الايمان اذا وقعت الفتن بالشام وفي المسند والترمذي وغيرهما عن النبي

صلى الله عليه وسلم قال ستكون هجرة بعد هجرة فخيار أهل الارض ألزمهم مهاجر ابراهيم يعني الشام [1] و بالشام ينزل عيسى بن مريم عليه السلام فى آخر الزمان وهو المبشر بمحمد صلى الله عليه وسلم ويحكم به ولا يقبل من أحد غير دينه فيكسر الصليب و يقتل الخنزير ويضع الجزية ويصلى خلف امام المسلمين ويقول ان هذه الامة أئمة بعضهم لبعض اشارة الى انه متبع لدينهم غير ناسخ له والشام هى فى آخر الزمان أرض المحشر والمنشر [2] فيحشر الناس اليها قبل القيامة من أقطار الارض فيهاجر خيار أهل الارض الى مهاجر ابراهيم وهى أرض الشام [3] طوعا كما تقدم ان خيار أهل الارض ألزمهم مهاجر ابراهيم وقال صلى الله عليه وسلم عليكم بالشام فانها خيرة الله من أرضه يجتبى اليها خيرته من عباده خرجه الامام أحمد وأبو داود وابن حبان والحاكم في صحيحيهما وقال أبو امامة لاتقوم الساعة حتى ينتقل خيار أهل العراق الى الشام وشرار أهل الشام الى العراق وخرجه الامام أحمد وقد ثبت في الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لاتقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز فتضىء لها أعناق الابل ببصرى وقد خرجت هذه النار بالحجاز بقرب المدينة ورؤيت أعناق الابل من ضوئها ببصرى فى سنة أربع وخمسين وستمائة وعقيبها جرت واقعة ببغداد وقتل بها الخليفة وعامة من كان ببغداد وتكامل خراب أهل العراق على أيدي التتار وهاجر خيار أهله الى الشام من حينئذ فأما شرار الناس فتخرج نار فى آخر الزمان تسوقهم الى الشام قهرا حتى تجتمع الناس كلهم بالشام قبل قيام الساعة وفى سنن أبى داود عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة الى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام وخرجه الحاكم ولفظه خير منازل المسلمين يومئذ ه اخوانى من كان من هذه الامة فهو من خير الامم عند الله عزوجل قال تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس﴾ وقال النبى صلى الله عليه وسلم أنتم توفون سبعين

(١) بالشام ينزل عيسي بن مريم عليه السلام (٢) الشام أرض المحشر والمنشر آخر الزمان (٣) كذا بالاصل

أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عزوجل لما كان هذا الرسول النبي الامي خير الخلق وأفضلهم كانت أمته خير أمة وأفضلها فما يحسن بمن كان من خير الامم وانتسب الى متابعة خير الخلق وخصوصا من كان يسكن خير منازل المسلمين فى آخر الزمان الا أن يكون متصفا بصفات الخير مجتنبا لصفات الشر وقبيح به أن يرضى لنفسه أن يكون من شر الناس مع انتسابه الى خير الامم ومتابعة خير الرسل قال الله تعالى ﴿ ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ﴾ فخير الناس من آمن وعمل صالحا وقال تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال خير الناس من فقه في دين الله ووصل رحمه وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وفى رواية خير الناس أتقاهم للرب وأوصلهم للرحم وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر وقال الناس معادن فخيارهم فى الجاهلية خيارهم في الاسلام اذافقهوا وقال خير الناس من طال عمره وحسن عمله وشر الناس من طال عمره وساء عمله وقال خيركم من يرجي خيره ويؤمن شره وشركم من لايرجى خيره ولايؤمن شره وقال ألا أخبركم بخياركم قالوا بلى قال الذين اذا رؤوا ذكرالله ألا انبئكم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤن بالنميمة المفرقون بين الاحبة الباغون للبرآء العيب (١) وقال شر الناس منزلة عند الله من تركه الناس اتقاء فحشه وقال ان من شر الناس يوم القيامة منزلة عندالله ذا الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وقال ان من شر الناس عندالله منزلة من يقرأ كتاب الله ثم لايرعوى الى مافيه وقال من شر الناس منزلة عندالله يوم القيامة من أذهب آخرته بدنيا غيره أعمال الامة تعرض على نبيها فى البرزخ فليستح عبد أن يعرض على نبيه من عمله مانهاه عنه لما وقف صلى الله عليه وسلم عام حجة الوداع قال انى فرطكم على الحوض واني مكاثربكم الامم فلا تسودوا وجهي يشيرالى انه صلى الله عليه وسلم يستحى من سيئات أمته اذاعرضت عليه وقال ليؤخذن برجال من أمتى ذات الشمال فاقول يارب أصحابى فيقال انك لاتدرى

(١) بالعين

ماأحدثوا بعدك فأقول سحقا سحقا لمن بدل بعدى خير هذه الامة أولها قرنا كما قال النبى صلى الله عليه وسلم خير القرون قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم وقال بعثت في خير قرون بني آدم قرنا فقرنا حتى كنت من القرن الذى كنت منه ثم قد جاء مدح أصحابه في كتابه (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم) (لقد رضي الله عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة) وخص الصديق من بينهم بالصحبة بقوله (اذ يقول لصاحبه لاتحزن ان الله معنا) لما جلى الرسول صلى الله عليه وسلم عروس الاسلام وأبرزها للبصائر من خدرها أخرج أبو بكر رضى الله عنه ماله كله نثارا لهذا العروس فاخرج عمر النصف موافقة له فقام عثمان بوليمة العرس فجهز جيش العسرة فعلم على رضى الله عنه ان الدنيا ضرة هذه العروس وانهما لايجتمعان فبت طلاقها ثلاثا فالحمد لله الذى خصنا بهذه الرحمة وأسبغ علينا هذه النعمة وأعطانا ببركة نبينا هذه الفضائل الجمة فقال لنا (كنتم خير أمة أخرجت للناس) من أين في الامم مثل أبى بكر الصديق أوعمر الذى ماسلك طريقا الا هرب الشيطان من ذلك الطريق أوعثمان الصابر على مر الضيق أوعلى بحر العلم العميق أوحمزة والعباس أفيهم مثل طلحة والزبير القرنين أومثل سعد وسعيد هيهات من أين أومثل ابن عوف وأبى عبيدة ومن مثل الاثنين ان شبهتم بهم فقد أبعدتم القياس من أين في زهاد الامم مثل أويس أوفي عبادهم مثل عامر بن عبد قيس أو في خائفهم مثل عمر بن عبد العزيز هيهات ليس ضوء الشمس كالمقباس أوفي علمائهم مثل أبي حنيفة ومالك والشافعي السديد المسالك كيف تمدحه وهو أجل من ذلك ما أحسن بنيانه والاساس أثم أعلى من الحسن البصرى وأنبل أوابن سيرين الذي بالورع تقبل أوسفيان الثورى الذى بالخوف والعلم تسربل أومثل أحمد الذى بذل نفسه لله وسبل تالله مافى الامم مثل ابن حنبل ارفع صوتك بهذا ولاباس (كنتم خير أمة أخرجت للناس) شعر

لاح شيب الرأس منى فنصح بعد لهو وشباب ومرح

اخوتى توبوا الى الله بنا قد لهونا وجهلنا ما صلح

نحن في دار نرى الموت بها ... لم يدع فيها لذى اللب فرح
يا بني آدم صونوا دينكم ... ينبغى للدين أن لا يطرح
واحمدوا الله الذي أكرمكم ... بنبى قام فيكم فنصح
بنبي فتح الله به ... كل خير نلتموه ومنح
مرسل لو يوزن الناس به ... فى التقى والبر خفوا ورجح
فرسول الله أولى بالعلى ... ورسول الله أولى بالمدح

﴿ المجلس الثاني في ذكر المولد أيضا ﴾

خرج مسلم فى صحيحه من حديث أبي قتادة الانصارى أن النبى صلى الله عليه وسلم سئل عن صيام يوم الاثنين فقال ذلك يوم ولدت فيه وأنزلت على فيه النبوة أما ولادة النبي صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين فكالمجمع عليه بين العلماء وقد قاله ابن عباس وغيره وقد حكي عن بعضهم انه ولد يوم الجمعة وهو قول ساقط مردود وروى عن أبي جعفر الباقر انه توقف فى ذلك وقال لا يعلم ذلك الا الله وانما قال هذا لانه لم يبلغه في ذلك ما يعتمد عليه فوقف تورعا وأما الجمهور فبلغهم في ذلك ما قالوا بحسبه وقد روي عن أبي جعفر أيضا موافقتهم وان النبى صلى الله عليه وسلم ولد يوم الاثنين موافقة لما قاله سائر العلماء وحديث أبي قتادة يدل على أنه صلى الله عليه وسلم ولد نهارا فى يوم الاثنين وقد روي انه ولد عند طلوع الفجر منه وروى أبو جعفر بن أبي شيبة في تاريخه وخرجه من طريقه أبو نعيم في الدلائل باسناد فيه ضعف عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال كان بمر الظهران راهب يدعى عيص من أهل الشام وكان يقول يوشك أن يولد فيكم يا أهل مكة مولود تدين له العرب ويملك العجم هذا زمانه فكان لا يولد بمكة مولود الا سأل عنه فلما كان صبيحة اليوم الذي ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عبد الله بن عبد المطلب حتى أتى عيص فناداه فاشرف عليه فقال له عيص كن أباه فقد ولد ذلك المولود الذي كنت أحدثكم عنه يوم الاثنين ويبعث يوم الاثنين ويموت يوم الاثنين قال انه ولد لى مع الصبح مولود قال فما سميته قال محمدا قال والله

لقد كنت أشتهي أن يكون هذا المولود فيكم أهل البيت لثلاث خصال بها نعرفه فقد آتى عليهن منها انه طلع نجمه البارحة وانه ولد اليوم وان اسمه محمد انطلق اليه فانه الذي كنت أحدثكم عنه وقد روي ما يدل على انه ولد ليلا وقد سبق في المجلس الذي قبله من الآثار ما يستدل به لذلك وفي صحيح الحاكم عن عائشة قالت كان بمكة يهودى يتجر فيها فلما كانت الليلة التى ولد فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يامعشر قريش هل ولد فيكم الليلة مولود قالوا لانعلمه فقال ولد الليلة نبى هذه الامة الاخيرة بين كتفيه علامة فيها شعرات متواترات كأنهن عرف فرس فخرجوا باليهودي حتى أدخلوه على أمه فقالوا اخرجى الينا ابنك فاخرجته وكشفوا عن ظهره فرأي تلك الشامة فوقع اليهودى مغشيا عليه فلما أفاق قالوا ويلك مالك قال ذهبت والله النبوة من بني اسرائيل وهذا الحديث يدل على انه ولد بخاتم النبوة بين كتفيه وخاتم النبوة من علامات نبوته التى كان يعرفه بها أهل الكتاب ويسألون عنها ويطلبون الوقوف عليها وقد روى ان هرقل بعث الى النبى صلى الله عليه وسلم بتبوك من ينظر له خاتم النبوة ثم يخبره عنه وقد روى من حديث أبى ذر وعتبة بن عبد عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الملكين اللذين شقا صدره وملآه حكمة هما اللذان ختماه بخاتم النبوة وهذا يخالف حديث عائشة هذا وقد روى ان هذا الخاتم رفع من بعد موته من بين كتفيه ولكن اسناد هذا الخبر ضعيف وقد روي فى صفة ولادته آيات تستغرب فمنها ماروى عن آمنة بنت وهب انها قالت وضعته فما وقع كما يقع الصبيان وقع واضعا يده على الارض رافعا رأسه الى السماء وروى أيضا انه قبض قبضة من التراب بيده لما وقع بالارض فقال بعض القافة انصدق الفال ليغلبن أهل الارض وروى انه وضع تحت جفنة فانفلقت عنه ووجدوه ينظر الي السماء واختلفت الروايات هل ولد مختونا فروى انه ولد مختونا مسرورا يعنى مقطوع السرة حتى قال الحاكم تواترت الروايات بذلك وروى ان جده ختنه وتوقف الامام أحمد في ذلك قال المروذى سئل أبو عبد الله هل ولد النبى صلى الله عليه وسلم مختونا قال الله أعلم ثم قال لاأدرى قال أبو

بكر عبد العزيز بن جعفر من أصحابنا قد روي انه صلى الله عليه وسلم ولد مختونا مسرورا ولم يجترئ أبو عبد الله على تصحيح هذا الحديث وأما شهر ولادته فقد اختلف فيه فقيل في شهر رمضان روى عن عبد الله بن عمرو باسناد لا يصح وقيل في رجب ولا يصح وقيل في ربيع الاول وهو المشهور بين الناس حتى نقل ابن الجوزي وغيره عليه الاتفاق ولكنه قول جمهور العلماء ثم اختلفوا في أي يوم كان من الشهر فمنهم من قال هو غير معين وانما ولد في يوم الاثنين من ربيع من غير تعيين لعدد ذلك اليوم من الشهر والجمهور على انه يوم معين منه ثم اختلفوا فقيل لليلتين خلتا منه وقيل لثمان خلت منه وقيل لعشر وقيل لاثنتي عشرة وقيل لسبع عشرة وقيل لثماني عشرة وقيل لثمان بقين منه وقيل ان هذين القولين غير صحيحين عمن حكيا عنه بالكلية والمشهور الذي عليه الجمهور انه ولد يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول وهو قول ابن اسحاق وغيره وأما عام ولادته فالا كثرون على أنه عام الفيل وممن قال ذلك قيس بن مخرمة وقباث بن أشيم وابن عباس وروي عنه انه ولد يوم الفيل وقيل ان هذه الرواية وهم انما الصحيح عنه انه قال عام الفيل ومن العلماء من حكي الاتفاق على ذلك وقال كل قول يخالفه وهم والمشهور انه صلى الله عليه وسلم ولد بعد الفيل بخمسين يوما وقيل بعده بخمس وخمسين يوما وقيل بشهر وقيل باربعين يوما وقد قيل انه ولد بعد الفيل بعشر سنين وقيل بثلاث وعشرين سنة وقيل باربعين سنة وقيل قبل الفيل بخمس عشرة سنة وهذه الاقوال وهم عند جمهور العلماء ومنها مالا يصح عمن حكي عنه قال ابراهيم بن المنذر الحزامي الذي لا يشك فيه أحد من علمائنا انه صلى الله عليه وسلم ولد عام الفيل وقال خليفة بن خياط هذا هو المجمع عليه وكانت قصة الفيل توطئة لنبوته وتقدمة لظهوره وبعثه وقد قص الله ذلك في كتابه فقال ﴿ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل ألم يجعل كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول﴾ فقوله ﴿ألم تر كيف فعل ربك باصحاب الفيل﴾ استفهام تقرير لمن سمع هذا الخطاب وهذا يدل على اشتهار ذلك بينهم

ومعرفتهم به وانه مما لا يخفى علمه عن العرب خصوصا قريشا وأهل مكة وهذا أمر اشتهر بينهم وتعارفوه وقالوا فيه الاشعار السائرة وقد قالت عائشة رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين يستطعمان وفي هذه القصة مايدل على تعظيم مكة واحترامها واحترام بيت الله الذى فيها وولادة النبي صلى الله عليه وسلم عقب ذلك تدل على نبوته ورسالته فانه صلى الله عليه وسلم بعث بتعظيم هذا البيت وحجه والصلاة اليه فكان هذا البلد هو موطنه ومولده فاضطره قومه عند دعوتهم الى الله تعالى الى الخروج منه كرها بما نالوه به من الاذى ثم ان الله تعالى ظفره بهم وأدخله عليهم قهرا فملك البلد عنوة وملك رقاب أهله ثم من عليهم وأطلقهم وعفا عنهم فكان فى تسليط نبيه صلى الله عليه وسلم على هذا البلد وتمليكه اياه ولامته من بعده مادل على صحة نبوته فان الله حبس عنه من يريده بالاذى وأهلكه ثم سلط عليه رسوله وأمته كما قال صلى الله عليه وسلم ان الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين فان الرسول صلى الله عليه وسلم وأمته انما كان قصدهم تعظيم البيت وتكريمه واحترامه ولهذا أنكر النبى صلى الله عليه وسلم يوم الفتح على من قال اليوم تستحل الكعبة وقال اليوم تعظم الكعبة وقد كان أهل الجاهلية غيروا دين ابراهيم واسماعيل بما ابتدعوه من الشرك وتغيير بعض مناسك الحج فسلط الله رسوله وأمته علي مكة فطهروها من ذلك كله وردوا الامر الى دين ابراهيم الحنيف وهو الذي دعا لهم مع ابنه اسماعيل عند بناء البيت أن يبعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة فبعث الله فيهم محمدا صلى الله عليه وسلم من ولد اسماعيل بهذه الصفة فطهر البيت وماحوله من الشرك ورد الامر الى دين ابراهيم الحنيف والتوحيد الذى لاجله بنى البيت كما قال تعالى (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لاتشرك بي شيئا وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود) وأما تسليط القرامطة على البيت بعد ذلك فانما كان عقوبة بسبب ذنوب الناس ولم يصلوا الى هدمه ونقضه ومنع الناس من حجه وزيارته كما كان يفعل أصحاب الفيل لوقدروا على هدمه وصرف الناس عن حجه

والقرامطة أخذوا الحجر والباب وقتلوا الحاج وسلبوهم أموالهم ولم يتمكنوا من منع الناس من حجه بالكلية ولاقدروا على هدمه بالكلية كما كان أصحاب الفيل يقصدونه ثم أذلهم الله بعد ذلك وخذلهم وهتك أستارهم وكشف أسرارهم والبيت المعظم باق على حاله من التعظيم والزيارة والحج والاعتمار والصلاة اليه لم يبطل شيء من ذلك عنه بحمد الله ومنه وغاية أمرهم انهم أخافوا حج العراق حتى انقطعوا بعض السنين ثم عادوا ولم يزل الله يمتحن عباده المؤمنين بما يشاء من المحن ولكن دينه قائم محفوظ لايزال تقوم به أمة من أمة محمد صلى الله عليه وسلم لايضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك كما قال تعالى ﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ وقد أخبر النبى صلى الله عليه وسلم ان هذا البيت يحج ويعتمر بعد خروج يأجوج ومأجوج ولايزال كذلك حتى تخربه الحبشة ويلقون حجارته فى البحر وذلك بعد أن يبعث الله ريحا طيبة تقبض أرواح المؤمنين كلهم فلا يبقى على الارض مؤمن ويسرى بالقرآن من الصدور والمصاحف فلا يبقى فى الارض قرآن ولا ايمان ولاشيء من الخير فبعد ذلك تقوم الساعة ولاتقوم الا على شرار الناس وقوله صلى الله عليه وسلم ويوم أنزلت علىّ فيه النبوة يعنى انه صلى الله عليه وسلم نبيء يوم الاثنين وفى المسند عن ابن عباس قال ولد النبى صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين واستنبئ يوم الاثنين وخرج مهاجرا من مكة الى المدينة يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين وتوفى يوم الاثنين ورفع الحجر الاسود يوم الاثنين وذكر ابن اسحاق ان النبوة نزلت يوم الجمعة وحديث أبى قتادة يرد هذا واختلفوا في أى شهر كان ابتداء النبوة فقيل فى رمضان وقيل فى رجب ولايصح وقيل فى ربيع الاول وقيل انه نبيء يوم الاثنين لثمان من ربيع الاول وأما الاسراء فقيل كان فى رجب وضعفه غير واحد وقيل كان فى ربيع الاول وهو قول ابراهيم الحربي وغيره وأما دخول المدينة ووفاته فكانا فى ربيع الاول بغير خلاف مع اختلاف فى تعيين ذلك اليوم

من أيام الشهر وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم لما سئل عن صيام يوم الاثنين ذاك يوم ولدت فيه وأنزلت عليّ فيه النبوة اشارة الى استحباب صيام الايام التي تتجدد فيها نعم الله على عباده فان أعظم نعم الله على هذه الامة اظهار محمد صلى الله عليه وسلم لهم وبعثته وارساله اليهم كما قال تعالى ﴿ لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ﴾ فان النعمة على الامة بارساله أعظم من النعمة عليهم بايجاد السماء والارض والشمس والقمر والرياح والليل والنهار وانزال المطر واخراج النبات وغير ذلك فان هذه النعم كلها قد عمت خلقا من بني آدم كفروا بالله وبرسله وبلقائه فبدلوا نعمة الله كفرا فأما النعمة بارسال محمد صلي الله عليه وسلم فان بها تمت مصالح الدنيا والآخرة وكمل بسببها دين الله الذي رضيه لعباده وكان قبوله سبب سعادتهم في دنياهم وآخرتهم فصيام يوم تجددت فيه هذه النعم من الله على عباده المؤمنين حسن جميل وهو من باب مقابلة النعم في أوقات تجددها بالشكر ونظير هذا صيام يوم عاشوراء حيث أنجى الله فيه نوحا من الغرق ونجى فيه موسى وقومه من فرعون وجنوده وأغرقهم في اليم فصامه نوح وموسى شكرا لله فصامه رسول الله صلى الله عليه وسلم متابعة لانبياء الله وقال لليهود نحن أحق بموسى منكم وصامه وأمر بصيامه وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتحري صيام يوم الاثنين ويوم الخميس روي ذلك عنه من حديث عائشة وأبي هريرة واسامة بن زيد وفي حديث اسامة انه سأله عن ذلك فقال انهما يومان تعرض فيها الاعمال على رب العالمين فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم وفي حديث أبي هريرة انه سئل عن ذلك فقال انه يغفر فيهما لكل مسلم الا مهتجرين يقول دعهما حتى يصطلحا وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعا تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله الا رجل كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال انظروا هذين حتى يصطلحا ويروي من حديث أبي امامة مرفوعا ترفع الاعمال يوم الاثنين والخميس فيغفر للمستغفرين ويترك أهل الحقد كما هم وفي المسند عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أن أعمال بني آدم تعرض على

كل خميس ليلة الجمعة فلا يقبل عمل قاطع رحم كان بعض التابعين يبكي الى امرأته يوم الخميس وتبكي اليه ويقول اليوم تعرض أعمالنا على الله عزوجل يامن يبهرج بعمله على من تبهرج والناقد بصير يامن يسوف بتطويل أمله الى كم تسوف والعمر قصير شعر

صروف الحتف مترعة الكؤس   تدور على الرعايا والرؤس
فلا تتبع هواك فكل شخص   يصير الى بلى والى دروس
وخف من هول يوم قمطرير   مخوف شره ضنك عبوس
فمالك غير تقوي الله زاد   وفملك حين تقبر من أنيس
فحسنه ليعرض مستقيما   ففى الاثنين يعرض والخميس

﴿ المجلس الثالث فى ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴾

في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر فقال ان عبدا خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ماشاء وبين ماعنده فاختار ماعنده فبكي أبو بكر وقال يارسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال فعجبنا وقال الناس انظروا الى هذا الشيخ يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ماشاء وبين ماعندالله وهو يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير وكان أبو بكر هو أعلمنا به فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان من أمن الناس على فى صحبته وماله أبو بكر ولو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لاتبقى فى المسجد خوخة الاسدت الاخوخة أبي بكررضى الله عنه الموت مكتوب على كل حى الانبياء والرسل وغيرهم قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ انك ميت وانهم ميتون ﴾ وقال ﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشر والخير فتنة والينا ترجعون ﴾ وقال (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أوقتل انقلبتم على أعقابكم)

الآيتين خلق الله تعالي آدم من تراب الارض ونفخ فيه من روحه فكانت روحه فى جسده وأرواح ذريته فى أجسادهم في هذه الدار عارية وقضى عليه وعلى ذريته انه لابد من أن يسترد أرواحهم من هذه الاجساد و يعيد أجسادهم الى ماخلقت منه وهو التراب ووعد أن يعيد الاجساد من الارض مرة ثانية ثم يردإليها الارواح مرة ثانية تمليكا دائما لارجعة فيه فى دار البقاء قال الله تعالى (قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون) وقال (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى) وقال (والله أنبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا) وأرانا دليلا في هذه الدار على اعادة الاجساد من التراب بانبات الزرع من الارض واحياء الارض بعد موتها بالمطر ودليلا على اعادة الارواح الى أجسادها بعد المفارقة بقبض أرواح العباد فى منامهم وردها اليهم فى يقظتهم كما قال تعالى (الله يتوفي الانفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى أجل مسمى ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون) وفى مسند البزار عن أنس ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لهم لما ناموا عن الصلاة ان هذه الارواح عارية فى أجساد العباد فيقبضها اذا شاء ويرسلها اذا شاء شعر

استعدي للموت يانفس واسعي — لنجاة فالحازم المستعد
قد تيقنت انه ليس للحى — خلود ولا من الموت بد
انما أنت مستعيرة ما سوف تردين والعوارى ترد

شعر

فما أهل الحياة لنا باهل — ولا دار الحياة لنا بدار
وما أموالنا والاهل فيها — ولا أولادنا الا عواري
وأنفسنا الى أجل قريب — سيأخذها المعير من المعار

مفارقة الجسد للروح لاتقع الا بعد ألم عظيم تذوقه الروح والجسد جميعا فان الروح قد تعلقت بهذا الجسد وألفته واشتدت الفتها له وامتزاجها به ودخولها فيه حتى صارا

كالشئ الواحد فلايتفارقان الا بجهد شديد وألم عظيم ولم يذق ابن آدم حياته ألما مثله والى ذلك الاشارة بقول الله عزوجل ﴿ كل نفس ذائقة الموت ﴾ قال الربيع بن خثيم أكثروا ذكر هذا الموت فانكم لم تذوقوا قبله مثله ويتزايد الالم بمعرفة المحتضر فان جسده اذا فارقته الروح صار جيفة مستقذرة يأكله الهوام ويبليه التراب حتى يعود ترابا وان الروح المفارقة له لاتدري أين مستقرها هل هو فى الجنة أوالنار فان كان عاصيا مصرا على المعصية الى الموت فربما غلب على ظنه ان روحه تصير الى النار فتتضاعف بذلك حسرته وألمه وربما كشف له مع ذلك عن مقعده من النار فرآه أو يبشر بذلك فيجتمع له مع كرب الموت وألمه العظيم معرفته بسوء مصيره وهذا هو المراد بقول الله عزوجل (والتفت الساق بالساق) على مافسر به كثير من السلف فيجتمع عليه سكرة الموت مع حسرة الفوت فلا يسأل عن سوء حاله وقد سمى الله تعالى ذلك سكرة لان ألم الموت مع ماينضم اليه يسكر صاحبه فيغيب عقله غالبا قال الله تعالى (وجاءت سكرة الموت بالحق)

ألا للموت كأس اى كأس　　وأنت لكأسه لابد حاسى
الى كم والممات الى قريب　　تذكر بالممات وأنت ناسى

وقد أمر النبى صلى الله عليه وسلم بكثرة ذكر الموت فقال أكثروا ذكر هاذم اللذات الموت وفي حديث مرسل انه صلى الله عليه وسلم مر بمجلس قد استعلاه الضحك فقال شوبوا مجالسكم بذكر مكدر اللذات الموت وفى الاكثار من ذكر الموت فوائد منها انه يحث على الاستعداد له قبل نزوله ويقصر الامل ويرضى بالقليل من الرزق ويزهد في الدنيا ويرغب فى الآخرة ويهون مصائب الدنيا ويمنع من الاشر والبطر والتوسع فى لذات الدنيا وفى حديث أبى ذر المرفوع الذى خرجه ابن حبان فى صحيحه وغيره ان صحف موسى كانت عبرا كلها عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجبت لمن أيقن بالنار كيف يضحك عجبت لمن أيقن بالقدر كيف ينصب عجبت لمن رأى الدنيا وسرعة تقلبها بأهلها كيف يطمئن اليها وقدروى ان الكنز الذى كان للغلامين

كان لوحا من ذهب مكتوب فيه هذا أيضا قال الحسن ان هذا الموت قد أفسد على أهل النعيم نعيمهم فالتمسوا عيشا لاموت فيه وقال فضح الموت الدنيا فلم يدع لذى لب بها فرحا وقال غيره ذهب ذكر الموت بلذاذة كل عيش وسرور كل نعيم ثم بكى وقال واها لدار لاموت فيها شعر

اذكر الموت هاذم اللذات　　وتهيا لمصرع سوف ياتي

غيره

ياغافل القلب عن ذكر المنيات　　عما قليل ستلقى بين أموات

فاذكر محلك من قبل الحلول به　　وتب الى الله من لهو ولذات

ان الحمام له وقت الى أجل　　فاذكر مصائب أيام وساعات

لا تطمئن الى الدنيا وزينتها　　قدآن للموت ياذا اللب أن ياتى

قال بعض السلف شيئان قطعا عنى لذاذة الدنيا ذكر الموت والوقوف بين يدى الله عزوجل شعر

وكيف يلذ العيش من كان موقنا　　بأن المنايا بغتة ستعاجله

وكيف يلذ العيش من كان موقنا　　بأن اله الخالق لا بد سائله

قال أبو الدرداء كفى بالموت واعظا وكفى بالدهر مفرقا اليوم في الدور وغدا فى القبور شعر

اذكر الموت وداوم ذكره　　ان فى الموت لذي اللب عبر

وكفى بالموت فاعلم واعظا　　لمن الموت عليه قد قدر

غفلة الانسان عن الموت مع انه لابد له منه من العجب والموجب له طول الامل شعر

كلنا فى غفلة والموت يغدو ويروح

لبنى الدنيا من الموت غبوق وصبوح

سيصير المرء يوما جسدا مافيه روح

بين عينى كل حى علم الموت يلوح

نح على نفسك يامسكين ان كنت تنوح

لتمـوتن ولو عمـرت ما عمر نوح

لما كان الموت مكروها بالطبع لمافيه من الشدة والمشقة العظيمة لم يمت نبى من الانبياء حتى يخير ولذلك وقع التردد فيه في حق المؤمن كما فى حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم يقول الله عزوجل وما ترددت[1] عن شئ أنا فاعله ترددى فى قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولابد له منه كما رواه البخارى قال ابن أبي مليكة لما قبض ابراهيم عليه السلام قال الله عزوجل له كيف وجدت الموت قال يارب كان نفسى تنزع بالسلى فقال هذا وقد هونا عليك الموت وقال أبو اسحاق قيل لموسي عليه السلام كيف وجدت طعم الموت قال وجدته كسفود أدخل فى صوف فاجتذب قال هذا وقد هونا عليك الموت ويروي أن عيسى عليه السلام كان اذا ذكر الموت يقطر جلده دما وكان يقول للحواريين ادعوا الله أن يخفف عني الموت فلقد خفت الموت خوفا أوقفني مخافة الموت على الموت كيف يطمع في البقاء ومامن الانبياء الامن مات أم كيف يؤمن هجوم المنايا ولم يسلم الاصفياء والاحباء هيهات هيهات

قد مات كل نبى ومات كل نبيه
ومات كل شريف وعاقل وسفيه
لا يوحشنك طريق كل الخلائق فيه

أول ما أعلم النبى صلى الله عليه وسلم من انقضاء عمره باقتراب أجله بنزول سورة (اذا جاء نصر الله والفتح) وقيل لابن عباس رضى الله عنهما هل كان يعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم متى يموت قال نعم قيل ومن أين قال ان الله تعالى جعل علامة موته فى هذه السورة (اذا جاء نصر الله والفتح) يعني فتح مكة (ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا) ذاك علامة موته وقد كان نعى نفسه الى فاطمة عليها السلام فان المراد من هذه السورة انك يامحمد اذا فتح الله عليك البلاد ودخل الناس في دينك

(١) نسخة فى

الذى دعوتهم اليه أفواجا فقد اقترب أجلك فتهيأ للقائنا بالتحميد والاستغفار فانه قد حصل منك مقصود ما أمرت به من أداء الرسالة والتبليغ وما عندنا خيرلك من الدنيا فاستعد للنقلة الينا قال ابن عباس لما نزلت هذه السورة نعيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه فاخذ في أشد ما كان اجتهادا فى أمر الآخرة وروى فى حديث انه تعبد حتى صار كالشن البالى وكان يعرض القرآن كل عام على جبريل مرة فعرضه ذلك العام مرتين وكان يعتكف العشر الاواخر من رمضان كل عام فاعتكف في ذلك العام عشرين وأكثر من الذكر والاستغفار قالت أم سلمة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر أمره لايقوم ولايقعد ولايذهب ولايجىء الاقال سبحان الله وبحمده فذكرت ذلك له فقال انى أمرت بذلك وتلاهذه السورة وقالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول قبل موته سبحان الله وبحمده استغفر الله وأتوب اليه فقلت له انك تدعو بدعاء لم تكن تدعو به قبل اليوم قال ان ربى أخبرني انني سأري علما في أمتى وانى اذارأيته أن أسبح بحمده وأستغفره وقد رأيته ثم تلا هذه السورة اذا كان سيد المحسنين يؤمر بأن يختم أعماله بالحسنى فكيف يكون حال المذنب المسىء الملوث بالذنوب المحتاج الى التطهير من لم ينذره باقتراب أجله وحى أنذره الشيب وسلب أقرانه بالموت

كفى مؤذنا باقتراب الاجل ... شباب تولى وشيب نزل
وموت الاقران وهل بعده ... بقاء يؤمله من عقل
اذا ارتحلت قرناء الفتى ... على حكم ريب المنون ارتحل

قال وهب بن الورد ان لله ملكا ينادى فى السماء كل يوم وليلة أبناء الخمسين زرع دنا حصاده أبناء الستين هلموا الى الحساب أبناء السبعين ماذا قدمتم وماذا أخرتم أبناء الثمانين لاعذر لكم وعن وهب قال ينادى مناد أبناء الستين عدوا أنفسكم في الموتى وفي صحيح البخارى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أعذر الله الى من بلغه ستين من عمره وفى حديث آخر اذا كان يوم القيامة نودى أين أبناء الستين

وهو العمر الذى قال الله فيه ﴿ أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر ﴾ وفى الترمذى عنه صلى الله عليه وسلم قال أعمار أمتى مابين الستين الى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك وفى حديث آخر معترك المنايا مابين الستين الى السبعين وفى حديث آخر ان لكل شئ حصادا وحصاد أمتى ما بين الستين الي السبعين وفي هذا المعترك قبض النبي صلى الله عليه وسلم قال سفيان الثورى من بلغ سن رسول الله صلي الله عليه وسلم فليتخذ لنفسه كفنا بيت

وان امرأ قد سار ستين حجة الى منهل من ورده لقريب

قال الفضيل لرجل كم أتي عليك قال ستون سنة قل له أنت منذ ستين سنة تسير الى ربك يوشك أن تبلغ فقال الرجل انا لله وانا اليه راجعون فقال فضيل من علم انه لله عبد وانه اليه راجع فليعلم انه موقوف وانه مسئول فليعد للمسألة جوابا فقال له الرجل فما الحيلة قل يسيرة قال ماهى قال تحسن فيما بقى يغفرلك مامضي فانك ان أسأت فيما بقى أخذت بما مضى ومابقى شعر

خذ في جد فقد تولى العمر كم ذا التفريط قد تدانى الامر
أقبل فعسى يقبل منك العذر كم تبنى كم تنقض كم ذا الغدر

وما زال صلى الله عليه وسلم يعرض باقتراب أجله في آخر عمره فانه لما خطب فى حجة الوداع قال للناس خذوا عنى مناسككم فلعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا وطفق يودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع فلما رجع من حجته الى المدينة جمع الناس بماء يدعى خما فى طريقه بين مكة والمدينة فخطبهم وقال أيها الناس انما أنا بشر يوشك أن يأتينى رسول ربى فاجيب ثم حض على التمسك بكتاب الله ووصى بأهل بيته ثم انه لما بدأ به مرض الموت خير بين لقاء الله وبين زهرة الدنيا والبقاء فيها ماشاء الله فاختار لقاء الله وخطب الناس وأشار اليهم بذلك اشارة من غير تصريح وكان ابتداء مرضه في أواخر شهر صفر وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوما فى المشهور وقيل أربعة عشر يوما وقيل اثنا عشر يوما وقيل عشرة أيام وهو غريب وكانت خطبته التى خطب

بها في حديث أبى سعيد هذا الذى نتكلم عليه ههنا في ابتداء مرضه ففى المسند وصحيح ابن حبان عن أبي سعيد الخدرى قال خرج الينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذي مات فيه وهو معصوب الرأس فقام علي المنبر فقال ان عبدا عرضت عليه الدنيا وزينتها فاختار الآخرة قال فلم يفطن لها أحد من القوم الا أبو بكر فقال بأبي وأمى بل نفديك بأموالنا وأنفسنا وأولادنا قال ثم هبط عن المنبر فما روئي عليه حتى الساعة وفي المسند عن أبى موبهبة ان النبي صلي الله عليه وسلم خرج ليلة الى البقيع فاستغفر لاهل البقيع وقال ليهنكم ما أصبحتم فيه مما أصبح فيه الناس أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع بعضها بعضا يتبع آخرها أولها الآخرة شر من الاولى ثم قال ياأبا موبهبة انى قد أعطيت خزائن الدنيا والخلد ثم الجنة فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربى فاخترت لقاء ربى والجنة ثم انصرف فابتدأه وجعه الذى قبضه الله فيه لما قويت معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم بربه ازداد حبه له وشوقه الى لقائه فلما خير بين البقاء في الدنيا وبين لقاء ربه اختار لقاءه على خزائن الدنيا والبقاء فيها سئل الشبلى هل يقنع المحب بشئ من حبيبه دون مشاهدته فأنشد

والله لو انك توجتنى ... بتاج كسرى ملك المشرق
ولو بأموال الوري جدت لى ... أموال من باد ومن قد بقى
وقلت لى لانلتقى ساعة ... اخترت يامولاى أن نلتقى

لما عرض الرسول صلى الله عليه وسلم على المنبر باختياره للقاء على البقاء ولم يصرح خفي المعنى على كثير ممن سمع ولم يفهم المقصود غير صاحبه الخصيص به ثاني اثنين اذهما فى الغار وكان أعلم الامة بمقاصد الرسول صلى الله عليه وسلم فلما فهم المقصود من هذه الاشارة بكي وقال بل نفديك بأموالنا وأنفسنا وأولادنا فسكن الرسول صلى الله عليه وسلم جزعه وأخذ فى مدحه والثناء عليه علي المنبر ليعلم الناس كلهم فضله ولا يقع عليه اختلاف في خلافته فقال ان من أمن الناس على في صحبته وماله أبو بكر وفي رواية أخري انه قال مالاحد عندنا يد الا وقد كافأناه ماخلا أبابكر فان له عندنا يدايكافئه

الله يوم القيامة بها ومانفعني مال أحد قط مانفعني مال أبي بكر خرجه الترمذي ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذا من أهل الارض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم خليل الله لم يصلح له أن يخالل مخلوقا فان الخليل من جرت محبة خليله منه مجرى الروح ولا يصلح هذا لبشر كما قيل

قد تخللت مسلك الروح مني ... وبذا سمي الخليل خليلا

ولهذا المعنى قيل ان ابراهيم الخليل عليه السلام أمر بذبح ولده ولم يكن المقصود اراقة دم الولد بل تفريغ محل الخلة لمن لا يصلح أن يزاحمه فيها أحد شعر

أروح وقد ختمت على فؤادي ... بحبك أن يحل به سواكا

فلو اني استطعت غضضت طرفي ... فلم أنظر به حتى أراكا

ثم قال صلى الله عليه وسلم لايبقين خوخة فى المسجد الاسدت الاخوخة أبي بكر وفى رواية سدوا هذه الابواب الشارعة فى المسجد الاباب أبي بكر وفي هذا الاشارة الى ان أبا بكر هو الامام بعده فان الامام يحتاج الى سكنى المسجد والاستطراق فيه بخلاف غيره وذلك من مصالح المسلمين المصلين في المسجد ثم أكد هذا المعنى بأمره صريحا أن يصلي بالناس أبو بكر فروجع فى ذلك فغضب وقال مروا أبا بكر فليصل [1] بالناس فولاه امامة الصلاة دون غيره وأبقى استطراقه من داره الى مكان الصلاة وسد استطراق غيره وفي ذلك اشارة واضحة الى استخلافه على الامة دون غيره ولهذا قالت الصحابة عند بيعة أبي بكر رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا فكيف لانرضاه لدنيانا ولما قال أبو بكر قد أقلتكم بيعتي قال علي لانقيلك ولانستقيلك قدمك رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن ذا يؤخرك لما انطوى بساط النبوة من الارض بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم لم يبق على وجه الارض أكمل من درجة الصديقية وأبو بكر رأس الصديقين فلهذا استحق خلافة الرسول والقيام مقامه وكان النبي

(١) نسخة يصلي

صلى الله عليه وسلم قد عزم على أن يكتب لابي بكر كتابا لئلا يختلف عليه ثم أعرض عن ذلك لعلمه أنه لا يقع غيره وقال يأبى الله والمؤمنون الا أبابكر وربما كان ترك ذلك لئلا يتوهم متوهم ان نصه على خلافته كانت مكافأة ليده التى كانت له والولايات كلها لا يقصد بها مصلحة المولى بل مصلحة المسلمين عامة وكان أول ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من مرضه وجع رأسه ولهذا خطب وقد عصب رأسه بعصابة دسماء وكان صداع الرأس والشقيقة يعتريه كثيرا فى حياته ويتألم منه أياما وصداع الرأس من علامات أهل الايمان وأهل الجنة(٧) وقد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه وصف أهل النار فقال هم الذين لا يألمون رؤسهم ودخل عليه اعرابى فقال له يا اعرابى هل أخذك هذا الصداع فقال وما الصداع قال عروق تضرب على الانسان فى رأسه فقال ماوجدت هذا فلما ولى الاعرابي قال النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن ينظر الى رجل من أهل النار فلينظر الى هذا خرجه الامام أحمد والنسائي وقال كعب أجد فى التوراة لولا أن يحزن عبدي المؤمن لعصبت الكافر بعصابة من حديد لا يصدع أبدا وفى المسند عن عائشة رضى الله عنها قالت دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليوم الذى بدئ فيه فقلت وارأساه فقال وددت ان ذلك كان وأنا حى فهيأتك ودفنتك فقلت غيراء كأنى بك فى ذلك اليوم عروسا ببعض نسائك فقال أنا وارأساه ادعو لى أباك وأخاك حتى أكتب لأبى بكر كتابا فاني أخاف أن يقول قائل ويتمنى متمن ويأبي الله والمؤمنون الا أبا بكر وخرجه البخارى بمعناه ولفظه ان عائشة رضى الله عنها قالت وارأساه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك لو كان وأناحى فاستغفر لك وادعو لك قالت عائشة واثكلاه والله انى لاظنك تحب موتى ولو كان ذلك لظللت آخر يومك معرسا ببعض أزواجك فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل أنا وارأساه وذكر بقية الحديث وفى المسند أيضا عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر ببابى كثيرا مايلقى الكلمة ينفع الله بها فمر

(٧) صداع الرأس من علامات أهل الايمان وأهل الجنة

ذات يوم فلم يقل شيئا مرتين أوثلاثا قلت ياجارية ضعى لى وسادة على الباب وعصبت رأسى فمر بي وقال ياعائشة ماشأنك فقلت اشتكى رأسى فقال أنا وارأساه فذهب فلم يلبث الا يسيرا حتى جيء به محمولا فى كساء فدخل على فبعث الي النساء وقال انى اشتكيت اني لاأستطيع أن أدور بينكن فأذن لى فلأكن عند عائشة وفيه أيضا عنها قالت رجع الى النبى صلى الله عليه وسلم ذات يوم من جنازة بالبقيع وأنا أجد صداعا فى رأسى وأنا أقول وارأساه ثم قال ماضرك لومت قبلى فغسلتك وكفنتك ثم صليت عليك ودفنتك فقلت لكأني بك والله لوفعلت ذلك لقد رجعت الى بيتى فاعرست فيه ببعض نسائك فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم بدئ فى وجعه الذى مات فيه فقد تبين ان أول مرضه كان صداع الرأس والظاهر انه كان مع حمى فان الحمى اشتدت به فى مرضه فكان يجلس في مخضب ويصب عليه الماء من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن يتبرد بذلك وكان عليه قطيفة فكانت حرارة الحمى تصيب من وضع يده عليه من فوقها فقيل له في ذلك فقال انا كذلك يشدد علينا البلاء ويضاعف لنا الاجر وقال اني أوعك كما يوعك رجلان منكم ومن شدة وجعه كان يغمى عليه في مرضه ثم يفيق وحصل له ذلك غير مرة فأغمي عليه مرة وظنوا ان وجعه ذات الجنب فلدوه فلما أفاق أنكر ذلك وأمر أن يلد من لده وقال ان الله لم يكن ليسلطها على يعنى ذات الجنب ولكنه من الاكلة التى أكلتها يوم خيبر يعنى انه نقض عليه سم الشاة التى أهدتها له اليهودية فأكل منها يومئذ فكان ذلك يثور عليه احيانا فقال في مرض موته مازالت أكلة خيبر تعاودنى فهذا أوان انقطاع أبهرى وكان ابن مسعود وغيره يقولون انه مات شهيدا من السم وقالت عائشة مارأيت أحدا كان أشد عليه الوجع من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عنده في مرضه سبعة دنانير فكان يأمرهم بالصدقة بها ثم يغمى عليه فيشتغلون بوجعه فدعا بها فوضعها فى كفه وقال ماظن محمد بربه لولقى الله وعنده هذه ثم تصدق بها كلها فكيف يكون حال من لقى الله وعنده دماء المسلمين وأموالهم المحرمة وما ظنه بربه ولم يكن عندهم فى مرضه دهن

للمصباح يوقد فيه فلما اشتد وجعه ليلة الاثنين أرسلت عائشة بالمصباح الى امرأة من النساء فقالت قطري لنا في مصباحنا من عكة السمن فان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمسى في جديد الموت وكان عند عائشة ازار غليظ مما يصنع باليمن وكساء من الملبدة فكانت تقسم بالله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض فيهما ودخلت عليه فاطمة عليها السلام في مرضه فسارها بشئ فبكت ثم سارها فضحكت فسئلت عن ذلك فقالت لا أفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما توفي سئلت فقالت أخبرني أنه يموت في مرضه فبكيت ثم أخبرني اني أول أهله لحوقا به واني سيدة نساء العالمين فضحكت فلما احتضر صلى الله عليه وسلم اشتد به الامر فقالت عائشة ما أغبط أحدا يهون عليه الموت بعد الذى رأيت من شدة موت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان عنده قدح من ماء فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ويقول اللهم أعني على سكرات الموت قالت وجعل يقول لا اله الا الله ان للموت لسكرات وفي حديث مرسل أنه قال اللهم انك تأخذ الروح من بين العصب والقصب والانامل اللهم فاعني على الموت وهونه على ولما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه الكرب قالت فاطمة عليها السلام وا كرب أبتاه فقال لها لا كرب على أبيك بعد اليوم وفي حديث خرجه ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة انه قد حضر من أبيك ما ليس الله بتارك منه أحدا الموافاة يوم القيامة ولم يقبض صلى الله عليه وسلم حتى خير مرة أخرى بين الدنيا والآخرة قالت عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول انه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير فلما نزل به ورأسه على فخذي غشي عليه ساعة ثم أفاق فاشخص بصره الى سقف البيت ثم قال اللهم الرفيق الاعلى فقلت الآن لا يختارنا وعلمت انه الحديث الذى كان يحدثناه وهو صحيح فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها وفي رواية انه قال اللهم اغفرلي وارحمني وألحقني بالرفيق الاعلى وفي رواية انه أصابه بحة شديدة فسمعته يقول ﴿مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا﴾ قالت فظننت انه خير وهذه الروايات مخرجة في

صحيح البخارى وغيره وقد روى مايدل على انه قبض ثم رأى مقعده من الجنة ثم ردت اليه نفسه ثم خير ففى المسند عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول مامن نبي الا يقبض نفسه ثم يرى الثواب ثم ترد اليه فيخير بين أن ترد اليه أو يلحق فكنت قد حفظت ذلك منه فاني لمسندته الى صدري فنظرت اليه حتى مالت عنقه فقلت قد قضي قالت فعرفت الذى قال فنظرت اليه حتى ارتفع ونظر فقالت اذا والله لا يختارنا فقال ﴿مع الرفيق الاعلى في الجنة مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾ الى آخر الآية وفي صحيح ابن حبان عنها قالت أغمى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه في حجرى فجعلت أمسحه وأدعو له بالشفاء فلما أفاق قال لابل أسأل الله الرفيق الاعلى مع جبريل وميكائيل واسرافيل وفيه وفي المسند عنها انها كانت ترقيه فى مرضه الذي مات فيه فقال ارفعي يدك فانها كانت تنفعني فى المدة قال الحسن لما كرهت الانبياء الموت هون الله ذلك عليهم بلقاء الله وبكل ماأحبوا من تحفة أوكرامة حتى ان نفس أحدهم انتزع من بين جنبيه وهو يحب ذلك لما قد مثل له وفى المسند عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال انه ليهون علىَّ الموت اني رأيت بياض كف عائشة فى الجنة وخرجه ابن سعد وغيره مرسلا انه صلى الله عليه وسلم قال لقد أريتها فى الجنة ليهون بذلك علىَّ موتى كأني أرى كفيها يعنى عائشة كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب عائشة رضي الله عنها حبا شديداً حتى لايكاد يصبر عنها فمثلت له بين يديه في الجنة ليهون عليه موته فان العيش انما يطيب باجتماع الاحبة وقد سأله رجل أى الناس أحب اليك فقال عائشة فقال له فمن الرجال قال أبوها ولهذا قال لها في ابتداء مرضه لما قالت وارأساه وددت ان ذلك كان وأنا حى فاصلي عليك وأدفنك فعظم ذلك عليها وظنت انه يحب فراقها وانما كان يريد تعجيلها بين يديه ليقرب اجتماعهما وقد كانت عائشة مضغت له صلى الله عليه وسلم سواكا وطيبته بريقها ثم دفعته اليه فاستن به أحسن استنان ثم ذهب يتناوله فضعفت يده عنه فسقط من يده فكانت عائشة تقول

جمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة والحديث مخرج في الصحيحين وفي حديث خرجه العقيلي انه صلى الله عليه وسلم قال لها في مرضه ائتيني بسواك رطب امضغيه ثم ائتيني به أمضغه لكي يختلط ريقي بريقك لكي يهون به علي عند الموت قال جعفر بن محمد عن أبيه لما بقي من أجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث نزل عليه جبريل عليه السلام فقال يا أحمد ان الله قد أرسلني اليك اكراما لك وتفضيلا لك وخاصة لك يسألك عما هو أعلم به منك يقول لك كيف تجدك فقال أجدني ياجبريل مغموما وأجدني ياجبريل مكروبا ثم أتاه في اليوم الثاني فقال له مثل ذلك ثم أتاه في اليوم الثالث فقال له مثل ذلك ثم استأذن فيه ملك الموت فقال جبريل يا أحمد هذا ملك الموت يستأذن عليك ولم يستأذن علي آدمي كان قبلك ولا يستأذن على آدمي بعدك قال ائذن له فدخل ملك الموت فوقف بين يديه فقال يارسول الله يا أحمد ان الله أرسلني اليك وأمرني أن أطيعك في كل ماتأمر ان أمرتني أن أقبض نفسك قبضتها وان أمرتني أن أتركها تركتها قال وتفعل ذلك ياملك الموت قال بذلك أمرت أن أطيعك في كل ما أمرتني به فقال جبريل يا أحمد ان الله قد اشتاق اليك قال فامض ياملك الموت لما أمرت به فقال جبريل عليه السلام السلام عليك يارسول الله هذا آخر موطىء من الارض انما كنت حاجتي من الدنيا وجاءت التعزية يسمعون الصوت والحس ولا يرون الشخص السلام عليكم ياأهل البيت ورحمة الله وبركاته (كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة) ان في الله عزاء من كل مصيبة وخلفا من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا واياه فارجوا انما المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وكانت وفاته صلى الله عليه وسلم في يوم الاثنين في شهر ربيع الاول بغير خلاف وكان قد كشف الستر في ذلك اليوم والناس في صلاة الصبح خلف أبي بكر فهم المسلمون أن يفتتنوا من فرحهم برؤيته صلى الله عليه وسلم حين نظروا الي وجهه كأنه ورقة مصحف وظنوا انه يخرج للصلاة فأشار اليهم ان مكانكم ثم أرخى الستر وتوفي صلى الله عليه وسلم من ذلك اليوم وظن المسلمون أنه

صلى الله عليه وسلم قد برئ من مرضه لما أصبح يوم الاثنين مفيقا فخرج أبو بكر الى منزله بالسنح خارج المدينة فلما ارتفع الضحى من ذلك اليوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل توفي حين زاغت الشمس والاول أصح وانه توفي حين اشتد الضحى من يوم الاثنين في مثل الوقت الذى دخل فيه المدينة حين هاجر اليها واختلفوا فى تعيين ذلك اليوم من الشهر فقيل كان أوله وقيل ثانيه وقيل ثاني عشره وقيل ثالث عشره وقيل خامس عشره والمشهور بين الناس انه كان ثاني عشر ربيع الاول وقد رد ذلك السهيلي وغيره بأن وقفة حجة الوداع فى السنة العاشرة كانت الجمعة وكان أول ذى الحجة فيها الخميس ومتى كان كذلك لم يصح أن يكون يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الاول سواء حسبت الشهور الثلاثة أعنى ذا الحجة ومحرما وصفرا كلها كاملة أو ناقصة أو بعضها كاملة و بعضها ناقصة ولكن أجيب عن هذا بجواب حسن وهو ان ابن اسحاق ذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم توفي لاثنتى عشرة ليلة من ربيع الاول وهذا ممكن فان العرب تؤرخ بالليالى دون الايام ولكن لاتؤرخ الا بليلة مضى يومها فيكون اليوم تبعا لليلة وكل ليلة لم يمض يومها لم يعتد بها وكذلك اذا ذكروا الليالى فى عدد فانهم يريدون بها الليالى مع أيامها فاذا قالوا عشر ليال فمرادهم بايامها ومن هنا يتبين صحة قول الجمهور فى ان عدة الوفاة أربعة أشهر وعشر ليال بايامها وان اليوم العاشر من جملة تمام المدة خلافا للاوزاعي وكذلك قال الجمهور فى أشهر الحج انها شوال وذو القعدة وعشر من ذى الحجة وان يوم النحر داخل فيها لهذا المعنى خلافا للشافعى وحينئذ فيوم الاثنين الذى توفى فيه النبي صلى الله عليه وسلم كان ثالث عشر الشهر لكن لما لم يكن يومه قد مضى لم يؤرخ بليلته انما أرخوا بليلة الاحد ويومها وهو الثانى عشر فلذلك قال ابن اسحاق توفي لاثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الاول والله أعلم واختلفوا في وقت دفنه فقيل دفن من ساعته وفيه بعد وقيل من ليلة الثلاثاء وقيل يوم الثلاثاء وقيل ليلة الاربعاء ولما توفى صلى الله عليه وسلم اضطرب المسلمون فمنهم من دهش فخولط ومنهم من أقعد فلم يطق القيام ومنهم من اعتقل لسانه فلم يطق

الكلام ومنهم من أنكر موته بالكلية وقال انما بعث اليه كما بعث الى موسى وكان من هؤلاء عمر وبلغ الخبر أبا بكر فأقبل مسرعا حتى دخل بيت عائشة ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى فكشف عن وجهه الثوب وأكب عليه وقبل جبهته مرارا وهو يبكي وهو يقول وانبياه واخليلاه واصفياه وقال انا لله وانا اليه راجعون مات والله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال والله لا يجمع الله عليك موتتين أما الموتة التي كتب الله عليك فقدمتها ثم دخل المسجد وعمر يكلم الناس وهم مجتمعون عليه فتكلم أبو بكر وتشهد وحمد الله فاقبل الناس اليه وتركوا عمر فقال من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت وتلا ﴿ وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ﴾ الآية فاستيقن الناس كلهم بموته وكأنهم لم يسمعوا هذه الآية من قبل أن يتلوها أبو بكر فتلقاها الناس منه فما يسمع أحد الا يتلوها وقالت فاطمة عليها السلام يا أبتاه أجاب ربا دعاه يا أبتاه جنة الفردوس مأواه يا أبتاه الى جبريل أنعاه يا أبتاه من ربه ما أدناه وعاشت بعده ستة أشهر فما ضحكت في تلك المدة وحق لها ذلك

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه ... وان كان من ليلى على الهجر طاويا

كل المصائب تهون عند هذه المصيبة في سنن ابن ماجه انه صلى الله عليه وسلم قال في مرضه يا أيها الناس ان أحد من الناس أو المؤمنين أصيب بمصيبة فليتعز بمصيبته بي عن المصيبة التي تصيبه بغيري فان أحدا من أمتي ان يصاب بمصيبة بعدي أشد عليه من مصيبتي قال أبو الجوزاء كان الرجل من أهل المدينة اذا أصابته مصيبة جاء أخوه فصافحه ويقول يا عبد الله اتق الله فان في رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة شعر

اصبر لكل مصيبة وتجلد ... واعلم بان المرء غير مخلد
واصبر كما صبر الكرام فانها ... نوب تنوب اليوم تكشف في غد
واذا أتتك مصيبة تشجى بها ... فاذكر مصابك بالنبي محمد

ولبعضهم

تذكرت لما فرق الدهر بيننا　　فعـزيت نفسي بالنبي محمـد
وقلت لها ان المنايا سبيلنا　　فمن لم يمت في يومه مات في غد

كانت الجمادات تتصدع من ألم مفارقة الرسول فكيف بقلوب المؤمنين لما فقده الجـذع الذي كان يخطب اليه قبل اتخاذ المنبر حن اليه وصاح كما يصيح الصبي فنزل اليه فاعتنقه فجعل يهدى كما يهدى الصـبي الذي يسكن عنـد بكائه فقال لو لم أعتنقه لحن الى يوم القيامة كان الحسن اذا حدث بهذا الحديث بكى وقال هذه خشـبة تحن الى رسول الله صـلى الله عليه وسلم فأنتم أحق أن تشتاقوا اليـه وروى ان بلالا كان يؤذن بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم قبل دفنه فاذا قال أشهد أن محمدا رسول الله ارتج المسجد بالبكاء والنحيب فلما دفن ترك بلال الاذان ما أمر عيش من فارق الاحباب خصوصا من كانت رؤيته حياة الالباب شعر

لو ذاق طعم الفراق رضوى　　لكاد من وجـده يميد
قد حمـلونى عـذاب شوق　　يعجز عن حمله الحـديد

لما دفن الرسول صلى الله عليه وسلم قالت فاطمة كيف طابت أنفسكم أن تحثوا التراب على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أنس لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينـة أضاء منها كل شئ فلما كان اليوم الذى دفن فيه أظلم منها كل شئ وما نفضنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب وانا لفى دفنه حتى أنكرنا قلوبنا

ليبك رسول الله من كان باكيا　　فلا تنس قـبرا بالمدينـة ثاويا
جزى الله عنا كل خـير محمدا　　فقد كان مهديا وقد كان هاديا
وكان رسول الله روحا ورحمـة　　ونورا وبرهانا من الله باديا
وكان رسول الله بالخير آمرا　　وكان عن الفحشاء والسوء ناهيا
وكان رسول الله بالقسط قائمـا　　وكان لما استرعاه مولاه راعيا

وكان رسول الله يدعو الى الهدى | فلبي رسول الله لبيه داعيا
أينسى أبر الناس بالناس كلهم | وأكرمهم بيتا وشعبا وواديا
أينسى رسول الله أكرم من مشى | وآثاره بالمسجدين كما هيا
تكدر من بعد النبي محمد | عليه سلام كل ما كان صافيا
ركنا الى الدنيا الدنية بعده | وكشفت الاطماع منا مساويا
وكم من منار كان أوضحه لنا | ومن علم أمسى وأصبح عافيا
اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى | تقلب عريانا وان كان كاسيا
وخير خصال المرء طاعة ربه | ولا خير فيمن كان لله عاصيا

﴿ وظيفة شهر رجب ﴾

خرجا في الصحيحين من حديث أبي بكرة ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حجة الوداع فقال في خطبته ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادي وشعبان وذكر الحديث قال الله عزوجل ﴿ ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم ﴾ فأخبر سبحانه انه منذ خلق السموات والارض وخلق الليل والنهار يدوران في الفلك وخلق ما في السماء من الشمس والقمر والنجوم وجعل الشمس والقمر يسبحان في الفلك وينشأ منهما ظلمة الليل وبياض النهار فمن حينئذ جعل السنة اثني عشر شهرا بحسب الهلال فالسنة في الشرع مقدرة بسير القمر وطلوعه لا بسير الشمس وانتقالها كما يفعله أهل الكتاب وجعل الله تعالى من هذه الاشهر أربعة أشهر حرما وقد فسرها النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث وذكر أنها ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو شهر رجب وهذا قد يستدل به من يقول أنها من سنتين وقد روى من حديث ابن عمر مرفوعا أولهن رجب وفي اسناده موسى بن عبيدة وفيه ضعف شديد من قبل

حفظه وقد حكي عن اهل المدينة أنهم جعلوها من سنتين وان أولها ذوالقعدة ثم ذوالحجة ثم المحرم ثم رجب فيكون رجب آخرها وعن بعض المدنيين ان أولها رجب ثم ذوالقعدة ثم ذوالحجة ثم المحرم وعن بعض أهل الكوفة انها من سنة واحدة أولها المحرم ثم رجب ثم ذوالقعدة ثم ذو الحجة واختلف في أي هذه الاشهر الحرم أفضل فقيل رجب قاله بعض الشافعية وضعفه النووي وغيره وقيل المحرم قاله الحسن ورجحه النووي وقيل ذوالحجة روي عن سعيد بن جبير وغيره وهو أظهر والله أعلم وقوله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا مراده بذلك ابطال ما كانت الجاهلية تفعله من النسيء كما قال تعالى ﴿ انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ماحرم الله فيحلوا ماحرم الله﴾ وقد اختلف في تفسير النسيء فقالت طائفة كانوا يبدلون بعض الاشهر الحرم بغيرها من الاشهر فيحرمونها بدلها ويحلون ما أرادوا تحليله من الاشهر الحرم اذا احتاجوا الى ذلك ولكن لايزيدون في عدد الاشهر الهلالية شيئا ثم من أهل هذه المقالة من قال كانوا يحلون المحرم فيستحلون القتال فيه لطول مدة التحريم عليهم بتوالي ثلاثة أشهر محرمة ثم يحرمون صفر مكانه فكأنهم يقترضونه ثم يوفونه ومنهم من قال كانوا يحلون المحرم مع صفر من عام ويسمونهما صفرين ثم يحرمونهما من عام قابل ويسمونهما محرمين قاله ابن زيد بن أسلم وهو ضعيف وزيد بن أسلم ثقة وهو من رجال الصحيح وقيل بل كانوا ربما احتاجوا الى صفر أيضا فاحلوه وجعلوا مكانه ربيعا ثم يدور كذلك التحريم والتحليل والتأخير الى ان جاء الاسلام ووافق حجة الوداع صار رجوع التحريم الى محرم الحقيقي وهذا هو الذي رجحه أبو عبيد وعلى هذا فالتغير انما وقع في عين الاشهر الحرم خاصة وقالت طائفة أخرى بل كانوا يزيدون في عدد شهور السنة وظاهر الآية يشعر بذلك حيث قال الله تعالى ﴿ ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا﴾ فذكر هذا توطئة لهدم النسيء وابطاله ثم من هؤلاء من قال كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهرا قاله مجاهد وأبومالك قال أبو مالك كانوا يجعلون السنة

ثلاثة عشر شهرا ويجعلون المحرم صفرا وقال مجاهد كانوا يسقطون المحرم ثم يقولون صفرين لصفر وربيع الاول وربيع الآخر ثم يقولون شهرا ربيع ثم يقولون لرمضان شعبان ولشوال رمضان ولذى القعدة شوال ولذى الحجة ذوالقعدة على وجه ماابتدأوا وللمحرم ذوالحجة فيعدون ماناسؤا على مستقبله على وجه ماابتدأوا وعنه قال كانت الجاهلية يحجون في كل شهر من شهور السنة عامين فوافق حج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذي الحجة فقال هذا يوم استدار الزمان كهيئته يوم خلق الله السموات والارض ومن هؤلاء من قال كانت الجاهلية يجعلون الشهور اثنى عشر شهرا وخمسة أيام قاله اياس بن معاوية وهذا العدد قريب من عدد السنة الرومية ولهذا جاء في مراسيل عكرمة بن خالد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم النحر والشهر هكذا وهكذا وهكذا وخنس ابهامه فى الثالثة وهكذا وهكذا وهكذا يعنى ثلاثين فاشار الى ان الشهر هلالى ثم تارة ينقص وتارة يتم ولعل أهل النسيء كانوا يتمون الشهور كلها ويزيدون عليها والله أعلم وقد قيل ان ربيعة ومضر كانوا يحرمون أربعة أشهر من السنة مع اختلافهم في تعيين رجب منها كما سنذكره ان شاء الله تعالى وكانت بنو عوف بن لؤي يحرمون من السنة ثمانية أشهر وهذا مبالغة فى الزيادة على ماحرم الله واختلفوا في أى عام عاد الحج الى ذى الحجة على وجهه واستدار الزمان فيه كهيئته فقالت طائفة انما عاد على وجهه فى حجة الوداع وأما حجة أبي بكر الصديق فكانت قد وقعت فى ذي القعدة هذا قول مجاهد وعكرمة بن خالد وغيرهما وقد قيل انه اجتمع فى ذلك العام حج الامم كلها فى وقت واحد فلذلك سمى يوم الحج الاكبر وقالت طائفة بل وقعت حجة الصديق فى ذى الحجة قاله الامام أحمد وأنكر قول مجاهد واستدل بأن النبي صلى الله عليه وسلم أمر عليا فنادى يوم النحر لايحج بعد العام مشرك وفي رواية واليوم يوم الحج الاكبر وقد قال الله تعالى ﴿ وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله برىء من المشركين ورسوله ﴾ فسماه يوم الحج الاكبر وهذا يدل على ان النداء وقع فى ذي الحجة وخرج الطبراني فى أوسطه من

حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قل كان العرب يحلون عاما شهرا وعاما شهرين ولا يصيبون الحج الا فى كل ستة وعشرين سنة مرة واحدة وهو النسيء الذى ذكره الله فى كتابه فلما كان عام حج أبي بكر الصديق بالناس وافق في ذلك العام الحج فسماه الله يوم الحج الاكبر ثم حج النبي صلى الله عليه وسلم في العام المقبل فاستقبل الناس الاهلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وقيل بل استدارة الزمان كهيئته كان من عام الفتح وخرج البزار فى مسنده من حديث سمرة بن جندب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم يوم الفتح ان هذا العام الحج الاكبر قد اجتمع حج المسلمين وحج المشركين فى ثلاثة أيام متتابعات واجتمع حج اليهود والنصارى في ستة أيام متتابعات ولم يجتمع منذ خلق الله السموات والارض ولا يجتمع بعد العام حتى تقوم الساعة وفى اسناده يوسف السمتي وهو ضعيف جدا واختلفوا لم سميت هذه الاشهر الاربعة حرما فقيل لعظم حرمتها وحرمة الذنب فيها قال على بن أبي طلحة عن ابن عباس اختص الله أربعة أشهر جعلهن حرما وعظم حرماتهن وجعل الذنب فيهن أعظم وجعل العمل الصالح والاجر أعظم قل كعب اختار الله الزمان فاحبه الى الله الاشهر الحرم وقد روى مرفوعا ولا يصح رفعه وقد قيل في قوله تعالى ﴿ فلا تظلموا فيهن أنفسكم ﴾ ان المراد فى الاشهر الحرم وقيل بل فى جميع شهور السنة وقيل انما سميت حرما لتحريم القتال فيها وكان ذلك معروفا فى الجاهلية وقيل انه كان من عهد ابراهيم عليه السلام وقيل ان سبب تحريم هذه الاشهر الاربعة بين العرب لاجل التمكن من الحج والعمرة فحرم شهر ذي الحجة لوقوع الحج فيه وحرم معه شهر ذى القعدة للسير فيه الى الحج وشهر المحرم للرجوع فيه من الحج حتى يأمن الحاج على نفسه من حين يخرج من بيته الى أن يرجع اليه وحرم شهر رجب للاعتمار فيه فى وسط السنة فيعتمر فيه من كان قريبا من مكة وقد شرع الله فى أول الاسلام تحريم القتال فى الشهر الحرام قل تعالى ﴿ لاتحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ﴾ وقال تعالى ﴿ يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال

فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل﴾ وخرج ابن أبي حاتم باسناده عن جندب بن عبد الله ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث رهطا وبعث عليهم عبد الله بن جحش فلقوا ابن الحضرمي فقتلوه ولم يدروا ان ذلك من رجب أومن جمادي فقال المشركون للمسلمين قتلتم فى الشهر الحرام فانزل الله عزوجل ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير﴾ الآية وروي السدى عن أبي مالك وعن أبى صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود فى هذه الآية فذكروا هذه القصة مبسوطة وقالوا فيها فقال المشركون يزعم محمد انه يتبع طاعة الله وهو أول من استحل الشهر الحرام فقال المسلمون انما قتلناه فى جمادى وقيل في أول رجب وآخر ليلة من جمادي وغمد المسلمون سيوفهم حين دخل شهر رجب وأنزل الله تعالى تعييرا لاهل مكة ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير﴾ لايحل وماصنعتم أنتم يامعشر المشركين أكبر من القتل فى الشهر الحرام حين كفرتم بالله وصددتم عن محمد وأصحابه واخراج أهل المسجد الحرام حين أخرجوا منه محمدا صلى الله عليه وسلم أكبر من القتل عند الله وقد روى عن ابن عباس هذا المعنى من رواية العوفي عنه ومن رواية أبى سعد البقال عن عكرمة عنه ومن رواية الكلبى عن أبى صالح عنه وذكر ابن اسحاق ان ذلك كان فى آخر يوم من رجب وانهم خافوا ان أخروا القتال أن يسبقهم المشركون فيدخلوا الحرم فيأمنوا وانهم لما قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم ماأمرتكم في الشهر الحرام ولم يأخذ من غنيمتهم شيئا وقالت قريش قد استحل محمد وأصحابه الشهر الحرام فقال من بمكة من المسلمين انما قتلوهم فى شعبان فلما أكثر الناس فى ذلك نزل قوله تعالى ﴿يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه﴾ الآية وروي نحو هذا السياق عن عروة والزهرى وغيرهما وقيل انها كانت أول غنيمة غنمها المسلمون وقال عبد الله بن جحش في ذلك وقيل انها لابي بكر الصديق رضى الله عنه شعر

تعدون قتلا فى الحرام عظيمة ... وأعظم منه لو يرى الرشد راشد

صدودكم عما يقول محمد وكفر به والله راء وشاهد
واخراجكم من مسجد الله أهله لئلا يرى لله فى البيت ساجد

في أبيات أخر وقد اختلف العلماء فى حكم القتال فى الاشهر الحرم هل تحريمه باق أو نسخ فالجمهور على انه نسخ تحريمه ونص على نسخه الامام أحمد وغيره من الائمة وذهبت طائفة من السلف منهم عطاء الى بقاء تحريمه ورجحه بعض المتأخرين واستدلوا بآية المائدة والمائدة من آخر مانزل من القرآن وقد روى أحلوا حلالها وحرموا حرامها وقيل ليس فيها منسوخ وفى المسند ان عائشة رضى الله عنها قالت هي آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وماوجدتم فيها من حرام فحرموه وروي الامام أحمد في مسنده حدثنا اسحاق بن عيسى حدثنا ليث بن سعد عن أبي الزبير عن جابر قال لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو فى الشهر الحرام الا أن يغزى ويغزو فاذا حضره أقام حتى ينسلخ وذكر بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم حاصر الطائف فى شوال فلما دخل ذوالقعدة لم يقاتل بل صابرهم ثم رجع وكذلك فى عمرة الحديبية لم يقاتل حتى بلغه ان عثمان قتل فبايع على القتال ثم لما بلغه ان ذلك لاحقيقة له كف واستدل الجمهور بأن الصحابة اشتغلوا بعد النبي صلى الله عليه وسلم بفتح البلاد ومواصلة القتال والجهاد ولم ينقل عن أحد منهم انه توقف عن القتال وهو طالب له فى شئ من الاشهر الحرم وهذا يدل على اجماعهم على نسخ ذلك والله أعلم ومن عجائب الاشهر الحرم ماروي عن عبدالله بن عمرو بن العاص انه ذكر عجائب الدنيا فعد منها بارض عاد عمود نحاس عليه شجرة من نحاس فاذا كان فى الاشهر الحرم قطر منها الماء فملؤا منه حياضهم وسقوا مواشيهم وزروعهم فاذا ذهب الاشهر الحرم انقطع الماء وقوله صلى الله عليه وسلم ورجب مضر سمى رجب رجبا لانه كان يرجب أى يعظم كذا قال الاصمعى والمفضل والفراء وقيل لان الملائكة تترجب للتسبيح والتحميد فيه وفى ذلك حديث مرفوع الا انه موضوع وأما اضافته الى مضر فقيل لان مضر كانت تزيد فى تعظيمه واحترامه فنسب اليهم لذلك وقيل بل كانت ربيعة تحرم رمضان وتحرم

مضر رجبا فلذلك سماه رجب مضر وحقق ذلك بقوله الذى بين جمادى وشعبان
وذكر بعضهم ان لشهر رجب أربعة عشر اسما شهر الله ورجب ورجب مضر ومنصل
الاسنة والاصم والاصب ومنفس ومطهر ومعلي ومقيم [1] وهرم ومقشقش ومبرئ وفرد
وذكر غيره ان له سبعة عشر اسما فزاد رجم بالميم ومنصل الآلة وهى الحربة ومنزع
الاسنة ويتعلق بشهر رجب أحكام كثيرة فمنها ما كان في الجاهلية واختلف العلماء
فى استمراره فى الاسلام كالقتال وقد سبق ذكره وكالذبائح فانهم كانوا فى الجاهلية
يذبحون ذبيحة يسمونها العتيرة واختلف العلماء فى حكمها فى الاسلام فالاكثرون على
ان الاسلام أبطلها وفى الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لافرع ولاعتيرة ومنهم من قال بل هى مستحبة منهم ابن سيرين وحكاه
الامام أحمد عن أهل البصرة ورجحه طائفة من أهل الحديث المتأخرين ونقل حنبل
عن أحمد نحوه وفى سنن أبى داود والنسائي وابن ماجه عن مخنف بن سليم الغامدى
ان النبي صلى الله عليه وسلم قال بعرفة ان على أهل كل بيت فى كل عام أضحى أوعتيرة
وهى التى يسمونها الرجبية [2] وفى النسائي عن نبيشة انهم قالوا يارسول الله انا كنا نعتر فيه
فى الجاهلية يعنى في رجب قال اذبحوا لله في أى شهر كان وبروا لله واطعموا وروى
الحرث بن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن الفرع والعتائر فقال من شاء
فرع ومن شاء لم يفرع ومن شاء عتر ومن شاء لم يعتر وفي حديث آخر قال العتيرة حق
وفي النسائي عن أبى رزين قال قلت يارسول الله كنا نذبح ذبائح فى الجاهلية يعنى فى
رجب فنأكل ونطعم من جاءنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابأس به وخرج
الطبراني باسناده عن ابن عباس قال استأذنت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم
في العتيرة فقال اعتروا كعتر الجاهلية ولكن من أحب منكم أن يذبح لله فيأكل ويتصدق
فليفعل وهؤلاء جمعوا بين هذه الاحاديث وبين حديث لافرع ولاعتيرة بأن المنهى
عنه هو ما كان يفعله أهل الجاهلية من الذبح لغير الله وحمله سفيان بن عيينة على ان المراد به
نفي الوجوب ومن العلماء من قال حديث أبى هريرة أصح من هذه الاحاديث وأثبت

(١) فى نسخة وسقيم (٢) العتيرة هى التى تسمى بالرجبية

فيكون العمل عليه دونها وهذه طريقة الامام أحمد وروي مبارك بن فضالة عن الحسن قال ليس في الاسلام عتيرة انما كانت العتيرة في الجاهلية كان أحدهم يصوم رجب ويعترفيه ويشبه الذبح في رجب اتخاذه موسما وعيدا كا كل الحلوي ونحوها وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه كان يكره أن يتخذ رجب عيدا وروى عبد الرزاق عن ابن جريج عن عطاء قال كان النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن صيام رجب كله لئلا يتخذ عيدا وعن معمر عن ابن طاوس عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتتخذوا شهرا عيدا ولا يوما عيدا وأصل هذا انه لا يشرع أن يتخذ المسلمون عيدا الاماجاءت الشريعة باتخاذه عيدا وهو يوم الفطر ويوم الاضحى وأيام التشريق وهي أعياد العام ويوم الجمعة وهو عيد الاسبوع وماعدا ذلك فاتخاذه عيدا وموسما بدعة لا أصل له في الشريعة ومن أحكام رجب ماورد فيه من الصلاة والزكاة والصيام والاعتمار فأما الصلاة فلم يصح فى شهر رجب صلاة مخصوصة تختص به والاحاديث المروية فى فضل صلاة الرغائب فى أول ليلة جمعة من شهر رجب كذب وباطل لاتصح وهذه الصلاة بدعة عند جمهور العلماء وممن ذكر ذلك من أعيان العلماء المتأخرين من الحفاظ أبو اسماعيل الانصارى وأبو بكر بن السمعانى وأبو الفضل ابن ناصر وأبو الفرج بن الجوزي وغيرهم وانما لم يذكرها المتقدمون لانها أحدثت بعدهم وأول ماظهرت بعد الاربعمائة فلذلك لم يعرفها المتقدمون ولم يتكلموا فيها وأما الصيام فلم يصح فى فضل صوم رجب بخصوصه شئ عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه ولكن روى عن أبي قلابة قال فى الجنة قصر لصوام رجب قال البيهقى أبو قلابة من كبار التابعين لا يقول مثله الا عن بلاغ وانما ورد فى صيام الاشهر الحرم كلها حديث مجيبة الباهلية عن أبيها أو عمها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له صم من الحرم واترك قالها ثلاثا خرجه أبو داود وغيره وخرجه ابن ماجه وعنده صم أشهر الحرم وقد كان بعض السلف يصوم الاشهر الحرم كلها منهم ابن عمر والحسن البصري وأبو اسحاق السبيعي وقال الثورى الاشهر الحرم أحب الى أن أصوم فيها وجاء فى حديث خرجه

ابن ماجه ان اسامة بن زيد كان يصوم الاشهر الحرم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم صم شوالا فترك أشهر الحرم وصام شوالا حتى مات وفي اسناده انقطاع وخرج ابن ماجه أيضا باسناد فيه ضعف عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن صيام رجب والصحيح وقفه على ابن عباس ورواه عطاء عن النبي صلى الله عليه وسلم مرسلا وقد سبق لفظه وروى عبد الرزاق في كتابه عن داود بن قيس عن زيد بن أسلم ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم قوم يصومون رجبا فقال أين هم من شعبان وروي أزهر بن سعيد الجمحي عن أمه انها سألت عائشة عن صوم رجب فقالت ان كنت صائمة فعليك بشعبان وروى مرفوعا ووقفه أصح وروى عن عمر رضي الله عنه انه كان يضرب أكف الرجال في صوم رجب حتى يضعوها في الطعام ويقول مارجب ان رجبا كان يعظمه أهل الجاهلية فلما كان الاسلام ترك وفي رواية كره أن يكون صيامه سنة وعن أبي بكرة انه رأي أهله يتهيأون لصيام رجب فقال لهم أجعلتم رجب كرمضان وألقى السلال وكسر الكيزان وعن ابن عباس انه كره أن يصام رجب كله وعن ابن عمر وابن عباس انهما كانا يريان أن يفطر منه أياما وكرهه أنس أيضا وسعيد ابن جبير وكره صيام رجب كله يحيي بن سعيد الانصاري والامام أحمد وقال يفطر منه يوما أو يومين وحكاه عن ابن عمر وابن عباس وقال الشافعي في القديم أكره أن يتخذ الرجل صوم شهر يكمله كما يكمل رمضان واحتج بحديث عائشة مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل شهرا قط الا رمضان قال وكذلك يوما من بين الايام وقال وانما كرهته أن لا يتأسى رجل جاهل فيظن ان ذلك واجب وان فعل فحسن وتزول كراهة افراد رجب بالصوم بأن يصوم معه شهرا آخر تطوعا عند بعض أصحابنا مثل أن يصوم الاشهر الحرم أو يصوم رجب وشعبان وقد تقدم عن ابن عمر وغيره صيام الاشهر الحرم والمنصوص عن أحمد أنه لا يصومه بتمامه الا من صام الدهر وروى عن ابن عمر مايدل عليه فانه بلغه ان قوما أنكروا عليه انه حرم صوم رجب فقال كيف بمن يصوم الدهر وهذا يدل على انه لا يصام رجب الا مع صوم الدهر وروى يوسف بن عطية

عن هشام بن حسان عن ابن سيرين عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يصم بعد رمضان الا رجبا وشعبان ويوسف ضعيف جدا وروى أبو يوسف القاضي عن ابن أبي ليلى عن أخيه عيسى عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام وربما أخر ذلك حتى يقضيه في رجب وشعبان ورواه عمرو بن أبي قيس عن ابن أبي ليلى فلم يذكر فيه رجبا وهو أصح وأما الزكاة فقد اعتاد أهل هذه البلاد اخراج الزكاة في شهر رجب ولا أصل لذلك في السنة ولا عرف عن أحد من السلف ولكن روى عن عثمان انه خطب الناس على المنبر فقال ان هذا شهر زكاتكم فمن كان عليه دين فليود دينه وليزك مابقى خرجه مالك في الموطأ وقد قيل ان ذلك الشهر الذي كانوا يخرجون فيه زكاتهم نسي ولم يعرف وقيل بل كان شهر المحرم لانه رأس الحول وقد ذكر الفقهاء من أصحابنا وغيرهم ان الامام يبعث سعاته لاخذ الزكاة في المحرم وقيل بل كان شهر رمضان لفضله وفضل الصدقة فيه وبكل حال فانما تجب الزكاة اذا تم الحول على النصاب فكل أحد له حول يخصه بحسب وقت ملكه للنصاب فاذا تم حوله وجب عليه اخراج زكاته في أي شهر كان فان عجل زكاته قبل الحول أجزأه عند جمهور العلماء وسواء كان تعجيله لاغتنام زمان فاضل أو لاغتنام الصدقة على من لا يجد مثله في الحاجة أو كان لمشقة اخراج الزكاة عليه عند تمام الحول جملة فيكون التفريق في طول الحول أرفق به وقد صرح مجاهد بجواز التعجيل على هذا الوجه وهو مقتضى اطلاق الاكثرين وخالف في هذه الصورة اسحاق نقله عنه ابن منصور وأما اذا حال الحول فليس له التأخير بعد ذلك عند الاكثرين وعن أحمد يجوز تأخيرها لانتظار قوم لا يجد مثلهم في الحاجة وأجاز مالك وأحمد في رواية نقلها الى بلد فاضل فعلى قياس هذا لا يبعد جواز تأخيرها الى زمن فاضل لا يوجد مثله كرمضان ونحوه وروى يزيد الرقاشي عن أنس ان المسلمين كانوا يخرجون زكاتهم في شعبان تقوية على الاستعداد لرمضان وفي الاسناد ضعف وأما الاعتمار في رجب فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر في رجب فانكرت

ذلك عائشة عليه وهو يسمع فسكت واستحب الاعمار في رجب عمر بن الخطاب وغيره وكانت عائشة تفعله وابن عمر أيضاً ونقل ابن سيرين عن السلف انهم كانوا يفعلونه فان أفضل الانساك أن يؤتي بالحج في سفرة والعمرة في سفرة أخرى فى غير أشهر الحج وذلك من جملة اتمام الحج والعمرة المأمور به كذلك قاله جمهور الصحابة كعمر وعثمان وعلى وغيرهم وقد روى أنه كان فى شهر رجب حوادث عظيمة ولم يصح شئ من ذلك فروى ان النبي صلى الله عليه وسلم ولد فى أول ليلة منه وانه بعث فى السابع والعشرين منه وقيل في الخامس والعشرين ولا يصح شئ من ذلك وروى باسناد لا يصح عن القاسم بن محمد ان الاسراء بالنبي صلى الله عليه وسلم كان في سابع عشرين من رجب وأنكر ذلك ابراهيم الحربى وغيره وروى عن قيس بن عباد قال فى اليوم العاشر من رجب ﴿ يمحو الله مايشاء ويثبت ﴾ وكان أهل الجاهلية يتحرون الدعاء فيه على الظالم وكان يستجاب لهم ولهم فى ذلك أخبار مشهورة قد ذكرها ابن أبي الدنيا فى كتاب مجاب الدعوة وغيره وقد ذكر ذلك لعمر بن الخطاب فقال عمر ان الله كان يصنع بهم ذلك ليحجز بعضهم عن بعض وان الله جعل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر وروي زائدة بن أبى الرقاد عن زياد النميرى عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل رجب قال اللهم بارك لنا في رجب وشعبان و بلغنا رمضان وروي عن أبي اسماعيل الانصارى انه قال لم يصح في فضل رجب غير هذا الحديث وفي قوله نظر فان هذا الاسناد فيه ضعف وفي هذا الحديث دليل على استحباب الدعاء بالبقاء الى الازمان الفاضلة لادراك الاعمال الصالحة فيها فان المؤمن لا يزيده عمره الا خيرا وخير الناس من طال عمره وحسن عمله وكان السلف يستحبون أن يموتوا عقب عمل صالح من صوم رمضان أو رجوع من حج وكان يقال من مات كذلك غفر له كان بعض العلماء الصالحين قد مرض قبل شهر رجب فقال انى دعوت الله أن يؤخرونى الى شهر رجب فانه بلغنى ان لله فيه عتقاء فبلغه الله ذلك ومات في شهر رجب * شهر رجب مفتاح أشهر الخير والبركة قال أبو بكر الوراق البلخي شهر رجب شهر الزرع

وشعبان شهر السقي للزرع وشهر رمضان شهر حصاد الزرع وعنه قال مثل شهر رجب مثل الريح ومثل شعبان مثل الغيم ومثل رمضان مثل القطر وقال بعضهم السنة مثل الشجرة وشهر رجب أيام توريقها وشعبان أيام تفريعها ورمضان أيام قطفها والمؤمنون قطافها جدير بمن سود صحيفته بالذنوب أن يبيضها بالتوبة فى هذا الشهر وبمن ضيع عمره فى البطالة أن يغتنم فيه ما بقى من العمر شعر

بيض صحيفتك السوداء في رجب ... بصالح العمل المنجي من اللهب

شهر حرام أتي من أشهر حرم ... اذا دعا الله داع فيه لم يخب

طوبي لعبد زكى فيه له عمل ... فكف فيه عن الفحشاء والريب

انتهاز الفرصة بالعمل فى هذا الشهر غنيمة واغتنام أوقاته بالطاعات له فضيلة عظيمة

ياعبد أقبل منيبا واغتنم رجبا ... فان عفوى عمن تاب قد وجبا

فى هذه الاشهر الابواب قد فتحت ... للتائبين فكل نحونا هربا

حطوا الركائب فى أبواب رحمتنا ... بحسن ظن فكل نال ماطلبا

وقد نثرنا عليهم من تعطفنا ... نثار حسن قبول فاز من نهبا

﴿ وظائف شهر شعبان ويشتمل على مجالس ﴾

﴿ المجلس الاول فى صيامه ﴾

خرج الامام أحمد والنسائي من حديث اسامة بن زيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم الايام يسرد حتى نقول لايفطر ويفطر الايام حتى لايكاد يصوم الا يومين من الجمعة ان كانا في صيامه والاصامهما ولم يكن يصوم من الشهور مايصوم من شعبان فقلت يارسول الله انك تصوم حتى لاتكاد تفطر وتفطر حتى لاتكاد تصوم الايومين ان دخلا فى صيامك والاصمتهما قال أى يومين قل يوم الاثنين ويوم الخميس قال انك يومان تعرض فيهما الاعمال على رب العالمين وأحب أن يعرض عملى وأنا صائم قلت ولم أرك تصوم من الشهور ماتصوم من شعبان قال ذاك شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان وهو شهر ترفع الاعمال فيه الى رب العالمين عزوجل فاحب أن

برفع عملي وأنا صائم قد تضمن هذا الحديث ذكر صيام رسول الله صلى الله عليه وسلم من جميع السنة وصيامه من أيام الاسبوع وصيامه من شهور السنة فأما صيامه من السنة فكان يسرد الصوم احيانا والفطر احيانا فيصوم حتى يقال لايفطر ويفطر حتى يقال لايصوم وقد روي ذلك أيضا عائشة وابن عباس وأنس وغيرهم ففي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى نقول لايفطر ويفطر حتى نقول لايصوم وفيهما عن ابن عباس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم اذا صام حتى يقول القائل لاوالله لايفطر ويفطر اذا أفطر حتى يقول القائل لاوالله لايصوم وفيهما عن أنس انه سئل عن صيام النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما كنت أحب أن أراه من الشهر صائما الا رأيته ولا مفطرا الا رأيته ولا من الليل قائما الا رأيته ولا نائما الا رأيته ولمسلم عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى يقال قد صام قد صام ويفطر حتى يقال قد أفطر قد أفطر وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ينكر على من يسرد صوم الدهر ولا يفطر منه ويخبر عن نفسه انه لايفعل ذلك ففي الصحيحين عن عبدالله بن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له أتصوم النهار وتقوم الليل قال نعم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكني أصوم وأفطر وأصلي وأنام وأمس النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني وفيهما عن أنس ان نفرا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال بعضهم لاأتزوج النساء وقال بعضهم لا آكل اللحم وقال بعضهم لاأنام على فراش فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخطب وقال مابال أقوام يقولون كذا وكذا لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني وخرجه النسائي وزاد فيه وقال بعضهم أصوم ولا أفطر وفي مسند الامام أحمد عن رجل من الصحابة قال ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم مولاة لبني عبدالمطلب فقيل انها قامت الليل وتصوم النهار فقال النبي صلى الله عليه وسلم لكني أنا أنام وأصلي وأصوم وأفطر فمن اقتدى بي فهومني ومن رغب عن سنتي فليس مني ان لكل عمل شدة وفترة فمن كانت فترته الى بدعة فقد ضل ومن كانت

فتركته الى سنة فقد اهتدي وفي المسند وسنن أبي داود عن عائشة رضى الله عنها ان عثمان بن مظعون أراد التبتل فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أترغب عن سنتي قال لا والله ولكن سنتك أريد قال فاني أنام وأصلي وأصوم وأفطر وأنكح النساء فاتق الله ياعثمان فان لاهلك عليك حقا وان لضيفك عليك حقا وان لنفسك عليك حقا فصم وأفطر وصل ونم وقد قال عكرمة وغيره ان عثمان بن مظعون وعلى بن أبي طالب والمقداد وسالما مولى أبي حذيفة في جماعة تبتلوا فجلسوا في البيوت واعتزلوا النساء وحرموا طيبات الطعام واللباس الا ما يأكل ويلبس أهل السياحة من بني اسرائيل وهموا بالاختصاء وأجمعوا لقيام الليل وصيام النهار فنزلت فيهم ﴿ يأيها الذين آمنوا لاتحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لايحب المعتدين ﴾ وفي صحيح البخاري ان سلمان زار أبا الدرداء وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد آخى بينهما فرأى أم الدرداء متبذلة فقال ماشأنك متبذلة فقالت ان أخاك أبا الدرداء لاحاجة له فى الدنيا فلما جاء أبو الدرداء قرب له طعاما قال له كل فقال اني صائم فقال ما أنا بآكل حتى تأكل فأكل فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم ثم ذهب ليقوم فقال له نم فلما كان من آخر الليل قال سلمان قم الان فقاما فصليا فقال سلمان ان لنفسك عليك حقا وان لضيفك عليك حقا وان لاهلك عليك حقا فأعط كل ذى حق حقه فاتيا النبي صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له فقال صدق سلمان وفى رواية في غير الصحيح قال ثكلت سلمان أمه لقد أشبع من العلم وهكذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو بن العاص لما كان يصوم الدهر فنهاه وأمره أن يصوم صوم داود تصوم يوما وتفطر يوما وقال له لا أفضل من ذلك وقد ورد النهى عن صيام الدهر والتشديد فيه وهذا كله يدل على أن أفضل الصيام أن لايستدام بل يعاقب بينه وبين الفطر وهذا هو الصحيح من قولى العلماء وهو مذهب أحمد وغيره وقيل لعمر ان فلانا يصوم الدهر فجعل يقرع رأسه بقناة معه ويقول كل يادهر كل يادهر خرجه عبد الرزاق وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم الى الحكمة فى ذلك من

وجوه منها قوله صلى الله عليه وسلم في صيام الدهر لا صام ولا أفطر يعنى انه لا يجد مشقة الصيام ولا فقد الطعام والشراب والشهوة لانه صار الصيام له عادة مألوفة فربما تضرر بتركه فاذا صام تارة وأفطر أخرى حصل له بالصيام مقصوده بترك هذه الشهوات وفى نفسه داعية اليها وذلك أفضل من أن يتركها ونفسه لا تتوق اليها ومنها قوله صلى الله عليه وسلم فى حق داود عليه السلام كان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر اذا لاقى يشير الي انه كان لا يضعفه صيامه عن ملاقاة عدوه ومجاهدته في سبيل الله ولهذا روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لاصحابه يوم الفتح وكان في رمضان ان هذا يوم قتال فافطروا وكان عمر اذا بعث سرية قال لهم لا تصوموا فان التقوي على الجهاد أفضل من الصوم (١) فافضل الصيام أن لا يضعف البدن حتى يعجز عما هو أفضل منه من القيام بحقوق الله تعالى أو حقوق عباده اللازمة فان أضعف عن شيء من ذلك مما هو أفضل منه كان تركه أفضل فالاول مثل أن يضعف الصيام عن الصلاة أو عن الذكر أو عن العلم كما قيل في النهى عن صيام الجمعة ويوم عرفة بعرفة أنه يضعف عن الذكر والدعاء فى هذين اليومين وكان ابن مسعود يقل الصوم ويقول انه يمنعنى من قراءة القرآن وقراءة القرآن أحب الى فقراءة القرآن أفضل من الصيام نص عليه سفيان الثورى وغيره من الائمة وكذلك تعلم العلم النافع وتعليمه أفضل من الصيام وقد نص الائمة الاربعة على ان طلب العلم أفضل من صلاة النافلة والصلاة أفضل من الصيام المتطوع به فيكون العلم أفضل من الصيام بطريق الاولى فان العلم مصباح يستضاء به في ظلمة الجهل والهوى فمن سار في طريق على غير مصباح لم يأمن أن يقع فى بئر بوار فيعطب قال ابن سيرين ان قوما تركوا العلم واتخذوا محاريب فصلوا وصاموا بغير علم والله ماعمل أحد بغير علم الا كان مايفسد أكثر مما يصلح والثانى مثل أن يضعف الصيام عن الكسب للعيال أو القيام بحقوق الزوجات فيكون تركه أفضل واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم ان لاهلك عليك حقا ومنها ما أشار اليه صلى الله عليه وسلم بقوله

(١) أفضل الصيام أن لا يضعف البدن

ان لنفسك عليك حقا فاعط كل ذى حق حقه يشير الي ان النفس وديعة لله عند ابن آدم وهو مأمور أن يقوم بحقها ومن حقها اللطف بها حتى توصل صاحبها الى المنزل قال الحسن نفوسكم مطاياكم الى ربكم فاصلحوا مطاياكم توصلكم الى ربكم فمن وفي نفسه حظها من المباح بنية التقوى به على تقويتها على أعمال الطاعات كان مأجورا في ذلك كما قال معاذ بن جبل انى أحتسب نومتى كما أحتسب قومتي ومن قصر فى حقها حتى ضعفت وتضررت كان ظالما لها والى هذا أشار النبى صلى الله عليه وسلم بقوله لعبدالله بن عمرو بن العاص انك اذا فعلت ذلك نفهت له النفس وهجمت له العين ومعنى نفهت كلت وأعيت ومعنى هجمت العين غارت وقال لاعرابى جاءه فاسلم ثم أتاه من عام قابل وقد تغير فلم يعرفه فلما عرفه سأله عن حاله قال ما أكلت بعدك طعاما بنهار فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ومن أمرك أن تعذب نفسك فمن عذب نفسه بان حملها مالا تطيقه من الصيام ونحوه فربما أثر ذلك فى ضعف بدنه وعقله فيفوته من الطاعات الفاضلة أكثر مما حصله بتعذيبه نفسه بالصيام وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتوسط فى اعطاء نفسه حقها ويعدل فيها غاية العدل فيصوم ويفطر ويقوم وينام وينكح النساء ويأكل ما يجد من الطيبات كالحلواء والعسل ولحم الدجاج وتارة يجوع حتى يربط على بطنه الحجر وقال عرض على ربى أن يجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب ولكن أجوع يوما وأشبع يوما فاذا جعت تضرعت اليك وذكرتك واذا شبعت حمدتك وشكرتك فاختار لنفسه أفضل الاحوال ليجمع بين مقامى الشكر والصبر والرضا ومنها ما أشار اليه بقوله صلى الله عليه وسلم لعبدالله بن عمرو لعله أن يطول بك حياة يعني ان من تكلف الاجتهاد في العبادة فقد تحمله قوة الشباب مادامت باقية فاذا ذهب الشباب وجاء المشيب والكبر عجز عن حمل ذلك فان صابره وجاهد واستمر فربما هلك بدنه وان قطع فقد فاته أحب الاعمال الى الله تعالى وهو المداومة على العمل ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم اكلفوا من العمل ما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا وقال صلى الله عليه وسلم أحب العمل الى الله أدومه وان قل فمن عمل عملا يقوي

عليه بدنه في طول عمره في قوته وضعفه استقام سيره ومن حمل مالا يطيق فانه قد يحدث له مرض يمنعه من العمل بالكلية وقد يسأم ويضجر فيقطع العمل فيصير كالمنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى وأما صيام النبي صلى الله عليه وسلم من الايام أعني أيام الاسبوع فكان يتحرى صيام الاثنين والخميس وكذا روى عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يتحرى صيام الاثنين والخميس خرجه الامام أحمد والنسائي وابن ماجه والترمذي وحسنه وخرج ابن ماجه من حديث أبي هريرة قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يصوم الاثنين والخميس فقيل له يارسول الله انك تصوم الاثنين والخميس فقال ان يوم الاثنين والخميس يغفر الله فيهما لكل مسلم الا مهتجرين فيقول دعوهما حتى يصطلحا وخرجه الامام أحمد وعنده ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أكثر مما يصوم الاثنين والخميس فقيل له قال ان الاعمال تعرض كل اثنين وخميس فيغفر لكل مسلم أو لكل مؤمن الا المتهاجرين فيقول أخرهما وخرجه الترمذي ولفظه قال تعرض الاعمال يوم الاثنين ويوم الخميس فاحب أن يعرض عملي وأنا صائم وروى موقوفا على أبي هريرة ورجح بعضهم وقفه وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة مرفوعا تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا الا رجل كانت بينه وبين اخيه شحناء يقول انظروا هذين حتى يصطلحا ويروى باسناد فيه ضعف عن أبي امامة مرفوعا ترفع الاعمال يوم الاثنين ويوم الخميس فيغفر للمستغفرين ويترك أهل الحقد بحقدهم وروى علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله عزوجل ﴿ مايلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد ﴾ قال يكتب كل ما تكلم به من خير وشر حتي انه ليكتب قوله أكلت وشربت وذهبت وجئت ورأيت حتى اذا كان يوم الخميس عرض قوله وعمله فاقر منه ما كان فيه من خير أوشر وألقى سائره فذلك قوله تعالى ﴿ يمحوا الله مايشاء ويثبت وعنده أم الكتاب ﴾ خرجه ابن أبي حاتم وغيره فهذا يدل على اختصاص يوم الخميس بعرض الاعمال لا يوجد في غيره وكان ابراهيم النخعي يبكى الى امرأته يوم الخميس وتبكي اليه ويقول اليوم

تعرض أعمالنا على الله عزوجل فهذا عرض خاص فى هذين اليومين غير العرض العام كل يوم فان ذلك عرض دائم بكرة وعشيا و يدل على ذلك مافي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار فيجتمعون في صلاة الصبح وصلاة العصر فيسأل الذين باتوا فيكم وهو أعلم كيف تركتم عبادي فيقولون أتيناهم وهم يصلون وتركناهم وهم يصلون وفي صحيح مسلم عن أبي موسى الاشعرى قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال ان الله لاينام ولاينبغى له أن ينام يخفض القسط ويرفعه يرفع الله عمل الليل قبل النهار وعمل النهار قبل الليل حجابه النور لوكشفه لاحرقت سبحات وجهه ماانتهى اليه بصره من خلقه ويروي عن ابن مسعود قال ان مقدار كل يوم من أيامكم عند ربكم ثنتا عشرة ساعة فتعرض عليه أعمالكم بالامس أول النهار اليوم فينظر فيها ثلاث ساعات وذكر باقيه كان الضحاك يبكي آخر النهار ويقول لا أدرى مارفع من عملى يامن عمله معروض على من يعلم السر وأخفى لاتبهرج فان الناقد بصير شعر

السقم على الجسم له ترداد والعمر ينقص والذنوب تزاد
ماأبعد شقتى ومالى زاد ما أكثر بهرجى ولى نقاد

وحديث اسامة فيه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سرد الفطر يصوم الاثنين والخميس فدل على مواظبة النبي صلى الله عليه وسلم على صيامهما وقد كان اسامة يصومهما حضرا وسفرا لهذا وفي مسند الامام أحمد وسنن النسائى عن عبد الله بن عمروان النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يصوم ثلاثة أيام من كل شهر فقال له انى أقوي على أكثر من ذلك قال فصم من الجمعة يوم الاثنين والخميس قال اني أقوى على أكثر من ذلك قال فصم صيام داود وفي مسند الامام أحمد من رواية عثمان بن رشيد حدثنى أنس بن سيرين قال أتينا أنس بن مالك في يوم خميس فدعا بمائدة فدعاهم الى الغداء فتغدي بعض القوم وأمسك بعض ثم أتوه يوم خميس ففعل مثلها فقال أنس لعلكم أثنائيون لعلكم خميسيون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم حتى يقال

لا يفطر ويفطر حتي يقال لا يصوم وظاهر هذا الحديث يخالف حديث اسامة وان النبي صلى الله عليه وسلم انما كان يصوم الاثنين والخميس اذا دخلا في صيامه ولم يكن يتحرى صيامهما في أيام سرد فطره ولكن عثمان بن رشيد ضعيف ضعفه ابن معين وغيره وحديث اسامة أصح منه وقد روى من حديث أم سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام أول خميس والاثنين والاثنين وفي رواية بالعكس الاثنين والخميس والخميس وأكثر العلماء على استحباب صيام الاثنين والخميس وروى كراهته عن أنس بن مالك من غير وجه عنه وكان مجاهد يفعله ثم تركه وكرهه وكره أبوجعفر محمد بن علي صيام الاثنين وكرهت طائفة صيام يوم معين كما مر بالانسان روى عن عمران بن حصين وابن عباس والشعبي والنخعي ونقله ابن القاسم عن مالك وقال الشافعي في القديم أكره ذلك قال وانما كرهته لئلا يتأسى جاهل فيظن ان ذلك واجب قال فان فعل فحسن يعني على غير اعتقاد الوجوب وأما صيام النبي صلى الله عليه وسلم من أشهر السنة فكان يصوم من شعبان مالا يصوم من غيره من الشهور وفي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم استكمل صيام شهر قط الا رمضان وما رأيته في شهر أكثر صياما منه في شعبان زاد البخاري في رواية كان يصوم شعبان كله ولمسلم في رواية كان يصوم شعبان كله كان يصوم شعبان الا قليلا وفي رواية للنسائي عن عائشة قالت كان أحب الشهور الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يصوم شعبان كان يصله برمضان وعنها وعن أم سلمة قالتا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم شعبان الا قليلا بل كان يصومه كله وعن أم سلمة قالت مارأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم شهرين متتابعين الا شعبان ورمضان وقد رجح طائفة من العلماء منهم ابن المبارك وغيره ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يستكمل صيام شعبان وانما كان يصوم أكثره ويشهد له مافي صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت ماعلمته تعني النبي صلى الله عليه وسلم صام شهرا كله الا رمضان وفي رواية له أيضا عنها قالت مارأيته صام شهرا

كاملا منذ قدم المدينة الا أن يكون رمضان وفى رواية له أيضا انها قالت لا أعلم نبي الله صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن كله في ليلة ولاصام شهرا كاملا غير رمضان وفي رواية له أيضا قالت مارأيته قام ليلة حتى الصباح ولاصام شهرا متتابعا الارمضان وفي الصحيحين عن ابن عباس قال ماصام رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرا كاملا غير رمضان وكان ابن عباس يكره أن يصوم شهرا كاملا غير رمضان وروي عبد الرزاق في كتابه عن ابن جريج عن عطاء قال كان ابن عباس ينهى عن صيام الشهر كاملا ويقول ليصمه الا أياما وكان ينهى عن افراد اليوم كلما مربه وعن صيام الايام المعلومة وكان يقول لاتصم أياما معلومة فان قيل فكيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يخص شعبان بصيام التطوع فيه مع انه قال أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم فالجواب ان جماعة من الناس أجابوا عن ذلك بأجوبة غير قوية لاعتقادهم ان صيام المحرم والاشهر الحرم أفضل من شعبان كما صرح به الشافعية وغيرهم والاظهر خلاف ذلك وان صيام شعبان أفضل من صيام الاشهر الحرم ويدل على ذلك ماخرجه الترمذى من حديث أنس سئل النبى صلى الله عليه وسلم أى الصيام أفضل بعد رمضان قال شعبان تعظيما لرمضان وفي اسناده مقال وفي سنن ابن ماجه ان أسامة كان يصوم الاشهر الحرم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم صم شوالا فترك الاشهر الحرم فكان يصوم شوالا حتى مات وفي اسناده ارسال وقد روى من وجه آخر يعضده فهذا نص فى تفضيل صيام شوال على صيام الاشهر الحرم وانما كان كذلك لانه يلى رمضان من بعده كما ان شعبان يليه من قبله وشعبان أفضل لصيام النبي صلى الله عليه وسلم له دون شوال فاذا كان صيام شوال أفضل من الاشهر الحرم فلان يكون صوم شعبان أفضل بطريق الاولى فظهر بهذا ان أفضل التطوع ما كان قريبا من رمضان قبله وبعده وذلك يلتحق بصيام رمضان لقربه منه وتكون منزلته من الصيام بمنزلة السنن الرواتب مع الفرائض قبلها وبعدها فيلتحق بالفرائض في الفضل وهي تكملة لنقص الفرائض وكذلك صيام ماقبل رمضان وبعده فكما ان السنن

الرواتب أفضل من التطوع المطلق بالصلاة فكذلك صيام ماقبل رمضان و بعده أفضل من صيام مابعد منه ويكون قوله أفضل الصيام بعد رمضان المحرم محمولا على التطوع المطلق بالصيام فاما ماقبل رمضان و بعده فانه يلتحق به في الفضل كما ان قوله في تمام الحديث وأفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل انما أريد به تفضيل قيام الليل على التطوع المطلق دون السنن الرواتب عند جمهور العلماء خلافا لبعض الشافعية والله أعلم فان قيل فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما ولم يصم كذلك بل كان يصوم سردا و يفطر سردا ويصوم شعبان وكل اثنين وخميس قيل صيام داود الذى فضله النبي صلى الله عليه وسلم على الصيام قد فسره النبي صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر بانه صوم شطر الدهر وكان صيام النبي صلى الله عليه وسلم اذا جمع يبلغ صيام نصف الدهر أو يزيد عليه وقد كان يصوم مع ماسبق ذكره يوم عاشوراء أوتسع ذى الحجة وانما كان يفرق صيامه ولا يصوم يوما ويفطر يوما لانه كان يتحرى صيام الاوقات الفاضلة ولا يضر تفريق الصيام والفطر أكثر من يوم ويوم اذا كان القصد به التقوى على ماهو أفضل من الصيام من أداء الرسالة وتبليغها والجهاد عليها والقيام بحقوقها فكان صيام يوم وفطر يوم يضعفه عن ذلك ولهذا لما سئل النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي قتادة عمن يصوم يوما ويفطر يومين قال وددت اني طوقت ذلك وقد كان عبدالله بن عمرو بن العاص لما كبر يسرد الفطر احيانا ليتقوي به على الصيام ثم يعود فيصوم مافاته محافظة على مافارق عليه النبي صلى الله عليه وسلم من صيام شطر الدهر فحصل للنبي صلى الله عليه وسلم أجر صيام شطر الدهر وأزيد منه بصيامه المتفرق وحصل له أجر تتابع الصيام بتمنيه لذلك وانما عاقه عنه الاشتغال بما هو أهم منه وأفضل والله أعلم وقد ظهر بما ذكرناه وجه صيام النبي صلى الله عليه وسلم لشعبان دون غيره من الشهور وفيه معان أخر وقد ذكر منها النبي صلى الله عليه وسلم فى حديث اسامة معنيين أحدهما انه شهر يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان يشير الى أنه لما اكتنفه شهران عظيمان الشهر الحرام

وشهر الصيام اشتغل الناس بهما عنه فصار مغفولا عنه وكثير من الناس يظن ان صيام رجب أفضل من صيامه لانه شهر حرام وليس كذلك وروي ابن وهب قال حدثنا معاوية بن صالح عن أزهر بن سعد عن أبيه عن عائشة قالت ذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ناس يصومون رجبا فقال فأين هم عن شعبان وفي قوله يغفل الناس عنه بين رجب ورمضان اشارة الى ان بعض مايشتهر فضله من الازمان أوالاماكن أوالاشخاص قد يكون غيره أفضل منه اما مطلقا أولخصوصية فيه لا يتفطن لها أكثر الناس فيشتغلون بالمشهور عنه ويفوتون تحصيل فضيلة ماليس بمشهور عندهم وفيه دليل على استحباب عمارة أوقات غفلة الناس بالطاعة وان ذلك محبوب لله عزوجل كما كان طائفة من السلف يستحبون احياء مابين العشاءين بالصلاة ويقولون هى ساعة غفلة ولذلك فضل القيام فى وسط الليل لشمول الغفلة لاكثر الناس فيه عن الذكر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ان استطعت أن تكون ممن يذكر الله فى تلك الساعة فكن ولهذا المعنى كان النبي صلى الله عليه وسلم يريد أن يؤخر العشاء الى نصف الليل وانما علل ترك ذلك لخشية المشقة على الناس ولما خرج على أصحابه وهم ينتظرونه لصلاة العشاء قال لهم ماينتظرها أحد من أهل الارض غيركم وفي هذا اشارة الى فضيلة التفرد بذكر الله فى وقت من الاوقات لا يوجد فيه ذاكر له ولهذا ورد فى فضل الذكر فى الاسواق ماورد من الحديث المرفوع والآثار الموقوفة حتى [1] قال أبو صالح ان الله ليضحك ممن يذكره فى السوق وسبب ذلك انه ذكر فى موطن الغفلة بين أهل الغفلة وفي حديث أبى ذر المرفوع ثلاثة يحبهم الله قوم ساروا ليلتهم حتى اذا كان النوم أحب اليهم مما يعدل به فوضعوا رؤسهم فقام أحدهم يتملقنى ويتلو آياتى وقوم كانوا فى سرية فانهزموا فتقدم أحدهم فلقي العدو فصبر حتى قتل وذكر أيضا قوما جاءهم سائل فسألهم فلم يعطوه فانفرد أحدهم حتى أعطاه سرا فهؤلاء الثلاثة انفردوا عن رفقتهم بمعاملة الله سرا بينهم وبينه فاحبهم الله فكذلك من يذكر الله فى

(١) قول أبي صالح ان الله ليضحك ممن يذكره فى السوق

غفلة الناس أومن يصوم في أيام غفـلة الناس عن الصيام وفي احياء الوقت المغفول عنـه بالطاعة فوائد منها انه يكون أخفى واخفاء النوافل واسرارها أفضـل لاسيما الصيام فانه سر بين العبد وربه ولهذا قيل انه ليس فيه رياء وقد صام بعض السلف أربعين سنة لايعلم به أحد كان يخرج من بيته الى سوقه ومعه رغيفان فيتصـدق بهما ويصوم فيظن أهله انه أكلهما ويظن أهـل سوقه انه أكل في بيته وكانوا يستحبون لمن صام أن يظهر مايخفى به صيامه فعن ابن مسعود انه قال اذا أصبحتم صياما فاصبحوا مدهنين وقال قتادة يستحب للصائم أن يدهن حتى تذهب عنه غبرة الصيام وقال أبو التياح أدركت أبي وشيخة الحي اذا صام أحدهم ادهن ولبس صالح ثيابه ويروى ان عيسى بن مريم عليه السلام قال اذا كان يوم صوم أحدكم فليدهن لحيته وليمسح شفتيه من دهنه حتى ينظر الناظر اليـه فيرى انه ليس بصائم اشتهر بعض الصالحـين بكثرة الصيام فكان يجتهد في اظهار فطره للناس حتى كان يقوم يوم الجمعـة والناس مجتمعون في مسجد الجامع فيأخذ ابريقا فيضع بلبلته في فيه ويمصه ولا يزدرد منه شيئا ويبقى ساعة كذلك لينظر الناس اليه فيظنون انه يشرب الماء ومادخل الى حلقه منه شيء كم ستر الصادقون أحوالهم وريح الصدق ينم عليهم ريح الصـيام أطيب من ريح المسك تستنشقه قلوب المؤمنين وان خفي وكلما طالت عليه المدة ازداد قوة ريحه

كم أكتم حبكم عن الاغيار ... والدمع يذيع في الهوى أسراري
كم أستركم هتكتمو استاري ... من يخفي في الهوى لهيب النار

ما أسر أحد سريرة الا ألبسه الله رداءها علانية شعر

وهبني كتمت السرا وقلت غيره ... أتخفى على أهل القلوب السرائر
أبي ذاك ان السر في الوجه ناطق ... وان ضمير القلب في العين ظاهر

ومنها انه أشق على النفوس وأفضل الاعمال أشقها على النفوس وسبب ذلك ان النفوس تتأسى بما تشاهـده من أحوال أبناء الجنس فاذا كثرت يقظة الناس وطاعاتهم كثر أهل الطاعة لكثرة المقتدين بهم فسهلت الطاعات واذا كثرت الغفلات وأهلها تأسى

بهم عموم الناس فيشق على نفوس المستيقظين طاعاتهم لقلة من يقتدون بهم فيها ولهذا المعنى قال النبي صلى الله عليه وسلم للعامل منهم أجر خمسين منكم انكم تجدون على الخير أعوانا ولا يجدون وقال بدا الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدا فطوبي للغرباء وفي رواية قيل ومن الغرباء قال الذين يصلحون اذا فسد الناس وفى صحيح مسلم من حديث معقل بن يسار عن النبي صلى الله عليه وسلم قال العبادة فى الهرج كالهجرة الى وخرجه الامام أحمد ولفظه العبادة في الفتنة كالهجرة الى وسبب ذلك ان الناس فى زمن الفتن يتبعون أهواءهم ولا يرجعون الى دين فيكون حالهم شبيها بحال الجاهلية فاذا انفرد من بينهم من يتمسك بدينه ويعبد ربه ويتبع مراضيه ويجتنب مساخطه كان بمنزلة من هاجر من بين أهل الجاهلية الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤمنا به متبعا لاوامره مجتنبا لنواهيه ومنها ان المنفرد بالطاعة من أهل المعاصى والغفلة قد يدفع به البلاء عن الناس كلهم فكأنه يحميهم ويدافع عنهم وفى حديث ابن عمر الذي رويناه في جزء ابن عرفة مرفوعا ذاكر الله في الغافلين كالذى يقاتل عن الفارين وذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء فى وسط الشجر الذي تحات ورقه من الصرير والصرير البرد الشديد وذاكر الله فى الغافلين يغفر له بعدد كل رطب ويابس وذاكر الله فى الغافلين يعرف مقعده فى الجنة قال بعض السلف ذاكر الله في الغافلين كمثل الذى يحمى الفئة المنهزمة ولولا من يذكر الله فى غفلة الناس لهلك الناس رأى جماعة من المتقدمين في منامهم كان ملائكة نزلت الى بلاد شتى فقال بعضهم لبعض اخسفوا بهذه القرية فقال بعضهم كيف نخسف بها وفلان فيها قائم يصلى ورأي بعض المتقدمين فى منامه من ينشد ويقول

لولا الذين لهم ورد يصلونا ... وآخرون لهم سرد يصومونا
لدكدكت أرضكم من تحتكم سحرا ... لانكم قوم سوء ماتطيعونا

وفى مسند البزار عن أبى هريرة مرفوعا مهلا عن الله مهلا فلولا عباد ركع وأطفال رضع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا ولبعضهم فى المعنى

لولا عباد للاله ركع وصبية من اليتامى رضع
ومهملات في الفلاة رتع صب عليكم العذاب الموجع

وقد قيل فى تأويل قوله تعالى ﴿ ولولا دفاع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ﴾ انه يدخل فيها دفعه عن العصاة باهل الطاعة وجاء فى الاثر ان الله يدفع بالرجل الصالح عن أهله وولده وذريته ومن حوله وفى بعض الآثار يقول الله عز وجل أحب العباد الى المتحابون بجلالى المشاؤن فى الارض بالنصيحة الماشون على أقدامهم الى الجمعات وفي رواية المتعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالاسحار فاذا أردت انزال عذاب باهل الارض فنظرت اليهم صرفت العذاب عن الناس وقال مكحول مادام فى الناس خمسة عشر يستغفر كل منهم الله كل يوم خمسا وعشرين مرة لم يهلكوا بعذاب عامة والآثار فى هذا المعني كثيرة جدا وقد روي في صيام النبي صلى الله عليه وسلم شعبان معنى آخر وهو انه تنسخ فيه الآجال فروى باسناد فيه ضعف عن عائشة قالت كان أكثر صيام رسول الله صلى الله عليه وسلم في شعبان فقلت يارسول الله أرى أكثر صيامك في شعبان قال ان هذا الشهر يكتب فيه لملك الموت من يقبض فانا لا أحب أن ينسخ اسمى الا وأنا صائم وقد روى مرسلا وقيل انه أصح وفى حديث آخر مرسل تقطع الآجال من شعبان الى شعبان حتى ان الرجل لينكح ويولد له ولقد خرج اسمه في الموتى وروي فى ذلك معنى آخر وهو ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام وربما أخر ذلك حتى يقضيه بصوم شعبان رواه ابن أبي ليلى عن أخيه عيسى عن أبيهما عن عائشة رضى الله عنها خرجه الطبراني ورواه غيره وزاد قالت عائشة فربما أردت أن أصوم فلم أطق حتى اذا صام صمت معه وقد يشكل على هذا مافي صحيح مسلم عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم ثلاثة أيام من كل شهر لايبالى من أية كان وفيه أيضا عنها قالت ماعلمته تعنى النبي صلى الله عليه وسلم صام شهرا كاملا لا رمضان ولا أفطره كله حتى يصوم منه حتى مضى لسبيله وقد يجمع بينهما بانه قد يكون صومه فى بعض الشهور

لا يبلغ ثلاثة أيام فيكمل مافاته من ذلك في شعبان أوانه كان يصوم من كل شهر ثلاثة
أيام مع الاثنين والخميس فيؤخر الثلاثة خاصة حتى يقضيها في شعبان مع صومه الاثنين
والخميس وبكل حال فكان النبي صلى الله عليه وسلم عمله ديمة وكان اذا فاته شيء
من نوافله قضاه كما كان يقضي مافاته من سنن الصلاة ومافاته من قيام الليل بالنهار
فكان اذا دخل شعبان وعليه بقية من صيام تطوع لم يصمه قضاه في شعبان حتى
يستكمل نوافله بالصوم قبل دخول رمضان فكانت عائشة حينئذ تغتنم قضاءه لنوافله
فتقضي ماعليها من فرض رمضان حينئذ لفطرها فيه بالحيض وكانت في غيره من
الشهور مشتغلة بالنبي صلى الله عليه وسلم فان المرأة لاتصوم وبعلها شاهد الا باذنه فمن
دخل عليه شعبان وقد بقي عليه من نوافل صيامه في العام استحب له قضاؤها فيه حتى
يكمل نوافل صيامه بين الرمضانين ومن كان عليه شيء من قضاء رمضان وجب عليه
قضاؤه مع القدرة ولايجوز له تأخيره الى مابعد رمضان آخر لغير ضرورة فان فعل ذلك
وكان تأخيره لعذر مستمر بين الرمضانين كان عليه قضاؤه بعد رمضان الثاني ولا شيء
عليه مع القضاء وان كان ذلك لغير عذر فقيل يقضي ويطعم مع القضاء لكل يوم
مسكينا وهو قول مالك والشافعي وأحمد اتباعا لآثار وردت بذلك وقيل يقضي ولا
اطعام عليه وهو قول أبي حنيفة وقيل يطعم ولا يقضي وهو ضعيف وقد قيل في صوم
شعبان معنى آخر وهو ان صيامه كالتمرين على صيام رمضان لئلا يدخل في صوم رمضان
على مشقة وكلفة بل يكون قد تمرن على الصيام واعتاده ووجد بصيام شعبان قبله
حلاوة الصيام ولذته فيدخل في صيام رمضان بقوة ونشاط ولما كان شعبان كالمقدمة
لرمضان شرع فيه مايشرع في رمضان من الصيام وقراءة القرآن ليحصل التأهب لتلقي
رمضان وترتاض النفوس بذلك على طاعة الرحمن روينا باسناد ضعيف عن أنس قال
كان المسلمون اذا دخل شعبان انكبوا على المصاحف فقرؤها وأخرجوا زكاة أموالهم
تقوية للضعيف والمسكين على صيام رمضان وقال سلمة بن كهيل كان يقال شهر شعبان
شهر القراء وكان حبيب بن أبي ثابت اذا دخل شعبان قال هذا شهر القراء وكان عمرو بن

قيس الملائي اذادخل شعبان أغلق حانوته وتفرغ لقراءة القرآن قال الحسن بن سهل قال شعبان يارب جعلتني بين شهرين عظيمين فمالى قال جعلت فيك قراءة القرآن يامن فرط فى الاوقات الشريفة وضيعها وأودعها الاعمال السيئة و بئس ما استودعها شعر

مضى رجب وما أحسنت فيه وهـذا شهر شـعبان المبارك
فيامن ضيع الاوقات جهـلا بحرمتها أفق واحـذر بوارك
فسوف تفارق اللـذات قسرا ويخلى الموت كرها منك دارك
تدارك ما استطعت من الخطايا بتوبة مخلص واجعل مدارك
على طلب السـلامة من جحيم فخير ذوى الجرائم من تدارك

﴿ المجلس الثاني فى نصف شعبان ﴾

خرج الامام أحمد وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والحاكم من حديث العلاء بن عبدالرحمن عن أبيه عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا انتصف شعبان فلا تصوموا حتى رمضان وصححه الترمذي وغـيره واختلف العلماء فى صحة هذا الحديث ثم فى العمل به فأما تصحيحه فصححه غيرواحد منهم الترمذى وابن حبان والحاكم والطحاوى وابن عبـد البر وتـكلم فيه من هو أكبر من هؤلاء وأعلم وقالوا هو حديث منكرمنهم عبد الرحمن بن مهدى والامام أحمد وأبو زرعة الرازى والاثرم وقال الامام أحمد لم يرو العلاء حديثا أنكرمنه ورده بحـديث لاتقدموا رمضان بصوم يوم أو يومين فان مفهومه جواز التقـدم با كثر من يومين وقال الاثرم الاحاديث كلها تخالفه يشير الى أحاديث صيام النبى صلى الله عليه وسلم شـعبان كله و وصله برمضان ونهيه عن التقدم على رمضان بيومين فصار الحديث حينئذ شاذا مخالفا للاحاديث الصحيحة وقال الطحاوي هو منسوخ وحكى الاجماع على ترك العمل به وأ كثر العلماء على انه لا يعمل به وقد أخذ به آخرون منهم الشافعى وأصحابه ونهوا عن ابتداء التطوع بالصيام بعد نصف شعبان لمن ليس له عادة و وافقهم بعض المتأخرين من أصحابنا ثم اختلفوا فى علة النهي فمنهم من قال خشية أن يزاد فى

شهر رمضان ما ليس منه وهذا بعيد جدا فيما بعد النصف وانما يحتمل هذا فى التقديم بيوم أو يومين ومنهم من قال النهي للتقوي على صيام رمضان شفقة أن يضعفه ذلك عن صيام رمضان وروي ذلك عن وكيع ويرد هذا صيام النبي صلى الله عليه وسلم شعبان كله أو أكثره ووصله برمضان هذا كله فى الصيام بعد نصف شعبان وأما صيام يوم النصف منه فغير منهى عنه فانه من جملة أيام البيض الغر المندوب الى صيامها من كل شهر وقد ورد الامر بصيامه من شعبان بخصوصه ففى سنن ابن ماجه باسناد ضعيف عن على عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا كان ليلة نصف شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها فان الله تعالى ينزل فيها لغروب الشمس الى سماء الدنيا فيقول ألا مستغفر فاغفر له ألا مسترزق فارزقه ألا مبتلى فاعافيه ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر وفى فضل ليلة نصف شعبان أحاديث أخر متعددة وقد اختلف فيها فضعفها الاكثرون وصحح ابن حبان بعضها وخرجه في صحيحه ومن أمثلها حديث عائشة قالت فقدت النبي صلى الله عليه وسلم فخرجت فاذا هو بالبقيع رافع رأسه الى السماء فقال أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله فقلت يارسول الله ظننت انك أتيت بعض نسائك فقال ان الله تبارك وتعالى ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم كلب خرجه لامام أحمد والترمذى وابن ماجه وذكر الترمذي عن البخارى انه ضعفه وخرج ابن ماجه من حديث أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليطلع ليلة النصف من شعبان فيغفر لجميع خلقه الا لمشرك أومشاحن وخرج الامام أحمد من حديث عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله ليطلع الى خلقه ليلة النصف من شعبان فيغفر لعباده الا اثنين مشاحن أوقاتل نفس وخرجه ابن حبان فى صحيحه من حديث معاذ مرفوعا ويروى من حديث عثمان بن أبي العاصي مرفوعا اذا كان ليلة النصف من شعبان نادى مناد هل من مستغفر فاغفر له هل من سائل فاعطيه فلا يسأل أحد شيئا الا أعطيه الا زانية بفرجها أو مشركا وفي الباب أحاديث أخر فيها ضعف ويروي عن نوف البكالى أن عليا عليه السلام

خرج ليلة النصف من شعبان فأكثر الخروج فيها ينظر الى السماء فقال ان داود عليه السلام خرج ذات ليلة في مثل هذه الساعة فنظر الى السماء فقال ان هذه الساعة مادعى الله أحد الا أجابه ولا استغفره أحد في هذه الليلة الاغفر له مالم يكن عشارا أوساحرا أوشاعرا أوكاهنا أوعرينا أو شرطيا أوجابيا أوصاحب كوبة أوغرطبة قال نوف الكوبة الطبل والغرطبة الطنبور اللهم رب داود اغفر لمن دعاك فى هذه الليلة ولمن استغفرك فيها وليلة النصف من شعبان كان التابعون من أهل الشام كخالد بن معدان ومكحول ولقمان بن عامر وغيرهم يعظمونها ويجتهدون فيها في العبادة وعنهم أخذ الناس فضلها وتعظيمها وقد قيل انه بلغهم فى ذلك آثار اسرائيلية فلما اشتهر ذلك عنهم فى البلدان اختلف الناس في ذلك فمنهم من قبله منهم ووافقهم على تعظيمها منهم طائفة من عباد أهل البصرة وغيرهم وأنكر ذلك أكثر علماء الحجاز منهم عطاء وابن أبي مليكة ونقله عبدالرحمن بن زيد بن أسلم عن فقهاء أهل المدينة وهو قول أصحاب مالك وغيرهم وقالوا ذلك كله بدعة واختلف علماء أهل الشام فى صفة احيائها على قولين أحدهما انه يستحب احياؤها جماعة في المساجد كان خالد بن معدان ولقمان بن عامر وغيرهما يلبسون فيها أحسن ثيابهم ويتبخرون ويكتحلون ويقومون فى المسجد ليلتهم تلك ووافقهم اسحاق بن راهويه على ذلك وقال في قيامها في المساجد جماعة ليس ذلك ببدعة نقله عنه حرب الكرماني فى مسائله والثانى انه يكره الاجتماع فيها فى المساجد للصلاة والقصص والدعاء ولايكره أن يصلى الرجل فيها لخاصة نفسه وهذا قول الاوزاعي امام أهل الشام وفقيههم وعالمهم وهذا هو الاقرب ان شاء الله تعالى وقد روي عن عمر بن عبدالعزيز انه كتب الى عامله الى البصرة عليك باربع ليال من السنة فان الله يفرغ فيهن الرحمة افراغا أول ليلة من رجب وليلة النصف من شعبان وليلة الفطر وليلة الاضحى وفى صحته عنه نظر وقال الشافعى رضى الله عنه بلغنا ان الدعاء يستجاب في خمس ليال ليلة الجمعة والعيدين وأول رجب ونصف شعبان قال وأستحب كل ماحكيت فى هذه الليالى ولايعرف الامام أحمد كلام فى ليلة نصف شعبان ويتخرج

فى استحباب قيامها عنه روايتان من الروايتين عنه في قيام ليلتى العيد فانه فى رواية لم يستحب قيامها جماعة لانه لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه واستحبها في رواية الفعل عبد الرحمن بن يزيد بن الاسود لذلك وهو من التابعين فكذلك قيام ليلة النصف لم يثبت فيها شئ عن النبي صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه وثبت فيها عن طائفة من التابعين من أعيان فقهاء أهل الشام وروي عن كعب قال ان الله تعالى يبعث ليلة النصف من شعبان جبريل عليه السلام الى الجنة فيأمرها أن تتزين ويقول ان الله تعالى قد اعتق فى ليلتك هذه عدد نجوم السماء وعدد أيام الدنيا ولياليها وعدد ورق الشجر وزنة الجبال وعدد الرمال و روي سعيد بن منصور حدثنا أبو معشر عن أبي حازم ومحمد بن قيس عن عطاء بن يسار قال مامن ليلة بعد ليلة القدر أفضل من ليلة النصف من شعبان ينزل الله تبارك وتعالى الى السماء الدنيا فيغفر لعباده كلهم الا لمشرك أومشاحن أوقاطع رحم فيامن اعتق فيها من النار هنيئا لك المنحة الجسيمة ويا أيها المردود فيها جبر الله مصيبتك هذه فانها مصيبة عظيمة شعر

بكيت على نفسى وحق لى البكا ... وما أنا من تضييع عمرى فى شك
لئن قلت انى في صنيعى محسن ... فاني فى قولي لذلك ذوافك
ليالى شعبان وليلة نصفه ... باية حال قد تنزل لى صكى
وحق لعمري ان أديم تضرعي ... لعل اله الخلق يسمح بالفك

فينبغي للمؤمن أن يتفرغ فى تلك الليلة لذكر الله تعالى ودعائه بغفران الذنوب وستر العيوب وتفريج الكروب وأن يقدم على ذلك التوبة فان الله تعالى يتوب فيها على من يتوب شعر

فقم ليلة النصف الشريف مصليا ... فاشرف هذا الشهر ليلة نصفه
فكم من فتى قدبات فى النصف آمنا ... وقد نسخت فيه صحيفة حتفه
فبادر بفعل الخير قبل انقضائه ... وحاذر هجوم الموت فيه بصرفه
وصم يومها لله واحسن رجاءه ... لتظفر عند الكرب منه باطفه

ويتعين على المسلم أن يجتنب الذنوب التى تمنع من المغفرة وقبول الدعاء فى تلك الليلة وقد روى انها الشرك وقتل النفس والزنا وهذه الثلاثة أعظم الذنوب عند الله[1] كما في حديث ابن مسعود المتفق على صحته انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم أى الذنب أعظم قال أن تجعل لله ندا وهو خلقك قال ثم أى قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قال ثم أى قال أن تزاني حليلة جارك فانزل الله تعالى تصديق ذلك ﴿ والذين لا يدعون مع الله الها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله الا بالحق ولا يزنون ﴾ الآية ومن الذنوب المانعة من المغفرة أيضا الشحناء وهى حقد المسلم على أخيه بغضا له لهوى نفسه وذلك يمنع أيضا من المغفرة في أكثر أوقات المغفرة والرحمة كما فى صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعا تفتح أبواب الجنة يوم الاثنين والخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئا الا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناء فيقال أنظروا هذين حتى يصطلحا وقد فسر الاوزاعى هذه الشحناء المانعة بالذى في قلبه شحناء لاصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ولا ريب ان هذه الشحناء أعظم جرما من مشاحنة الاقران بعضهم بعضا وعن الاوزاعى انه قال المشاحن كل صاحب بدعة فارق عليها الامة وكذا قال ابن ثوبان المشاحن هو التارك لسنة نبيه صلى الله عليه وسلم الطاعن على أمته السافك دماءهم وهذه الشحناء أعنى شحناء البدعة توجب الطعن على جماعة المسلمين واستحلال دمائهم وأموالهم وأعراضهم كبدع الخوارج والروافض ونحوهم فأفضل الاعمال سلامة الصدر من أنواع الشحناء كلها وأفضلها السلامة من شحناء أهل الاهواء والبدع التى تقتضى الطعن على سلف الامة وبغضهم والحقد عليهم واعتقاد تكفيرهم أو تبديعهم وتضليلهم ثم يلي ذلك سلامة القلب من الشحناء لعموم المسلمين وارادة الخير لهم ونصيحتهم وأن يحب لهم ما يحب لنفسه وقد وصف الله تعالى المؤمنين عموما بأنهم يقولون ﴿ ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤف رحيم ﴾ وفي المسند عن أنس ان

(١) أعظم الذنوب عند الله ثلاثة

النبي صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه ثلاثة أيام يطلع عليكم الآن رجل من أهل الجنة فيطلع رجل واحد فاستضافه عبدالله بن عمرو فنام عنده ثلاثاً لينظر عمله فلم ير له في بيته كبير عمل فاخبره بالحال فقال له هو ماترى الا أني أبيت وليس في قلبي شئ على أحد من المسلمين فقال عبدالله بهذا بلغ مابلغ وفي سنن ابن ماجه عن عبدالله ابن عمرو قال قيل يارسول الله أى الناس أفضل قال كل مخموم القلب صدوق اللسان قالوا صدوق اللسان نعرفه فما مخموم القلب قال هو التقى النقى الذى لااثم فيه ولا بغى ولاغل ولاحسد قال بعض السلف أفضل الاعمال سلامة الصدور وسخاوة النفوس والنصيحة للامة وبهذه الخصال بلغ من بلغ لا بكثرة الاجتهاد فى الصوم والصلاة اخوانى اجتنبوا الذنوب التى تحرم العبد مغفرة مولاه الغفار في مواسم الرحمة والتوبة والاستغفار أما الشرك ﴿ فانه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وماللظالمين من أنصار ﴾ وأما القتل فلو اجتمع أهل السموات وأهل الارض على قتل رجل مسلم بغير حق لأكبهم الله جميعا فى النار وأما الزنا فحذار حذار من التعرض لسخط الجبار الخلق كلهم عبيد الله واماؤه والله يغار لا أحدا غير من الله أن يزني عبده أو تزنى أمته فمن أجل ذلك حرم الفواحش وأمر بغض الابصار وأما الشحناء فيامن أضمر لاخيه السوء وقصد له الاضرار ﴿ لاتحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار ﴾ يكفيك حرمان المغفرة فى أوقات مغفرة الاوزار شعر

خاب عبد بارز المولى بأسباب المعاصى
ويحه مما جناه لم يخف يوم القصاص
يوم فيه ترعد الاقدام من شيب النواصى
لى ذنوب فى ازدياد وحياة فى انتقاص
فمتى أعمل ما أعلم لى فيه خلاصى

وقد روى عن عكرمة وغيره من المفسرين في قوله تعالى ﴿ فيها يفرق كل أمر حكيم ﴾ انها ليلة النصف من شعبان والجمهور على انها ليلة القدر وهو الصحيح وقال عطاء بن

يسار اذا كان ليلة النصف من شعبان دفع الى ملك الموت صحيفة فيقال اقبض من في هذه الصحيفة فان العبد ليغرس الغراس و ينكح الازواج و يبنى البنيان وان اسمه قد نسخ في الموتي ماينتظر به ملك الموت الا أن يؤمر به فيقبضه يامغرورا بطول الامل يامسرورا بسوء العمل كن من الموت على وجل فما تدرى متي يهجم الاجل

كل امريء مصبح في أهله والموت أدنى من شراك نعله

قال بعض السلف كم من مستقبل يوما لا يستكمله ومن مؤمل غدا لا يدركه انكم لو رأيتم الاجل ومسيره لابغضتم الامل وغروره

أؤمل أن أخلدو المنايا تدور علىّ من كل النواحي
وما أدرى وان أمسيت يوما لعلى لا أعيش الى الصباح

كم ممن راح في طلب الدنيا أوغدا أصبح من سكان القبور غدا

كانك بالمضي الى سبيلك وقد جد المجهز في رحيلك
وجيء بغاسل فاستعجلوه بقولهم له افرغ من غسيلك
ولم تحمل سوي كفن وقطن اليهم من كثيرك أو قليلك
وقد مد الرجال اليك نعشا فانت عليه ممدود بطولك
وصلوا ثم انهم تداعوا لحملك من بكورك أو أصيلك
فلما أسلموك نزلت قبرا ومن لك بالسلامة في نزولك
أعانك يوم تدخله رحيم رؤف بالعباد على دخولك
فسوف تجاور الموتى طويلا فذرني من قصيرك أو طويلك
أخيّ لقد نصحتك فاستمع لى وبالله استعنت على قبولك
ألست ترى المنايا كل حين تصيبك في أخيك وفي خليلك

﴿ المجلس الثالث في صيام آخر شعبان ﴾

ثبت في الصحيحين عن عمران بن حصين ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل هل صمت من سرر هذا الشهر شيئا قال لا قال فاذا أفطرت فصم يومين وفي رواية للبخاري

أظنه يعني رمضان وفي رواية لمسلم وعلقها البخاري هل صمت من سرر شعبان شيئاً
وفي رواية فاذا أفطرت من رمضان فصم يومين مكانه وفي رواية يوما أو يومين شك
شعبة وروى من سرار الشهر وقد اختلف في تفسير السرار والمشهور انه آخر الشهر
يقال سرار الشهر وسراره بكسر السين وفتحها ذكره ابن السكيت وغيره وقيل ان
الفتح أفصح قاله الفراء وسمى آخر الشهر سرارا لاستسرار القمر فيه وممن فسر السرار
بآخر الشهر أبو عبيد وغيره من الأئمة وكذلك بوب عليه البخاري صيام آخر الشهر وأشكل
هذا على كثير من العلماء فان في الصحيحين أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لاتقدموا رمضان بيوم أو يومين الا من كان يصوم صوما
فليصمه فقال كثير من العلماء كأبي عبيد ومن تابعه كالخطابي وأكثر شراح الحديث
ان هذا الرجل الذي سأله النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلم ان له عادة بصيامه أوكان
قد نذره فلذلك أمره بقضائه وقالت طائفة حديث عمران يدل على انه يجوز صيام
يوم الشك وآخر شعبان مطلقا سواء وافق عادة أولم يوافق وانما ينهي عنه اذا صامه
بنية الرمضانية احتياطا وهذا مذهب مالك وذكر انه القول الذي أدرك عليه أهل
العلم حتى قال محمد بن مسلمة من أصحابه يكره الامر بفطره لئلا يعتقد وجوب الفطر
قبل الشهر كما وجب بعده وحكي ابن عبد البر هذا القول عن أكثر علماء الامصار
وذكر محمد بن ناصر الحافظ ان هذا هو مذهب أحمد أيضاً وغلط في نقله هذا عن
أحمد ولكن يشكل على هذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه وقوله الا من كان
يصوم صوما فليصمه وقد ذكر الشافعي في كتاب مختلف الحديث احتمالا في معنى
قوله الا من كان يصوم صوما فليصمه وفي رواية الا أن يوافق ذلك صوما كان يصومه
أحدكم ان المراد بموافقة العادة صيامه على عادة الناس في التطوع بالصيام دون صيامه
بنية الرمضانية للاحتياط وقالت طائفة سر الشهر أوله وخرج أبو داود في باب تقدم
رمضان من حديث معاوية انه قال اني متقدم الشهر فمن شاء فليتقدم فسئل عن ذلك
فقال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول صوموا الشهر وسره ثم حكى أبو داود

عن الاوزاعى وسعيد بن عبدالعزيز ان سر الشهر أوله قال أبو داود وقال بعضهم سره وسطه وفرق الازهرى بين سرار الشهر وسره فقال سراره وسرره آخره وسره وسطه وهى أيام البيض وسر كل شيء جوفه وفي رواية لمسلم فى حديث عمران بن حصين المذكور هل صمت من سرة هذا الشهر وفسر ذلك بايام البيض قلت لايصح أن يفسر سرر الشهر وسراره باوله لان أول الشهر يشتهر فيه الهلال ويري من أول الليل ولذلك سمي الشهر شهرا لاشتهاره وظهوره فتسمية ليالى الاشتهار ليالى السرار قاب للغة والعرف وقد أنكر العلماء ماحكاه أبوداود عن الاوزاعى منهم الخطابى وروي باسناده عن الوليد عن الاوزاعى قال سر الشهر آخره وقال الهروى المعروف ان سر الشهر آخره وفسر الخطابى حديث معاوية صوموا الشهر وسره بأن المراد بالشهر الهلال فيكون المعنى صوموا أول الشهر وآخره فلذلك أمر معاوية بصيام آخر الشهر قلت لما روي معاوية صوموا الشهر وسره وصيام آخر الشهر علم انه فسر السر بالآخر والاظهر ان المراد بالشهر شهر رمضان كله والمراد بسره آخر شعبان كما في رواية البخاري في حديث عمران أظنه يعني رمضان وأضاف السرر الى رمضان وان لم يكن منه كما سمي رمضان شهر عيد وان كان العيد ليس منه لكنه يعقبه فدل حديث عمران وحديث معاوية على استحباب صيام آخر شعبان وانما أمر بقضائه في أول شوال لان كلا من الوقتين صيام يلى شهر رمضان فهو ملتحق برمضان فى الفضل فمن فاته ماقبله صامه فيما بعده كما كان النبى صلى الله عليه وسلم يصوم شعبان وندب الى صيام شوال وانما يشكل على هذا حديث أبي هريرة رضى الله عنه في نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن تقدم رمضان بيوم أو يومين الا من له عادة أومن كان يصوم صوما وأكثر العلماء على انه نهى عن التقدم الا من كانت له عادة بالتطوع فيه وهو ظاهر الحديث ولم يذكر أكثر العلماء فى تفسيره بذلك اختلافا وهو الذى اختاره الشافعى فى تفسيره ولم يرجح ذلك الاحتمال المتقدم وعلى هذا فيرجح حديث أبي هريرة على حديث عمران فان حديث أبي هريرة فيه نهى عام للامة عموما فهو تشريع عام للامة فيعمل به وأما حديث عمران فهى

قضية عين في حق رجل معين فيتعين حمله على صورة صيام لا ينهى عن التقدم به جمعا بين الحديثين وأحسن ما حمل عليه ان هذا الرجل الذى سأله النبي صلى الله عليه وسلم كان قد علم منه صلى الله عليه وسلم انه كان يصوم شعبان أو أكثره موافقة لصيام النبي صلى الله عليه وسلم وكان قد أفطر فيه بعضه فسأله عن صيام آخره فلما أخبره انه لم يصم آخره أمره بأن يصوم بدله بعد يوم الفطر لان صيام أول شوال كصيام آخر شعبان وكلاهما حريم لرمضان وفيه دليل على استحباب قضاء مافات من التطوع بالصيام وأن يكون فى أيام مشابهة للايام التي فات فيها الصيام في الفضل وفيه دليل على انه يجوز لمن صام شعبان أو أكثره أن يصله برمضان من غير فصل بينهما فصيام آخر شعبان له ثلاثة أحوال أحدها أن يصومه بنية الرمضانية احتياطا لرمضان فهذا منهى عنه وقد فعله بعض الصحابة وكأنهم لم يبلغهم النهى عنه وفرق ابن عمر بين يوم الغيم والصحو فى يوم الثلاثين من شعبان وتبعه الامام أحمد والثاني أن يصام بنية الندب أو قضاء عن رمضان أو عن كفارة ونحو ذلك فجوزه الجمهور ونهى عنه من أمر بالفصل بين شعبان و رمضان بفطر يوم مطلقا وهم طائفة من السلف وحكي كراهته أيضا عن أبي حنيفة والشافعى وفيه نظر والثالث أن يصام بنية التطوع المطلق فكرهه من أمر بالفصل بين شعبان ورمضان بالفطر منهم الحسن وان وافق صوما كان يصومه ورخص فيه مالك ومن وافقه وفرق الشافعى والاوزاعي وأحمد وغيرهم بين أن يوافق عادة أولا وكذلك يفرق بين من تقدم صيامه باكثر من يومين ووصله برمضان فلا يكره أيضا الا عند من كره الابتداء بالتطوع بالصيام بعد نصف شعبان فانه ينهى عنه الا أن يبتدئ الصيام قبل النصف ثم يصله برمضان وفي الجملة فحديث أبى هريرة هو المعمول به فى هذا الباب عند كثير من العلماء وانه يكره التقدم قبل رمضان بالتطوع بالصيام بيوم أو يومين لمن ليس له به عادة ولا سبق منه صيام قبل ذلك في شعبان متصلا بآخره ولكراهة التقدم ثلاثة معان أحدها انه على وجه الاحتياط لرمضان فينهى عن التقدم قبله لئلا يزاد فى صيام رمضان ماليس منه كما نهى عن صيام يوم العيد لهذا

المعنى حذرا مما وقع فيه أهل الكتاب فى صيامهم فزادوا فيه بآرائهم وأهوائهم وخرج الطبراني وغيره عن عائشة رضى الله عنها قالت ان ناسا كانوا يتقدمون الشهر فيصومون قبل النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله عزوجل ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله ﴾ قالت عائشة انما الصوم صوم الناس والفطر فطر الناس ومع هذا فكان من السلف من يتقدم للاحتياط والحديث حجة عليه ولهذا نهى عن صيام يوم الشك قال عمار من صامه فقدعصى أبا القاسم صلى الله عليه وسلم ويوم الشك هو اليوم الذى يشك فيه هل هو من رمضان أوغيره فكان من المتقدمين من يصومه احتياطا ورخص فيه بعض الحنفية للعلماء فى أنفسهم خاصة دون العامة لئلا يعتقدوا وجوبه بناء على أصلهم فى ان صوم رمضان يجزئ بنية الصيام المطلق والنفل ويوم الشك هو الذي تحدث فيه برؤيته من لم يقبل قوله فاما يوم الغيم فمن العلماء من جعله يوم شك ونهى عن صيامه وهو قول الاكثرين ومنهم من صامه احتياطا وهو قول ابن عمر وكان الامام أحمد يتابعه على ذلك وعنه فى صيامه ثلاث روايات مشهورات ثالثها لايصام الا مع الامام وجماعة المسلمين لئلا يقع الافتيات عليهم والانفراد عنهم وقال اسحاق لايصام يوم الغيم ولكن يتلوم بالاكل فيه الى ضحوة النهار خشية أن يشهد برؤيته بخلاف حال الصحو فانه يأكل فيه من غدوة والمعنى الثاني الفصل بين صيام الفرض والنفل فان جنس الفصل بين الفرائض والنوافل مشروع ولهذا حرم صيام يوم العيد ونهى النبي صلى الله عليه وسلم أن توصل صلاة مفروضة بصلاة حتى يفصل بينهما بسلام أو كلام وخصوصا سنة الفجر قبلها فانه يشرع الفصل بينها وبين الفريضة ولهذا يشرع صلاتها فى البيت والاضطجاع بعدها ولما رأي النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يصلى وقد أقيمت صلاة الفجر آلصبح أربعا وفي المسند انه صلى الله عليه وسلم قال افصلوا بينها وبين المكتوبة ولاتجعلوها كصلاة الظهر وفى سنن أبي داود ان رجلا صلى مع النبى صلى الله عليه وسلم فلما سلم قام يشفع فوثب اليه عمر فاخذ بمنكبيه فهزه ثم قال اجلس فانه لم يهلك أهل الكتاب الا انه لم يكن لصلاتهم فصل فرفع النبى

صلى الله عليه وسلم بصره فقال أصاب الله بك يا ابن الخطاب ومن عال بهذا فمنهم من كره وصل صوم شعبان برمضان مطلقا وروى عن ابن عمر قال لو صمت الدهر كله لافطرت الذى بينهما وروى فيه حديث مرفوع لايصح والجمهور على جواز صيام ماوافق عادة لان الزيادة انما تخشى اذا لم يعرف سبب الصيام والمعنى الثالث انه أمر بذلك للتقوى على صيام رمضان فان مواصلة الصيام قد تضعف عن صيام الفرض فاذا حصل الفطر قبله بيوم أو يومين كان أقرب الى التقوى على صيام رمضان وفي هذا التعليل نظر فانه لا يكره التقدم باكثر من ذلك ولا لمن صام الشهر كله وهو أبلغ في معنى الضعف لكن الفطر بنية التقوى لصيام رمضان حسن لمن أضعفه مواصلة الصيام كما كان عبدالله بن عمرو بن العاص يسرد الفطر احيانا ثم يسرد الصوم ليتقوي بفطره على صومه ومنه قول بعض الصحابة انى أحتسب نومتى كما أحتسب قومتى وفى الحديث المرفوع الطاعم الشاكر كالصائم الصابر خرجه الترمذى وغيره ولربما ظن بعض الجهال ان الفطر قبل رمضان يراد به اغتنام الاكل لتأخذ النفوس حظها من الشهوات قبل أن تمنع من ذلك بالصيام ولهذا يقولون هي أيام توديع اللاكل وتسمى تنحيسا واشتقاقه من الايام النحسات ومن قال هو تنهيس بالهاء فهو خطأ منه ذكره ابن درستويه النحوي وذكر ان أصل ذلك متلقى من النصارى فانهم يفعلونه عند قرب صيامهم وهذا كله خطأ وجهل ممن ظنه وربما لم يقتصر كثير منهم على اغتنام الشهوات المباحة بل يتعدى الى المحرمات وهذا هو الخسران المبين وأنشد لبعضهم

اذا العشرون من شعبان وات فواصل شرب ليلك بالنهار
ولا تشرب باقداح صغار فان الوقت ضاق على الصغار

وقال آخر

جاء شعبان منذرا بالصيام فاسقياني راحا بماء الغمام

ومن كانت هذه حاله فالبهائم أعقل منه وله نصيب من قوله تعالى ﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ﴾ الآية وربما تكره كثير منهم بصيام

رمضان حتى ان بعض السفهاء من الشعراء كان يسبه وكان للرشيد ابن سفيه فقال مرة شعرا

دعاني شهر الصوم لاكان من شهر ولا صمت شهرا بعده آخر الدهر
فلو كان يعديني الانام بقدرة على الشهر لاستعديت جهدي على الشهر

فاخذه داء الصرع فكان يصرع في كل يوم مرات متعددة ومات قبل أن يدركه رمضان آخر وهؤلاء السفهاء يستثقلون رمضان لاستثقالهم العبادات فيه من الصلاة والصيام فكثير من هؤلاء الجهال لا يصلى الا في رمضان اذا صام وكثير منهم لا يجتنب كبائر الذنوب الافي رمضان فيطول عليه ويشق على نفسه مفارقتها لمألوفها فهو يعد الايام والليالى ليعود الى المعصية وهؤلاء مصرون على مافعلوا وهم يعلمون فهم هلكى ومنهم من لا يصبر على المعاصى فهو يواقعها فى رمضان وحكاية محمد بن هارون البلخى مشهورة وقد رويت من وجوه وهو انه كان مصرا على شرب الخمر فجاء في آخر يوم من شعبان وهو سكران فعاتبته أمه وهى تسجر تنورا فحملها فالقاها فى التنور فاحترقت وكان بعد ذلك قد تاب وتعبد فروئي له في النوم ان الله قد غفر للحاج كلهم سواه فمن أراد الله به خيرا ﴿ حبب اليه الايمان وزينه في قلبه وكره اليه الكفر والفسوق والعصيان ﴾ فصار من الراشدين ومن أراد به شرا خلى بينه وبين نفسه فاتبعه الشيطان ﴿ فحبب اليه الكفر والفسوق والعصيان ﴾ فكان من الغاوين الحذر الحذر من المعاصى فكم سلبت من نعم وكم جلبت من نقم وكم خربت من ديار وكم أخلت ديارا من أهلها فما بقى منهم ديار كم أخذت من العصاة بالثار كم محت لهم من آثار شعر

يا صاحب الذنب لا تأمن عواقبه عواقب الذنب تخشى وهى تنتظر
فكل نفس ستجزى بالذي كسبت وليس للخلق من ديانهم وزر

أين حال هؤلاء الحمقى من قوم كان دهرهم كله رمضان ليلهم قيام ونهارهم صيام باع قوم من السلف جارية فلما قرب شهر رمضان رأتهم يتأهبون له ويستعدون بالاطعمة وغيرها فسألتهم فقالوا نتهيأ لصيام رمضان فقالت وأنتم لا تصومون الا رمضان لقد

كنت عند قوم كل زمانهم رمضان ردوني عليهم باع الحسن بن صالح جارية له فلما انتصف الليل قامت فنادتهم يا أهل الدار الصلاة الصلاة قالوا طلع الفجر قالت وأنتم لاتصلون الا المكتوبة ثم جاءت الحسن فقالت بعتني على قوم سوء لايصلون الا المكتوبة ردني ردني قال بعض السلف صم الدنيا واجعل فطرك الموت الدنيا كلها شهر صيام المتقين يصومون فيه عن الشهوات المحرمات فاذا جاءهم الموت فقد انقضى شهر صيامهم واستهلوا عيد فطرهم

وقد صمت عن لذات دهرى كلها ويوم لقاكم ذاك فطر صيامى

من صام اليوم عن شهواته أفطر عليها بعد مماته ومن تعجل ماحرم عليه قبل وفاته عوقب بحرمانه في الآخرة وفواته وشاهد ذلك قوله تعالى ﴿ أذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها ﴾ الآية وقول النبي صلى الله عليه وسلم من شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها في الآخرة ومن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه فى الآخرة

أنت فى دار شتات فتاهب لشتاتك

واجعل الدنيا كيوم صمته عن شهواتك

وليكن فطرك عند الله في يوم وفاتك

فى حديث مرفوع خرجه ابن أبي الدنيا لو يعلم العباد مافى رمضان لتمنت أمتى أن يكون رمضان السنة كلها وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه بقدوم رمضان كما خرجه الامام أحمد والنسائي عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يبشر أصحابه يقول قد جاءكم شهر رمضان شهر مبارك كتب الله عليكم صيامه فيه تفتح أبواب الجنان وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه الشياطين فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم قال بعض العلماء هذا الحديث أصل فى تهنئة الناس بعضهم بعضا بشهر رمضان كيف لايبشر المؤمن بفتح أبواب الجنان كيف لايبشر المذنب بغلق أبواب النيران كيف لايبشر العاقل بوقت يغل فيه الشيطان من أين يشبه هذا الزمان زمان وفي حديث آخر أتاكم رمضان سيد الشهور فمرحبا به وأهلا جاء شهر الصيام

بالبركات فاكرم به من زائر هو آت وروى ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يدعو ببلوغ رمضان فكان اذا دخل رجب يقول اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان خرجه الطبراني وغيره من حديث أنس قال معلى بن الفضل كانوا يدعون الله تعالى ستة أشهر أن يبلغهم رمضان ثم يدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم وقال يحيى بن أبي كثير كان من دعائهم اللهم سلمني الى رمضان وسلم لي رمضان وتسلمه مني متقبلا بلوغ شهر رمضان وصيامه نعمة عظيمة على من أقدره الله عليه ويدل عليه حديث الثلاثة الذين استشهد اثنان منهم ثم مات الثالث على فراشه بعدهما فرؤى في النوم سابقا لهما فقال النبي صلى الله عليه وسلم أليس صلى بعدهما كذا وكذا صلاة وأدرك رمضان فصامه فوالذي نفسي بيده ان بينهما لابعد مما بين السماء والارض خرجه الامام أحمد وغيره من رحم في رمضان فهو المرحوم ومن حرم خيره فهو المحروم ومن لم يتزود لمعاده فيه فهو ملوم شعر

أتى رمضان مزرعة العباد　　لتطهير القلوب من الفساد
فأد حقوقه قولا وفعلا　　وزادك فاتخذه للمعاد
فمن زرع الحبوب وما سقاها　　تاوه نادما يوم الحصاد

يامن طالت غيبته عنا قد قربت أيام المصالحة يامن دامت خسارته قد اقبلت أيام التجارة الرابحة من لم يربح في هذا الشهر ففي أي وقت يربح من لم يقرب فيه من مولاه فهو على بعده لا يبرح

اناس اعرضوا عنا　　بلا جرم ولا معنى
أساؤا ظنهم فينا　　فهلا أحسنوا الظنا
فان عادوا لنا عدنا　　وان خانوا فما خنا
فان كانوا قد استغنوا　　فانا عنهم أغنا

كم ينادى حي على الفلاح وأنت خاسر كم تدعى الى الصلاح وأنت على الفساد مثابر شعر

اذا رمضان أتي مقبـلا فاقبـل فبالخير يستقبل

لعلك تخطئــه قابـلا وتأتي بعذر فلا يقبـل

كم ممن أمل أن يصوم هذا الشهر فخانه أمله فصار قبله الى ظلمة القبر كم من مستقبل يوما لايستكمله ومؤمل غدا لايدركه انكم لوأبصرتم الاجل ومسيره لابغضتم الامل وغروره خطب عمربن عبدالعزيز آخر خطبة خطبها فقال فيها انكم لم تخلقوا عبثا وان تتركوا سدي وان لكم معادا ينزل الله فيه للفصل بين عباده فقد خاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شئ وحرم جنـة عرضها السموات والارض ألا ترون انكم في اسلاب الهالكين وسيرثها بعدكم الباقون كذلك حتي ترد الى خير الوارثين وفي كل يوم تشيعون غاديا ورائحا الى الله قد قضى نحبه وانقضى أجله فتودعونه وتدعونه في صدع من الارض غير موسد ولاممهد قد خلع الاسباب وفارق الاحباب وسكن التراب وواجه الحساب غنيا عما خلف فقيرا الى ما أسلف فاتقوا الله عباد الله قبل نزول الموت وانقضاء مواقيته واني لاقول لكم هذه المقالة وما أعلم عنـد أحد من الذنوب أكثر مما أعلم عندى ولكن استغفر الله وأتوب اليه ثم رفع طرف ردائه وبكي حتى شهق ثم نزل فما عاد الى المنبر بعدها حتي مات رحمة الله عليه

ياذا الذى ماكفاه الذنب في رجب حتى عصى ربه في شهر شعبان

لقـد أظلك شهر الصوم بعـدهما فلا تصيره أيضا شهر عصيان

واتل القران وسبح فيـه مجتهدا فانه شـهر تسبيح وقـرآن

فاحمـل على جسد ترجو النجاة له فسوف تضرم أجساد بنيران

كم كنت تعرف ممن صام في سلف من بين أهل وجيران واخوان

أفناهم الموت واستبقاك بعـدهم حيا فما أقرب القاصى من الداني

ومعجب بثياب العيـد يقطعها فاصبحت فى غد أثواب أكفان

حتي متى يعمر الانسان مسكنه مصير مسكنه قبر لانسان

﴿ وظائف شهر رمضان المعظم وفيه مجالس ﴾

﴿ المجلس الاول في فضل الصيام ﴾

ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف قال الله عزوجل الا الصيام فانه لى وأنا أجزي به انه ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وفي رواية كل عمل ابن آدم له الا الصيام فانه لى وفى رواية للبخاري لكل عمل كفارة والصوم لى وأنا أجزى به وخرجه الامام أحمد من هذا الوجه ولفظه كل عمل ابن آدم له كفارة الا الصوم والصوم لى وأنا أجزى به فعلى الرواية الاولى يكون استثناء الصوم من الاعمال المضاعفة فتكون الاعمال كلها تضاعف بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الا الصيام فانه لاينحصر تضعيفه في هذا العدد بل يضاعفه الله عزوجل اضعافا كثيرة بغير حصر عدد فان الصيام من الصبر وقد قال الله تعالى ﴿ انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ ولهذا ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سمى شهر رمضان شهر الصبر وفي حديث آخر عنه صلى الله عليه وسلم قال الصوم نصف الصبر خرجه الترمذى والصبر ثلاثة أنواع صبر على طاعة الله وصبر عن محارم الله وصبر على اقدار الله المؤلمة وتجتمع الثلاثة في الصوم فان فيه صبرا على طاعة الله وصبرا عما حرم الله على الصائم من الشهوات وصبرا على مايحصل للصائم فيه من ألم الجوع والعطش وضعف النفس والبدن وهذا الالم الناشئ من أعمال الطاعات يثاب عليه صاحبه كما قال الله تعالى في المجاهدين ﴿ ذلك بأنهم لايصيبهم ظمأ ولانصب ولامخمصة في سبيل الله ولايطؤن موطأ يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لايضيع أجر المحسنين ﴾ وفي حديث سلمان المرفوع الذى أخرجه ابن خزيمة في صحيحه في فضل شهر رمضان وهو شهر الصبر والصبر ثوابه الجنة وفى الطبرانى عن ابن عمر مرفوعا الصيام لله لايعلم ثواب عمله الا الله عزوجل وروى مرسلا وهو أصح واعلم أن مضاعفة الاجر

للأعمال تكون بأسباب منها شرف المكان المعمول فيه ذلك العمل كالحرم ولذلك تضاعف الصلاة في مسجدي مكة والمدينة كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه من المساجد الا المسجد الحرام وفي رواية فانه أفضل وكذلك روي أن الصيام يضاعف بالحرم وفي سنن ابن ماجه باسناد ضعيف عن ابن عباس مرفوعا من أدرك رمضان بمكة فصامه وقام منه ماتيسر كتب الله له مائة ألف شهر رمضان فيما سواه وذكر له ثوابا كثيرا ومنها شرف الزمان كشهر رمضان وعشر ذى الحجة وفي حديث سلمان الفارسي المرفوع الذي أشرنا اليه في فضل شهر رمضان من تطوع فيه بخصلة من خصال الخير كان كمن أدي فريضة فيما سواه ومن أدي فيه فريضة كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه وفي الترمذى عن أنس سئل النبي صلى الله عليه وسلم أي الصدقة أفضل قال صدقة في رمضان وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عمرة في رمضان تعدل بحجة أوقال حجة معى وورد في حديث آخران عمل الصائم مضاعف وذكر أبو بكر بن أبى مريم عن أشياخه أنهم كانوا يقولون اذا حضر شهر رمضان فانبسطوا فيه بالنفقة فان النفقة فيه مضاعفة كالنفقة في سبيل الله وتسبيحة فيه أفضل من ألف تسبيحة في غيره قال النخعى صوم يوم من رمضان أفضل من ألف يوم وتسبيحة فيه أفضل من ألف تسبيحة وركعة فيه أفضل من ألف ركعة فلما كان الصيام في نفسه مضاعفا أجره بالنسبة الى سائر الاعمال كان صيام شهر رمضان مضاعفا على سائر الصيام لشرف زمانه وكونه هو الصوم الذى فرضه الله على عباده وجعل صيامه أحد أركان الاسلام التى بنى الاسلام عليها وقد يضاعف الثواب باسباب أخر منها شرف العامل عند الله وقربه منه وكثرة تقواه كما ضوعف أجر هذه الامة على أجور من قبلهم من الامم واعطوا كفلين من الاجر وأما على الرواية الثانية فاستثناء الصيام من بين الاعمال يرجع الى ان سائر الأعمال للعباد والصيام اختصه الله تعالى لنفسه من بين أعمال عباده وأضافه اليه وسيأتي ذكر توجيه هذا الاختصاص ان شاء الله تعالى

وأما على الرواية الثالثة فالاستثناء يعود الى التكفير بالاعمال ومن أحسن ماقيل في ذلك ماقاله سفيان بن عيينة رحمه الله قال هذا من أجود الاحاديث وأحكمها اذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده ويؤدى ماعليه من المظالم من سائر عمله حتي لايبقى الا الصوم فيتحمل الله عزوجل مابقى عليه من المظالم ويدخله بالصوم الجنة خرجه البيهقى فى شعب الايمان وغيره وعلى هذافيكون المعني ان الصيام لله عزوجل فلاسبيل لاحد الى أخذ أجره من الصيام بل أجره مدخر لصاحبه عند الله عزوجل وحينئذ فقد يقال ان سائر الاعمال قد يكفر بها ذنوب صاحبها فلا يبقى لها أجر فانه روى انه يوازن يوم القيامة بين الحسنات والسيئات ويقص بعضها من بعض فان بقى من الحسنات حسنة دخل بها صاحبها الى الجنة قاله سعيد بن جبير وغيره وفيه حديث مرفوع خرجه الحاكم من حديث ابن عباس مرفوعا فيحتمل أن يقال في الصوم انه لايسقط ثوابه بمقاصة ولا غيرها بل يوفر أجره لصاحبه حتى يدخل الجنة فيوفي أجره فيها وأماقوله فانه لى فان الله خص الصيام باضافته الي نفسه دون سائر الاعمال وقد كثر القول في معنى ذلك من الفقهاء والصوفية وغيرهم وذكروا فيه وجوها كثيرة ومن أحسن ماذكر فيه وجهان أحدهما ان الصيام هو مجرد ترك حظوظ النفس وشهواتها الاصلية التى جبلت على الميل اليها لله عزوجل ولا يوجد ذلك فى عبادة أخرى غير الصيام لان الاحرام انما يترك فيه الجماع ودواعيه من الطيب دون سائر الشهوات من الاكل والشرب وكذلك الاعتكاف مع انه تابع للصيام وأما الصلاة فانه وان ترك المصلى فيها جميع الشهوات الا ان مدتها لاتطول فلا يجد المصلى فقد الطعام والشراب فى صلاته بل قد نهي أن يصلى ونفسه تشوق الى طعام بحضرته حتي يتناول منه مايسكن نفسه ولهذا أمر بتقديم العشاء على الصلاة وذهبت طائفة من العلماء الى اباحة شرب الماء فى صلاة التطوع وكان ابن الزبير يفعله فى صلاته وهو رواية عن الامام أحمد وهذا بخلاف الصيام فانه يستوعب النهار كله فيجد الصائم فقد هذه الشهوات وتشوق نفسه اليها خصوصا فى نهار الصيف لشدة حره وطوله ولهذا روى ان من خصال الايمان

الصوم فى الصيف وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصوم رمضان فى السفر فى شدة الحر دون أصحابه كما قاله أبو الدرداء كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في رمضان فى سفر وأحدنا يضع يده على رأسه من شدة الحر وما فينا صائم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن رواحة وفي الموطأ انه صلى الله عليه وسلم كان بالعرج يصب الماء على رأسه وهو صائم من العطش أو الحر فاذا اشتد توقان النفس الى ماتشتهيه مع قدرتها عليه ثم تركته لله عزوجل في موضع لايطلع عليه الا الله كان ذلك دليلا على صحة الايمان فان الصائم يعلم ان له ربا يطلع عليه فى خلوته وقد حرم عليه أن يتناول شهواته المجبول على الميل اليها في الخلوة فاطاع ربه وامتثل أمره واجتنب نهيه خوفا من عقابه ورغبة في ثوابه فشكر الله تعالى له ذلك واختص لنفسه عمله هذا من بين سائر أعماله ولهذا قال بعد ذلك انه انما ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلى قل بعض السلف طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد غيب لم يره لما علم المؤمن الصائم ان رضا مولاه في ترك شهواته قدم رضا مولاه على هواه فصارت لذته فى ترك شهوته لله لايمانه باطلاع الله وثوابه وعقابه أعظم من لذته فى تناولها فى الخلوة ايثارا لرضا ربه على هوى نفسه بل المؤمن يكره ذلك فى خلوته أشد من كراهته لالم الضرب ولهذا كثير من المؤمنين لوضرب على أن يفطر فى شهر رمضان لغير عذر لم يفعل لعلمه لكراهة الله لفطره في هذا الشهر وهذا من علامات الايمان أن يكره المؤمن مايلائمه من شهواته اذا علم أن الله يكرهه فتصير لذته فيما يرضى مولاه وان كان مخالفا لهواه ويكون ألمه فيما يكرهه مولاه وان كان موافقا لهواه واذا كان هذا فيما حرم لعارض الصوم من الطعام والشراب ومباشرة النساء فينبغي أن يتأكد ذلك فيما حرم على الاطلاق كالزنا وشرب الخمر وأخذ الاموال أوالاعراض بغير حق وسفك الدماء المحرمة فان هذا يسخطه الله على كل حال وفي كل زمان ومكان فاذا كمل ايمان المؤمن كره ذلك كله أعظم من كراهته للقتل والضرب ولهذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم من علامات وجود حلاوة الايمان أن يكره أن يرجع الى الكفر بعد أن أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار وقال يوسف

عليه السلام ﴿ رب السجن أحب الىّ مما يدعوننى اليه ﴾ سئل ذوالنون المصرى متى أحب ربى قال اذا كان مايكرهه أمر عندك من الصبر وقال غيره ليس من أعلام المحبة أن تحب مايكرهه حبيبك وكثير من الناس يمشى على العوائد دون مايوجبه الايمان ويقتضيه فلهذا كثير منهم لوضرب ما أفطر فى رمضان لغير عذر ومن جهالهم من لايفطر لعذر ولوتضرر بالصوم مع ان الله يحب منه أن يقبل رخصته جريا على العادة وقد اعتاد مع ذلك ماحرم الله من الزنا وشرب الخمر وأخذ الاموال والاعراض أوالدماء بغير حق فهذا يجرى على عوائده في ذلك كله لاعلى مقتضى الايمان ومن عمل بمقتضي الايمان صارت لذته في مصابرة نفسه عما تميل نفسه اليه اذا كان فيه سخط الله وربما يرتقى الى أن يكره جميع مايكرهه الله منه وينفر منه وان كان ملائما للنفوس كما قيل

ان كان رضا كم فى سهرى فسلام الله على وسنى

وقال آخر

عذابه فيك عذب وبعده فيك قرب
وأنت عندى كروحى بل أنت منها أحب
حسبي من الحب اني لما تحب أحب

الوجه الثانى ان الصيام سر بين العبد وربه لايطلع عليه غيره لانه مركب من نية باطنة لايطلع عليها الا الله وترك لتناول الشهوات التى يستخفى بتناولها في العادة ولذلك قيل لاتكتبه الحفظة وقيل انه ليس فيه رياء كذا قاله الامام أحمد وغيره وفيه حديث مرفوع مرسل وهذا الوجه اختيار أبي عبيد وغيره وقد يرجع الي الاول فان من ترك ماتدعوه نفسه اليه لله عزوجل حيث لايطلع عليه غير من أمره أونهاه دل على صحة ايمانه والله تعالى يحب من عباده أن يعاملوه سرا بينهم وبينه وأهل محبته يحبون أن يعاملوه سرا بينهم وبينه بحيث لايطلع على معاملتهم اياه سواه حتى كان بعضهم يود لوتمكن من عبادة لاتشعر بها الملائكة الحفظة وقال بعضهم لما اطلع علي بعض سرائره

انما كانت تطيب الحياة لما كانت المعاملة بيني وبينه سرا ثم دعا لنفسه بالموت فمات المحبون يغارون من اطلاع الاغيار على الاسرار التي بينهم وبين من يحبهم ويحبونه شعر

نسيم صبا نجد متى جئت حاملا   تحيتهم فاطو الحديث عن الركب
ولا تذع السر المصون فانني   أغار على ذكر الاحبة من صحبي

وقوله ترك شهوته وطعامه وشرابه من أجلي فيه اشارة الى المعنى الذى ذكرناه وان الصائم يقرب الى الله بترك ماتشتهيه نفسه من الطعام والشراب والنكاح وهذه أعظم شهوات النفس وفى التقرب بترك هذه الشهوات بالصيام فوائد منها كسر النفس فان الشبع والري ومباشرة النساء تحمل النفس على الاشر والبطر والغفلة ومنها تخلى القلب للفكر والذكر فان تناول هذه الشهوات قد تقسى القلب وتعميه وتحول بين العبد وبين الذكر والفكر وتستدعى الغفلة وخلو الباطن من الطعام والشراب ينور القلب ويوجب رقته ويزيل قسوته ويخليه للذكر والفكر ومنها ان الغنى يعرف قدر نعمة الله عليه باقداره له علي مامنعه كثيرا من الفقراء من فضول الطعام والشراب والنكاح فانه بامتناعه من ذلك في وقت مخصوص وحصول المشقة له بذلك يتذكر به من منع من ذلك على الاطلاق فيوجب له ذلك شكر نعمة الله عليه بالغني ويدعوه الى رحمة أخيه المحتاج ومواساته بما يمكن من ذلك ومنها ان الصيام يضيق مجاري الدم التي هى مجاري الشيطان من ابن آدم فان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فتسكن بالصيام وساوس الشيطان وتنكسر سورة الشهوة والغضب ولهذا جعل النبي صلى الله عليه وسلم الصوم وجاء لقطعه عن شهوة النكاح واعلم انه لا يتم التقرب الى الله تعالى بترك هذه الشهوات المباحة فى غير حالة الصيام الا بعد التقرب اليه بترك ماحرم الله فى كل حال من الكذب والظلم والعدوان على الناس فى دمائهم وأموالهم وأعراضهم ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة فى أن يدع طعامه وشرابه خرجه البخارى وفى حديث آخر ليس الصيام من الطعام

والشراب انما الصيام من اللغو والرفث وقال الحافظ أبوموسى المدينى على شرط مسلم قال بعض السلف أهون الصيام ترك الشراب والطعام وقال جابر اذا صمت فليصم سمعك و بصرك ولسانك عن الكذب والمحارم ودع أذي الجار وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك ولاتجعل يوم صومك ويوم فطرك سواء شعر

اذا لم يكن فى السمع منى تصاون　　وفى بصرى غض وفى منطق صمت
فحظي اذا من صومى الجوع والظما　　فان قلت انى صمت يومى فما صمت

وقال النبي صلى الله عليه وسلم رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش ورب قائم حظه من قيامه السهر وسر هذا ان التقرب الى الله تعالى بترك المباحات لا يكمل الا بعد التقرب اليه بترك المحرمات فمن ارتكب المحرمات ثم تقرب الى الله تعالى بترك المباحات كان بمثابة من يترك الفرائض ويتقرب بالنوافل وان كان صومه مجزئا عند الجمهور بحيث لايؤمر باعادته لان العمل انما يبطل بارتكاب مانهى عنه فيه لخصوصه دون ارتكاب مانهى عنه لغير معنى يختص به هذا هو أصل جمهور العلماء (1) وفي مسند الامام أحمد ان امرأتين صامتا فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم فكادتا أن تموتا من العطش فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فاعرض ثم ذكرتا له فدعاهما فامرهما أن يتقيآ فقاءتا ملء قدح قيحا ودما وصديدا ولحما عبيطا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان هاتين صامتا عما أحل الله لهما وافطرتا على ماحرم الله عليهما جلست احداهما الى الاخري فجعلتا ياكلان لحوم الناس ولهذا المعنى والله أعلم ورد فى القرآن بعد ذكر تحريم الطعام والشراب على الصائم بالنهار ذكر تحريم أكل أموال الناس بالباطل فان تحريم هذا عام فى كل زمان ومكان بخلاف الطعام والشراب فكان اشارة الى ان من امتثل أمر الله فى اجتناب الطعام والشراب فى نهار صومه فليمتثل أمره فى اجتناب أكل الاموال بالباطل فانه محرم بكل حال لايباح فى وقت من الاوقات وقوله صلى الله عليه وسلم وللصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه أما فرحة الصائم عند فطره فان

(1) كذا ولعله هذا قول جمهور

النفوس مجبولة على الميل الى مايلائمها من مطعم ومشرب ومنكح فاذا منعت من ذلك في وقت من الاوقات ثم أبيح لها في وقت آخر فرحت باباحة مامنعت منه خصوصا عند اشتداد الحاجة اليه فان النفوس تفرح بذلك طبعا فان كان ذلك محبوبا لله كان محبوبا شرعا والصائم عند فطره كذلك فكما ان الله تعالى حرم على الصائم فى نهار الصيام تناول هذه الشهوات فقد أذن له فيها في ليل الصيام بل أحب منه المبادرة الى تناولها فى أول الليل وآخره فاحب عباده اليه أعجلهم فطرا والله وملائكته يصلون على المتسحرين فالصائم ترك شهواته لله بالنهار تقربا الى الله وطاعة له ويبادر اليها في الليل تقربا الى الله وطاعة له فما تركها الا بأمر ربه ولا عاد اليها الا بأمر ربه فهو مطيع له في الحالين ولهذا نهي عن الوصال في الصيام فاذا بادر الصائم الى الفطر تقربا الى مولاه وأكل وشرب وحمد الله فانه يرجى له المغفرة أو بلوغ الرضوان بذلك وفي الحديث ان الله ليرضى عن عبده أن يأكل الاكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها وربما استجيب دعاؤه عند ذلك كما جاء في الحديث المرفوع الذى خرجه ابن ماجه ان للصائم عند فطره دعوة ماترد وان نوى بأكله وشربه تقوية بدنه على القيام والصيام كان مثابا على ذلك كما انه اذا نوى بنومه في الليل والنهار التقوى على العمل كان نومه عبادة وفى حديث مرفوع نوم الصائم عبادة قالت حفصة بنت سيرين قال أبو العالية الصائم في عبادة مالم يغتب أحدا وان كان نائما على فراشه فكانت حفصة تقول ياحبذا عبادة وأنا نائمة على فراشي خرجه عبدالرزاق فالصائم فى ليله ونهاره في عبادة ويستجاب دعاؤه في صيامه وعند فطره فهو في نهاره صائم صابر وفي ليله طاعم شاكر وفى الحديث الذى خرجه الترمذى وغيره الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر ومن فهم هذا الذى أشرنا اليه لم يتوقف في معني فرح الصائم عند فطره فان فطره على الوجه المشار اليه من فضل الله ورحمته فيدخل في قول الله تعالى ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ ولكن شرط ذلك أن يكون فطره على حلال فان كان فطره على حرام كان ممن صام عما أحل الله وأفطر على ماحرم الله ولم

يستجب له دعاء كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فى الذى يطيل السفر يمد يديه الى السماء يارب يارب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغـذى بالحرام فاني يستجاب لذلك وأما فرحه عند لقاء ربه فيما يجده عند الله من ثواب الصيام مدخرا فيجده أحوج ما كان اليه كما قال تعالى ﴿ وماتقدموا لانفسكم من خير تجدوه عندالله هوخيرا وأعظم أجرا ﴾ وقال تعالى ﴿ يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا ﴾ وقال ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ﴾ وقد تقدم قول ابن عيينة ان ثواب الصيام لا يأخذه الغرماء فى المظالم بل يدخره الله عنده للصائم حتي يدخله به الجنة وفي المسند عن عقبة ابن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ليس من عمل يوم الا يختم عليـه وعن عيسى عليه السلام قال ان هذا الليل والنهار خزانتان فانظروا ما تضعون فيهما فالايام خزائن للناس ممتلئة بما خزنوه فيها من خير وشر وفي يوم القيامة تفتح هذه الخزائن لاهلها فالمتقون يجدون في خزائنهم العز والكرامة والمذنبون يجدون فى خزائنهم الحسرة والندامة الصائمون على طبقتين احداهما من ترك طعامه وشرابه وشهوته لله تعالى يرجو عنده عوض ذلك فى الجنة فهذا قد تاجر مع الله وعامله والله تعالى ﴿ لا يضيع أجر من أحسن عملا ﴾ ولا يخيب معـه من عامله بل يربح عليه أعظم الربح وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل انك لن تدع شيئا اتقاء الله الا أتاك الله خيرا منه خرجـه الامام أحمد فهذا الصائم يعطى فى الجنة ماشاء الله من طعام وشراب ونساء قال الله تعالى ﴿ كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية ﴾ قال مجاهد وغيره نزلت فى الصائمين قال يعقوب بن يوسـف الحنفي بلغنا ان الله تعالى يقول لاوليائه يوم القيامة يا أوليائي طالما نظرت اليكم فى الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الاشربة وغارت أعينكم وجفت بطونـكم كونوا اليوم فى نعيمكم وتعاطوا الكأس فيما بينـكم ﴿ وكلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم في الايام الخالية ﴾ وقال الحسن تقول الحوراء لولى الله وهو متكئ معها على نهر العسل تعاطيه الكاس ان الله نظر اليك فى يوم صائف بعيد مابين الطرفين وأنت فى ظماها جرة من جهد العطش فباهى بك الملائكة وقال انظروا الى عبدى ترك زوجته

وشهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلي رغبة فيما عندي اشهدوا اني قد غفرت له فغفرالك يومئذ وزوجنيك وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون لايدخل منه غيرهم وفي رواية فاذا دخلوا أغلق وفي رواية من دخل منه شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا وفي حديث عبدالرحمن بن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في منامه الطويل قال ورأيت رجلا من أمتي يلهث عطشا كلما ورد حوضا منع منه فجاءه صيام رمضان فسقاه وأرواه خرجه الطبراني وغيره وروى ابن أبي الدنيا باسناد فيه ضعف عن أنس مرفوعا الصائمون ينفح من أفواههم ريح المسك ويوضع لهم مائدة تحت العرش. يأكلون منها والناس في الحساب وعن أنس موقوفا ان لله مائدة لم تر مثلها عين ولم تسمع اذن ولاخطر على قلب بشر لايقعد عليها الا الصائمون وعن بعض السلف قال بلغنا انه يوضع للصوام مائدة يأكلون عليها والناس في الحساب فيقولون يارب نحن نحاسب وهم يأكلون فيقال انهم طالما صاموا وأفطرتم وقاموا ونمتم رأى بعضهم بشر بن الحارث في المنام وبين يديه مائدة وهو يأكل ويقال له كل يامن لم يأكل واشرب يامن لم يشرب كان بعض الصالحين قدصام حتي انحني وانقطع صوته فمات فرآه بعض أصحابه الصالحين في المنام فسأله عن حاله فضحك وأنشد

قد كسى حلة البهاء وطافت ... بأباريق حوله الخدام

ثم حلى وقيل ياقاريء ارقا ... فلعمري لقد براك الصيام

اجتاز بعض الصالحين بمناد ينادى على السحور في رمضان ياماخبانا للصوام فتنبه بهذه الكلمة وأكثر من الصيام رأى بعض العارفين في منامه كأنه أدخل الجنة فسمع قائلا يقول له هل تذكر انك صمت لله يوما قط فقال نعم قال فاخذتني صواني النثار من الجنة من ترك لله في الدنيا طعاما وشرابا وشهوة مدة يسيرة عوضه الله عنده طعاما وشرابا لاينفد وأزواجا لايمتن أبدا شهر رمضان فيه يزوج الصائمون في الحديث ان الجنة لتزخرف وتنجد من الحول الى الحول لدخول رمضان فتقول الحور يارب اجعل

لنا في هذا الشهر من عبادك أزواجا تقر أعيننا بهم وتقر أعينهم بنا وفى حديث آخران الحور ينادين فى شهر رمضان هل من خاطب الي الله فنزوجه مهور الحور العين طول التهجد وهو حاصل فى رمضان أكثر من غيره كان بعض الصالحين كثير التهجد والصيام فصلى ليلة فى المسجد ودعا فغلبته عيناه فرأي فى منامه جماعة علم انهم ليسوا من الآدميين بايديهم أطباق عليها أرغفـة ببياض الثلج فوق كل رغيف در كامثال الرمان فقالوا كل فقال اني أريد الصوم قالوا له يأمرك صاحب هذا البيت أن تأكل قال فأكلت وجعلت آخذ ذلك الدر لاحتمله فقالوا له دعه نغرسه لك شجرا ينبت لك خيرا من هـذا قال أين قالوا فى دار لاتخرب وثمر لا يتغير وملك لاينقطع وثياب لاتبلى فيها رضوى وعينا وقرة أعين أزواج رضيات مرضيات راضيات لايغرن ولا يغرن فعليك بالانكماش فيما أنت فانما هي غفوة حتى ترتحل فتنزل الدار فما مكث بعد هذه الرؤيا الا جمعتين حتى توفي فرآه ليلة وفاته فى المنام بعض أصحابه الذين حدثهم برؤياه وهو يقول لاتعجب من شجر غرس لى فى يوم حدثتك وقد حمل فقال له ماحمل قال لاتسأل لايقدر أحد على صفته لم ير مثل الكريم اذا حل به مطيع ياقوم الاخاطب في هـذا الشهر الى الرحمن الاراغب فيما أعده الله للطائعين فى الجنان الاطالب لما أخبر به من النعيم المقيم مع انه ليس الخبر كالعيان

من يرد ملك الجنان　　فليدع عنـه التواني

وليقم فى ظلمـة الليـل الى نور القـران

وليصل صوما بصـوم　　ان هذا العيش فاني

انمـا العيش جـوار اللـه في دار الامان

﴿الطبقة الثانية من الصائمين﴾ من يصوم فى الدنيا عما سوي الله فيحفظ الرأس وما حوي ويحفظ البطن وما وعى ويذكر الموت والبلى ويريد الآخرة فيترك زينة الدنيا فهذا عيد فطره يوم لقاء ربه وفرحه برؤيته شعر

أهل الخصوص من الصوام صومهم　　صون اللسان عن البهتان والكذب

والعارفون وأهل الانس صومهم   صون القلوب عن الاغيار والحجب

العارفون لايسليهم عن رؤية مولاهم قصر ولايرويهم دون مشاهدته نهر همهم أجل من ذلك

كبرت همة عبد   طمعت في أن تراك

من يصم عن مفطرات   فصيامى عمن سواك

من صام عن شهواته فى الدنيا أدركها غدا فى الجنة ومن صام عما سوى الله فعيده يوم لقائه ﴿ من كان يرجوا لقاء الله فان أجل الله لآت ﴾

وقد صمت عن لذات دهرى كلها   ويوم لقاكم ذاك فطر صيامى

رؤى بشر فى المنام فسئل عن حاله فقال علم قلة رغبتي في الطعام فاباحني النظر اليه وقيل لبعضهم أين نطلبك فى الآخرة قال في زمرة الناظرين الى الله قيل له كيف علمت ذلك قال بغض طرفى له عن كل محرم وباجتنابي فيه كل منكر ومأثم وقد سألته أن يجعل جنتي النظر اليه شعر

ياحبيب القلوب مالى سواكا   ارحم اليوم مذنبا قد أتاكا

ليس لى فى الجنان مولاى راي   غير انى أريدها لاراكا

يامعشر التائبين صوموا اليوم عن شهوات الهوى لتدركوا عيد الفطر يوم اللقاء لا يطولن عليكم الامل باستبطاء الاجل فان معظم نهار الصيام قد ذهب وعيد اللقاء قد اقترب

ان يوما جامعا شملي بهم   ذاك عيدى ليس لى عيد سواه

وقوله ولخلوف فم الصائم أطيب عندالله من ريح المسك خلوف الفم رائحة مايتصاعد منه من الابخرة لخلو المعدة من الطعام بالصيام وهى رائحة مستكرهة فى مشام الناس فى الدنيا لكنها طيبة عندالله حيث كانت ناشئة عن طاعته وابتغاء مرضاته كما ان دم الشهيد يجيء يوم القيامة يثعب دما لونه لون الدم وريحه ريح المسك وبهذا استدل من كره السواك للصائم أولم يستحبه من العلماء وأول من علمناه استدل بذلك عطاء بن أبى رباح وروى عن أبى هريرة انه استدل به لكن من وجه لايثبت وفي المسألة خلاف

مشهور بين العلماء وانما كرهه من كرهه فى آخر نهار الصوم لانه وقت خلو المعدة وتصاعد الابخرة وهل يدخل وقت الكراهة بصلاة العصر أو بزوال الشمس أو بفعل صلاة الظهر في أول وقتها على أقوال ثلاثة والثالث هو المنصوص عن أحمد وفي طيب ريح خلوف الصائم عندالله عزوجل معنيان أحدهما ان الصيام لما كان سرا بين العبد وبين ربه فى الدنيا أظهره الله في الآخرة علانية للخلق ليشتهر بذلك أهـل الصيام و يعرفون بصيامهم بين الناس جزاء لاخفائهم صـيامهم فى الدنيا وروي أبو الشيخ الاصبهاني باسناد فيه ضعف عن أنس مرفوعا يخرج الصائمون من قبورهم يعرفون بريح أفواههم أفواههم أطيب من ريح المسك حكى عن سهل بن عبدالله التستري الزاهد رحمه الله انه كان يواظب على الصيام فمر يوما بتمار و بين يديه رطب حسن فاشتهت نفسه فرد شهوتها فقالت نفســه فعلت بي كل بلية من سهر الليالى وظمأ الهواجر فاعطني هــذه الشهوة واستعملني فى الطاعة كيف شئت فاشترى ســهل من الرطب وخبز الحواري وقليل شوى ودخل موضعا ليأكل فاذا رجلان يختصمان فقال أحدهما انى محق وأنت مبطل أتريد أن أحلف لك اني محق وأن الامر على مازعمت قال بلى فحلف قال وحق الصائمين اني محق في دعواى فقال هذا مبعوث الحق تعالى الى هذا السوط بى ثم أخذ بلحيته وقال ياسهل بلغ من شرفك وشرف صومك حتى يحلف العباد بصومك فيقول وحق الصائمين ثم تفطر أنت على قليل رطب (١)

والله أعلم

قال مكحول يروح أهـل الجنـة برائحة فيقولون ربنا ما وجـدنا ريحا منـذ دخلنا الجنة أطيب من هذه الريح فيقال هذه رائحة أفواه الصوام وقد تفوح رائحة الصيام في الدنيا وتستنشق قبل الآخرة وهو نوعان أحـدهما مايدرك بالحواس الظاهرة كان عبدالله بن غالب من العباد المجتهدين فى الصلاة والصيام فلمادفن كان يفوح من تراب

(١) هذا البياض موجود بالاصل الذي بايدينا وقد راجعنا الثلاث نسخ الموجودة بالكتبخانة الملوكية المصرية فوجدنا الحـكاية ساقطة من أولها فيها اهـ مصححه

قبره رائحة المسك فرؤى فى المنام فسئل عن تلك الرائحة التى توجد من قبره فقال تلك رائحة التلاوة والظمأ والنوع الثانى ماتستنشقه الارواح والقلوب فيوجب ذلك للصائمين المخلصين المودة والمحبة في قلوب المؤمنين وفى حديث الحارث الاشعرى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان زكرياء عليه السلام قال لبنى اسرائيل آمركم بالصيام فان مثل ذلك كمثل رجل فى عصابة معه صرة فيها مسك فكلهم تعجبه ريحه وان ريح الصيام أطيب عندالله من ريح المسك خرجه الترمذى وغيره لما كان معاملة المخلصين بصيامهم لمولاهم سرا بينه وبينهم أظهر الله سرهم لعباده فصار علانية فصارهذا التجلى والاظهار جزاء لذلك الصون والاسرار فى الحديث ما أسر أحد سريرة الا ألبسه الله رداءها علانية قال يوسف بن اسباط أوحي الله تعالى الى نبي من الانبياء قل لقومك يخفون لى أعمالهم وعلى اظهارها لهم شعر

تذلل أرباب الهوى فى الهوى عز ... وفقرهم نحو الحبيب هو الكنز

وسترهم فيه السرائر شهرة ... وغير تلاف النفس فيه هو العجز

والمعني الثانى ان من عبدالله وأطاعه وطلب رضاه في الدنيا بعمل فنشأ من عمله آثار مكروهة للنفوس في الدنيا فان تلك الآثار غير مكروهة عندالله بل هى محبوبة له وطيبة عنده لكونها نشأت عن طاعته واتباع مرضاته فاخباره بذلك للعاملين فى الدنيا فيه تطييب لقلوبهم لئلا يكره منهم ماوجد في الدنيا قال بعض السلف وعدالله موسى ثلاثين (٧) ليلة أن يكلمه على رأسها فصام ثلاثين يوما ثم وجد من فيه خلوفا فكره أن يناجى ربه على تلك الحال فاخذ سواكا فاستاك به فلما أتي لموعد الله اياه قال له ياموسى أماعلمت ان خلوف فم الصائم أطيب عندنا من ريح المسك ارجع فصم عشرة أخرى ولهذا المعنى كان دم الشهيد ريحه يوم القيامة كريح المسك وغبار المجاهدين في سبيل الله ذريرة أهل الجنة ورد فى حديث مرسل كل شئ ناقص فى عرف الناس فى الدنيا حتي اذا انتسب الى طاعته ورضاه فهو الكامل فى الحقيقة خلوف أفواه الصائمين

(٧) في نسخة يوما

له أطيب من ريح المسك عرى المحرمين لزيارة بيته أجمل من لباس الحلل نوح المذنبين على أنفسهم من خشيته أفضل من التسبيح انكسار المخبتين لعظمته هو الجبر ذل الخائفين من سطوته هو العز تهتك المحبين في محبته أحسن من الستر بذل النفوس للقتل في سبيله هو الحياة جوع الصائمين لاجله هو الشبع عطشهم في طلب مرضاته هو الري نصب المجتهدين في خدمته هو الراحة

ذل الفتى في الحب مكرمة　　وخضوعه لحبيبه شرف

هبت اليوم على القلوب نفحة من نفحات نسيم القرب سعى سمسار المواعظ للمهجورين في الصلح وصلت البشارة للمنقطعين بالوصال وللمذنبين بالعفو والمستوجبين النار بالعتق لما سلسل الشيطان في شهر رمضان وخمدت نيران الشهوات بالصيام انعزل سلطان الهوي وصارت الدولة لحاكم العقل بالعدل فلم يبق للعاصي عذر ياغيوم الغفلة عن القلوب تقشعي ياشموس التقوي والايمان اطلعي ياصحائف أعمال الصائمين ارتفعي ياقلوب الصائمين اخشعي ياأقدام المتهجدين اسجدي لربك واركعي ياعيون المجتهدين لاتهجعي ياذنوب التائبين لاترجعي ياأرض الهوي ابلعي ماءك وياسماء النفوس أقلعي يابروق العشاق للعشاق المعي ياخواطر العارفين ارتعي ياهمم المحبين بغير الله لاتقنعي ياجنيد اطرب ياشبلي احضر يارابعة اسمعي قد مدت في هذه الايام موائد الانعام للصوام فما منكم الامن دعي ﴿ ياقومنا أجيبوا داعي الله ﴾ وياهمم المؤمنين اسرعي فطوبى لمن أجاب فأصاب وويل لمن طرد عن الباب وما دعي

ليت شعري ان جئتهم يقبلوني　　أم تراهم عن بابهم يصرفوني
أم تراني اذا وقفت لديهم　　يأذنوا بالدخول أم يطردوني

﴿ المجلس الثاني في فضل الجود في رمضان وتلاوة القرآن ﴾

في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود مايكون في رمضان حين يلقاه جبريل فيدارسه القرآن وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم حين يلقاه

جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة وخرجه الامام أحمد بزيادة فى آخره وهي لا يسأل عن شئ الا أعطاه الجود هو سعة العطاء وكثرته والله تعالى يوصف بالجود وفي الترمذى من حديث سعد بن أبي وقاص عن النبى صلى الله عليه وسلم ان الله جواد يحب الجود كريم يحب الكرم وفيه أيضا من حديث أبى ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه قال ياعبادى لو أن أولكم وآخركم وحيكم وميتكم ورطبكم ويابسكم اجتمعوا فى صعيد واحد فسأل كل انسان منكم مابلغت أمنيته فاعطيت كل سائل منكم مانقص ذلك من ملكى الا كما لو أن أحدكم مر بالبحر فغمس فيه ابرة ثم رفعها اليه ذلك بأني جواد واجد ماجد أفعل ماأريد عطائي كلام وعذابى كلام انما أمري لشئ اذا أردت أن أقول له كن فيكون وفى الاثر المشهور عن فضيل بن عياض ان الله تعالى يقول كل ليلة أنا الجواد ومني الجود أنا الكريم ومنى الكرم فالله سبحانه وتعالى أجود الاجودين وجوده يتضاعف فى أوقات خاصة كشهر رمضان وفيه انزل قوله ﴿ واذا سألك عبادى عنى فانى قريب أجيب دعوة الداعي اذا دعانى ﴾ وفي الحديث الذى خرجه الترمذي وغيره انه ينادي فيه مناد ياباغي الخير هلم وياباغى الشر اقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة ولما كان الله عزوجل قد جبل نبيه صلى الله عليه وسلم على أكمل الاخلاق وأشرفها كما فى حديث أبي هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال انما بعثت لاتمم مكارم (٧) الاخلاق وذكره مالك فى الموطأ بلاغا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس كلهم وخرج ابن عدى باسناد فيه ضعف من حديث أنس مرفوعا ألا أخبركم بالاجود الاجود الله الاجود الاجود وأنا أجود بنى آدم وأجودهم من بعدي رجل علم علما فنشر علمه يبعث يوم القيامة أمة وحده ورجل جاد بنفسه فى سبيل الله فدل هذا على انه صلى الله عليه وسلم أجود بنى آدم على الاطلاق كما انه أفضلهم وأعلمهم وأشجعهم وأكملهم في جميع الاوصاف الحميدة وكان جوده بجميع أنواع الجود من بذل العلم والمال وبذل نفسه لله تعالى في اظهار دينه وهداية عباده وايصال النفع اليهم بكل طريق من اطعام جائعهم ووعظ جاهلهم

(٧) نسخة صالح

وقضاء حوائجهم وتحمل أثقالهم ولم يزل صلى الله عليه وسلم على هذه الخصال الحميدة منذ نشأ ولهذا قالت له خديجة في أول مبعثه والله لايخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتقري الضيف وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق ثم تزايدت هذه الخصال فيه بعد البعثة وتضاعفت اضعافا كثيرة وفى الصحيحين عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن الناس وأشجع الناس وأجود الناس وفي صحيح مسلم عنه قال ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام شيئا الا أعطاه فجاء رجل فاعطاه غنما بين جبلين فرجع الى قومه فقال ياقوم اسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لايخشى الفاقة وفي رواية ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم غنما بين جبلين فاعطاه اياه فاتي قومه فقال ياقوم اسلموا فان محمدا يعطى عطاء مايخاف الفقر قال أنس ان كان الرجل ليسلم مايريد الا الدنيا فما يمسى حتى يكون الاسلام أحب اليه من الدنيا وماعليها وفيه أيضا عن صفوان بن أمية قال لقد أعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني وانه لمن أبغض الناس الى فما برح يعطيني حتي انه لاحب الناس الى قال ابن شهاب أعطاه يوم حنين مائة من النعم ثم مائة ثم مائة وفى مغازى الواقدى ان النبي صلى الله عليه وسلم أعطي صفوان يومئذ واديا مملوأ ابلا ونعما فقال صفوان اشهد ماطابت بهذا الانفس نبى وفي الصحيحين عن جبير بن مطعم ان الاعراب علقوا بالنبى صلى الله عليه وسلم مرجعه من حنين يسألونه أن يقسم بينهم فقال لو كان لى عدد هذه العضاه نعما لقسمته بينكم ثم لاتجدوني بخيلا ولا كذوبا ولاجبانا وفيهما عن جابر قال ماسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فقال لاوانه قال لجابر لوجاءنا مال البحرين لقد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا وقال بيديه جميعا وخرج البخارى من حديث سهل بن سعد ان شملة أهديت للنبى صلى الله عليه وسلم فلبسها وهو محتاج اليها فسأله اياها رجل فاعطاه فلامه الناس وقالوا كان محتاجا اليها وقد علمت انه لايرد سائلا فقال انما سألتها لتكون كفنى فكانت كفنه وكان جوده صلى الله عليه وسلم كله لله وفى ابتغاء مرضاته فانه كان يبذل المال اما لفقير أومحتاج أو ينفقه في سبيل الله أويتألف به على الاسلام من يقوى الاسلام باسلامه وكان يؤثر

على نفسه وأهله وأولاده فيعطى عطاء يعجز عنه الملوك مثل كسرى وقيصر ويعيش في نفسه عيش الفقراء فيأتي عليه الشهر والشهران لا يوقد في بيته نار وربما ربط على بطنه الحجر من الجوع وكان قد أتاه سبي مرة فشكت اليه فاطمة ماتلقى من خدمة البيت وطلبت منه خادما يكفيها مؤنة بيتها فامرها أن تستعين بالتسبيح والتكبير والتحميد عند نومها وقال لا أعطيك وأدع أهل الصفة تطوى بطونهم من الجوع وكان جوده صلى الله عليه وسلم يتضاعف في شهر رمضان على غيره من الشهور كما ان جود ربه يتضاعف فيه أيضا فان الله جبله على ما يحبه من الاخلاق الكريمة وكان على ذلك من قبل البعثة وذكر ابن اسحاق عن وهب بن كيسان عن عبيد بن عمير قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجاور في حراء من كل سنة شهرا يطعم من جاءه من المساكين حتى اذا كان الشهر الذي أراد الله به ما أراد من كرامته من السنة التى بعثه فيها وذلك الشهر شهر رمضان خرج الى حراء كما كان يخرج لجواره معه أهله حتى اذا كانت الليلة التى أكرمه الله تعالى برسالته ورحم العباد بها جاءه جبريل من الله عزوجل ثم كان بعد الرسالة جوده في رمضان اضعاف ما كان قبل ذلك فانه كان يلتقى هو وجبريل عليه السلام وهو أفضل الملائكة وأكرمهم ويدارسه الكتاب الذي جاء به اليه وهو أشرف الكتب وأفضلها وهو يحث على الاحسان ومكارم الاخلاق وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الكتاب له خلقا بحيث يرضى لرضاه ويسخط لسخطه ويسارع الى ماحث عليه ويمتنع مما زجر عنه فلهذا كان يتضاعف جوده وافضاله في هذا الشهر لقرب عهده بمخالطة جبريل عليه السلام وكثرة مدارسته له هذا الكتاب الكريم الذي يحث على المكارم والجود ولا شك ان المخالطة تؤثر وتورث اخلاقا من المخالطة كان بعض الشعراء قد امتدح ملكا جوادا فاعطاه جائزة سنية فخرج بها من عنده وفرقها كلها على الناس فانشد

لمست بكفى كفه ابتغى الغنا ولم أدر ان الجود من كفه يعدى

فبلغ ذلك الملك فأضعف له الجائزة وقد قال بعض الشعراء يمتدح بعض الاجواد

ولا يصلح أن يكون ذلك الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم شعر

تعود بسط الكف حتى لو انه ثناها لقبض لم تجبه أنامله
تراه اذا ما جئته متهللا كانك تعطيه الذى أنت سائله
هو البحر من أي النواحى أتيته فلجته المعروف والجود ساحله
ولو لم يكن في كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

سمع الشبلي قائلا يقول ياالله ياجواد فتأوه وصاح وقال كيف يمكننى أن أصف الحق بالجود ومخلوق يقول فى شكله فذكر هذه الابيات ثم بكى وقال بلي ياجواد فانك أوجدت تلك الجوارح و بسطت تلك الهمم فانت الجواد كل الجواد فانهم يعطون عن محدود وعطاؤك لاحدله ولاصفة فياجوادا يعلو كل جواد وبه جاد كل من جاد وفى تضاعف جوده صلى الله عليه وسلم فى شهر رمضان بخصوصه فوائد كثيرة منها شرف الزمان ومضاعفة أجر العمل فيه وفى الترمذى عن أنس مرفوعا أفضل الصدقة صدقة فى رمضان ومنها اعانة الصائمين والقائمين والذاكرين على طاعاتهم فيستوجب المعين لهم مثل أجرهم كما ان من جهز غازيا فقد غزا ومن خلفه في أهله فقد غزا وفى حديث زيد بن خالد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من فطر صائما فله مثل أجره من غير أن ينقص من أجر الصائم شئ خرجه الامام أحمد والنسائى والترمذي وابن ماجه وخرجه الطبرانى من حديث عائشة وزاد وماعمل الصائم من أعمال البر الا كان لصاحب الطعام مادام قوة الطعام فيه وخرج ابن خزيمة في صحيحه من حديث سلمان مرفوعا حديثا في فضل شهر رمضان وفيه وهو شهر المواساة وشهر يزاد فيه فى رزق المؤمن من فطر فيه صائما كان مغفرة لذنوبه وعتق رقبته من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شئ قالوا يارسول الله ليس كلنا يجد مايفطر الصائم قال يعطي الله هذا الثواب لمن فطر صائما على مذقة لبن أوتمرة أوشربة ماء ومن أشبع فيه صائما سقاه الله من حوضى شربة لايظمأ بعدها حتى يدخل الجنة ومنها ان شهر رمضان شهر يجود الله فيه على عباده بالرحمة والمغفرة والعتق من النار لاسيما في ليلة القدر والله تعالى

يرحم من عباده الرحماء كما قال صلى الله عليه وسلم انما يرحم الله من عباده الرحماء فمن جاد على عباد الله جاد الله عليه بالعطاء والفضل والجزاء من جنس العمل ومنها ان الجمع بين الصيام والصدقة من موجبات الجنة كما في حديث على رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الجنة غرفا يرى ظهورها من بطونها و بطونها من ظهورها قالوا لمن هي يارسول الله قال لمن طيب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام وهذه الخصال كلها تكون فى رمضان فيجتمع فيه للمؤمن الصيام والقيام والصدقة وطيب الكلام فانه ينهى فيه الصائم عن اللغو والرفث والصيام والصلاة والصدقة توصل صاحبها الي الله عزوجل قال بعض السلف الصلاة توصل صاحبها الى نصف الطريق والصيام يوصله الى باب الملك والصدقة تأخذ بيده فتدخله على الملك وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من أصبح منكم اليوم صائما قال أبو بكر أنا قال من تبع منكم اليوم جنازة قال أبو بكر أنا قل من تصدق بصدقة قال أبو بكر أنا قال فمن عاد منكم مريضا قال أبو بكر أنا قال ما اجتمعن فى امرئ الادخل الجنة ومنها ان الجمع بين الصيام والصدقة أبلغ فى تكفير الخطايا واتقاء جهنم والمباعدة عنها وخصوصا ان ضم الى ذلك قيام الليل فقد ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الصيام جنة وفي رواية جنة أحدكم من النار كجنته من القتال وفي حديث معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وقيام الرجل من جوف الليل يعنى انه يطفئ الخطيئة أيضا وقد صرح بذلك في رواية الامام أحمد وفي الحديث الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اتقوا النار ولو بشق تمرة كان أبو الدرداء يقول صلوا في ظلمة الليل ركعتين لظلمة القبور صوموا يوما شديدا حره لحر يوم النشور تصدقوا بصدقة لشر يوم عسير ومنها ان الصيام لابد أن يقع فيه خلل أو نقص وتكفير الصيام للذنوب مشروط بالتحفظ مما ينبغي التحفظ منه كما ورد ذلك في حديث خرجه ابن حبان فى صحيحه وعامة صيام الناس لايجتمع فى صومه التحفظ كما ينبغي ولهذا نهي أن يقول الرجل صمت رمضان كله أو قمته

كله فالصدقة تجبر مافيه من النقص والخلل ولهذا وجب في آخر شهر رمضان زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث والصيام والصدقة لهما مدخل في كفارات الايمان ومحظورات الاحرام وكفارة الوطء في رمضان ولهذا كان الله تعالى قد خير المسلمين في ابتداء الامر بين الصيام واطعام المسكين ثم نسخ ذلك وبقي الاطعام لمن يعجز عن الصيام لكبره ومن أخر قضاء رمضان حتى أدركه رمضان آخر فانه يقضيه ويضم اليه اطعام مسكين لكل يوم تقوية له عند أكثر العلماء كما أفتى به الصحابة وكذلك من أفطر لاجل غيره كالحامل والمرضع على قول طائفة من العلماء ومنها ان الصائم يدع طعامه وشرابه لله فاذا أعان الصائمين على التقوى على طعامهم وشرابهم كان بمنزلة من ترك شهوة لله وآثرها أو واسى منها ولهذا يشرع له تفطير الصوام معه اذا أفطر لان الطعام يكون محبوبا له حينئذ فيواسي منه حتى يكون ممن أطعم الطعام على حبه ويكون في ذلك شكر لله على نعمة اباحة الطعام والشراب له ورده عليه بعد منعه اياه فان هذه النعمة انما عرف قدرها عند المنع منها وسئل بعض السلف لم شرع الصيام قال ليذوق الغني طعم الجوع فلا ينسى الجائع وهذا من بعض حكم الصوم وفوائده وقد ذكرنا فيما تقدم حديث سلمان وفيه وهو شهر المواساة فمن لم يقدر فيه على درجة الايثار على نفسه فلا يعجز عن درجة أهل المواساة كان كثير من السلف يواسون من افطارهم أو يؤثرون به ويطوون كان ابن عمر يصوم ولا يفطر الا مع المساكين فاذا منعه أهله عنهم لم يتعش تلك الليلة وكان اذا جاءه سائل وهو على طعامه أخذ نصيبه من الطعام وقام فأعطاه السائل فيرجع وقد أكل أهله ما بقي في الجفنة فيصبح صائما ولم يأكل شيئا واشتهى بعض الصالحين من السلف طعاما وكان صائما فوضع بين يديه عند فطوره فسمع سائلا يقول من يقرض الملي الوفي الغني فقال عبده المعدم من الحسنات فقام فاخذ الصحفة فخرج بها اليه وبات طاويا وجاء سائل الى الامام أحمد فدفع اليه رغيفين كان يعدهما لفطره ثم طوي وأصبح صائما وكان الحسن يطعم اخوانه وهو صائم تطوعا ويجلس يروحهم وهم يأكلون وكان ابن المبارك يطعم اخوانه في السفر الالوان

من الحلواء وغيرها وهو صائم سلام الله على تلك الارواح رحمة الله على تلك الاشباح لم يبق منهم الا أخبار وآثاركم بين من يمنع الحق الواجب عليه و بين أهل الايثار

لا تعرضن لذكرنا في ذكرهم ليس الصحيح اذا مشى كالمقعد

وله فوائد أخر قال الشافعى رضى الله عنه أحب للرجل الزيادة بالجود في شهر رمضان اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم ولحاجة الناس فيه الى مصالحهم ولتشاغل كثير منهم بالصوم والصلاة عن مكاسبهم وكذا قال القاضى أبو يعلى وغيره من أصحابنا أيضا ودل [1] الحديث أيضا على استحباب دراسة القرآن في رمضان والاجتماع على ذلك وعرض القرآن على من هو أحفظ له وفيه دليل على استحباب الاكثار من تلاوة القرآن في شهر رمضان وفي حديث فاطمة عليها السلام عن أبيها صلى الله عليه وسلم انه أخبرها ان جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن كل عام مرة وانه عارضه فى عام وفاته مرتين و فى حديث ابن عباس ان المدارسة بينه و بين جبريل كانت ليلا يدل على استحباب الاكثار من التلاوة فى رمضان ليلا فان الليل تنقطع فيه الشواغل ويجتمع فيه الهم ويتواطأ فيه القلب واللسان على التدبر كما قال تعالى ﴿ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا﴾ وشهر رمضان له خصوصية بالقرآن كما قال تعالى ﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن﴾ وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما أنه أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى بيت العزة فى ليلة القدر ويشهد لذلك قوله تعالي ﴿انا أنزلناه في ليلة القدر﴾ وقوله انا أنزلناه فى ليلة مباركة وقد سبق عن عبيد بن عمير ان النبي صلى الله عليه وسلم بدئ بالوحى ونزول القرآن عليه في شهر رمضان وفى المسند عن واثلة بن الاسقع عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال نزلت صحف ابراهيم فى أول ليلة من شهر رمضان وأنزلت التوراة لست مضين من رمضان وأنزل الانجيل لثلاث عشرة من رمضان وأنزل القرآن لاربع وعشرين خلت من رمضان وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يطيل القراءة فى قيام رمضان بالليل أكثر من غيره وقد صلى معه حذيفة ليلة في رمضان

(١) الاستدلال على استحباب دراسة القرآن في رمضان والاجتماع عليه

قل فقرأ بالبقرة ثم النساء ثم آل عمران لا يمر بآية تخويف الا وقف وسأل فما صلى الركعتين حتى جاءه بلال فاذنه بالصلاة خرجه الامام أحمد وخرجه النسائي وعنده انه ما صلى الأربع ركعات وكان عمر قد أمر أبيّ بن كعب وتميما الداري أن يقوما بالناس في شهر رمضان فكان القارئ يقرأ بالمائتين في ركعة حتي كانوا يعتمدون على العصى من طول القيام وما كانوا ينصرفون الا عند الفجر وفي رواية انهم كانوا يربطون الحبال بين السواري ثم يتعلقون بها وروى ان عمر جمع ثلاثة قراء فأمر أسرعهم قراءة أن يقرأ بالناس ثلاثين وأوسطهم بخمس وعشرين وأبطأهم بعشرين ثم كان في زمن التابعين يقرؤن بالبقرة في قيام رمضان في ثمان ركعات فان قرأ بها في اثنتي عشرة ركعة رأوا انه قد خفف قال ابن منصور سئل اسحاق بن راهويه كم يقرأ في قيام شهر رمضان فلم يرخص في دون عشر آيات فقيل له انهم لا يرضون فقال لا رضوا فلا تؤمنهم اذا لم يرضوا بعشر آيات من البقرة ثم اذا صرت الى الآيات الخفاف فبقدر عشر آيات من البقرة يعني في كل ركعة وكذلك كره مالك أن يقرأ دون عشر آيات وسئل الامام أحمد عما روى عن عمر كما تقدم ذكره في السريع القراءة والبطيء فقال في هذا مشقة على الناس ولاسيما في هذه الليالي القصار وانما الامر على ما يحتمله الناس وقال أحمد لبعض أصحابه وكان يصلي بهم في رمضان هؤلاء قوم ضعفى اقرأ خمسا ستا سبعا قال فقرأت فختمت ليلة سبع وعشرين وقد روي الحسن ان الذي أمره عمر أن يصلي بالناس كان يقرأ خمس آيات ست آيات وكلام الامام أحمد يدل على انه يراعى في القراءة حال المأمومين فلا يشق عليهم وقاله أيضا غيره من الفقهاء من أصحاب أبي حنيفة وغيرهم وقد روى عن أبي ذر ان النبي صلى الله عليه وسلم قام بهم ليلة ثلاث وعشرين الى ثلث الليل وليلة خمس وعشرين الى نصف الليل فقالوا له لو نفلتنا بقية ليلتنا فقال ان الرجل اذا صلى مع الامام حتى ينصرف كتب له بقية ليلته خرجه أهل السنن وحسنه الترمذي وهذا يدل على ان قيام ثلث الليل ونصفه يكتب به قيام ليلة لكن مع الامام

وكان الامام أحمد يأخذ بهذا الحديث ويصلي مع الامام حتى ينصرف ولا ينصرف

حتى ينصرف الامام وقال بعض السلف من قام نصف الليل فقد قام الليل وفي سنن أبي داود عن عبدالله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين ومن قام بمائة آية كتب من القانتين ومن قام بالف آية كتب من المقنطرين يعنى انه يكتب له قنطار من الاجر ويروى من حديث تميم وأنس مرفوعا من قرأ بمائة آية في ليلة كتب له قيام ليلة وفي اسنادهما ضعف وروى حديث تميم موقوفا عليه وهو أصح وعن ابن مسعود قال من قرأ في ليلة خمسين آية لم يكتب من الغافلين ومن قرأ بمائة آية كتب من القانتين ومن قرأ ثلاثمائة آية كتب له قنطار ومن أراد أن يزيد في القراءة و يطيل وكان يصلى لنفسه فليطول ماشاء كما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك من صلى بجماعة يرضون بصلاته وكان بعض السلف يختم في قيام رمضان في كل ثلاث ليال وبعضهم في كل سبع منهم قتادة وبعضهم في كل عشرة منهم أبو رجاء العطاردى وكان السلف يتلون القرآن في شهر رمضان في الصلاة وغيرها كان الاسود يقرأ القرآن في كل ليلتين في رمضان وكان النخعى يفعل ذلك فى العشر الاواخر منه خاصة وفى بقية الشهر في ثلاث وكان قتادة يختم في كل سبع دائما وفي رمضان فى كل ثلاث وفي العشر الاواخر كل ليلة وكان للشافعى في رمضان ستون ختمة يقرؤها في غير الصلاة وعن أبي حنيفة نحوه وكان قتادة يدرس القرآن في شهر رمضان وكان الزهرى اذا دخل رمضان قال فانما هو تلاوة القرآن واطعام الطعام قال ابن عبدالحكم كان مالك اذا دخل رمضان يفر من قراءة الحديث ومجالسة أهل العلم وأقبل على تلاوة القرآن من المصحف قال عبدالرزاق كان سفيان الثورى اذا دخل رمضان ترك جميع العبادة وأقبل على قراءة القرآن وكانت عائشة رضى الله عنها تقرأ فى المصحف أول النهار في شهر رمضان فاذا طلعت الشمس نامت وقال سفيان كان زبيد اليامىّ اذا حضر رمضان أحضر المصاحف وجمع اليه أصحابه وانما ورد النهى عن قراءة القرآن فى أقل من ثلاث على المداومة على ذلك فاما في الاوقات المفضلة كشهر رمضان خصوصا الليالى

الا كثار فيها من تلاوة القرآن اغتناما للزمان والمكان وهو قول أحمد واسحاق وغيرهما من الائمة وعليه يدل عمل غيرهم كما سبق ذكره واعلم أن المؤمن يجتمع له في شهر رمضان جهادان لنفسه جهاد بالنهار على الصيام وجهاد بالليل على القيام فمن جمع بين هذين الجهادين ووفي بحقوقهما وصبر عليهما وفي أجره بغير حساب قال كعب ينادي يوم القيامة مناد ان كل حارث يعطى بحرثه ويزاد غير أهل القرآن والصيام يعطون أجورهم بغير حساب ويشفعان له أيضا عند الله عزوجل كما في المسند عن عبد الله ابن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصيام والقيام يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام أى رب منعته الطعام والشراب بالنهار ويقول القرآن منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان فالصيام يشفع لمن منعه الطعام والشهوات المحرمة كلها سواء كان تحريمها يختص بالصيام كشهوة الطعام والشراب والنكاح ومقدماتها أولا يختص كشهوة فضول الكلام المحرم والنظر المحرم والسماع المحرم والكسب المحرم فاذا منعه الصيام من هذه المحرمات كلها فانه يشفع له عند الله يوم القيامة ويقول يارب منعته شهواته فشفعني فيه فهذا لمن حفظ صيامه ومنعه من شهواته فاما من ضيع صيامه ولم يمنعه مما حرمه الله عليه فانه جدير أن يضرب به وجه صاحبه ويقول له ضيعك الله كما ضيعتني كما ورد مثل ذلك في الصلاة قال بعض السلف اذا احتضر المؤمن يقال للملك شم رأسه قال أجد في رأسه القرآن فيقال شم قلبه فيقول أجد في قلبه الصيام فيقال شم قدميه فيقول أجد في قدميه القيام فيقال حفظ نفسه حفظه الله عزوجل وكذلك القرآن انما يشفع لمن منعه من النوم بالليل فاما من قرأ القرآن وقام به فقد قام بحقه فيشفع له وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم رجلا فقال ذاك لا يتوسد القرآن يعني لا ينام عليه فيصير له كالوسادة وخرج الامام أحمد من حديث بريدة مرفوعا ان القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حتى ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب [1] فيقول هل تعرفني أنا صاحبك الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك وكل تاجر من وراء تجارته فيعطي

(١) المتغير اللون

الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ثم يقال له اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعود مادام يقرأ هذاً كان أوترتيلا وفي حديث عبادة بن الصامت الطويل ان القرآن يأتي صاحبه في القبر فيقول له أنا الذى كنت أسهر ليلك واظمئ نهارك وأمنعك شهوتك وسمعك وبصرك فستجدني من الاخلاء خليل صدق ثم يصعد فيسأل له فراشا ودثارا فيؤمر له بفراش من الجنة وقنديل من الجنة وياسمين من الجنة ثم يدفع القرآن في قبلة القبر فيوسع عليه ماشاء الله من ذلك قال ابن مسعود ينبغى لقارئ القرآن أن يعرف بليله اذا الناس نائمون ونهاره اذا الناس يفطرون وببكائه اذا الناس يضحكون وبورعه اذا الناس يخلطون وبصمته اذا الناس يخوضون وبخشوعه اذا الناس يختالون وبحزنه اذا الناس يفرحون قال محمد بن كعب كنا نعرف قارئ القرآن بصفرة لونه يشير الى سهره وطول تهجده قال وهيب بن الورد قيل لرجل ألا تنام قال ان عجائب القرآن أطرن نومى وصحب رجل رجلا شهرين فلم يره نائما فقال مالى لا أراك نائما قال ان عجائب القرآن أطرن نومى ماأخرج من أعجوبة الاوقعت فى أخرى قال أحمد بن أبى الحوارى انى لاقرأ القرآن وأنظر في آية فيحير عقلى بها وأعجب من حفاظ القرآن كيف يهنيهم النوم ويسعهم أن يشتغلوا بشئ من الدنيا وهم يتلون كلام الله أما انهم لوفهموا مايتلون وعرفوا حقه وتلذذوا به واستحلوا المناجاة به لذهب عنهم النوم فرحا بما قد رزقوا أنشد ذوالنون المصرى

منع القرآن بوعده ووعيده مقل العيون بليلها لاتهجع

فهموا عن الملك العظيم كلامه فهما تذل له الرقاب وتخضع

فاما من كان معه القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار فانه ينتصب القرآن خصما له يطالبه بحقوقه التي ضيعها وخرج الامام أحمد من حديث سمرة ان النبي صلى الله عليه وسلم رأى فى منامه رجلا مستلقيا على قفاه ورجل قائم بيده فهر أو صخرة فيشدخ به رأسه فيتدهده الحجر فاذا ذهب ليأخذه عاد رأسه كما كان فيصنع به مثل ذلك فسأل عنه فقيل له هذا رجل آتاه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار فهو

يعمل به ذلك الى يوم القيامة وقد خرجه البخارى بغير هذا اللفظ وفى حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم يمثل القرآن يوم القيامة رجلا فيؤتي بالرجل قد حمله فخالف أمره فيتمثل له خصما فيقول يارب حملته اياى فبئس حامل تعدى حدودي وضيع فرائضى وركب معصيتى وترك طاعتى فما يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال شأنك به فيأخذ بيده فما يرسله حتى يكبه على منخره في النار ويؤتي بالرجل الصالح كان قد حمله وحفظ أمره فيتمثل خصما دونه فيقول يارب حملته اياى فخير حامل حفظ حدودى وعمل بفرائضى واجتنب معصيتى واتبع طاعتي فلا يزال يقذف له بالحجج حتى يقال شأنك به فيأخذ بيده فما يرسله حتى يلبسه حلة الاستبرق ويعقد عليه تاج الملك ويسقيه كأس الخمر يامن ضيع عمره فى غير الطاعة يامن فرط في شهره بل في دهره وأضاعه يا من بضاعته التسويف والتفريط وبئست البضاعة يامن جعل خصمه القرآن وشهر رمضان كيف ترجو ممن جعلته خصمك الشفاعة

ويل لمن شفعاؤه خصماؤه ... والصور في يوم القيامة ينفخ

رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش وقائم حظه من قيامه السهر كل قيام لا ينهى عن الفحشاء والمنكر لا يزيد صاحبه الا بعدا وكل صيام لا يصان عن قول الزور والعمل به لا يورث صاحبه الا مقتا وردا يا قوم أين آثار الصيام أين أنوار القيام شعر

ان كنت تنوح ياحمام البان ... للبين فاين شاهد الاحزان

أجفانك للدموع أم أجفاني ... لا يقبل مدع بلا برهان

هذا عباد الله شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن وفي بقيته للعابدين مستمتع وهذا كتاب الله يتلى فيه بين أظهركم ويسمع وهو القرآن الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعا يتصدع ومع هذا فلا قلب يخشع ولا عين تدمع ولا صيام يصان عن الحرام فينفع ولا قيام استقام فيرجى في صاحبه أن يشفع قلوب خلت من التقوى فهي خراب بلقع وتراكمت عليها ظلمة الذنوب فهي لا تبصر ولا تسمع كم تتلى علينا آيات القرآن وقلوبنا كالحجارة أو أشد قسوة وكم يتوالى علينا شهر رمضان وحالنا فيه كحال أهل

الشقوة لا الشاب منا ينتهي عن الصبوة ولا الشيخ ينزجر عن القبيح فيلتحق بالصفوة أين نحن من قوم اذا سمعوا داعي الله أجابوا الدعوة واذا تليت عليهم آيات الله جلت قلوبهم جلوة واذا صاموا صامت منهم الالسنة والاسماع والابصار أفما لنا فيهم اسوة كم بيننا وبين حال الصفا أبعد مما بيننا وبين الصفا والمروة كلما حسنت منا الاقوال ساءت الاعمال فلا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وحسبنا الله

يانفس فاز الصالحون بالتقى ... وابصروا الحق وقلبي قد عمي
ياحسنهم والليل قد جنهم ... ونورهم يفوق نور الانجم
ترنموا بالذكر في ليلهم ... فعيشهم قد طاب بالترنم
قلوبهم للذكر قد تفرغت ... دموعهم كلؤلؤ منتظم
أسحارهم بهم لهم قد أشرقت ... وخلع الغفران خير القسم
ويحك يانفس ألا تيقظ ... ينفع قبل أن تزل قدمى
مضى الزمان فى توان وهوى ... فاستدركي ماقد بقى واغتنمى

﴿ المجلس الثالث في ذكر العشر الاوسط من شهر رمضان ﴾
وذكر نصف الشهر الاخير

فى الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف في العشر الاوسط من رمضان فاعتكف عاما حتى اذا كانت ليلة احدي وعشرين وهى التي يخرج فى صبيحتها من اعتكافه قال من كان اعتكف معي فليعتكف العشر الاواخر وقد أريت هذه الليلة ثم أنسيتها وقد رأيتني أسجد في ماء وطين من صبيحتها فالتمسوها فى العشر الاواخر والتمسوها فى كل وتر فمطرت السماء تلك الليلة وكان المسجد على عريش فوكف المسجد فبصرت عيناى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جبهته أثر الماء والطين من صبح احدى وعشرين هذا الحديث يدل على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاوسط من شهر رمضان لابتغاء ليلة القدر فيه وهذا السياق يقتضى ان ذلك تكرر منه وفي رواية في الصحيحين

في هذا الحديث انه اعتكف العشر الاول ثم اعتكف العشر الاوسط ثم قال اني أتيت فقيل لى انها في العشر الاواخر فمن أحب منكم أن يعتكف فليعتكف فاعتكف الناس معه وهذا يدل على ان ذلك كان منه قبل أن يتبين له انها فى العشر الاواخر ثم لما تبين له ذلك اعتكف العشر الاواخر حتي قبضه الله عزوجل كما رواه عنه عائشة وأبو هريرة وغيرهما وروي ان عمر جمع جماعة من الصحابة فسألهم عن ليلة القدر فقال بعضهم كنا نراها في العشر الاوسط ثم بلغنا انها فى العشر الاواخر وسيأتى الحديث بتمامه في موضع آخر ان شاء الله وخرج ابن أبي عاصم في كتاب الصيام وغيره من حديث خالد ابن محدوج عن أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال التمسوها في أول ليلة أو في تسع أو في أربع عشرة وخالد هذا فيه ضعف وهذا يدل على انها تطلب في ليلتين من العشر الاول وفي ليلة من العشر الاوسط وهى أربع عشرة وقد سبق من حديث واثلة بن الاسقع مرفوعا ان الانجيل انزل لثلاث عشرة من رمضان وقد ورد الامر بطلب ليلة القدر فى النصف الاواخر من رمضان وفي افراد مابقى من العشر الاوسط من هذا النصف وهما ليلتان ليلة سبع عشرة وليلة تسع عشرة أما الاول فخرجه الطبراني من حديث عبدالله بن أنيس انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر فقال رأيتها ونسيتها فتحرها في النصف الاواخر ثم عاد فسأله فقال التمسها في ليلة ثلاث وعشرين تمضى من الشهر ولهذا المعنى والله أعلم كان أبيّ بن كعب يقنت فى الوتر في ليالى النصف الاواخر لانه يرجى فيه ليلة القدر وأيضا فكل زمان فاضل من ليل أونهار فان آخره أفضل من أوله كيوم عرفة ويوم الجمعة وكذلك الليل والنهار عموما آخره أفضل من أوله ولذلك كانت الصلاة الوسطى صلاة العصر كما دلت الاحاديث الصحيحة عليه وآثار السلف الكثيرة تدل عليه وكذلك عشر ذى الحجة والمحرم آخرهما أفضل من أولهما وأما الثانى ففى سنن أبي داود عن ابن مسعود مرفوعا اطلبوها ليلة سبع عشرة من رمضان وليلة احدي وعشرين وليلة ثلاث وعشرين ثم سكت وفي رواية ليلة تسع عشرة وقيل ان الصحيح وقفه على ابن مسعود فقد صح عنه انه قال تحروا ليلة القدر

ليلة سبع عشرة [1] صباحية بدرا واحدى وعشرين وفي رواية عنه قال ليلة سبع عشرة فان لم يكن ففي تسع عشرة وخرج الطبراني من رواية أبي المهزم وهو ضعيف عن أبي هريرة مرفوعا قال التمسوا ليلة القدر في سبع عشرة أو تسع عشرة أو احدى وعشرين أو ثلاث وعشرين أو خمس وعشرين أو سبع وعشرين أو تسع وعشرين ففي هذا الحديث التماسها في افراد النصف الثاني كلها ويروى من حديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا كان ليلة تسع عشرة من رمضان شد المئزر وهجر الفراش حتي يفطر قال البخاري تفرد به عمر بن مسكين ولا يتابع عليه وقد روى عن طائفة من الصحابة انها تطلب ليلة سبع عشرة وقالوا ان صبيحتها كان يوم بدر روى عن علي وابن مسعود وزيد بن أرقم وزيد بن ثابت وعمرو بن حريث ومنهم من روى عنه انها ليلة تسع عشرة روي عن علي وابن مسعود وزيد بن أرقم والمشهور عند أهل السير والمغازي ان ليلة بدر كانت ليلة سبع عشرة وكانت ليلة جمعة وروي ذلك عن علي وابن عباس وغيرهما وعن ابن عباس رواية ضعيفة انها كانت ليلة الاثنين وكان زيد بن ثابت لايحيي ليلة من رمضان كما يحيي ليلة سبع عشرة ويقول ان الله فرق في صبيحتها بين الحق والباطل وأذل في صبيحتها أئمة الكفر وحكي الامام أحمد هذا القول عن أهل المدينة ان ليلة القدر تطلب ليلة سبع عشرة قال في رواية أبي داود فيمن قال لامرأته أنت طالق ليلة القدر قال يعتزلها اذا دخل العشر وقبل العشر أهل المدينة يرونها في السبع عشرة الا أن المثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في العشر الاواخر وحكى عن عامر بن عبد الله بن الزبير انه كان يواصل ليلة سبع عشرة وعن أهل مكة انهم كانوا لاينامون فيها ويعتمرون وحكي عن أبي يوسف ومحمد صاحبي أبي حنيفة ان ليلة القدر في النصف الاواخر من رمضان من غير تعيين لها بليلة وان كانت في نفس الامر عند الله معينة وروى عن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام قال ليلة القدر ليلة سبع عشرة ليلة جمعة خرجه ابن أبي شيبة وظاهره انها انما تكون ليلة القدر اذا كانت ليلة جمعة لتوافق

(١) نسخة صباحة

ليلة بدر وروى أبو الشيخ الاصبهاني باسناد جيد عن الحسن قال ان غلاما لعثمان بن أبي العاصي قال له ياسيدي ان البحر [1] يعذب في هذا الشهر في ليلة قل فاذا كانت تلك الليلة فاعلمني قال فلما كانت تلك الليلة أذنه فنظروا فوجدوه عذبا فاذا هي ليلة سبع عشرة وروى من حديث جابر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي قباء صبيحة سبع عشرة من رمضان أي يوم كان خرجه أبو موسى المديني وقد قيل ان المعراج كان فيها أيضا ذكر ابن سعد عن الواقدي عن أشياخه ان المعراج كان ليلة السبت لسبع عشرة خلت من رمضان قبل الهجرة الي السماء وان الاسراء كان ليلة سبع عشرة من ربيع الاول قبل الهجرة بسنة الى بيت المقدس وهذا على قول من فرق بين المعراج والاسراء فجعل المعراج الى السماء كما ذكر فى سورة النجم والاسراء الى بيت المقدس خاصة كما ذكر في سورة سبحان وقد قيل ان ابتداء نبوة النبى صلى الله عليه وسلم كان فى سابع عشر رمضان قال أبو جعفر محمد بن على الباقر نزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة السبت وليلة الاحد ثم ظهر له بحراء برسالة الله عزوجل يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من رمضان وأصح ماروى في الحوادث فى هذه الليلة انها ليلة بدر كما سبق انها كانت ليلة سبع عشرة وقيل تسع عشرة والمشهور انها كانت ليلة سبع عشرة كما تقدم وصبيحتها هو يوم الفرقان يوم التقى الجمعان وسمى يوم الفرقان لان الله تعالى فرق فيه بين الحق والباطل وأظهر الحق وأهله على الباطل وحزبه وعلت كلمة الله وتوحيده وذل أعداؤه من المشركين وأهل الكتاب وكان ذلك فى السنة الثانية من الهجرة فان النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة في ربيع الاول في أول سنة من سني الهجرة ولم يفرض رمضان فى ذلك العام ثم صام عاشوراء وفرض [2] عليه رمضان في ثاني سنة فهو أول رمضان صامه وصامه المسلمون معه ثم خرج النبي صلى الله عليه وسلم لطلب عير من قريش قدمت من الشام الى المدينة فى يوم السبت لاثنتى عشرة ليلة خلت من رمضان وأفطر فى خروجه اليها قال ابن المسيب قال عمر غزونا مع رسول الله صلى الله عليه

(١) البحر يعذب ليلة القدر (٢) فرض رمضان فى السنة الثانية من الهجرة

وسلم غزوتين في رمضان يوم بدر ويوم الفتح وأفطرنا فيهما وكان سبب خروجه حاجة أصحابه خصوصا المهاجرين ﴿الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾ وكانت هذه العير معها أموال كثيرة لاعدائهم الكفار الذين أخرجوهم من ديارهم وأموالهم ظلما وعدوانا كما قال الله تعالى ﴿أذن للذين يقاتلون بانهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله﴾ الآية فقصد النبي صلى الله عليه وسلم أن يأخذ أموال هؤلاء الظالمين المعتدين على أولياء الله وحزبه وجنده فيردها على أولياء الله وحزبه المظلومين المخرجين من ديارهم وأموالهم ليتقووا بها على عبادة الله وطاعته وجهاد أعدائه وهذا مما أحله الله لهذه الامة فانه أحل لهم الغنائم ولم تحل لاحد قبلهم وكان عدة من معه (١) ثلثمائة وبضعة عشر وكانوا على عدة أصحاب طالوت الذين جازوا معه النهر وماجازه معه الامؤمن وفي سنن أبي داود من حديث عبد الله بن عمرو قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر في ثلاثمائة وخمسة عشر من المقاتلة كما خرج طالوت فدعا لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرجوا فقال اللهم انهم حفاة فاحملهم وانهم عراة فاكسهم وانهم جياع فاشبعهم ففتح الله يوم بدر فانقلبوا حين انقلبوا ومافيهم رجل الا وقد رجع بجمل أوجملين واكتسوا وشبعوا وكان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم حين خرجوا على غاية من قلة الظهر والزاد فانهم لم يخرجوا مستعدين لحرب ولا لقتال انما خرجوا لطلب العير فكان معهم نحو سبعين بعيرا يعتقبونها بينهم كل ثلاثة على بعير وكان للنبي صلى الله عليه وسلم زميلان فكانوا يعتقبون على بعير واحد فكان زميلاه يقولان له اركب يارسول الله حتى نمشي عنك فيقول ما أنتما باقوى على المشي مني ولا أنا باغنى عن الاجر منكما ولم يكن معهما الافرسان وقيل ثلاثة وقيل فرس واحد للمقداد وبلغ المشركين خروج النبي صلى الله عليه وسلم لطلب العير فاخذ أبوسفيان بالعير نحو الساحل وبعث الى مكة يخبرهم الخبر ويطلب منهم أن ينفروا لحماية

(١) عدة أصحاب بدر رضى الله عنهم ثلثمائة وبضعة عشر على عدة أصحاب طالوت

عيرهم فخرجوا مستصرخين وخرج أشرافهم ورؤساؤهم وساروا نحو بدر واستشار
النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين في القتال فتكلم المهاجرون فسكت عنهم وانما كان
قصده الانصار لانه ظن انهم لم يبايعوه الاعلى نصرته على من قصده فى ديارهم فقام
سعد بن عبادة فقال ايانا تريد يعنى الانصار والذى نفسى بيده لوأمرتنا أن نخيضها
البحر لأخضناها ولوأمرتنا أن نضرب أكبادها الى برك الغماد لفعلنا وقال له المقداد
لانقول لك كما قال بنواسرائيل لموسى ﴿ اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ﴾
ولكن نقاتل عن يمينك وشمالك وبين يديك ومن خلفك فسر النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك وأجمع على القتال وبات تلك الليلة ليلة الجمعة سابع عشر رمضان قائما يصلى
ويبكى ويدعو الله ويستنصره على أعدائه وفى المسند عن على بن أبي طالب قال
لقد رأيتنا ومافينا الانائم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرة يصلى ويبكي
حتى أصبح وفيه عنه أيضا قال أصابنا طش من مطر يعنى ليلة بدر فانطلقنا تحت الشجر
والحجف نستظل بها من المطر وبات رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو ربه ويقول
ان تهلك هذه الفئة لاتعبد فلما أن طلع الفجر نادى الصلاة عباد الله فجاء الناس من
تحت الشجر والحجف فصلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وحث على القتال وأمد
الله تعالى نبيه والمؤمنين بنصر من عنده وبجند من جنده كما قال تعالى ﴿ اذ تستغيثون
ربكم فاستجاب لكم أني ممدكم بالف من الملائكة مردفين وماجعله الله الابشري
ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الامن عند الله ﴾ وفي صحيح البخاري انجبريل قال
للنبي صلى الله عليه وسلم ماتعدون أهل بدر فيكم قال من أفضل المسلمين أو كلمة
نحوها قال وكذلك من شهد بدرا من الملائكة وقال الله تعالى ﴿ ولقد نصركم الله ببدر
وأنتم أذلة ﴾ وقال ﴿ فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم ومارميت اذرميت ولكن الله رمى ﴾
وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما رآهم قال اللهم ان هؤلاء قريش قد جاءت
بخيلائها يكذبون رسولك فانجز لى ماوعدتني فاتاه جبريل فقال خذ قبضة من تراب
فارمهم بها فاخذ قبضة من حصباء الوادى فرمى بها نحوهم وقال شاهت الوجوه فلم يبق

مشرك الا دخل في عينيه ومنخره وفمه شئ ثم كانت الهزيمة وقال حكيم بن حزام سمعنا يوم بدر صوتا وقع من السماء كانه صوت حصاة على طست فرمى رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الرمية فانهزمنا ولما قدم الخبر على أهل مكة قالوا لمن أتاهم بالخبر كيف حال الناس قال لاشيء والله ان كان الا أن لقيناهم فمنحناهم أكتافنا يقتلونا ويأسرونا كيف شاؤا وأيم الله مع ذلك مالمت الناس لقينا رجالا على خيل بلق بين السماء والارض مايقوم لها شيء وقتل الله صناديد كفار قريش يومئذ منهم عتبة بن ربيعة وشيبة والوليد بن عتبة وأبو جهل وغيرهم وأسروا منهم سبعين وقصة بدر يطول استقصاؤها وهي مشهورة في التفسير وكتب الصحاح والسنن والمسانيد والمغازي والتواريخ وغيرها وانما المقصود ههنا التنبيه على بعض مقاصدها وكان عدو الله ابليس قد جاء الى المشركين في صورة سراقة بن مالك وكانت يده في يد الحارث بن هشام وجعل يشجعهم ويعدهم ويمنيهم فلما رأى الملائكة هرب وألقى نفسه في البحر وقد أخبر الله عن ذلك بقوله تعالى ﴿ واذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لاغالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم فلما ترات الفئتان نكص على عقبيه وقال اني بريء منكم اني أرى مالا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب ﴾ وفي الموطأ حديث مرسل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مارؤي الشيطان أحقر ولا أدحر ولا أصغر من يوم عرفة الا ما رأى يوم بدر قيل وما رأى يوم بدر قال رأى جبريل يزع الملائكة فابليس عدو الله يسعى جهده في اطفاء نور الله وتوحيده ويغري بذلك أولياءه من الكفار والمنافقين فلما عجز عن ذلك بنصر الله نبيه واظهار دينه على الدين كله رضي بالقاء الفتن بين المسلمين واجتزى منهم بمحقرات الذنوب حيث عجز عن ردهم عن دينهم كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قد يئس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم خرجه مسلم من حديث جابر وخرج الامام أحمد والنسائي والترمذي وابن ماجه من حديث عمرو بن الاحوص قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في حجة الوداع ألا ان الشيطان قد أيس أن يعبد في بلدكم هذا أبدا ولكن

سيكون له طاعة فى بعض ماتحتقرون من أعمالكم فيرضى بها وفى صحيح الحاكم عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب في حجة الوداع فقال ان الشيطان قد أيس أن يعبد بارضكم ولكنه يرضى أن يطاع فيما سوى ذلك فيما تحاقرون من أعمالكم فيرضى بها فاحذروا يا أيها الناس اني قد تركت فيكم ما ان اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ولم يعظم على ابليس شئ أكبر من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانتشار دعوته في مشارق الارض ومغاربها فانه أيس أن تعود أمته كلهم الى الشرك الاكبر قال سعيد بن جبير لما رأى ابليس النبي صلى الله عليه وسلم قائما بمكة يصلى رن ولما افتتح النبي صلى الله عليه وسلم مكة رن رنة أخرى اجتمعت اليه ذريته فقال ايسوا أن تردوا أمة محمد صلى الله عليه وسلم الى الشرك بعد يومكم هذا ولكن افتنوهم في دينهم وافشوا فيهم النوح والشعر خرجه ابن أبى الدنيا وخرج الطبراني باسناده عن مجاهد عن أبي هريرة قال ان ابليس رن لما أنزلت فاتحة الكتاب وأنزلت بالمدينة والمعروف هذا عن مجاهد من قوله قال رن ابليس أربع رنات حين لعن وحين اهبط من الجنة وحين بعث محمد وحين أنزلت فاتحة الكتاب وأنزلت بالمدينة خرجه وكيع وغيره وقال بعض التابعين لما أنزلت هذه الآية ﴿ والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ﴾ الآية بكى ابليس يشير الى شدة حزنه بنزولها لما فيها من الفرح لاهل الذنوب فهو لا يزال في هم وغم وحزن منذ بعث النبي صلى الله عليه وسلم لما رأي منه ومن أمته مايهمه ويغيظه قال ثابت لما بعث النبي صلى الله عليه وسلم قال ابليس اشياطينه لقد حدث أمر فانظروا ماهو فانطلقوا ثم جاؤه فقالوا ماندري قال ابليس أنا أنبئكم بالخبر فذهب وجاء قال قد بعث محمد صلى الله عليه وسلم فجعل يرسل شياطينه الى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فيجيؤا بصحفهم ليس فيها شئ فقال مالكم لاتصيبون منهم شيئا قالوا ماصحبنا قوما قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون الى الصلاة فيمحى ذلك قال رويدا انهم عسى أن يفتح الله لهم الدنيا هنالك تصيبون حاجتكم منهم وعن الحسن قال قال ابليس

سوات لامة محمد المعاصى فقطعوا ظهرى بالاستغفار فسولت لهم ذنوبا لايستغفرون منها يعنى الاهواء ولايزال ابليس يرى في مواسم المغفرة والعتق من النار مايسوءه فيوم عرفة لايرى أصغر ولا أحقر ولا أدحر فيه منه لما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام الا ماروئى يوم بدر وروى انه لما رأي نزول المغفرة اللامة فى حجة الوداع يوم النحر بالمزدلفة أهوى يحثي على رأسه التراب ويدعو بالويل والثبور فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم مما رأى من جزع الخبيث وفي شهر رمضان يلطف الله بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيغل فيه الشياطين ومردة الجن حتى لايقدروا على ما كانوا يقدرون عليه فى غيره من تسويل الذنوب (١) ولهذا تقل المعاصى فى شهر رمضان في الامة لذلك ففى الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل رمضان فتحت أبواب السماء وغلقت أبواب جهنم وسلسلت الشياطين ولمسلم فتحت أبواب الرحمة وله أيضا عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وأغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين وخرج منه البخارى ذكر فتح أبواب الجنة وللترمذي وابن ماجه عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن وغلقت أبواب النار فلم يفتح منها باب وفتحت أبواب الجنة فلم يغلق منها باب وينادي مناد ياباغى الخير أقبل وياباغى الشر اقصر ولله عتقاء من النار وذلك كل ليلة وفى رواية للنسائى وتغل فيه مردة الشياطين وللامام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت أمتي فى رمضان خمس خصال لم تعطه أمة قبلهم خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وتستغفر لهم الملائكة حتى يفطروا ويزين الله كل يوم جنته ثم يقول يوشك عبادى الصالحون أن يلقوا عنهم المؤنة والاذى ويصيروا اليك وتصفد فيه مردة الشياطين فلا يخلصون فيه الى ما كانوا يخلصون اليه في غيره

(١) لماذا تقل المعاصى فى شهر رمضان

ويغفر لهم في آخر ليلة قيل يارسول الله أهي ليلة القدر قال لا ولكن العامل انما يوفي أجره اذا قضى عمله وفى ليلة القدر تنتشر الملائكة فى الارض فيبطل سلطان الشياطين كما قال الله تعالى ﴿ تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر سلام هى حتي مطلع الفجر ﴾ وفي المسند عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الملائكة تلك الليلة فى الارض أكثر من عدد الحصى وفي صحيح ابن حبان عن جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في ليلة القدر لايخرج شيطانها حتى يخرج فجرها وفي المسند من حديث عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال فى ليلة القدر لايحل لكوكب أن يرمى به حتى يصبح وان أمارتها ان الشمس تخرج صبيحتها مستوية ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر لايحل للشيطان أن يخرج معها يومئذ وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما ان الشيطان يطلع مع الشمس كل يوم الا ليلة القدر وذلك أنها تطلع لاشعاع لها وقال مجاهد فى قوله تعالى ﴿ سلام هى حتي مطلع الفجر ﴾ قال سلام أن يحدث فيها داء أو يستطيع شيطان العمل فيها وعنه قال ليلة القدر ليلة سالمة لايحدث فيها داء ولا يرسل فيها شيطان وعنه قال هي سالمة لايستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوأ ولا يحدث فيها أذى وعن الضحاك عن ابن عباس قال فى تلك الليلة تصفد مردة الجن وتغل عفاريت الجن وتفتح فيها أبواب السماء كلها ويقبل الله فيها التوبة لكل تائب فلذلك ﴿ قال سلام هى حتى مطلع الفجر ﴾ ويروى عن أبيّ بن كعب رضى الله عنه قال لايستطيع الشيطان أن يصيب فيها أحدا بخبل أوداء أوضرب من ضروب الفساد ولاينفذ فيها سحر ساحر ويروى باسناد ضعيف عن أنس مرفوعا انه لاتسرى نجومها ولاتنبح كلابها وكل هذا يدل على كف الشياطين فيها عن انتشارهم في الارض ومنعهم من استراق السمع فيها من السماء ابن آدم لوعرفت قدر نفسك ماأهنتها بالمعاصى أنت المختار من المخلوقات ولك أعدت الجنة ان اتقيت فهى اقطاع المتقين والدنيا اقطاع ابليس فهو فيها من المنظرين فكيف رضيت لنفسك بالاعراض عن اقطاعك ومزاحمة ابليس على اقطاعه وأن تكون غدا معه فى

النار من جملة اتباعه انما طردناه عن السماء لاجلك حيث تكبر عن السجود لابيك وطلبنا قربك لتكون من خاصتنا وحزبنا فعاديتنا وواليت عدونا ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا﴾ شعر

رعى الله من نهوى وان كان مارعي ... حفظنا له العهد القديم فضيعا

وصاحبت قوما كنت أنهاك عنهم ... وحقك ما أبقيت للصلح موضعا

ابشروا يامعاشر المسلمين فهذه أبواب الجنة الثمانية فى هذا الشهر لاجلكم قد فتحت ونسماتها على قلوب المؤمنين قد نفحت وأبواب الجحيم كلها لاجلكم مغلقة واقدام ابليس وذريته من أجلكم موثقة ففى هذا الشهر يؤخذ من ابليس بالثار وتستخلص العصاة من اسره فما يبقى لهم عنده آثار كانوا فراخه قد غذاهم بالشهوات في أوكاره فهجروا اليوم تلك الاوكار نقضوا معاقل حصونه بمعاول التوبة والاستغفار خرجوا من سجنه الى حصن التقوي والايمان فامنوا من عذاب النار قصموا ظهره بكلمة التوحيد فهو يشكو ألم الانكسار في كل موسم من مواسم الفضل يحزن فى هذا الشهر يدعو بالويل لما يرى تنزل الرحمة ومغفرة الاوزار غلب حزب الرحمن حزب الشيطان فما بقى له سلطان الاعلى الكفار عزل سلطان الهوى وصارت الدولة لسلطان التقوي ﴿فاعتبروا ياأولى الابصار﴾ شعر

ياندامای صحا القلب صحا ... فاطردوا عنى الصبا والمرحا

هزم العقل جنودا للهوى ... فاسدى لاتعجبوا ان صلحا

زجر الحق فؤادي فارعوي ... وأفاق القلب منى وصحا

بادروا التوبة من قبل الردى ... فمناديه ينادينا الوحا

عباد الله شهر رمضان قد انتصف فمن منكم حاسب نفسه فيه لله وانتصف من منكم قام فى هذا الشهر بحقه الذي عرف من منكم عزم قبل غلق أبواب الجنة أن يبنى له فيها غرفا من فوقها غرف ألا ان شهركم قد أخذ فى النقص فزيدوا وأنتم فى العمل فكأنكم به وقد انصرف فكل شهر فعسى أن يكون منه خاف وأما شهر رمضان فمن أين لكم

منه خلف شعر

تنصف الشهر والهفاه وانهدما ... واختص بالفوز بالجنات من خدما

وأصبح الغافل المسكين منكسرا ... مثلي فياويحه ياعظم ما حرما

من فاته الزرع في وقت البدار فما ... تراه يحصد الا الهم والندما

طوبي لمن كانت التقوى بضاعته ... في شهره وبحبل الله معتصما

﴿ المجلس الرابع في ذكر العشر الاواخر من رمضان ﴾

في الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر شد مئزره وأحيا ليله وأيقظ أهله هذا لفظ البخاري ولفظ مسلم أحيا الليل وأيقظ أهله (١) وشد المئزر وفي رواية لمسلم عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجتهد في العشر الاواخر مالا يجتهد في غيره كان النبي صلى الله عليه وسلم يخص العشر الاواخر من رمضان باعمال لا يعملها في بقية الشهر فمنها احياء الليل فيحتمل أن المراد احياء الليل كله وقد روى من حديث عائشة من وجه فيه ضعف بلفظ وأحيا الليل كله وفي المسند من وجه آخر عنها قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يخلط العشرين بصلاة ونوم فاذا كان العشر يعني الاخير شمر وشد المئزر وخرج الحافظ أبو نعيم باسناد فيه ضعف عن أنس قل كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا شهد رمضان قام ونام فاذا كان أربعا وعشرين لم يذق غمضا ويحتمل أن يريد باحياء الليل احياء غالبه وقد روى عن بعض المتقدمين من بني هاشم ظنه الراوي أباجعفر محمد بن على انه فسر ذلك باحياء نصف الليل وقال من أحيا نصف الليل فقد أحيا الليل وقد سبق مثل هذا في قول عائشة رضى الله عنها كان النبي صلي الله عليه وسلم يصوم شعبان كله كان يصوم شعبان الا قليلا ويؤيده مافي صحيح مسلم عن عائشة قالت ماأعلمه صلى الله عليه وسلم قام ليلة حتى الصباح وذكر بعض الشافعية في احياء ليالي العيدين انه تحصل فضيلة الاحياء بمعظم الليل قال وقيل تحصل بساعة وقد نقل الشافعي في الام عن جماعة من خيار أهل

(١) نسخة وجد

المدينة ما يؤيده ونقـل بعض أصحابهم عن ابن عباس ان احياءها يحصل بأن يصلي العشاء فى جماعة ويعزم على أن يصلى الصبح فى جماعة وقال مالك فى الموطأ بلغني ان ابن المسيب قال من شهد العشاء ليلة القدر يعنى فى جماعة فقد أخذ بحظه منها وكذا قال الشافعي فى القديم من شهد العشاء والصبح ليلة القدر فقد أخـذ بحظه منها وقد روى هذا من حديث أبى هريرة مرفوعا من صلى العشاء الآخرة في جماعة في رمضان فقد أدرك ليلة القدر خرجه أبو الشيخ الاصبهانى ومن طريقه أبو موسى المديني وذكر انه روي من وجه آخر عن أبى هريرة نحوه ويروي من حـديث على بن أبى طالب مرفوعا لكن اسناده ضعيف جدا ويروي من حديث أبي جعفر محمد بن على مرسلا ان النبى صلى الله عليه وسلم قال من أتي عليه رمضان صحيحا مسلما صام نهاره وصلى وردا من ليله وغض بصره وحفظ فرجه ولسانه ويده وحافظ علي صـلاته في الجماعة وبكر الى جمعة فقد صام الشهر واستـكمل الاجر وأدرك ليلة القدر وفاز بجائزة الرب عزوجل قال أبو جعفر جائزة لاتشبه جوائز الامراء خرجـه ابن أبي الدنيا ولو نذر قيام ليلة القدر لزمه أن يقوم من ليالى شهر رمضان مايتيقن به قيامها فمن قال من العلماء انها فى جميع الشهر يقول يلزمه قيام جميع ليالى الشهر ومن قال هى في النصـف الآخر من الشهر قال يلزمه قيام ليالى النصف الاخير منه ومن قال هى فى العشر الاواخر من الشهر قال يلزمه قيام ليالى العشر كلها وهو قول أصـحابنا وان كان نذره كذلك وقد مضى بعض ليالى العشر فان قلنا انها لاتنتقل في العشر أجزأه فى نذره أن يقوم مابقى من ليالى العشر ويقوم من عام قابل من أول العشر الى وقت نذره وان قلنا انها تنتقل فى العشر لم يخرج من نذره بدون قيام ليالى العشر كلها بعد عام نذره ولو نذر قيام ليلة غير معينة لزمه قيام ليلة تامة فان قام نصف ليلة ثم نام أجزأه أن يقوم من ليلة أخري نصفها قاله الاوزاعى نقله عنه الوليد بن مسلم فى كتاب النذور وهو شبيه بقول من قال من أصحابنا وغيرهم ان الكفارة يجزئ فيها أن يعتق نصفى رقبتين ومنها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يوقظ أهله للصلاة فى ليالى العشر دون غيره من الليالى وفى حديث أبى ذر ان النبي صلى الله عليه وسلم لما قام بهم ليلة ثلاث وعشرين وخمس وعشرين وسبع وعشرين ذكر

انه دعا أهله ونساءه ليلة سبع وعشرين خاصة وهذا يدل على انه يتأكد ايقاظهم في آكد الاوتار التى ترجى فيها ليلة القدر وخرج الطبراني من حديث على ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوقظ أهله فى العشر الاواخر من رمضان وكل صغير وكبير يطيق الصلاة قال سفيان الثورى أحب الىّ اذا دخل العشر الاواخر أن يتهجد بالليل ويجتهد فيه وينهض أهله وولده الى الصلاة ان أطاقوا ذلك وقد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه كان يطرق فاطمة وعليا ليلا فيقول لهما ألا تقومان فتصليان وكان يوقظ عائشة بالليل اذا قضى تهجده وأراد أن يوتر وورد الترغيب في ايقاظ أحد الزوجين صاحبه للصلاة ونضح الماء في وجهه وفى الموطأ ان عمر بن الخطاب كان يصلى من الليل ماشاء الله ان يصلى حتى اذا كان نصف الليل أيقظ أهله للصلاة يقول لهم الصلاة الصلاة ويتلو هذه الآية ﴿ وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ﴾ الآية كانت امرأة حبيب أبي محمد تقول له بالليل قد ذهب الليل وبين أيدينا طريق بعيد وزاد قليل وقوافل الصالحين قد سارت قدامنا ونحن قد بقينا شعر

يانائم الليل كم ترقد　　قم ياحبيبى قد دنا الموعد
وخذ من الليل وأوقاته　　وردا اذا ماهجع الرقد
من نام حتى ينقضى ليله　　لم يبلغ المنزل أو يجهد
قل لذوى الالباب أهل التقى　　قنطرة العرض لكم موعد

ومنها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يشد المئزر واختلفوا فى تفسيره فمنهم من قال هو كناية عن شدة جده واجتهاده في العبادة كما يقال فلان يشد وسطه ويسعى فى كذا وهذا فيه نظر فانها قالت جد وشد المئزر فعطفت شد المئزر على جده والصحيح ان المراد اعتزاله للنساء وبذلك فسره السلف والأئمة المتقدمون منهم سفيان الثورى وقد ورد ذلك صريحا من حديث عائشة وأنس وورد تفسيره بانه لم يأو الى فراشه حتى ينسلخ رمضان وفي حديث أنس وطوى فراشه واعتزل النساء وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم غالبا يعتكف العشر الاواخر والمعتكف ممنوع من قربان النساء بالنص

والاجماع وقد قالت طائفة من السلف في تفسير قوله تعالى ﴿ فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم ﴾ انه طلب ليلة القدر والمعنى في ذلك ان الله تعالى لما أباح مباشرة النساء في ليالي الصيام الى أن يتبين الخيط الابيض من الخيط الاسود أمر مع ذلك بطلب ليلة القدر لئلا يشتغل المسلمون في طول ليالي الشهر بالاستمتاع المباح فيفوتهم طلب ليلة القدر فأمر مع ذلك بطلب ليلة القدر بالتهجد من الليل خصوصا في الليالي المرجو فيها ليلة القدر فمن ههنا كان النبي صلى الله عليه وسلم يصيب من أهله في العشرين من رمضان ثم يعتزل نساءه ويتفرغ لطلب ليلة القدر في العشر الاواخر ومنها تأخيره للفطور الى السحور روي عنه من حديث عائشة وأنس انه صلى الله عليه وسلم كان في ليالي العشر يجعل عشاءه سحورا ولفظ حديث عائشة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كان رمضان قام ونام فاذا دخل العشر شد المئزر واجتنب النساء واغتسل بين الاذانين وجعل العشاء سحورا أخرجه ابن أبي عاصم واسناده مقارب وحديث أنس خرجه الطبراني ولفظه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل العشر الاواخر من رمضان طوى فراشه واعتزل النساء وجعل عشاءه سحورا وفي اسناده حفص بن واقد قال ابن عدي هذا الحديث من أنكر ما رأيت له وروى أيضا نحوه من حديث جابر خرجه أبو بكر الخطيب وفي اسناده من لا يعرف حاله وفي الصحيحين ما يشهد لهذه الروايات ففيهما عن أبي هريرة قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الوصال في الصوم فقال له رجل من المسلمين انك تواصل يارسول الله فقال وأيكم مثلي اني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني فلما أبوا أن ينتهوا عن الوصال واصل بهم يوما ثم يوما ثم رأوا الهلال فقال لو تأخر لزدتكم كالتنكيل لهم حين أبوا أن ينتهوا فهذا يدل على انه واصل بالناس في آخر الشهر وروى عاصم بن كليب عن أبيه عن أبي هريرة قال ماواصل النبي صلى الله عليه وسلم وصالكم قط غير انه قد أخر الفطر الى السحور واسناده لا بأس به وخرج الامام أحمد من حديث علي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يواصل الى السحر وخرجه الطبراني من حديث جابر أيضا

وخرج ابن جرير الطبري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يواصل الى السحر ففعل ذلك بعض أصحابه فنهاه فقال أنت تفعل ذلك فقال انكم لستم مثلي اني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني وزعم ابن جرير ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يواصل في صيامه الا الى السحر خاصة وان ذلك يجوز لمن قوى عليه ويكره لغيره وأنكر أن يكون استدامة الصيام في الليل كله طاعة عند أحد من العلماء وقال انما كان يمسك بعضهم لمعنى آخر غير الصيام ما ليكون أنشط له على العبادة أو ايثارا بطعامه على نفسه أو لخوف مقلق منعه طعامه أو نحو ذلك فمقتضى كلامه ان من واصل ولم يفطر ليكون أنشط له على العبادة من غير أن يعتقد ان امساك الليل قربة انه جائز وان أمسك تعبدا بالمواصلة فان كان الى السحر وقوى عليه لم يكره والا كره ولذلك قال أحمد واسحاق لا يكره الوصال الى السحر وفي صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تواصلوا فايكم أراد أن يواصل فليواصل الى السحر قالوا فانك تواصل يارسول الله قال اني لست كهيئتكم اني أبيت لي مطعم يطعمني وساق يسقيني وظاهر هذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم كان يواصل الليل كله وقد يكون صلى الله عليه وسلم انما فعل ذلك لانه رآه أنشط له على الاجتهاد في ليالي العشر ولم يكن ذلك مضعفا له عن العمل فان الله كان يطعمه ويسقيه واختلف في معنى اطعامه فقيل انه كان يؤتي بطعام من الجنة يأكله وفي هذا نظر فانه لو كان كذلك لم يكن مواصلا وقد أقرهم على قولهم له انك تواصل لكن روى عبد الرزاق في كتابه عن ابن جريج أخبرني عمرو بن دينار ان النبي صلى الله عليه وسلم نهي عن الوصال قالوا فانك تواصل قال ومايدريكم لعل ربي يطعمني ويسقيني وهذا مرسل وفي رواية لمسلم من حديث أنس اني أظل يطعمني ربي ويسقيني وانما يقال ظل يفعل كذا اذا كان نهارا ولو كان أكلا حقيقيا لكان منافيا للصيام والصحيح انه اشارة الى ما كان الله يفتحه عليه في صيامه وخلوته بربه لمناجاته وذكره من مواد انسه ونفحات قدسه فكان يرد بذلك على قلبه من المعارف الالهية والمنح الربانية مايغذيه

ويغنيه عن الطعام والشراب كما قيل

لها أحاديث من ذكراك تشغلها عن الطعام وتلهيها عن الزاد
لها بوجهك نور تستضيء به وقت المسير وفي أعقابها حادي
اذا شكت من كلال السير أوعدها روح القدوم فتحيا عند ميعاد

الذكر قوت قلوب العارفين يغنيهم عن الطعام والشراب كما قيل

أنت ربي اذا ظمئت الي المـاء وقوتي اذا أردت الطعاما

لما جاع المجتهدون شبعوا من طعام المناجاة فاف لمن باع لذة المناجاة بفضل لقمة

يامن لحشا المحب بالشوق حشا ذا سر سراك في الدجا كيف فشا
هـذا المولى الى المماليك مشا لا كان عيشاً أورث اقلب غشا

ويتأكد تأخير الفطر في الليالي التي ترجى فيها ليلة القدر قال ذر بن حبيش في ليلة سبع وعشرين من استطاع منكم أن يؤخر فطره فليفعل وليفطر على ضياح لبن ورواه بعضهم عن ذر عن أبيّ بن كعب مرفوعا ولايصح وضياح اللبن وروى ضيح بالضاد المعجمة والياء آخر الحروف هو اللبن الخاثر الممزوج بالماء وروى أبو الشيخ الاصبهاني باسناده عن علي قال ان وافق ليلة القدر وهو يأكل أورثه داء لايفارقه حتى يموت وخرجه من طريقه أبو موسى المديني وكأنه يريد اذا وافق دخولها أكله والله أعلم ومنها اغتساله بين العشاءين وقد تقدم من حديث عائشة واغتسل بين الاذانين والمراد أذان المغرب والعشاء وروي من حديث علي ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يغتسل بين العشاءين كل ليلة يعني من العشر الاواخر وفي اسناده ضعف وروى عن حذيفة انه قام مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من رمضان فاغتسل النبي صلى الله عليه وسلم وستره حذيفة وبقيت فضلة فاغتسل بها حذيفة وستره النبي صلى الله عليه وسلم خرجه ابن أبي عاصم وفي رواية أخري عن حذيفة قال نام النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة من رمضان في حجرة من جريد النخل فصب عليه دلوا من ماء وقال ابن جرير كانوا يستحبون أن يغتسلوا كل ليلة من ليالى العشر الاواخر وكان النخعي

يغتسل في العشر كل ليلة ومنهم من كان يغتسل ويتطيب في الليالى التى تكون أرجى لليلة القدر فأمر ذر بن حبيش بالاغتسال ليلة سبع وعشرين من رمضان وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه انه اذا كان ليلة أربع وعشرين اغتسل وتطيب ولبس حلة ازار أورداء فاذا أصبح طواهما فلم يلبسهما الى مثلها من قابل وكان أيوب السختيانى يغتسل ليلة ثلاث وعشرين وأربع وعشرين ويلبس ثوبين جديدين ويستجمر ويقول ليلة ثلاث وعشرين هى ليلة أهل المدينة والتي تليها ليلتنا يعنى البصريين وقال حماد بن سلمة كان ثابت البنانى وحميد الطويل يلبسان أحسن ثيابهما ويتطيبان ويطيبون المسجد بالنضوح والدخنة في الليلة التى ترجى فيها ليلة القدر وقال ثابت كان لتميم الداري حلة اشتراها بالف درهم وكان يلبسها فى الليلة التى ترجى فيها ليلة القدر فتبين بهذا انه يستحب في الليالى التي ترجي فيها ليلة القدر التنظف والتزين والتطيب بالغسل والطيب واللباس الحسن كما يشرع ذلك في الجمع والاعياد وكذلك يشرع أخذ الزينة بالثياب في سائر الصلوات كما قال تعالى ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ وقال ابن عمر الله أحق أن يتزين له وروى عنه مرفوعا ولا يكمل التزين الظاهر الا بتزين الباطن بالتوبة والانابة الى الله تعالى وتطهيره من ادناس الذنوب وأوضارها فان زينة الظاهر مع خراب الباطن لاتغنى شيئا قال الله تعالى ﴿ يابنى آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ﴾ شعر

اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقى　　تقلب عريانا وان كان كاسيا

لا يصلح لمناجاة الملك في الخلوات الا من زين ظاهره وباطنه وطهرهما خصوصا لملك الملوك الذى يعلم السر وأخفى وهو لاينظر الى صوركم وانما ينظر الى قلوبكم وأعمالكم فمن وقف بين يديه فليزين له ظاهره باللباس وباطنه بلباس التقوى أنشد الشبلى

قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه　　فقلت خلعة ساق حبه جرعا

فقر وصبر هما ثوبان تحتهما　　قلب يرى الفه الاعياد والجمعا

أحري الملابس أن تلقى الحبيب به　　يوم التزاور فى الثوب الذي خلعا

الدهر لي مأتم ان غبت يا أملي والعيد ما كنت لي مرأى ومستمعا

ومنها الاعتكاف ففي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الاواخر من رمضان حتى توفاه الله تعالى وفي صحيح البخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتكف في كل رمضان عشرة أيام فلما كان العام الذى قبض فيه اعتكف عشرين وانما كان يعتكف النبي صلى الله عليه وسلم في هذا العشر التى يطلب فيها ليلة القدر قطعا لاشغاله وتفريغا لباله وتخليا لمناجاة ربه وذكره ودعائه وكان يحتجر حصيرا يتخلى فيها عن الناس فلا يخالطهم ولا يشتغل بهم ولهذا ذهب الامام أحمد الى أن المعتكف لا يستحب له مخالطة الناس حتى ولا لتعليم علم واقراء قرآن بل الافضل له الانفراد بنفسه والتخلي بمناجاة ربه وذكره ودعائه وهذا الاعتكاف هو الخلوة الشرعية وانما يكون في المساجد لئلا يترك به الجمع والجماعات فان الخلوة القاطعة عن الجمع والجماعات منهي عنها سئل ابن عباس عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يشهد الجمعة والجماعة قال هو في النار [1] فالخلوة المشروعة لهذه الامة هي الاعتكاف في المساجد خصوصا في شهر رمضان خصوصا في العشر الاواخر منه كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله فالمعتكف قد حبس نفسه على طاعة الله وذكره وقطع عن نفسه كل شاغل يشغله عنه وعكف بقلبه وقالبه على ربه وما يقربه منه فما بقي له هم سوى الله وما يرضيه عنه كما كان داود الطائي يقول في ليله همك عطل على الهموم وحالف بيني وبين السهاد وشوقى الى النظر اليك أوثق مني اللذات وحال بيني وبين الشهوات

مالي شغل سواه مالي شغل ما يصرف عن قلبي هواه عذل

ما أصنع اجفان وخاب الامل مني بدل ومنه مالي بدل

[2] فمعنى الاعتكاف وحقيقته قطع العلائق عن الخلائق للاتصال بخدمة الخالق وكلما قويت المعرفة بالله والمحبة له والانس به أورثت صاحبها الانقطاع الى الله تعالى بالكلية على كل حال كان بعضهم لا يزال منفردا في بيته خاليا بربه فقيل له اما تستوحش قال كيف استوحش

(١) الخلوة المشروعة لهذه الامة هي الاعتكاف (٢) معنى الاعتكاف وحقيقته

وهو يقول أنا جليس من ذكرني

أو حشتني خلواتي بك من كل أنيسي

وتفردت فعاينتك بالغيب جليسي

ياليلة القدر للعابدين اشهدي يااقدام القانتين اركعي لربك واسجدي ياألسنة السائلين جدي في المسألة واجتهدي شعر

يارجال الليل جدوا رب داع لايرد

ما يقوم الليل الا من له عزم وجد

ليلة القدر عند المحبين ليلة الحظوة بانس مولاهم وقربه وانما يفرون من ليالي البعد والهجر كان ببغداد موضعان يقال لاحدهما دار الملك والاخرى القطيعة فجاز بعض العارفين بملاح في سفينة فقال له احملني معك الى دار الملك فقال له الملاح ما أقصد الا القطيعة فصاح العارف لابالله لابالله منها أفر

وليلة بت باكنافها تعدل عندي ليلة القدر

كانت سلاما لسروري بها بالوصل حتى مطلع الفجر

يامن ضاع عمره في لاشيء استدرك مافاتك في ليلة القدر فانها تحسب بالعمر

وليلة وصل بات منجز وعده سميري فيها بعد طول مطال

شفيت بها قلبا أطيل غليله زمانا فكانت ليلة بليالي

قال الله تعالى ﴿ انا أنزلناه في ليلة القدر وماأدراك ماليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر ﴾ واختلف في ليلة القدر والحكمة في نزول الملائكة في هذه الليلة ان الملوك والسادات لايحبون أن يدخل دارهم أحد حتى يزينون دارهم بالفرش والبسط ويزينوا عبيدهم بالثياب والاسلحة فاذا كان ليلة القدر أمر الرب تبارك وتعالى الملائكة بالنزول الى الارض لان العباد زينوا أنفسهم بالطاعات بالصوم والصلاة في ليالي رمضان ومساجدهم بالقناديل والمصابيح فيقول الرب تعالى أنتم طعنتم في بني آدم وقلتم ﴿ أتجعل فيها من يفسد فيها ﴾ الآية فقلت لكم اني أعلم مالاتعلمون اذهبوا اليهم في هذه الليلة حتى تروهم

قائمين ساجدين راكعين لتعلموا أني اخترتهم على علم على العالمين قال مالك بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى أعمار الناس قبله أوماشاء الله من ذلك فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل الذى بلغه غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر خيرا من ألف شهر وروي عن مجاهد ان النبي صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بني اسرائيل لبس السلاح ألف شهر فعجب المسلمون من ذلك فأنزل الله هذه السورة ليلة القدر خير من ألف شهر الذي لبس فيها ذلك الرجل [1] السلاح في سبيل الله ألف شهر وقال النخعي العمل فيها خير من العمل فى ألف شهر وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه وفي المسند عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قامها ابتغاءها ثم وقعت له غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وفى المسند والنسائي عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في شهر رمضان فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم قال جويبر قلت للضحاك أرأيت النفساء والحائض والمسافر والنائم لهم في ليلة القدر نصيب قال نعم كل من تقبل الله عمله سيعطيه نصيبه من ليلة القدر اخواني المعول على القبول لا على الاجتهاد والاعتبار ببر القلوب لا بعمل الابدان رب قائم حظه من قيامه السهر كم من قائم محروم وكم من نائم مرحوم هذا نام وقلبه ذاكر وهذا قام وقلبه فاجر

ان المقادير اذا ساعدت ألحقت النائم بالقائم

لكن العبد مأمور بالسعي في اكتساب الخيرات والاجتهاد في الاعمال الصالحات وكل ميسر لما خلق له أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة ﴿فاما من أعطي واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغني وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى﴾ فالمبادرة المبادرة الى اغتنام العمل فيما بقي من الشهر فعسى أن يستدرك به مافات من ضياع العمر

(١) قيل انه يوشع بن نون ذكره صاحب روضة العلماء

تولى العمر فى سهو * وفي لهو وفى خسر
فياضيعة ما أنفقـ * ـت في الايام من عمرى
ومالى فى الذي ضيعـ * ـت من عمرى من عذر
فما أغفلنا عن وا * جبات الحمد والشكر
أما قد خصنا الله * بشـهر أيما شـهر
بشهر أنزل الرحمـ * ـن فيه أشرف الذكر
وهـل يشبهه شهر * وفيـه ليلة القـدر
فكم من خبر صحـ * ـحا فيها من الخير
روينا عن ثقات انـ * ـها تطلب في الوتر
فطوبى لامرئ يطلـ * ـبها فى هذه العشر
ففيها تنزل الاملا * ك بالانوار والـبر
قد قال ﴿سلام هـ * ـى حتى مطلع الفجر﴾
ألا فادخروها انـ * ـها من أنفس الذخر
فكم من معتق فيها * من النار ولا يدرى

﴿ المجلس الخامس فى ذكر السبع الاواخر من رمضان ﴾

في الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما ان رجالا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أروا ليلة القدر في المنام في السبع الاواخر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى رؤيا كم قد تواطأت في السبع الاواخر فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الاواخر وفى صحيح مسلم عنه عن النبي صـلى الله عليه وسلم قال التمسوها في العشر الاواخر فان ضعف أحدكم أو عجز فلا يغلبن على السبع البواقى قد ذكرنا فيما تقـدم ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يجتهد فى شهر رمضان على طلب ليلة القدر وانه اعتكف مرة العشر الاوائل منه ثم طلبها فاعتكف بعد ذلك العشر الاوسط فى طلبها وان ذلك تكرر منه غير مرة ثم استقر أمره على اعتكاف العشر الاواخر فى طلبها وأمر بطلبها فيـه ففى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تحروا ليلة القدر فى العشر الاواخر من رمضان وفى رواية للبخاري فى الوتر من العشر الاواخر من رمضان وله من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال التمسوها فى العشر الاواخر الغوابر من رمضان ولمسلم من حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال التمسوها فى العشر الغوابر والاحاديث في المعنى كثيرة وكان يأمر بالتماسها فى أوتار العشر الاواخر ففي صحيح البخاري عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال التمسوا ليلة القدر فى العشر الاواخر من رمضان فى تاسعة تبقى في سابعة

تبقى فى خامسة تبقي وفي رواية له هى في العشر فى سبع تمضين أوسبع يبقين وخرج الامام أحمد والنسائي والترمذي من حديث أبى بكرة قال ما أنا بملتمسها لشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا في العشر الاواخر فاني سمعته يقول التمسوها في تسع يبقين أوسبع يبقين أوخمس يبقين أوثلاث يبقين أوآخر ليلة وكان أبو بكرة يصلى في العشرين من رمضان كصلاته فى سائر السنة فاذا دخل العشر اجتهد ثم بعد ذلك أمر بطلبها في السبع الاواخر وفى المسند وكتاب النسائى عن أبي ذر قال كنت أسأل الناس عنها يعنى ليلة القدر فقلت يارسول الله أخبرني عن ليلة القدر أفى رمضان هى أوفي غيره قال بلى هى فى رمضان قلت تكون مع الانبياء ما كانوا فاذا قبضوا رفعت أم هى الى يوم القيامة قال بل هي الى يوم القيامة قلت في أى رمضان هى قال التمسوها في العشر الاول والعشر الاواخر قلت في أى العشرين هي قال فى العشر الاواخر لاتسألنى عن شيء بعدها ثم حدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اهتبلت غفلته فقلت يارسول الله اقسمت بحقى لما أخبرتنى في أي العشر هى فغضب على غضبا لم يغضب مثله منذ صحبته وقال التمسوها في السبع الاواخر لاتسألنى عن شيء بعدها وخرجه ابن حبان فى صحيحه والحاكم وفى رواية لهما انه قال ألم انهك أن تسألنى عنها ان الله لوأذن لى أن أخبركم بها لاخبرتكم لا آمن أن تكون في السبع الاواخر ففى هذه الرواية ان بيان النبي صلى الله عليه وسلم لليلة القدر انتهي الى أنها فى السبع الاواخر ولم يزد على ذلك شيئا وهذا مما يستدل به من رجح ليلة ثلاث وعشرين وخمس وعشرين على ليلة احدي وعشرين فان ليلة احدى وعشرين ليست من السبع الاواخر بلا تردد وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه أخر أنه بين انها ليلة سبع وعشرين كما سيأتي ان شاء الله تعالى واختلف في أول السبع الاواخر فمنهم من قال أول السبع ليلة ثلاث وعشرين على حساب نقصان الشهر دون تمامه لانه المتيقن وروي هذا عن ابن عباس وسيأتى كلامه فيما بعد ان شاء الله تعالى وفي صحيح البخارى عن بلال قال انها أول السبع من العشر الاواخر وخرجه ابن أبي شيبة وعنده قال ليلة ثلاث وعشرين وهذا

قول مالك قال أرى والله أعلم ان التاسعة ليلة احدى وعشرين والسابعة ليلة ثلاث وعشرين والخامسة ليلة خمس وعشرين وتأوله عبدالملك بن حبيب على انه انما يحسب كذلك اذا كان الشهر ناقصا وليس هذا بشيء فانه انما أمر بالاجتهاد في هذه الليالى على هذا الحساب وهذا لايمكن أن يكون مراعى بنقصان الشهر في آخره وكان أيوب السختيانى يغتسل ليلة ثلاث وعشرين ويمس طيبا وليلة أربع وعشرين ويقول ليلة ثلاث وعشرين ليلة أهل المدينة وليلة أربع وعشرين ليلتنا يعنى أهل البصرة وكذلك كان ثابت وحميد يفعلان وكانت طائفة تجتهد ليلة أربع وعشرين روى عن أنس والحسن وروى عنه قال رقبت الشمس عشرين سنة ليلة أربع وعشرين فكانت تطلع لاشعاع لها وروى عن ابن عباس ذكره البخارى عنه وقيل ان المحفوظ عنه انها ليلة ثلاث وعشرين كما سبق وقد تقدم حديث انزال القرآن في ليلة أربع وعشرين وكذلك أبو سعيد الخدرى وأبو ذر حسبا الشهر تاما فيكون عندهما أول السبع الاواخر ليلة أربع وعشرين وممن اختار هذا القول ابن عبدالبر واستدل بأن الاصل تمام الشهر ولهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم باكماله اذا غم مع احتمال نقصانه وكذلك رجحه بعض أصحابنا وقد تقدم من حديث أنس رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا كان ليلة أربع وعشرين لم يذق غمضا واسناده ضعيف وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ما يدل على ان أول السبع البواقى ليلة ثلاث وعشرين ففى مسند الامام أحمد عن جابر ان عبد الله بن أنيس سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وقد خلت اثنان وعشرون ليلة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم التمسوها فى هذا السبع الاواخر التي بقين من الشهر وفيه أيضا عن عبدالله بن أنيس انهم سألوا النبى صلى الله عليه وسلم عن ليلة القدر وذلك مساء ليلة ثلاث وعشرين فقال التمسوها هذه الليلة فقال رجل من القوم فهى اذن يارسول الله أولى ثمان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انها ليست بأولى ثمان ولكنها أولى سبع ان الشهر لايتم وفيه أيضا عن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال كم مضى من الشهر قلنا مضت ثنتان

وعشرون وبقى ثمان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابل مضت ثنتان وعشرون وبقى سبع اطلبوها الليلة وقد يحمل هذا على شهر خاص اطلع النبي صلى الله عليه وسلم على نقصانه وهو بعيد ويدل على خلافه انه روى في تمام حديث أبي هريرة رضى الله عنه ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهر هكذا وهكذا وهكذا ثم خنس ابهامه في الثالثة فهذا يدل على انه تشريع عام وانه حسب الشهر على تقدير نقصانه أبدا لانه المتيقن كما ذهب اليه أيوب ومالك وغيرهما وعلى قولهما تكون ليلة سابعة تبقى ليلة ثلاث وعشرين وليلة خامسة تبقي ليلة خمس وعشرين وليلة تاسعة تبقى ليلة احدى وعشرين وقد روى عن النعمان بن بشير رضى الله عنه انه أنكر أن نحسب ليلة القدر بما مضى من الشهر وأخبر ان الصحابة يحسبونها بما بقى منه وهذا الاحتمال انما يكون في مثل قول النبي صلى الله عليه وسلم التمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة وقد خرجه البخارى من حديث عبادة رضى الله عنه ومسلم من حديث أبي سعيد فانه يحتمل أن يراد به التاسعة والسابعة والخامسة مما يبقى ومما يمضى فاما حديث ابن عباس وأبى بكرة وما في معناهما فانها مقيدة بالباقى من الشهر فلا يحتمل أن يراد به الماضى وحينئذ يتوجه الاختلاف السابق في انه هل يحسب على تقدير تمام الشهر أونقصانه وحديث ابن عباس قد روي بالشك فيما مضى أو يبقي وقد خرجه البخاري بالوجهين وحديث أبي ذر في قيام النبي صلى الله عليه وسلم بهم أفراد العشر الاواخر قد خرجه أبو داود الطيالسى بلفظ صريح انه قام بهم اشفاع العشر الاواخر وحسبها أوتارا بالنسبة الى مايبقي من الشهر وقدره تاما وجعل الليلة التى قامها حتي خشوا أن يفوتهم الفلاح ليلة ثمان وعشرين وهي الثالثة ممايبقى وقد قيل ان ذلك من تصرف بعض الرواة بما فهمه من المعنى والله أعلم وعلى قياس من حسب الليالى الباقية من الشهر على تقدير نقصان الشهر فينبغى أن يكون عنده أول العشر الاواخر ليلة العشرين لاحتمال أن يكون الشهر ناقصا فلا يتحقق كونها عشر ليال بدون ادخال ليلة العشرين فيها وقد يقال بل العشر الاواخر عبارة عما بعد انقضاء العشرين الماضية من الشهر وسواء كانت تامة أوناقصة فهي المعبر عنها بالعشر

الاواخر وقيامها هو قيام العشر الاواخر وهذا كما يقال صام عشر ذى الحجة وانما صام منه تسعة أيام ولهذا كان ابن سيرين يكره أن يقال صام عشر ذى الحجة وقال انما يقال صام التسع ومن لم يكرهه وهم الجمهور فقد يقولون الصيام المضاف الى العشر هو صيام ما يمكن منه وهو ما عدا يوم النحر ويطلق على ذلك العشر لانه أكثر العشر والله أعلم وقد اختلف الناس في ليلة القدر اختلافا كثيرا فحكى عن بعضهم انها رفعت وحديث أبي ذر يرد ذلك وروي عن محمد بن الحنفية انها فى كل سبع سنين مرة وفي اسناده ضعف وعن بعضهم انها في كل السنة حكي عن ابن مسعود وطائفة من الكوفيين وروي عن أبى حنيفة وقال الجمهور هى فى رمضان كل سنة ثم منهم من قال هى فى الشهر كله وحكى عن بعض المتقدمين انها أول ليلة منه وقالت طائفة هي فى النصف الثانى منه وقد حكي عن أبي يوسف ومحمد وقد تقدم قول من قال انها ليلة بدر على اختلافهم هى ليلة سبع عشرة أو تسع عشرة وقال الجمهور هي منحصرة في العشر الاواخر واختلفوا في أى ليالى العشر أرجى فحكى عن الحسن ومالك انها تطلب فى جميع ليالى العشر اشفاعه وأوتاره ورجحه بعض أصحابنا وقال لان قول النبي صلى الله عليه وسلم التمسوها فى تاسعة تبقى أو سابعة تبقى أو خامسة تبقى ان حملناه على تقدير كمال الشهر كانت اشفاعا وان حملناه على ما بقى منه حقيقة كان الامر موقوفا على كمال الشهر فلا يعلم قبله فان كان تاما كانت الليالى المأمور بها بطلبها اشفاعا وان كان ناقصا كانت أوتارا فيوجب ذلك الاجتهاد فى القيام فى كلا الليلتين الشفع منها والوتر وقال الاكثرون بل بعض لياليه أرجى من بعض وقالوا الاوتار أرجي فى الجملة ثم اختلفوا أى أوتاره أرجي فمنهم من قال ليلة احدى وعشرين وهو المشهور عن الشافعى لحديث أبى سعيد الخدرى وقد ذكرناه فيما سبق وحكى عنه انها تطلب ليلة احدى وعشرين وثلاث وعشرين قال في القديم كانى رأيت والله أعلم أقوي الاحاديث فيه ليلة احدي وعشرين وليلة ثلاث وعشرين وهى التى مات فيها على بن أبى طالب رضى الله عنه وقد جاء فى ليلة سبع عشرة وليلة أربع وعشرين وليلة سبع وعشرين

انتهى وقد روي عن علي وابن مسعود رضي الله عنهما انها تطلب ليلة احدى وعشرين وثلاث وعشرين وحكى للشافعي قول آخران أرجاها ليلة ثلاث وعشرين وهذا قول أهل المدينة وحكاه سفيان الثوري عن أهل مكة والمدينة وممن روى عنه انه كان يوقظ أهلها فيها ابن عباس وعائشة وهو قول مكحول وروى رشدين بن سعد عن زهرة بن معبد قال أصابني احتلام في أرض العدو وأنا في البحر ليلة ثلاث وعشرين فى رمضان فذهبت لاغتسل فسقطت فى الماء فاذا الماء عذب فناديت أصحابي أعلمهم اني في ماء عذب قال ابن عبدالبر هذه الليلة تعرف بليلة الجهنى بالمدينة يعنى عبدالله ابن أنيس وقد روى عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بقيامها وفي صحيح مسلم عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في ليلة القدر أريت انى أسجد صبيحتها في ماء وطين فانصرف النبي صلى الله عليه وسلم من صلاة الصبح يوم ثلاث وعشرين وعلى جبهته أثر الماء والطين وقال سعيد بن المسيب كان النبى صلى الله عليه وسلم في نفر من أصحابه فقال ألا أخبركم بليلة القدر قالوا بلى يارسول الله فسكت ساعة قال لقد قلت لكم ماقلت آنفا وأنا أعلمها ثم أنسيتها أرأيتم يوما كنا بموضع كذا وكذا أى ليلة هى في غزوة غزاها فقالوا سرنا فقفلنا حتى استقام ملأ القوم على انها ليلة ثلاث وعشرين خرجه عبدالرزاق فى كتابه ورجحت طائفة ليلة أربع وعشرين وهم الحسن وأهل البصرة وقد روي عن أنس وكان حميد وأيوب وثابت يحتاطون فيجمعون بين الليلتين أعنى ليلة ثلاث وأربع ورجحت طائفة ليلة سبع وعشرين وحكاه الثورى عن أهل الكوفة وقال نحن نقول هى ليلة سبع وعشرين لما جاءنا عن أبيّ بن كعب وممن قال بهذا أبيّ بن كعب وكان يحلف عنه ولا يستثنى وزر بن حبيش وعبدة بن أبي لبابة وروى عن قنان بن عبدالله النهمى قال سألت زرا عن ليلة القدر فقال كان عمر وحذيفة واناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لايشكون انها ليلة سبع وعشرين خرجه ابن أبي شيبة وهو قول أحمد واسحاق وذهب أبوقلابة وطائفة الى انها تنتقل في ليالي العشر وروى عنه انها تنتقل في أوتاره خاصة وممن قال بانتقالها في ليالى العشر المزني

وابن خزيمة وحكاه ابن عبدالبر عن مالك والثوري والشافعي وأحمد واسحاق وأبي ثور وفي صحة ذلك عنهم بعد وانما قول هؤلاء أنها في العشر وتطلب في لياليه كله واختلفوا في أرجي لياليه كما سبق واستدل من رجح ليلة سبع وعشرين بان أبيّ بن كعب كان يحلف على ذلك ويقول بالآية أو بالعلامة التى أخبرنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس تطلع في صبيحتها لاشعاع لها خرجه مسلم وخرجه أيضا بلفظ آخر عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه قال والله اني لاعلم أى ليلة هي هى الليلة التى أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقيامها هي ليلة سبع وعشرين وفي مسند الامام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما ان رجلا قال يارسول الله انى شيخ كبير عليل يشق على القيام فمرني بليلة يوفقنى الله فيها لليلة القدر قال عليك بالسابعة واسناده على شرط البخارى وروى الامام أحمد أيضا قال حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا شعبة عن عبدالله ابن دينار عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان منكم متحريها فليتحرها ليلة سبع وعشرين أوقال تحروها ليلة سبع وعشرين يعنى ليلة القدر ورواه شبابة ووهب بن جرير عن شعبة مثله ورواه أسود بن عامر عن شعبة مثله وزاد في السبع البواقى قال شعبة وأخبرني رجل ثقة عن سفيان انه انما قال في السبع البواقى يعنى لم يقل ليلة سبع وعشرين قال أحمد في رواية ابنه صالح الثقة هو يحيى بن سعيد قال شعبة فلا أدرى أيهما قال ورواه عمرو عن شعبة وقال في حديثه ليلة سبع وعشرين أوقال في السبع الاواخر بالشك فرجع الامر الى ان شعبة شك في لفظه ورواه حماد بن زيد عن أيوب عن نافع عن ابن عمر قال كانوا لايزالون يقصون على النبي صلى الله عليه وسلم انها الليلة السابعة من العشر الاواخر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرى رؤياكم انها قد تواطأت انها ليلة السابعة في العشر الاواخر فمن كان متحريها فليتحرها ليلة السابعة من العشر الاواخر كذا رواه حنبل بن اسحاق عن عارم عن حماد وكذا خرجه الطحاوى عن ابراهيم بن مرزوق عن عارم ورواه البخارى في صحيحه عن عارم الا أنه لم يذكر لفظة ليلة السابعة بل قال من كان متحريها فليتحرها فى العشر

الاواخر ورواه عبدالرزاق في كتابه عن معمر عن أيوب عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال جاء رجل الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله اني رأيت في النوم ليلة القدر كأنها ليلة سابعة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أري رؤياكم قد تواطأت انها ليلة سابعة فمن كان متحريها منكم فليتحرها في ليلة سابعة قال معمر فكان أيوب يغتسل فى ليلة ثلاث وعشرين يشير الى انه حملها على سابعة تبقى وخرجه الثعلبي فى تفسيره من طريق الحسن بن عبدالاعلى عن عبدالرزاق بهذا الاسناد وقال فى حديثه ليلة سابعة تبقي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انى أرى رؤياكم قد تواطأت على ثلاث وعشرين فمن كان منكم يريد أن يقوم من الشهر شيئا فليقم ليلة ثلاث وعشرين وهذه الالفاظ غير محفوظة فى الحديث والله أعلم وفى سنن أبي داود باسناد رجاله كلهم رجال الصحيح عن معاوية عن النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة القدر ليلة سبع وعشرين وخرجه ابن حبان فى صحيحه وصححه ابن عبدالبر وله علة وهى وقفه على معاوية وهو أصح عند الامام أحمد والدارقطنى وقد اختلف أيضا عليه في لفظه وفي المسند عن ابن مسعود رضى الله عنه ان رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متي ليلة القدر فقال من يذكر منكم ليلة الصهباوات قال عبدالله أنا بابى أنت وأمى وان في يدى لتمرات أتسحر بهن مستترا بمؤخرة رحل من الفجر وذلك حين طلع القمر وخرجه يعقوب بن شيبة في مسنده وزاد وذلك ليلة سبع وعشرين وقال صالح الاسناد والصهباوات موضع بقرب خيبر وفي المسند أيضا من وجه آخر عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان ليلة القدر في النصف من السبع الاواخر من رمضان واذا حسبنا أول السبع الاواخر ليلة أربع وعشرين كانت ليلة سبع وعشرين نصف السبع لان قبلها ثلاث ليال وبعدها ثلاث ومما يرجح ان ليلة القدر ليلة سبع وعشرين انها من السبع الاواخر التى أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالتماسها فيها بالاتفاق وفى دخول الثالثة والعشرين فى السبع اختلاف سبق ذكره ولاخلاف انها آكد من الخامسة والعشرين ومما يدل على ذلك أيضا حديث أبي ذر

فى قيام النبي صلى الله عليه وسلم بهم فى أفراد السبع الاواخر وانه قام بهـم في الثالثة والعشرين الى ثلث الليل وفي الخامسة الى نصف الليل وفى السابعة الى آخر الليل حتى خشوا أن يفوتهم الفلاح وجمع أهله ليلتئذ وجمع الناس وهذا كله يدل على تأكدها على سائر أفراد السبع والعشر ومما يدل على ذلك ما استشهد به ابن عباس رضي الله عنـه بحضرة[1] عمر رضى الله عنه والصحابة معه واستحسنه عمر رضى الله عنه وقد روى من وجوه متعددة فروى عبدالرزاق فى كتابه عن معمر عن قتادة وعاصم أنهما سمعا عكرمة يقول قال ابن عباس رضى الله عنهما دعا عمر بن الخطاب أصحاب محمد صلى الله عليه وسـلم فسألهم عن ليلة القدر فاجمعوا انها في العشر الاواخر قال ابن عباس فقلت لعمر رضى الله عنه اني لاعلم أواني لاظن أى ليلة هى قال عمر رضى الله عنه وأى ليلة هى قلت سابعة تمضى أوسابعة تبقى من العشر الاواخر فقال عمر رضي الله عنـه ومن أين علمت ذلك قال فقلت ان الله خلق سبع سموات وسبع أرضين وسبعة أيام وان الدهر يدور على سبع وخلق الله الانسان من سبع ويأ كل من سبع ويسجد على سبع والطواف بالبيت سبع ورمى الجمار سبع لا يشاء ذكرها فقال عمر رضى الله عنه لقد فطنت لامر مافطنا له وكان قتادة يزيد على ابن عباس فى قوله يأ كل من سبع قال هو قول الله عزوجل ﴿ فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحـدائق غلبا وفاكهة وأبا ﴾ ولكن فى هذه الرواية انها في سبع تمضى أوتبقى بالترديد فى ذلك وخرجه ابن شاهين من رواية عبدالواحد بن زياد عن عاصم الاحول حدثنى لاحق بن حميد وعكرمة قالا قال عمر رضى الله عنه من يعلم ليلة القدر فذكر الحـديث بنحوه وزاد ان ابن عباس قال قال رسول الله صلي الله عليه وسـلم هى فى العشر سبع تمضى أوسبع تبقى فخالف فى اسناده وجعله مرسلا ورفع آخره روى ابن عبدالبر باسناد صحيح من طريق سعيد بن جبير قال كان ناس من المهاجرين وجـدوا على عمر في ادنائه ابن عباس فجمعهم ثم سألهـم عن ليلة القدر فاكثروا فيها فقال بعضهم كنا نراها في العشر الاوسط ثم بلغنا انها فى العشر الاواخر فاكثروا فيها فقال بعضهم ليلة احدي وعشرين

(١) نسخة بحضر

وقال بعضهم ليلة ثلاث وعشرين وقال بعضهم ليلة سبع وعشرين فقال عمر رضى الله عنه يا ابن عباس تكلم فقال الله أعلم قال عمر قد نعلم ان الله يعلم وانما نسألك عن علمك فقال ابن عباس رضى الله عنهما ان الله وتر يحب الوتر خلق من خلقه سبع سموات فاستوى عليهن وخلق الارض سبعا وجعل عدة الايام سبعا ورمى الجمار سبعا وخلق الانسان من سبع وجعل رزقه من سبع فقال عمر خلق الانسان من سبع وجعل رزقه من سبع هذا أمر ما فهمته فقال ان الله تعالى يقول ﴿ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ﴾ حتى بلغ آخر الآيات وقرأ ﴿ انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا فانبتنا فيها حبا وعنبا وقضبا وزيتونا ونخلا وحدائق غلبا وفاكهة وأبا متاعا لكم ولانعامكم ﴾ ثم قال والاب للدواب وخرجه ابن سعد فى طبقاته عن اسحاق الازرق عن عبد الملك ابن أبى سليمان عن سعيد بن جبير فذكره بمعناه وزاد فى آخره قال وأما ليلة القدر فما نراها ان شاء الله الا ليلة ثلاث وعشرين يمضين أو سبع يبقين والظاهر ان هذا سمعه سعيد بن جبير من ابن عباس فيكون متصلا وروى عاصم بن كليب عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال دعا عمر الاشياخ من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ذات يوم فقال لهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى ليلة القدر ما قد علمتم التمسوها فى العشر الاواخر وترا ففي أي الوتر ترونها فقال رجل برأيه انها تاسعة سابعة خامسة ثالثة ثم قال يا ابن عباس تكلم فقلت أقول برأيي قال عن رأيك أسألك فقلت انى سمعت الله أكثر من ذكر السبع وذكر باقيه بمعني ما تقدم وفى آخره قال عمر رضى الله عنه أعجزتم أن تقولوا مثل ما قال هذا الغلام الذى لم تستو شؤن رأسه خرجه الاسماعيلى فى مسند عمر والحاكم وقال صحيح الاسناد وخرجه الثعلبى فى تفسيره وزاد قال ابن عباس فما أراها الا ليلة ثلاث وعشرين لسبع يبقين وخرج على بن المدينى فى كتاب العلل المرفوع منه وقال هو صالح وليس مما يحتج به وروى مسلم الملاى وهو ضعيف عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما ان عمر قال له أخبرنى برأيك عن ليلة القدر فذكر معنى ما تقدم وفيه ان ابن عباس قال لا أراها الا فى سبع يبقين من رمضان فقال عمر

وافق رأيي رأيك وروى باسناد فيه ضعف عن محمد بن كعب عن ابن عباس ان عمر رضي الله عنه جلس في رهط من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فتذاكروا ليلة القدر فذكر معنى ماتقدم وزاد فيه عن ابن عباس انه قال وأعطى من المثاني سبعا ونهى في كتابه عن نكاح الاقربين عن سبع وقسم الميراث في كتابه على سبع ونقع في السجود من أجسادنا على سبع وقال فأراها في السبع الاواخر من رمضان وليس في شيء من هذه الروايات انها ليلة سبع وعشرين جزما بل في بعضها الترديد بين ثلاث وسبع وفي بعضها انها ليلة ثلاث وعشرين لانها أول السبع الاواخر على رأيه وقد صح عن ابن عباس انه كان ينضح على أهله الماء ليلة ثلاث وعشرين خرجه عبد الرزاق وخرجه ابن أبي عاصم مرفوعا والموقوف أصح وقد استنبط طائفة من المتأخرين من القرآن انها ليلة سبع وعشرين من موضعين أحدهما ان الله تعالى كرر ذكر ليلة القدر في سورة القدر في ثلاثة مواضع منها وليلة القدر حروفها تسع حروف والتسع اذا ضربت في ثلاثة فهي سبع وعشرون والثاني انه قال سلام هي فكلمة هي هي الكلمة السابعة والعشرون من السورة فان كلماتها كلها ثلاثون كلمة قال ابن عطية هذا من ملح التفسير لا من متين العلم وهو كما قال ومما استدل به من رجح ليلة سبع وعشرين بالآيات والعلامات التي رأيت فيها قديما وحديثا وبما وقع فيها من اجابة الدعوات فقد تقدم عن أبيّ بن كعب انه استدل على ذلك بطلوع الشمس في صبيحتها لاشعاع لها وكان عبدة ابن أبي لبابة يقول هي ليلة سبع وعشرين ويستدل على ذلك فانه قد جرب ذلك باشياء وبالنجوم خرجه عبد الرزاق وروي عن عبدة انه ذاق ماء البحر ليلة سبع وعشرين فاذا هو عذب ذكره الامام أحمد باسناده وطاف بعض السلف ليلة سبع وعشرين بالبيت الحرام فرأى الملائكة في الهواء طائفين فوق رؤس الناس وروي أبو موسى المديني من طريق أبي الشيخ الاصبهاني باسناد له عن حماد بن شعيب عن رجل منهم قال كنت بالسواد فلما كان في العشر الاواخر جعلت أنظر بالليل فقال لي رجل منهم الى أي شيء تنظر قلت الى ليلة القدر قال فنم فاني سأخبرك فلما كان ليلة سبع وعشرين جاء وأخذ

يدى فذهب بى الى النخل فاذا النخل واضع سعفه فى الارض فقال لسنا نري هذا فى السنة كلها الا في هذه الليلة وذكر أبو موسى باسانيد له ان رجلا مقعدا دعا الله ليلة سبع وعشرين فاطلقه وعن امرأة مقعدة كذلك وعن رجل بالبصرة كان أخرس ثلاثين سنة فدعا الله ليلة سبع وعشرين فاطلق لسانه فتكلم وذكر الوزير أبو المظفر ابن هبيرة انه رأي ليلة سبع وعشرين وكانت ليلة جمعة بابا في السماء مفتوحا شامى الكعبة قال فظننته حيال الحجرة النبوية المقدسة قال ولم يزل كذلك الى ان التفت الى المشرق لانظر طلوع الفجر ثم التفت اليه فوجدته قد غاب قال وان وقع فى ليلة من أوتار العشر ليلة جمعة فهى أرجى من غيرها واعلم ان جميع هذه العلامات لا توجب القطع بليلة القدر وقد روي سلمة بن شبيب في كتاب فضائل رمضان حدثنا ابراهيم ابن الحكم حدثنى أبي قال حدثني فرقد ان ناسا من الصحابة كانوا في المسجد فسمعوا كلاما من السماء ورأوا نورا من السماء وبابا من السماء وذلك فى شهر رمضان فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما رأوا فزعم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أما النور فنور رب العزة تعالى وأما الباب فباب السماء والكلام كلام الانبياء فكل شهر رمضان على هذه الحال ولكن هذه ليلة كشف غطاؤها وهذا مرسل ضعيف وأما العمل في ليلة القدر فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفرله ماتقدم من ذنبه وقيامها انما هواحياؤها بالتهجد فيها والصلاة وقد أمر عائشة بالدعاء فيها أيضا قال سفيان الثورى الدعاء فى تلك الليلة أحب الى من الصلاة قال واذا كان يقرأ وهو يدعو ويرغب الى الله في الدعاء والمسئلة لعله يوافق انتهى ومراده ان كثرة الدعاء أفضل من الصلاة التى لا يكثر فيها الدعاء وان قرأودعا كان حسنا وقدكان النبي صلى الله عليه وسلم يتهجد في ليالى رمضان ويقرأ قراءة مرتلة لايمر بآية فيها رحمة الاسأل ولا بآية فيها عذاب الا تعوذ فيجمع بين الصلاة والقراءة والدعاء والتفكر وهذا أفضل الاعمال وأكملها فى ليالى العشر وغيرها والله أعلم وقد قال الشعبي فى ليلة القدر ليلها كنهارها وقال الشافعى في القديم استحب أن يكون

اجتهاده في نهارها كاجتهاده فى ليلها وهذا يقتضى استحباب الاجتهاد في جميع زمان العشر الاواخر ليله ونهاره والله أعلم المحبون تطول عليهم الليالى فيعدونها عـدا لانتظار ليالى العشر فى كل عام فاذا ظفروا بها نالوا مطلوبهم وخدموا محبوبهم شعر

قد مزق الحب قيص الصـبر　　وقد غدوت حائرا فى أمرى

آه على تلك الليـالى الغـر　　ما كن الا كليـالى القـدر

ان عدن لى من بعد هذا الهجر　　وفيت لله بكل نـذر

وقام بالحمد خطيب شكرى

رياح هذه الاسحار تحمل أنين المذنبين وأنفاس المحبين وقصص التائبين ثم تعود برد الجواب بلا كتاب شعر

أعلمتمو أن النسيم اذا سري　　حمل الحديث الى الحبيب كاجرى

جهـل الحبيب بأننى فى حبهم　　سهر الدجي عندي ألذ من الكرى

فاذا ورد بريد برد السحر يحمل ملطفات الالطاف لم يفهمها غير من كتبت اليه شعر

نسيم صبا نجد متى جئت حاملا　　تحيتهم فاطو الحديث عن الركب

ولا تذع السر المصون فاننى　　أغار على ذكر الاحبة من صحبي

يا يعقوب الهجر قد هبت ريح يوسف الوصل فلو استنشقت لعدت بعد العمى بصيرا ولوجدت ما كنت لفقده فقيرا

كان لى قلب أعيش به　　ضاع مـنى فى تقلبـه

رب فاردده على فقـد　　عيـل صـبري فى تطلبه

وأغثنى مادام بي رمق　　ياغيـاث المسـتغيث به

لوقام المذنبون فى هذه الاسحار على اقدام الانكسار ورفعوا قصص الاعتذار مضمونها ﴿ يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ﴾ لبرز لهم التوقيع عليها ﴿ لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ﴾ شعر

أشكو الي الله كما قد شكى　　أولاد يعقوب الى يوسـف

قد مسني الضر وأنت الذى　　تعلم حالى وترى موقفى
بضاعتي المزجاة محتاجة　　الى سماح من كريم وفي
فقد أتى المسكين مستمطرا　　جودك فارحم ذله واعطف
فاوف كيلي وتصدق على　　هذا المقل البائس الاضعف

قالت عائشة رضي الله عنها للنبي صلى الله عليه وسلم أرأيت ان وافقت ليلة القدر ما أقول فيها قال قولى اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنى العفو من أسماء الله تعالى وهو يتجاوز عن سيئات عباده الماحى لآثارها عنهم وهو يحب العفو فيحب أن يعفو عن عباده ويحب من عباده أن يعفو بعضهم عن بعض فاذا عفا بعضهم عن بعض عاملهم بعفوه وعفوه أحب اليه من عقوبته وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول أعوذ برضاك من سخطك وعفوك من عقوبتك قال يحيى بن معاذ لولم يكن العفو أحب الاشياء اليه لم يبتل بالذنب أكرم الناس عليه يشير الى انه ابتلى كثيرا من أوليائه وأحبابه بشيء من الذنوب ليعاملهم بالعفو فانه يحب العفو قال بعض السلف الصالح لو علمت أحب الاعمال الى الله تعالى لاجهدت نفسى فيه فرأى قائلا يقول له فى منامه انك تريد مالا يكون ان الله يحب أن يعفو ويغفر وانما أحب أن يعفو ليكون العباد كلهم تحت عفوه ولا يدل عليه أحد منهم بعمل وقد جاء فى حديث ابن عباس مرفوعا ان الله ينظر ليلة القدر الى المؤمنين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم فيعفو عنهم ويرحمهم الا أربعة مدمن خمر وعاقا ومشاحنا وقاطع رحم لما عرف العارفون بجلاله خضعوا ولما سمع المذنبون بعفوه طمعوا ما ثم الا عفو الله أو النار لولا طمع المذنبين فى العفو لاحترقت قلوبهم باليأس من الرحمة ولكن اذا ذكرت عفو الله استروحت الى برد عفوه كان بعض المتقدمين يقول فى دعائه اللهم ان ذنوبي قد عظمت فجلت عن الصفة وانها صغيرة في جنب عفوك فاعف عنى وقال آخر منهم جرمي عظيم وعفوك كثير فاجمع بين جرمى وعفوك ياكريم يا كبير الذنب عفو الله من ذنبك أكبر أكبر الاوزار في جنب عفو الله يصغر وانما أمر بسؤال العفو فى ليلة القدر بعد الاجتهاد فى الاعمال فيها وفى ليالى العشر لان العارفين

يجتهدون فى الاعمال ثم لايرون لانفسهم عمـلا صالحا ولاحالا ولامقالا فيرجمون الى سؤل العفو كحال المذنب المقصر قال يحيي بن معاذ ليس بعارف من لم يكن غاية أمله من الله العفو

ان كنت لا أصلح للقرب　　فشانكم عفو عن الذنب

كان مطرف يقول في دعائه اللهم ارض عنا فان لم ترض عنا فاعف عنا من عظمت ذنوبه فى نفسه لم يطمع في الرضا وكان غاية أمله أن يطمع فى العفو ومن كملت معرفته لم ير نفسه الافى هذه المنزلة شعر

يارب عبـدك قد أتـــاك وقد أساء وقد هفا
يكفيه منـك حياؤه من سوء ماقد أسـلفا
حمل الذنوب علي الذنـــوب الموبقات وأسرفا
وقد استجار بذيل عفـــوك من عقابك ماحفا
رب اعف عنه وعافه فلانت أولى من عفا

﴿ المجلس السادس في وداع رمضان ﴾

فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه ومن قام ليلة القدر ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه وفيهما أيضا من حديث أبي هريرة أيضا رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفرله ماتقدم من ذنبه وللنسائى فى رواية من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه وماتأخر وقدسبق فى قيام ليلة القدر مثل ذلك من رواية عبادة بن الصامت والتكفير بصيامه قد ورد مشروطا بالتحفظ مما ينبغى أن يتحفظ منه فى المسند وصحيح ابن حبان عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان فعرف حدوده وتحفظ مما ينبغي له أن يتحفظ منه كفر ذلك ماقبـله والجمهور على ان ذلك انما يكفر الصغائر ويدل عليه ماخرجه مسلم من حديث أبى هريرة عن النبي صلي الله عليه وسلم قال

الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان مكفرات لما بينهن ما اجتنبت الكبائر وفي تأويله قولان أحدهما ان تكفير هذه الاعمال مشروط باجتناب الكبائر فمن لم يجتنب الكبائر لم تكفر له هذه الاعمال كبيرة ولا صغيرة والثانى ان المراد ان هذه الفرائض تكفر الصغائر خاصة بكل حال وسواء اجتنبت الكبائر أولم تجتنب وانها لاتكفر الكبائر بحال وقد قال ابن المنذر في قيام ليلة القدر انه يرجى به مغفرة الذنوب كبائرها وصغائرها وقال غيره مثل ذلك فى الصوم أيضا والجمهور على ان الكبائر لا بد لها من توبة نصوح وهذه المسائل قد ذكرناها مستوفاة في مواضع أخر فدل حديث أبي هريرة رضى الله عنه على ان هذه الاسباب الثلاثة كل واحد منها مكفر لما سلف من الذنوب وهى صيام رمضان وقيامه وقيام ليلة القدر فقيام ليلة القدر بمجرده يكفر الذنوب لمن وقعت له كما فى حديث عبادة بن الصامت وقد سبق ذكره وسواء كانت في أول العشر أو أوسطه أو آخره وسواء شعر بها أولم يشعر ولايتأخر تكفير الذنوب بها الى انقضاء الشهر وأما صيام رمضان وقيامه فيتوقف التكفير بهما على تمام الشهر فاذا تم الشهر فقد كمل للمؤمن صيام رمضان وقيامه فيترتب له على ذلك مغفرة ماتقدم من ذنبه بتمام السببين وهما صيامه وقيامه وقد يقال انه يغفر لهم عند استكمال القيام في آخر ليلة من رمضان بقيام رمضان قبل تمام نهارها وتتأخر المغفرة بالصيام الى اكمال النهار بالصوم فيغفر لهم بالصوم فى ليلة الفطر ويدل على ذلك ماخرجه الامام أحمد من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت أمتى خمس خصال فى رمضان لم يعطها أمة غيرهم خلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك وتستغفر لهم الملائكة حتي يفطروا ويزين الله كل يوم جنته ويقول يوشك عبادى أن يكفوا عنهم المؤنة والاذى ويصيروا اليك ويصفد فيه مردة الشياطين فلا يخلصون فيه الى ماكانوا يخلصون اليه في غيره ويغفر لهم فى آخر ليلة فيه فقيل له يارسول الله أهي ليلة القدر قال لا ولكن العامل انما يوفي أجره اذا قضى عمله وقد روى ان الصائمين يرجعون يوم الفطر مغفورا لهم وان يوم الفطر يسمي يوم الجوائز وفيه أحاديث ضعيفة وقال الزهرى

اذا كان يوم الفطر خرج الناس الى الجبار اطلع الله عليهم فقال عبادى لى صمتم ولى قمتم ارجعوا مغفورا لكم قال مورق العجلى لبعض اخوانه في المصلى يوم الفطر يرجع هذا اليوم قوم كما ولدتهم أمهاتهم وفى حديث أبى جعفر الباقر المرسل من أتى عليه رمضان فصام نهاره وصلى وردا من ليله وغض بصره وحفظ فرجه ولسانه ويده وحافظ على صلاته فى الجماعة وبكر الى جمعة فقد صام الشهر واستكمل الاجر وأدرك ليلة القدر وفاز بجائزة الرب قال أبو جعفر جائزة لا تشبه جوائز الامراء اذا أكمل الصائمون صيام رمضان وقيامه فقد وفوا ماعليهم من العمل وبقى مالهم من الاجر وهو المغفرة فاذا خرجوا يوم عيد الفطر الى الصلاة قسمت عليهم أجورهم فرجعوا الى منازلهم وقد استوفوا الأجر واستكملوه كما في حديث ابن عباس رضى الله عنهما المرفوع اذا كان يوم الفطر هبطت الملائكة الى الارض فيقومون على أفواه السكك ينادون بصوت يسمعه جميع من خلق الله الا الجن والانس يقولون يا أمة محمد اخرجوا الى رب كريم يعطى الجزيل ويغفر الذنب العظيم فاذا برزوا الي مصلاهم يقول الله عز وجل لملائكته يا ملائكتي ماجزاء الاجير اذا عمل عمله فيقولون الهنا وسيدنا أن توفيه أجره فيقول انى أشهدكم انى قد جعلت ثوابهم من صيامهم وقيامهم رضائي ومغفرتي انصرفوا مغفورا لكم خرجه سلمة ابن شبيب فى كتاب فضائل رمضان وغيره وفي اسناده مقال وقد روى من وجه آخر عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما موقوفا بعضه وقد روي معناه مرفوعا من وجوه أخر فيها ضعف من وفى ماعليه من العمل كاملا وفى له الاجر كاملا ومن سلم ماعليه موفرا تسلم ماله نقدا لا مؤخرا

ما بعتكم مهجتى الا بوصلكم ... ولا أسلمها الا يدا بيد

فان وفيتم بما قلتم وفيت أنا ... وان أبيتم يكون الرهن تحت يدى

ومن نقص من العمل الذي عليه نقص من الاجر بحسب نقصه فلا يلم الا نفسه قال سلمان الصلاة مكيال فمن وفي وفى له ومن طفف فقد علمتم ماقيل فى المطففين فالصيام وسائر الاعمال على هذا المنوال من وفاها فهو من خيار عباد الله الموفين ومن طفف فيها فويل

للمطففين أما يستحي من يستوفي مكيال شهواته ويطفف في مكيال صيامه وصلاته ألا بعد المدين في الحديث أسوأ الناس سرقة الذى يسرق صلاته اذا كان الويل لمن طفف مكيال الدنيا فكيف حال من طفف مكيال الدين ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾

غدا توفى النفوس ما كسبت ويحصد الزارعون مازرعوا
ان أحسنوا أحسنوا لانفسهم وان أساؤا فبئس ماصنعوا

كان السلف الصالح يجتهدون في اتمام العمل واكماله واتقانه ثم يهتمون بعد ذلك بقبوله ويخافون من رده وهؤلاء الذين ﴿يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة﴾ روي عن على رضى الله عنه قال كونوا لقبول العمل أشد اهتماما منكم بالعمل ألم تسمعوا الله عز وجل يقول ﴿ انما يتقبل الله من المتقين ﴾ وعن فضالة بن عبيد قال لأن أكون اعلم أن الله قد تقبل مني مثقال حبة من خردل أحب الى من الدنيا وما فيها لان الله يقول ﴿ انما يتقبل الله من المتقين ﴾ قال ابن دينار الخوف على العمل أن لا يتقبل أشد من العمل وقال عطاء السلمى الحذر الاتقاء على العمل أن لا يكون لله وقال عبدالعزيز بن أبي رواد أدركتهم يجتهدون في العمل الصالح فاذا فعلوه وقع عليهم الهم أيقبل منهم أم لا قال بعض السلف كانوا يدعون الله ستة أشهر أن يبلغهم شهر رمضان ثم يدعون الله ستة أشهر أن يتقبله منهم خرج عمر بن عبدالعزيز رحمه الله في يوم عيد فطر فقال في خطبته أيها الناس انكم صمتم لله ثلاثين يوما وقمتم ثلاثين ليلة وخرجتم اليوم تطلبون من الله أن يتقبل منكم كان بعض السلف يظهر عليه الحزن يوم عيد الفطر فيقال له انه يوم فرح وسرور فيقول صدقتم ولكنى عبد أمرني مولاى أن أعمل له عملا فلا أدري أيقبله منى أم لا رأى وهب ابن الورد قوما يضحكون في يوم عيد فقال ان كان هؤلاء تقبل منهم صيامهم فماهذا فعل الشاكرين وان كان لم يتقبل منهم صيامهم فماهذا فعل الخائفين وعن الحسن قال ان الله جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه بطاعته الى مرضاته فسبق قوم ففازوا وتخلف آخرون فخابوا فالعجب من اللاعب الضاحك في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون

ويخسر فيه المبطلون بيت

لعلك غضبان وقلبي غافل　　سلام على الدارين ان كنت راضيا

روى عن على رضى الله عنه انه كان ينادي فى آخر ليلة من شهر رمضان ياليت شعري من هذا المقبول فنهنيه ومن هذا المحروم فنعزيه وعن ابن مسعود انه كان يقول من هذا المقبول منا فنهنيه ومن هذا المحروم منا فنعزيه أيها المقبول هنيئالك أيها المردود جبر الله مصيبتك

ليت شعرى من فيه يقبل منا　　فيهنا ياخيبة المردود

من تولى عنه بغير قبول　　أرغم الله انفه بخزى شديد

ماذا فات من فاته خير رمضان وأى شئ أدرك من أدركه فيه الحرمان كم بين من حظه فيه القبول والغفران ومن كان حظه فيه الخيبة والخسران رب قائم حظه من قيامه السهر وصائم حظه من صيامه الجوع والعطش شعر

ما أصنع هكذا جرى المقدور　　الجبر لغيرى وأنا المكسور

أسير ذنب مقيد مهجور　　هل يمكن أن يغير المقدور

غيره　سار القوم والشقاء يقعدني　　حازوا القرب والجفا يبعدني

حسبى حسبي الى متى تطردنى　　أعداي دانى وكلهم يقصدنى

غيره

أسباب هواك أوهنت أسبابي　　من بعد جفاك فالضنى أولى بي

ضاقت حيلى وأنت تدرى مابي　　فارحم فالعبد واقف بالباب

شهر رمضان تكثر فيه أسباب الغفران فمن أسباب المغفرة فيه صيامه وقيامه وقيام ليلة القدر فيه كما سبق ومنها تفطير الصوام والتخفيف عن المملوك وهما مذكوران في حديث سلمان المرفوع ومنها الذكر وفى حديث مرفوع ذاكر الله في رمضان مغفور له ومنها الاستغفار والاستغفار طلب المغفرة ودعاء الصائم مستجاب في صيامه وعند فطره ولهذا كان ابن عمر اذا أفطر يقول اللهم ياواسع المغفرة اغفرلى وفى حديث أبى هريرة

رضى الله عنه المرفوع في فضل شهر رمضان ويغفر فيه الالمن أبى قالوا يا أبا هريرة ومن يأبي قال يأبى أن يستغفر الله ومنها استغفار الملائكة للصائمين حتى يفطروا وقد تقدم ذكره فلما كثرت أسباب المغفرة فى رمضان كان الذى تفوته المغفرة فيه محروما غاية الحرمان في صحيح ابن حبان عن أبى هريرة رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال آمين آمين آمين قيل يارسول الله انك صعدت المنبر فقلت آمين آمين آمين فقال ان جبريل أتانى فقال من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين ومن أدرك أبويه أوأحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين وخرجه الامام أحمد والترمذى وابن حبان أيضا من وجه آخر عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا بلفظ رغم انفه وحسنه الترمذى وقال سعيد عن قتادة كان يقال من لم يغفر له في رمضان فلن يغفر له فيما سواه وفى حديث آخر اذا لم يغفر له فى رمضان فمتى يغفر لمن لا يغفر له في هذا الشهر من يقبل من رد في ليلة القدر متى يصلح من لا يصلح فى رمضان متى يصلح من كان به فيه من داء الجهالة والغفلة مرضان كل مالا يثمر من الاشجار فى أوان الثمار فانه يقطع ثم يوقد في النار من فرط فى الزرع فى وقت البدار لم يحصد يوم الحصاد غير الندم والخسار شعر

ترحل شهر الصبر والهفاه وانصرما ... واختص بالفوز فى الجنات من خدما
وأصبح الغافل المسكين منكسرا ... مثلى فياويحه ياعظم ما حرما
من فاته الزرع فى وقت البدار فما ... تراه يحصد الا الهم والندما

شهر رمضان شهر أوله رحمة وأوسطه مغفرة وآخره عتق من النار روي هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث سلمان الفارسى خرجه ابن خزيمة فى صحيحه وروي عنه أيضا من حديث أبي هريرة رضى الله عنه خرجه ابن أبى الدنيا وغيره والشهر كله شهر رحمة ومغفرة وعتق ولهذا فى الحديث الصحيح انه تفتح فيه أبواب الرحمة وفى الترمذى وغيره ان لله عتقاء من النار وذلك كل ليلة ولكن الاغلب على أوله الرحمة

وهى للمحسنين المتقين قال الله تعالى ﴿ ان رحمة الله قريب من المحسنين ﴾ وقال الله تعالى ﴿ ورحمتى وسعت كل شئ فسأ كتبها للذين يتقون ﴾ فيفاض على المتقين في أول الشهر خلع الرحمة والرضوان ويعامل أهل الاحسان بالفضل والاحسان وأما أوسط الشهر فالاغلب عليه المغفرة فيغفر فيه للصائمين وان ارتكبوا بعض الذنوب الصغائر فلا يمنعهم من المغفرة كما قال الله تعالى ﴿ وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم ﴾ وأما آخر الشهر فيعتق فيه من النار من أوبقته الاوزار واستوجب النار بالذنوب الكبار وفي حديث ابن عباس المرفوع لله في كل ليلة من شهر رمضان عند الافطار ألف ألف عتيق من النار كلهم قد استوجبوا النار فاذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق الله في ذلك اليوم بعدد ما أعتق من أول الشهر الى آخره وخرجه سلمة بن شبيب وغيره وانما كان يوم الفطر من رمضان عيدا لجميع الامة لانه تعتق فيه أهل الكبائر من الصائمين من النار فيلتحق فيه المذنبون بالابرار كما ان يوم النحر هو العيد الاكبر لان قبله يوم عرفة وهو اليوم الذى لايرى في يوم من الدنيا أكثر عتقا من النار منه فمن اعتق من النار في اليومين فله يوم عيد ومن فاته العتق في اليومين فله يوم وعيد شعر

ليس عيد المحب قصد المصلى وانتظار الامير والسلطان
انما العيد أن تكون لدى الله كريما مقربا فى أمان

ورؤى بعض العارفين ليلة عيد في فلاة يبكى على نفسه وينشد

بحرمة غربتى كم ذا الصدود ألا تعطف على ألا تجود
سرور العيد قد عم النواحى وحزني فى ازدياد لايبيد
فان كنت اقترفت خلال سوء فعذري في الهوى أن لا أعود

لما كانت المغفرة والعتق كل منهما مرتبا على صيام رمضان وقيامه أمر الله سبحانه وتعالى عند اكمال العدة بتكبيره وشكره فقال ﴿ ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون ﴾ فشكر من أنعم على عباده بتوفيقهم للصيام واعانتهم عليه ومغفرته لهم به وعتقهم من النار أن يذكروه ويشكروه ويتقوه حق تقاته وقد فسر ابن

مسعود رضى الله عنه تقواه حق تقاته بان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر فيأرباب الذنوب العظيمة الغنيمة الغنيمة في هـذه الايام الكريمة فما منها عوض ولالهـا قيمة فمن يعتق فيها من النار فقد فاز بالجائزة العظيمة والمنحة الجسيمة يامن أعتقه مولاه من النار ايك أن تعود بعـد أن صرت حرا الى رق الاوزار أيبعدك مولاك من النار وتتقرب منها و ينقذك منها وأنت توقع نفسك فيها ولاتحيد عنها بيت

وان امرءاً ينجو من النار بعدما تزود من أعمـالها لسـعيد

ان كانت الرحمـة للمحسنين فالمسىء لاييأس منها وان تكن المغفرة مكتوبة للمتقين فالظالم لنفسه غير محجوب عنها غيره

ان كان عفوك لايرجوه ذو خطا فمن يجود على العاصين بالكرم

غيره ان كان لا يرجوك الا محسن فمن الذي يرجو و يدعو المذنب

لم لايرجى العفو من ربنا وكيف لايطمع في حلمه وفي الصحيح انه بعبده أرحم من أمه ﴿ قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا ﴾ فيا أيها العاصى وكلنا ذلك لاتقنط من رحمة الله بسوء أعمالك فكم يعتق من النار فى هذه الايام من أمثالك فاحسن الظن بمولاك وتب اليه فانه لايهلك على الله هالك شعر

اذا أوجعتك الذنوب فداوها برفع يد بالليـل والليـل مظلم

ولا تقنطن من رحمة الله انما قنوطك منها من ذنوبك أعظم

فرحمته للمحسنين كرامة ورحمتـه للمذنبين تكرم

ينبغي لمن يرجو العتق فى شهر رمضان من النار أن يأتي باسباب توجب العتق من النار وهي متيسرة فى هذا الشهر وكان أبوقلابة يعتق فى آخر الشهر جارية حسناء مزينة يرجو بعتقها العتق من النار وفى حديث سلمان الفارسى المرفوع الذى فى صحيح ابن خزيمة من فطر صائما كان عتقا له من النار ومن خفف فيه عن مملوكه كان له عتقا من النار وفيه أيضا فاستكثروا فيه من أربع خصال خصلتين ترضون بهاربكم وخصلتين لاغناء

لكم عنهما فأما الخصلتان اللتان ترضون بهما ربكم شهادة أن لا اله الا الله والاستغفار وأما اللتان لاغناء لكم عنهما فتسألون الله الجنة وتستعيذون به من النار فهذه الخصال الاربعة المذكورة فى الحديث كل منها سبب العتق والمغفرة فاما كلمة التوحيد فانها تهدم الذنوب وتمحوها محوا ولاتبقى ذنبا ولايسبقها عمل وهى تعدل عتق الرقاب الذي يوجب العتق من النار ومن أتى بها أربع مرار حين يصبح وحين يمسى أعتقه الله من النار ومن قالها مخلصا من قلبه حرمه الله على النار وأما كلمة الاستغفار فمن أعظم أسباب المغفرة فان الاستغفار دعاء بالمغفرة ودعاء الصائم مستجاب في حال صيامه وعند فطره وقد سبق حديث أبي هريرة المرفوع ويغفر فيه يعنى شهر رمضان الا لمن أبي قالوا ياأبا هريرة ومن أبى قال من أبي أن يستغفرالله عزوجل قال الحسن أكثروا من الاستغفار فانكم لاتدرون متي تنزل الرحمة وقال لقمان لابنه يابنى عود لسانك الاستغفار فان لله ساعات لايرد فيهن سائلا وقد جمع الله بين التوحيد والاستغفار في قوله تعالى ﴿فاعلم أنه لااله الا الله واستغفر لذنبك﴾ وفى بعض الآثار ان ابليس قال أهلكت الناس بالذنوب وأهلكونى بلا اله الا الله والاستغفار والاستغفار ختام الاعمال الصالحة كلها فيختم به الصلاة والحج وقيام الليل ويختم به المجالس فان كانت ذكرا كان كالطابع عليها وان كانت لغوا كان كفارة لها فكذلك ينبغى أن تختم صيام رمضان بالاستغفار وكتب عمر بن عبدالعزيز الى الامصار يأمرهم بختم رمضان بالاستغفار وصدقة الفطر فان صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث والاستغفار يرقع ماتخرق من الصيام باللغو والرفث ولهذا قال بعض العلماء المتقدمين ان صدقة الفطر للصائم كسجدتى السهو للصلاة وقال عمر بن عبدالعزيز فى كتابه قولوا كما قال أبوكم آدم ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ وقولوا كما قال نوح عليه السلام ﴿والا تغفر لى وترحمنى أكن من الخاسرين﴾ وقولوا كما قال موسى عليه السلام ﴿رب انى ظلمت نفسى فاغفرلى﴾ وقولوا كما قال ذوالنون علية السلام ﴿سبحانك انى كنت من الظالمين﴾ ويروي عن أبي هريرة رضى الله عنه قال الغيبة تخرق الصيام

والاستغفار يرقعه فمن استطاع منكم أن يجيء بصوم مرقع فليفعل وعن ابن المنكدر معنى ذلك الصيام جنة من النار مالم يخرقها والكلام السيء يخرق هذه الجنة والاستغفار يرقع ماتخرق منها فصيامنا هذا يحتاج الى استغفار نافع وعمل صالح له شافع كم نخرق صيامنا بسهام الكلام ثم نرقعه وقد اتسع الخرق على الراقع كم نرفو خروقه بمخيط الحسنات ثم نقطعه بحسام السيئات القاطع كان بعض السلف اذا صلى صلاة استغفر من تقصيره فيها كما يستغفر المذنب من ذنبه اذا كان هذا حال المحسنين في عباداتهم فكيف حال المسيئين مثلنا فى عباداتهم ارحموا من حسناته كلها سيئات وطاعاته كلها غفلات شعر

أستغفر الله من صيامى　　طول زماني ومن صلاتى

يوم يرى كله خروق　　وصلاته أيما صلاة

مستيقظ فى الدجى ولكن　　أحسن من يقظتي سناتى

وقريب من هذا أمر النبى عليه السلام لعائشة رضى الله عنها في ليلة القدر بسؤال العفو فان المؤمن يجتهد في شهر رمضان في صيامه وقيامه فاذا قرب فراغه وصادف ليلة القدر لم يسأل الله تعالى الا العفو كالمسيء المقصر كان صلة بن أشيم يحيي الليل ثم يقول فى دعائه عند السحر اللهم انى أسألك أن تجيرني من النار ومثلي يجترئ أن يسألك الجنة كان مطرف يقول اللهم ارض عنا فان لم ترض عنا فاعف عنا قال يحيي بن معاذ ليس بعارف من لم يكن غاية أمله من الله العفو بيت

ان كنت لا أصلح للقرب　　فشأنكم عفو عن الذنب

أنفع الاستغفار ماقارنته التوبة وهى حل عقدة الاصرار فمن استغفر بلسانه وقلبه على المعصية معقود وعزمه أن يرجع الى المعاصي بعد الشهر ويعود فصومه عليه مردود وباب القبول عنه مسدود قال كعب من صام رمضان وهو يحدث نفسه انه اذا أفطر بعد رمضان انه لا يعصى الله دخل الجنة بغير مسئلة ولا حساب ومن صام رمضان وهو يحدث نفسه اذا أفطر بعد رمضان عصى ربه فصيامه عليه مردود وخرجه مسلمة

ابن شبيب شعر

ولولا التقى ثم النهى خشية الردي　　لعاصيت في وقت الصبا كل راجب

قضى ماقضى فيما مضى ثم لايرى　　له عودة أخرى الليالى الغوايب

وفى سنن أبي داود وغيره عن أبى بكرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لايقولن أحدكم صمت رمضان كله ولاقمت رمضان كله قال أبو بكرة فلا أدري أكره التزكية أم لابد من غفلة أين من كان اذا صام صان الصيام واذا قام استقام فى القيام أحسنوا الاسلام ثم ارحلوا بسلام مابقى الامن اذا صام افتخر بصيامه وصال واذا قام عجب بقيامه وقال كم بين خلى وشجى وواجد وفاقد وكاتم ومبدى وأما سؤال الجنة والاستعاذة من النار فمن أهم الدعاء وقال النبي صلى الله عليه وسلم حولها ندندن فالصائم يرجى استجابة دعائه فينبغى أن لايدعو الا بأهم الامور قال أبومسلم ماعرضت لى دعوة الاصرفتها الى الاستعاذة من النار وقال ﴿ لايستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون ﴾ فى الحديث تعرضوا لنفحات رحمة ربكم فان لله نفحات من رحمته ﴿ يصيب بها من يشاء من عباده ﴾ فمن أصابته سعد سعادة لايشقى بعدها أبدا فان أعظم نفحاته مصادفة دعوة الاجابة يسأل العبد فيها الجنة والنجاة من النار فيجاب سؤاله فيفوز بسعادة الابد قال الله تعالى ﴿ فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ﴾ وقال ﴿ فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق ﴾ الى قوله ﴿ وأما الذين سعدوا ففي الجنة ﴾ بيت

ليس السعيد الذى دنياه تسعده　　ان السعيد الذى ينجى من النار

عباد الله ان شهر رمضان قد عزم على الرحيل ولم يبق منه الا القليل فمن منكم أحسن فيه فعليه التمام ومن فرط فليختمه بالحسنى والعمل بالختام فاستغنموا منه مابقى من الليالى اليسيرة والايام واستودعوه عملا صالحا يشهد لكم به عند الملك العلام وودعوه عند فراقه باذكى تحية وسلام شعر

سلام من الرحمن كل أوان　　على خير شهر قد مضى وزمان

سلام على شهر الصيام فانه أمان من الرحمن كل أمان

لئن فنيت أيامك الغر بغتة فما الحزن من قلبي عليك بفان

لقد ذهبت أيامه وما أطعتم وكتبت عليكم فيه آثامه وما أضعتم وكانكم بالمشمرين فيه وقد وصلوا وانقطعتم أترى ماهذا التوبيخ لكم أوماسمعتم شعر

ماضاع من أيامنا هل يغرم هيهات والازمان كيف تقوم

يوم بارواح تباع وتشترى وأخوه ليس يسام فيه درهم

قلوب المتقين الى هذا الشهر تحن ومن ألم فراقه تئن شعر

دهاك الفراق فما تصنع أتصبر للبين أم تجزع

اذاكنت تبكي وهم جيرة فكيف تكون اذا ودعوا

كيف لاتجري للمؤمن على فراقه دموع وهو لايدرى هل بقى له في عمره اليه رجوع شعر

تذكرت أياما مضت ولياليا خلت فجرت من ذكرهن دموع

الاهل لها يوما من الدهر عودة وهل لى الى يوم الوصال رجوع

وهل بعد اعراض الحبيب تواصل وهل لبدور قد أفلن طلوع

أين حرق المجتهدين فى نهاره أين قلق المتهجدين في أسحاره فكيف حال من خسر في أيامه ولياليه ماذا ينفع المفرط فيه بكاؤه وقد عظمت فيه مصيبته وجل عزاؤه كم نصح المسكين فما قبل النصح كم دعى الى المصالحة فما أجاب الى الصلح كم شاهد الواصلين فيه وهو متباعد كم مرت به زمر السائرين وهو قاعد حتى اذا ضاق به الوقت وخاف المقت ندم على التفريط حين لا ينفع الندم وطلب الاستدراك في وقت العدم شعر

أتترك من تحب وأنت جار وتطلبهم وقد بعد المزار

وتبكي بعد نأيهم اشتياقا وتسأل في المنازل أين ساروا

تركت سؤالهم وهم حضور وترجو أن تخبرك الديار

فنفسك لم ولا تلم المطايا ومت كمدا فليس لك اعتذار

ياشهر رمضان ترفق دموع المحبين تدفق قلوبهم من ألم الفراق تشقق عسى وقفة للوداع تطفئ من نار الشوق ما أحرق عسى ساعة توبة واقلاع ترفو من الصيام كلما تخرق عسى منقطع عن ركب المقبولين يلحق عسى أسير الاوزار يطلق عسي من استوجب النار يعتق شعر

عسى وعسى من قبل وقت التفرق　　الى كل ماترجو من الخير تلتقي
فيجبر مكسور ويقبل تائب　　ويعتق خطاء ويسعد من شقي

﴿ وظائف شوال وفيه مجالس ﴾

﴿ المجلس الاول في صيام شوال كله واتباع رمضان بصيام ستة أيام من شوال ﴾

خرج مسلم من حديث أبي أيوب الانصارى رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال من صام رمضان ثم أتبعه ستا من شوال كان كصيام الدهر ثم اختلف في هذا الحديث وفى العمل به فمنهم من صححه ومنهم من قال هو موقوف قاله ابن عيينة وغيره واليه يميل الامام أحمد ومنهم من تكلم فى اسناده وأما العمل به فاستحب صيام ستة من شوال أكثر العلماء روى ذلك عن ابن عباس رضى الله عنهما وطاوس والشعبي وميمون بن مهران وهو قول ابن المبارك والشافعى وأحمد واسحاق وأنكر ذلك آخرون وروى عن الحسن انه كان اذا ذكر عنده صيام هذه الستة قال لقد رضى الله بهذا الشهر للسنة كلها ولعله انما أنكر على من اعتقد وجوب صيامها وانه لايكتفى بصيام رمضان عنها في الوجوب وظاهر كلامه يدل على هذا وكرهها الثورى وأبو حنيفة وأبو يوسف وعلل أصحابهما ذلك مشابهة أهل الكتاب يعنون في الزيادة في صيامهم المفروض عليهم ماليس منه وأكثر المتأخرين من مشايخهم قالوا لابأس به وعللوا ان الفطر قد حصل بفطر يوم العيد حكى ذلك صاحب الكافي منهم وكان مهدي يكرهها ولا ينهى عنها وكرهها أيضا مالك وذكر في الموطأ انه لم ير أحدا من أهل العلم يفعل ذلك وقد قيل انه كان يصومها فى نفسه وانما كرهها على وجه يخشى منه أن يعتقد فريضتها لئلا يزاد في رمضان ماليس منه وأما الذين استحبوا صيامها فاختلفوا فى صيامها على ثلاثة أقوال

أحدها انه يستحب صيامها من أول الشهر متتابعة وهو قول الشافعي وابن المبارك وقد روى في حديث أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعا من صام ستة أيام بعد الفطر متتابعة فكأنما صام السنة خرجه الطبراني وغيره من طرق ضعيفة وروى مرفوعا وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما من قوله بمعناه باسناد ضعيف أيضا والثاني انه لافرق بين أن يتابعها أو يفرقها من الشهر كله وهما سواء وهو قول وكيع وأحمد والثالث انها لاتصام عقب يوم الفطر فانها أيام أكل وشرب ولكن يصام ثلاثة أيام قبل أيام البيض وأيام البيض أو بعدها وهذا قول معمر وعبدالرزاق وروى عن عطاء حتى روى عنه انه كره لمن عليه صيام من قضاء رمضان أن يصومه ثم يصله بصيام تطوع وأمر بالفطر بينهما وهو قول شاذ وأكثر العلماء على انه لايكره صيام ثاني يوم الفطر وقد دل عليه حديث عمران بن حصين رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل اذا أفطرت فصم وقد ذكرناه في صيام آخر شعبان وقد سرد طائفة من الصحابة والتابعين الصوم الا يوم الفطر والاضحى وقد روي عن أم سلمة انها كانت تقول لاهلها من كان عليه رمضان فليصمه الغد من يوم الفطر فمن صام الغد من يوم الفطر فكأنما صام رمضان وفي اسناده ضعف وعن الشعبي قال لان أصوم يوما بعد رمضان أحب الى من أن أصوم الدهر كله ويروى باسناد ضعيف عن ابن عمر مرفوعا من صام بعد الفطر يوما فكأنما صام السنة وباسناده ضعف عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا الصائم بعد رمضان كالكار بعد الفار وأما صيام شوال كله ففي حديث رجل من قريش سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صام رمضان وشوالا والاربعاء والخميس دخل الجنة وخرجه الامام أحمد والنسائى وخرج الامام أحمد وأبو داود والنسائي والترمذى من حديث مسلم القرشى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه سئل عن صيام الدهر فقال ان لاهلك عليك حقا فصم رمضان والذي يليه وكل أربعة ٧ وخميس فاذا أنت قد صمت الدهر وأفطرت وخرج ابن ماجه باسناد منقطع ان اسامة بن زيد كان يصوم الاشهر الحرم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم صم شوالا فترك الاشهر

الحرم ثم لم يزل يصوم شوالا حتى مات وخرجه أبو يعلى الموصلي باسناد متصل عن اسامة قال كنت أصوم شهرا من السنة فقال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم أين أنت من شوال فكان اسامة اذا افطر أصبح الغد صائما من شوال حتى يأتي على آخره وصيام شوال كصيام شعبان لان كلا الشهرين حريم لشهر رمضان وهما يليانه وقد ذكرنا في فضل صيام شعبان ان الاظهر ان صيامهما أفضل من صيام الاشهر الحرم والاختلاف فى ذلك وانما كان صيام رمضان واتباعه بست من شوال يعدل صيام الدهر لان الحسنة بعشر أمثالها وقد جاء ذلك مفسرا من حديث ثوبان رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صيام رمضان بعشرة أشهر وصيام ستة أيام بشهرين فذلك صيام سنة يعنى رمضان وستة أيام من شوال بعده خرجه الامام أحمد والنسائي وهذا لفظه وابن حبان فى صحيحه وصححه أبو حاتم الرازي وقال الامام أحمد ليس في حديث الرازى أصح منه وتوقف فيه فى رواية أخري ولافرق فى ذلك بين أن يكون شهر رمضان ثلاثين أوتسعا وعشرين وعلى هذا حمل بعضهم قول النبي صلى الله عليه وسلم شهرا عيد لاينقصان رمضان وذوالحجة وقال المراد كمال آخره سواء كان ثلاثين أوتسعا وعشرين وانه اذا اتبع بستة أيام من شوال فانه يعدل صيام الدهر على كل حال وكره اسحاق بن راهويه أن يقال لشهر رمضان انه ناقص وان كان تسعا وعشرين لهذا المعنى فان قال قائل فلوصام هذه الستة أيام من غير شوال يحصل له هذا الفضل فكيف خص صيامها من شوال قبل صيامها من شوال يلتحق بصيام رمضان في الفضل فيكون له أجر صيام الدهر فرضا ذكر ذلك ابن المبارك وذكر انه فى بعض الحديث حكاه عنه الترمذى في جامعه ولعله أشار الى ماروي عن أم سلمة رضى الله عنها ان من صام الغد من يوم الفطر فكأنما صام رمضان وفى معاودة الصيام بعد رمضان فوائد عديدة منها ان صيام ستة أيام من شوال بعد رمضان يستكمل بها أجر صيام الدهر كله كما سبق ومنها ان صيام شوال وشعبان كصلاة السنن الرواتب قبل الصلاة المفروضة وبعدها فيكمل بذلك ماحصل فى الفرض من خلل ونقص فان الفرائض تجبر أوتكمل بالنوافل يوم

القيامة كما ورد ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة وأ كثر الناس في صيامه للفرض نقص وخلل فيحتاج الى مايجبره ويكمله من الاعمال ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يقول الرجل صمت رمضان كله أوقمته كله قال الصحابي فلا أدري أكره التزكية أم لابد من الغفلة وكان عمر بن عبدالعزيز رحمه الله يقول من لم يجد مايتصدق به فليصم يعني من لم يجد مايخرجه صدقة الفطر فى آخر رمضان فليصم بعد الفطر فان الصيام يقوم مقام الاطعام فى التكفير للسيئات كما يقوم مقامه فى كفارات الايمان وغيرها من الكفارات في مثل كفارات القتل والوطء في رمضان والظهار ومنها ان معاودة الصيام بعد صيام رمضان علامة على قبول صوم رمضان فان الله اذا تقبل عمل عبد وفقه لعمل صالح بعده كما قال بعضهم ثواب الحسنة الحسنة بعدها فمن عمل حسنة ثم اتبعها بعد بحسنة كان ذلك علامة على قبول الحسنة الاولى كما أن من عمل حسنة ثم اتبعها بسيئة كان ذلك علامة رد الحسنة وعدم قبولها ومنها ان صيام رمضان يوجب مغفرة ماتقدم من الذنوب كما سبق ذكره وان الصائمين لرمضان يوفون أجورهم فى يوم الفطر وهو يوم الجوائز فيكون معاودة الصيام بعد الفطر شكرا لهذه النعمة فلا نعمة أعظم من مغفرة الذنوب كان النبى صلى الله عليه وسلم يقوم حتى تتورم قدماه فيقال له أتفعل هذا وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر فيقول أفلا أكون عبدا شكورا وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بشكر نعمة صيام رمضان باظهار ذكره وغير ذلك من أنواع شكره فقال ﴿ ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ماهداكم ولعلكم تشكرون ﴾ فمن جملة شكر العبد لربه على توفيقه لصيام رمضان واعانته عليه ومغفرة ذنوبه أن يصوم له شكرا عقب ذلك كان بعض السلف اذا وفق لقيام ليلة من الليالي أصبح فى نهاره صائما ويجعل صيامه شكرا للتوفيق للقيام وكان وهب بن الورد يسئل عن ثواب شئ من الاعمال كالطواف ونحوه فيقول لاتسألوا عن ثوابه ولكن اسألوا ما الذى على من وفق لهذا العمل من الشكر للتوفيق والاعانة عليه بيت

اذا أنت لم تزدد على كل نعمة　　لموليكها شكرا فلست بشاكر

على كل نعمة على العبد من الله في دين أودنيا يحتاج الى شكر عليها ثم للتوفيق للشكر عليها نعمة أخرى تحتاج الى شكر ثان ثم التوفيق للشكر الثانى نعمة أخرى يحتاج الى شكر آخر وهكذا أبدا فلا يقدر العبد على القيام بشكر النعم وحقيقة الشكر الاعتراف بالعجز عن الشكر كما قيل

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة　　على له في مثلها يجب الشكر

فكيف بلوغ الشكر الا بفضله　　وان طالت الايام واتصل العمر

قال أبو عمرو الشيبانى قال موسى عليه السلام يوم الطور يارب ان أنا صليت فمن قبلك وان أنا تصدقت فمن قبلك وان بلغت رسالاتك فمن قبلك فكيف أشكرك قال ياموسى الآن شكرتني فاما مقابلة نعمة التوفيق كصيام شهر رمضان بارتكاب المعاصى بعده فهو من فعل من بدل نعمة الله كفرا فان كان قد عزم في صيامه على معاودة المعاصى بعد انقضاء الصيام فصيامه عليه مردود وباب الرحمة في وجهه مسدود قال كعب من صام رمضان وهو يحدث نفسه اذا أفطر من رمضان لم يعص الله دخل الجنة بغير مسئلة ولا حساب ومن صام رمضان وهو يحدث نفسه اذا أفطر عصى ربه فصيامه عليه مردود ومنها ان الاعمال التي كان العبد يتقرب بها الى ربه في شهر رمضان لا تنقطع بانقضاء رمضان بل هى باقية بعد انقضائه مادام العبد حيا وهذا معنى الحديث المتقدم ان الصائم بعد رمضان كالكار بعد الفار يعنى كالذى يفر من القتال في سبيل الله ثم يعود اليه وذلك لان كثيرا من الناس يفرح بانقضاء شهر رمضان لاستثقال الصيام وملله وطوله عليه ومن كان كذلك فلا يكاد يعود الى الصيام سريعا فالعائد الى الصيام بعد فطره يوم الفطر يدل عوده على رغبته في الصيام وانه لم يمله ولم يستثقله ولا تكره به وفي حديث خرجه الترمذي مرفوعا أحب الاعمال الى الله الحال المرتحل وفسر بصاحب القرآن يضرب من أوله الى آخره ومن آخره الى أوله كلما حل ارتحل والعائد الى الصيام سريعا بعد فراغ صيامه شبيه بقارئ القرآن اذا فرغ من قراءته ثم عاد في المعنى والله أعلم وقيل

لبشر ان قوما يتعبدون ويجتهدون فى رمضان فقال بئس القوم لايعرفون لله حقا الافى شهر رمضان ان الصالح الذى يتعبد ويجتهد السنة كلها سئل الشبلى أيما أفضل رجب أوشعبان فقال كن ربانيا ولاتكن شعبانيا كان النبي صلى الله عليه وسلم عمله ديمة وسئلت عائشة رضى الله عنها هل كان يخص يوما من الايام فقالت لا كان عمله ديمة وقالت كان النبي صلى الله عليه وسلم لايزيد في رمضان ولاغيره على احدي عشرة ركعة وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقضى مافاته من أوراده في رمضان فى شوال فترك فى عام اعتكاف العشر الاواخر من رمضان ثم قضاه فى شوال فاعتكف العشر الاول منه وسأل رجل أهل صام من شهر شعبان فى شوال وقد تقدم عن أم سلمة انها كانت تأمر أهلها من كان عليه قضاء من شهر رمضان فليبدأ أن يقضيه الغد من يوم الفطر فمن كان عليه قضاء من شهر رمضان فليبدأ بقضائه في شوال فانه أسرع لبراءة ذمته وهوأولى من التطوع بصيام ستة من شوال فان العلماء اختلفوا فيمن عليه صيام مفروض هل يجوز أن يتطوع قبله أولا وعلى قول من جوز التطوع قبل القضاء فلا يحصل مقصود صيام ستة أيام من شوال الالمن أكمل صيام رمضان ثم أتبعه بست من شوال فمن كان عليه قضاء من رمضان ثم بدأ بصيام ست من شوال حيث لم يكمل عدة رمضان لم يحصل له ثواب من صام رمضان ثم أتبعه بست من شوال كمالايحصل لمن أفطر رمضان لعذر بصيام ستة من شوال آخر صيام السنة بغير اشكال ومن بدأ بالقضاء في شوال ثم أراد أن يتبع ذلك بصيام ستة من شوال بعد تكميله قضاء رمضان كان حسنا لانه يصير حينئذ قد صام رمضان وأتبعه بست من شوال ولايحصل له فضل صيام ست من شوال بصوم قضاء رمضان لان صيام الست من شوال انما تكون بعد اكمال عدة رمضان عمل المؤمن لاينقضى حتي يأتيه أجله قال الحسن ان الله لم يجعل لعمل المؤمن أجلا دون الموت ثم قرأ ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين ﴾ هذه الشهور والاعوام والليالى والايام كلها مقادير الآجال ومواقيت الاعمال ثم تنقضى سريعا وتمضى جميعا والذي أوجدها وابتدعها وخصها بالفضائل وأودعها باق لايزول ودائم لايحول هو فى

جميع الاوقات اله واحد ولاعمال عباده رقيب مشاهد فسبحان من قلب عباده فى اختلاف الاوقات بين وظائف الخدم يسبغ عليهم فيها فواضل النعم ويعاملهم بنهاية الجود والكرم لما انقضت الاشهر الحرم الثلاثة الكرام التى أولها الشهر الحرام وآخر شهر الصيام أقبلت الاشهر الثلاثة أشهر الحج الى بيت الله الحرام فكما ان من صام رمضان وقامه غفر له ماتقدم من ذنبه فمن حج البيت ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه فما يمضى من عمر المؤمن ساعة من الساعات الا ولله فيها عليه وظيفة من وظائف الطاعات فالمؤمن يتقلب بين هذه الوظائف ويتقرب بها الى مولاه وهو راج خائف المحب لايمل من التقرب بالنوافل الى مولاه ولايأمل الاقربه ورضاه بيت

مالمحب سوى ارادة حبه ان المحب بكل امر يضرع

كل وقت يخليه العبد من طاعة مولاه فقد خسره وكل ساعة يغفل فيها عن ذكرالله تكون عليه يوم القيامة ترة فوا أسفاه على زمان ضاع فى غير طاعته وواحسرتاه على قلب بات فى غير خدمته شعر

من فاته أن يراك يوما فكل أوقاته فوات
وحيثما كنت من بلاد فلى الى وجهك التفات
اليكم هجرتي وقصدي وأنتم الموت والحياة
أمنت أن توحشوا فؤادي فآنسوا مقلتي ولات

من عمل طاعة من الطاعات وفرغ منها فعلامة قبولها أن يصلها بطاعة أخرى وعلامة ردها أن يعقب تلك الطاعة بمعصية ماأحسن الحسنة بعد السيئة تمحوها وأحسن منها الحسنة بعد الحسنة تتلوها وما أقبح السيئة بعد الحسنة تمحقها وتعفوها ذنب واحد بعد التوبة أقبح من سبعين ذنبا قبلها النكسة أصعب من الضعفة وربما أهلكت سلوا الله الثبات على الطاعات الى الممات وتعوذوا به من تقلب القلوب ومن الحور بعد الكور وماأوحش ذل المعصية بعد عز الطاعة وأوحش منه فقر الطمع بعد غنى القناعة

ارحموا عزيز قوم بالمعاصى ذل وغنى قوم بالذنوب افتقر شعر

نرى الحى الاولى بانوا على العهـد كما كانوا
أم الدهر بهم خانوا ودهر المرء خوان
اذا عز بغير الله يو ما معشر هانوا

ياشبان التوبة لاترجعوا الى ارتضاع ثدى الهوى من بعـد الفطام فالرضاع انما يصلح للاطفال لاللرجال ولكن لابد من الصـبر على مرارة الفطام فان صبرتم تعوضتم عن لذة الهوى بحلاوة الايمان في القلوب من ترك شيئا لله لم يجد فقده عوضه الله خيرا منه ﴿ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم و يغفر لكم﴾ وفى الحديث النظر سهم مسموم من سهام ابليس من تركه من خوف الله أعطاه ايمانا يجـد حلاوته في قلبه خرجه الامام أحمد وهـذا الخطاب للشباب فاما الشيخ اذاعاود المعاصى بعد انقضاء رمضان فهو أقبح وأقبح لان الشـباب يؤمل معاودة التوبة في آخر عمره وهو مخاطر فان الموت قد يعاجله وقد يطارقه بغتة وأما الشيخ فقد شارف مركبه على ساحل بحر المنون فماذا يؤمل شعر

نعى لك ظل الشباب المشيب وناداك باسم سواك الخطوب
فكن مستعدا لداعى الفناء فكل الذي هـو آت قريب
ألسـنا نرى شـهوات النفو س تفنى وتبقى علينا الذنوب
يخاف على نفسـه من يتوب فكيف يكون الذي لايتوب

﴿المجلس الثاني في ذكر الحج وفضله والحث عليه﴾

فى الصحيحين عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أفضل الاعمال ايمان بالله ورسوله ثم جهاد في سبيل الله ثم حج مبرور هذه الاعمال الثلاثة ترجع في الحقيقة الى عملين أحدهما الايمان بالله و رسوله وهو التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر كما فسر النبي صـلى الله عليه وسلم الايمان بذلك في سؤال جبريل له وفي غيره من الاحاديث وقد ذكر الله تعالى الايمان بهذه الاصول فى مواضع

كثيرة من كتابه كاول البقرة ووسطها وآخرها والعمل الثاني الجهاد في سبيل الله تعالى وقد جمع الله بين هذين الاصلين فى مواضع من كتابه كقوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وأنفسكم ﴾ الآية وفى قوله ﴿ انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير وجه ان أفضل الاعمال الايمان بالله والجهاد فى سبيل الله فالايمان المجرد يدخل فيه الجوارح عند السلف وأهل الحديث والايمان المقرون بالعمل يراد به التصديق مع القول وخصوصا ان قرن الايمان بالله بالايمان برسوله كما فى هذا الحديث فالايمان القائم بالقلوب أصل كل خير وهو خير ما أوتيه العبد فى الدنيا والآخرة وبه يحصل لهسعادة الدنيا والآخرة والنجاة من شقاوة الدنيا والآخرة ومتى رسخ الايمان فى القلب انبعثت الجوارح كلها بالاعمال الصالحة واللسان بالكلام الطيب كما قال النبي صلى الله عليه وسلم ألا وان فى الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهى القلب ولا صلاح للقلب بدون الايمان بالله وما يدخل فى مسماه من معرفة الله وتوحيده وخشيته ومحبته ورجائه واجابته والانابة اليه والتوكل عليه قال الحسن ليس الايمان بالتمني ولا بالتحلي ولكنه ما وقر في الصدور وصدقته الاعمال ويشهد لذلك قوله تعالى ﴿ انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا ﴾ وفى هذا يقول بعضهم

ما كل من زوق لي قوله   يغرني ياصاح تزويقه
من حقق الايمان فى قلبه   لابد أن يظهر تحقيقه

فاذا ذاق العبد حلاوة الايمان ووجد طعمه وحلاوته ظهر ثمرة ذلك على لسانه وجوارحه فاستحلى اللسان ذكر الله وما والاه وأسرعت الجوارح الى طاعة الله فحينئذ يدخل حب الايمان فى القلب كما يدخل حب الماء البارد الشديد برده في اليوم الشديد حره

للظمآن الشديد عطشه ويصير الخروج من الايمان أكره الى القلوب من الالقاء في النار وأمر عليها من الصبر ذكر ابن المبارك عن أبي الدرداء رضى الله عنه انه دخل المدينة فقال لهم مالى لا أري عليكم يا أهل المدينة حلاوة الايمان والذى نفسي بيده لوأن دب الغابة وجد طعم الايمان لرؤي عليه حلاوة الايمان شعر

لوذاق طعم الايمان رضوى   لكاد من وجده يميد

قد حملوني تكليف عهد   يعجز عن حمله الحديد

فالايمان بالله ورسوله وظيفة القلب واللسان ثم يتبعهما عمل الجوارح وأفضلها الجهاد في سبيل الله وهو نوعان أفضلهما جهاد المؤمن بعدوه الكافر وقتاله في سبيل الله فان فيه دعوة له الى الايمان بالله ورسوله ليدخل في الايمان قال الله تعالى ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ قال أبو هريرة رضى الله عنه في هذه الآية يجيئون بهم في السلاسل حتي يدخلوهم الجنة وفى الحديث المرفوع عجب ربك من قوم يقادون الى الجنة بالسلاسل فالجهاد في سبيل الله دعاء الخلق الى الايمان بالله ورسوله بالسيف واللسان بعد دعائهم اليه بالحجة والبرهان وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في أول الامر لا يقاتل قوما حتى يدعوهم فالجهاد به تعلو كلمة الايمان وتتسع رقعة الاسلام ويكثر الداخلون فيه وهو وظيفة الرسل وأتباعهم وبه تصير كلمة الله هى العليا والمقصود منه أن يكون الدين كله لله والطاعة له كما قال تعالى ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾ والمجاهد في سبيل الله هو المقاتل لتكون كلمة الله هى العليا خاصة والنوع الثاني من الجهاد جهاد النفس في طاعة الله كما قال النبي صلى الله عليه وسلم المجاهد من جاهد نفسه فى الله وقال بعض الصحابة لمن سأله عن الغزو ابدأ بنفسك فاغزها وابدأ بنفسك فجاهدها وأعظم مجاهدة النفس على طاعة الله عمارة بيوته بالذكر والطاعة قال الله تعالى ﴿ انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش الا الله ﴾ وفى حديث أبى سعيد المرفوع اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان ثم تلا

الآية خرجه الامام أحمد والترمذي وابن ماجه وقال الله تعالى ﴿ في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ﴾ الآية والنوع الاول من الجهاد أفضل من هذا الثاني قال الله تعالى ﴿ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله ﴾ وفي صحيح مسلم عن النعمان بن بشير رضى الله عنه قال كنت عند منبر النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل لا أبالى أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أسقى الحاج وقال آخر لا أبالى أن لا أعمل عملا بعد الاسلام الا أن أعمر المسجد الحرام وقال آخر الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم فزجرهم عمر وقال لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة ولكن اذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه فانزل الله عزوجل ﴿ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر ﴾ الى آخر الآية فهذا الحديث الذي فيه ذكر سبب نزول هذه الآية يبين ان المراد أفضل ما يتقرب به الى الله تعالى من أعمال النوافل والتطوع الجهاد وان الآية تدل على ان أفضل ذلك الجهاد مع الايمان فدل على ان التطوع بالجهاد أفضل من التطوع بعمارة المسجد الحرام وسقاية الحاج وعلى مثل هذا يحمل حديث أبي هريرة رضى الله عنه هذا وان الجهاد أفضل من الحج المتطوع به فان فرض الحج تأخر عند كثير من العلماء الى السنة التاسعة ولعل النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا الكلام قبل أن يفرض الحج بالكلية فكان حينئذ تطوعا وقد قيل ان الجهاد كان في أول الاسلام فرض عين فلا اشكال في هذا على تقديمه على الحج قبل افتراضه فأما بعد أن صار الجهاد فرض كفاية والحج فرض عين فان الحج المفترض حينئذ يكون أفضل من الجهاد قال عبد الله بن عمرو بن العاص حجة قبل الغزو أفضل من عشر غزوات وغزوة بعد حجة أفضل من عشر حجات وروى ذلك مرفوعا من وجوه متعددة في أسانيدها مقال وقال الصبي بن معبد كنت نصرانيا

فأسلمت فسألت أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الجهاد أفضل أم الحج فقالوا الحج والمراد والله أعلم ان الحج أفضل لمن لم يحج حجة الاسلام مثل هذا الذى أسلم وقد يكون المراد بحديث أبي هريرة رضى الله عنه ان جنس الجهاد أشرف من جنس الحج فان عرض للحج وصف يمتاز به على الجهاد وهو كونه فرض عين صار ذلك الحج المخصوص أفضل من الجهاد والا فالجهاد أفضل والله أعلم وقد دل حديث أبى هريرة رضى الله عنه على ان أفضل الاعمال بعد الجهاد في سبيل الله جنس عمارة المساجد بذكر الله وطاعته فيدخل في ذلك الصلاة والذكر والتلاوة والاعتكاف وتعليم العلم النافع واستماعه وأفضل من ذلك عمارة أفضل المساجد وأشرفها وهو المسجد الحرام بالزيارة والطواف فلهذا خصه بالذكر وجعل قصده للحج أفضل الاعمال بعد الجهاد وقد خرجه ابن المنذر ولفظه ثم حج مبرور أو عمرة وقد ذكر الله تعالى هذا البيت فى كتابه باعظم ذكر وأفخم تعظيم وثناء قال الله تعالى ﴿ واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود ﴾ الآيات وقال تعالى ﴿ ان أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدي للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ﴾ وقال تعالي (واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئا وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق) فعمارة سائر المساجد سوي المسجد الحرام وقصدها للصلاة فيها أنواع العبادات من الرباط في سبيل الله تعالى كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فى اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط فذلكم الرباط فأما المسجد الحرام بخصوصه فقصده لزيارته وعمارته بالطواف الذى خصه الله به من نوع الجهاد في سبيل الله عزوجل وفى صحيح البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت يارسول الله نري الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد فقال لكن أفضل الجهاد حج مبرور يعنى أفضل جهاد النساء ورواه بعضهم لكن أفضل

الجهاد حج مبرور فيكون صريحا في هذا المعنى وقد خرجه البخاري بلفظ آخر وهو جهادكن الحج وهو كذلك وفي المسند وسنن ابن ماجه عن أم سلمة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحج جهاد كل ضعيف وخرج البيهقي وغيره من حديث أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعا جهاد الكبير والضعيف والمرأة الحج والعمرة وفي حديث مرسل الحج جهاد والعمرة تطوع وفى حديث آخر مرسل خرجه عبدالرزاق ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم اني جبان لا أطيق لقاء العدو قال ألا أدلك على جهاد لاقتال فيه قال بلى قال عليك بالحج والعمرة وخرج أيضا من مراسيل على بن الحسين ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الجهاد فقال ألا أدلك على جهاد لاشوكة فيه الحج وفيه عن عمر انه قال اذا وضعتم السروج يعنى من سفر الجهاد فشدوا الرحال الى الحج والعمرة فانه أحد الجهادين وذكره البخارى تعليقا وقال ابن مسعود رضي الله عنه انما هو سرج ورحل فالسرج في سبيل الله والرحل الحج خرجه الامام أحمد فى مناسكه وانما كان الحج والعمرة جهادا لانه يجهد المال والنفس والبدن كما قال أبو الشعثاء نظرت فى أعمال البر فاذا الصلاة تجهد البدن دون المال والصيام كذلك والحج يجهدهما فرأيته أفضل وروى عبدالرزاق باسناده عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه ان رجلا سأله عن الحج قال ان الحاج يشفع في أربعمائة بيت من قومه ويبارك في أربعين من أمهات البعير الذى حمله ويخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فقال له رجل يا أبا موسى انى كنت أعالج الحج وقد كبرت وضعفت فهل من شئ يعدل الحج فقال له هل تستطيع أن تعتق سبعين رقبة مؤمنة من ولد اسماعيل فاما الحل والرحيل فلا أجد له عدلا أو قال مثلا وباسناده عن طاوس انه سئل هل الحج بعد الفريضة أفضل أم الصدقة قال فأين الحل والرحيل والسهر والنصب والطواف بالبيت والصلاة عنده والوقوف بعرفة وجمع ورمى الجمار كأنه يقول الحج أفضل وقد اختلف العلماء في تفضيل الحج تطوعا أو الصدقة فمنهم من رجح الحج كما قاله طاوس وأبو الشعثاء وقاله الحسن أيضا ومنهم من رجح الصدقة وهو قول النخعى ومنهم من قال ان كان ثم رحم محتاجة أو

زمن مجاعة فالصدقة أفضل والا فالحج وهونص أحمد وروي عن الحسن معناه وان صلة الرحم والتنفيس عن المكروب أفضل من التطوع بالحج وفى كتاب عبد الرزاق باسناد ضعيف عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن رجل حج فاكثر أيجعل نفقته فى صلة أوعتق فقال النبي صلى الله عليه وسلم طواف سبع لا لغو فيه يعدل رقبة وهذا يدل على تفضيل الحج واستدل من رأى ذلك أيضا بأن النفقة في الحج أفضل من النفقة فى سبيل الله وفي مسند الامام أحمد عن بريدة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله بسبعمائة ضعف وخرجه الطبراني من حديث أنس رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال النفقة فى سبيل الله الدرهم فيه بسبعمائة و يدل عليه قوله تعالى (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وأحسنوا ان الله يحب المحسنين وأتموا الحج والعمرة لله) ففيه دليل على ان النفقة في الحج والعمرة تدخل في جملة النفقة فى سبيل الله وقد كان بعض الصحابة جعل بعيره في سبيل الله فارادت امرأته أن تحج عليه فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم حجى عليه فان الحج في سبيل الله وقد خرجه أهل المسانيد والسنن من وجوه متعددة وذكره البخاري تعليقا وهذا يستدل به على ان الحج يصرف فيه من سهم سبيل الله المذكور في آية الزكاة كما هو أحد قولى العلماء فيعطى من الزكاة من لم يحج ما يحج به وفى اعطائه لحج التطوع اختلاف بينهم أيضا وفي الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة وفي المسند ان النبى صلى الله عليه وسلم سئل أى الاعمال أفضل قال ايمان بالله وحده ثم الجهاد ثم حجة برة تفضل سائر الاعمال ما بين مطلع الشمس الى مغربها وثبت عنه صلى الله عليه وسلم انه قال من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه فمغفرة الذنوب بالحج ودخول الجنة به مرتب على كون الحج مبرورا وانما يكون مبرورا باجتماع أمرين فيه أحدهما الاتيان فيه باعمال البر والبر يطلق بمعنيين أحدهما بمعنى الاحسان الى الناس كما يقال البر والصلة وضده العقوق وفى صحيح مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن

البر فقال حسن الخلق وكان ابن عمر رضي الله عنهما يقول ان البر شيء هين وجه طليق وكلام لين (١) وهذا يحتاج اليه في الحج كثيرا أعني معاملة الناس بالاحسان بالقول والفعل قال بعضهم (٢) انما سمي السفر سفراً لانه يسفر عن أخلاق الرجال وفي المسند عن جابر ابن عبدالله رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة قالوا وما بر الحج يارسول الله قال اطعام الطعام وافشاء السلام وفي حديث آخر وطيب الكلام وسئل سعيد بن جبير أى الحاج أفضل قال من أطعم الطعام وكف لسانه قال الثورى سمعت انه من بر الحج وفى مراسيل خالد بن معدان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مايصنع من يؤم هذا البيت اذا لم يكن فيه خصال ثلاثة ورع يحجزه عما حرم الله وحلم يضبط به جهله وحسن صحابة لمن يصحب والا فلا حاجة لله بحجه وقال أبوجعفر الباقر مايعبأ بمن يؤم هذا البيت اذا لم يأت بثلاثة ورع يحجزه عن معاصى الله وحلم يكف به غضبه وحسن الصحابة لمن يصحبه من المسلمين فهذه الثلاثة يحتاج اليها في الاسفار خصوصا فى سفر الحج فمن كملها فقد كمل حجه وبره ومن أجمع خصال البر التى يحتاج اليها الحاج ماوصى به النبي صلى الله عليه وسلم أباجرى الهجيمي فقال لاتحقرن من المعروف شيئا ولوأن تفرغ من دلوك في اناء المستسقى ولوأن تعطي صلة الحبل ولوأن تعطى شسع النعل ولوأن تنحى الشيء من طريق الناس يؤذيهم ولوأن تلقى أخاك ووجهك اليه منطلق ولوأن تلقى أخاك المسلم فتسلم عليه ولوأن تؤنس الوحشان في الارض وفي الجملة فخير الناس أنفعهم للناس وأصبرهم على أذى الناس كما وصف الله المتقين بذلك فى قوله (الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) والحاج يحتاج الى مخالطة الناس والمؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل ممن لايخالطهم ولا يصبر على أذاهم (٣) قال ربيعة المروءة فى السفر بذل الزاد وقلة الخلاف على الاصحاب وكثرة المزاح فى غير مساخط الله عزوجل

(١) نظمه من قال بنى ان البر شيء هين ٭ وجه طليق وكلام لين (٢) لماذا سمي السفر سفرا (٣) ماهى المروءة فى السفر

وجاء رجلان الى ابن عون يودعانه ويسألانه أن يوصيهما فقال لهما عليكما بكظم الغيظ وبذل الزاد فرأي أحدهما في المنام ان ابن عون أهدى اليهما حلتين والاحسان الى الرفقة في السفر أفضل من العبادة القاصرة لاسيما ان احتاج العابد الى خدمة اخوانه وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في سفر في حر شديد ومعه من هو صائم ومفطر فسقط الصوام وقام المفطرون فضربوا الابنية وسقوا الركاب فقال النبي صلي الله عليه وسلم ذهب المفطرون اليوم بالاجر وروي انه صلى الله عليه وسلم كان في سفر فرأى رجلا صائما فقال له ماحملك على الصوم في السفر فقال معى ابناي يرحلان بى ويخدماني فقال له مازال لهما الفضل عليك وفي مراسيل أبي داود عن أبي قلابة رضى الله عنه قال قدم ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر يثنون على صاحب لهم قالوا مارأينا مثل فلان قط ما كان في مسير الاكان في قراءة ولانزلنا منزلا الا كان في صلاة قال فمن كان يكفيه ضيعته حتى ذكر ومن كان يعلف دابته قالوا نحن قال فكلكم خير منه وقال مجاهد صحبت ابن عمر في السفر لأخدمه فكان يخدمني وكان كثير من السلف يشترط على أصحابه في السفر أن يخدمهم اغتناما لاجر ذلك منهم عامر بن عبد قيس وعمرو بن عتبة بن فرقد مع اجتهادهما في العبادة في انفسهما وكذلك كان ابراهيم بن أدهم يشترط على أصحابه في السفر الخدمة والاذان وكان رجل من الصالحين يصحب اخوانه في سفر الجهاد وغيره فيشترط عليهم أن يخدمهم فكان اذا رأى رجلا يريد أن يغسل ثوبه قال له هذا من شرطي فيغسله واذارأى من يريد أن يغسل رأسه قال هذا من شرطي فيغسله فلما مات نظروا في يده فاذا فيها مكتوب من أهل الجنة فنظروا اليها فاذا هي كتابة بين الجلد واللحم وترافق بهيم العجلي وكان من العابدين البكائين ورجل تاجر موسر في الحج فلما كان يوم خروجهم للسفر بكى بهيم حتى قطرت دموعه على صدره ثم قطرت على الارض وقال ذكرت بهذه الرحلة الرحلة الى الله ثم علا صوته بالنحيب فكره رفيقه التاجر منه ذلك وخشى أن يتنغص عليه سفره معه بكثرة بكائه فلما قدما من الحج جاء الرجل الذى رافق بينهما اليه ليسلم عليهما فبدأ

بالتاجر فسلم عليه وسأله عن حاله مع بهيم فقال له والله ماظننت ان فى هذا الخلق مثله كان والله يتفضل علىّ فى النفقة وهو معسر وأنا موسر ويتفضل علىّ فى الخدمة وهو شيخ ضعيف وأنا شاب ويطبخ لى وهو صائم وأنا مفطر فسأله عما كان يكرهه من كثرة بكائه فقال والله ألفت ذلك البكاء وأشرب حبه قلبى حتي كنت أساعده عليه حتي تأذي بنا الرفقة ثم ألفوا ذلك فجعلوا اذا سمعونا نبكى بكوا ويقول بعضهم لبعض ماالذي جعلهما أولى بالبكاء منا والمصير واحد فجعلوا والله يبكون ونبكى ثم خرج من عنده فدخل على بهيم فسلم عليه وقال له كيف رأيت صاحبك قال خير صاحب كثير الذكر لله طويل التلاوة للقرآن سريع الدمعة متحمل لهفوات الرفيق فجزاك الله عنى خيرا وكان ابن المبارك يطعم أصحابه فى الاسفار أطيب الطعام وهو صائم وكان اذا أراد الحج من بلده مرو جمع أصحابه وقال من يريد منكم الحج فيأخذ منهم نفقاتهم فيضعها عنده فى صندوق ويقفل عليه ثم يحملهم وينفق عليهم أوسع النفقة ويطعمهم أطيب الطعام ثم يشترى لهم من مكة مايريدون من الهدايا والتحف ثم يرجع بهم الى بلده فاذا وصلوا صنع لهم طعاما ثم جمعهم عليه ودعا بالصندوق الذى فيه نفقاتهم فرد الى كل واحد نفقته ٭ المعنى الثانى مما يراد بالبر فعل الطاعات كلها وضده الاثم وقد فسر الله تعالى البر بذلك فى قوله ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب ﴾ الآية فتضمنت الآية ان أنواع البر ستة أنواع من استكملها فقد استكمل البر أولها الايمان باصول الايمان الخمسة وثانيها ايتاء المال المحبوب لذوى القربي واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وثالثها اقام الصلاة ورابعها ايتاء الزكاة وخامسها الوفاء بالعهد وسادسها الصبر على البأساء والضراء وحين البأس وكلها يحتاج الحاج اليها فانه لايصح حجه بدون الايمان ولايكمل حجه ويكون مبرورا بدون اقام الصلاة وايتاء الزكاة فان أركان الاسلام بعضها مرتبطة ببعض فلا يكمل الايمان والاسلام حتى يؤتى بها كلها ولايكمل برالحج بدون الوفاء بالعهود

في المعاقدات والمشاركات المحتاج اليها في سفر الحج وايتاء المال المحبوب لمن يحب الله ايتاءه ويحتاج مع ذلك الى الصبر على مايصيبه من المشاق في السفر فهذه خصال البر ومن أهمها للحاج اقام الصلاة فمن حج من غير اقام الصلاة لاسيما ان كان حجه تطوعا كان بمنزلة من سعى في ربح درهم وضيع رأس ماله وهو ألوف كثيرة وقد كان السلف يواظبون في الحج على نوافل الصلاة وكان النبي صلى الله عليه وسلم يواظب على قيام الليل على راحلته في اسفاره كلها ويوتر عليها وحج مسروق فما نام الاساجدا وكان محمد بن واسع يصلي في طريق مكة ليله أجمع في محمله يومئ ايماء ويأمر حاديه أن يرفع صوته خلفه حتى يشغل عنه بسماع صوت الحادي فلا يتفطن له وكان المغيرة بن الحكيم الصنعاني يحج من اليمن ماشيا وكان له ورد بالليل يقرأ فيه كل ليلة ثلث القرآن فيقف فيصلي حتى يفرغ من ورده ثم يلحق بالركب متي لحق فربما لم يلحقهم الا في آخر النهار سلام الله على تلك الارواح رحمة الله على تلك الاشباح مامثلنا ومثلهم الا كما قال القائل

نزلوا بمكة في قبائل هاشم ونزلت بالبيداء أبعد منزل

فنحن مانأمر الا بالمحافظة على الصلاة في أوقاتها ولو بالجمع بين الصلاتين المجموعتين في وقت احداهما بالارض فانه لايرخص لاحد أن يصلي صلاة الليل في النهار ولا صلاة النهار في الليل ولا أن يصلي على ظهر راحلته المكتوبة الا من خاف الانقطاع عن رفقته أو نحو ذلك مما يخاف على نفسه فاما المريض ومن كان في ماء وطين ففي صلاته على الراحلة اختلاف مشهور للعلماء وفيه روايتان عن الامام أحمد وأن يكون بالطهارة الشرعية بالوضوء بالماء مع القدرة عليه والتيمم عند العجز حسا أو شرعا ومتى علم الله من عبد حرصه على اقام الصلاة على وجهها أعانه قال بعض العلماء كنت في طريق الحج وكان الامير يقف للناس كل يوم لصلاة الفجر فينزل فنصلي ثم نركب فلما كان ذات يوم قرب طلوع الشمس ولم يقفوا للناس فناديتهم فلم يلتفتوا الى ذلك فتوضأت على المحمل ثم نزلت للصلاة على الارض ووطنت نفسي على المشي الى وقت نزولهم للضحى وكانوا لاينزلون الى قريب وقت الظهر مع علمي بمشقة ذلك علي واني لاقدرة لي عليه

فلما صليت وقضيت صـلاتى نظرت الى رفقتى فاذاهم وقوف وقد كانوا لوسئلوا ذلك لم يفعلوه فسألتهم عن سبب وقوفهم فقالوا لمانزلت تعرقلت مقاود الجمال بعضها فى بعض فنحن فى تخليصها الي الآن قال فجئت وركبت وحمدت الله عزوجل وعلمت انه ماقدم أحد حق الله على هوى نفسه وراحتها الاورأي سعادة الدنيا والآخرة ولاعكس أحد ذلك فقدم حظ نفسـه على حق ربه الاورأى الشقاوة فى الدنيا والآخرة واستشهد بقول القائل شعر

والله ما جئتكم زائرا الاوجدت الارض تطوي لي
ولا ثنيت العـزم عن بابكم الا تعـثرت باذيالى

ومن أعظم أنواع بر الحج كثرة ذكر الله تعالى فيه وقد أمر الله تعالى بكثرة ذكره فى اقامة مناسك الحج مرة بعد أخري وقد روى ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي الحاج أفضل قال أكثرهم لله ذكرا خرجه الامام أحمد وروي مرسـلا من وجوه متعددة وخصوصا كثرة الذكر فى حال الاحرام بالتلبية والتكبير وفي الترمذى وغـيره عن النبي صـلى الله عليه وسـلم قال أفضل الحج العج والثج وفى حديث جبير بن مطعم المرفوع عجوا التكبير عجا وثجوا الابل ثجا فالعج رفع الصوت بالتكبير والتلبية والثج اراقة دماء الهدايا والنسك والهدى من أفضـل الاعمال قل الله تعالى ﴿ والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير ﴾ الآية وقال تعالى ﴿ ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب ﴾ وأهدى النبي صـلى الله عليه وسلم في حجة الوداع مائة بدنة وكان يبعث بالهدى الى منى فتنحر عنه وهو مقيم بالمدينة الامر الثانى مما يكمل بر الحج اجتناب أفعال الاثم فيـه من الرفث والفسوق والمعاصى قال الله تعـالى ﴿ فلا رفث ولا فسوق ولاجدال في الحج وماتفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى ﴾ وفى الحديث الصحيح من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه وقد سبق حديث من لم يكن له ورع يحجزه عن معاصى الله فليس لله حاجة فى حجه فما تزود حاج ولا غيره أفضل من زاد التقوى ولادعى للحاج عند توديعه بافضل من التقوي

وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم ودع غلاما للحج فقال له زودك الله التقوى قال بعض السلف لمن ودعه اتق الله فمن اتقى الله فلا وحشة عليه وقال آخر لمن ودعه للحج أوصيك بما وصى به النبي صلى الله عليه وسلم معاذا حين ودعه اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وهذه وصية جامعة لخصال البر كلها ولأبي الدرداء رضى الله عنه

يريد المرء أن يوتي مناه ويأبى الله الا ما أرادا
يقول المرء فائدتي ومالي وتقوي الله أفضل ما استفادا

ومن أعظم مايجب على الحاج اتقاؤه من الحرام وأن يطيب نفقته في الحج وأن لا يجعلها من كسب حرام وقد خرج الطبراني وغيره من حديث أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعا اذا خرج الرجل حاجا بنفقة طيبة ووضع رجله في الغرز فنادى لبيك اللهم لبيك ناداه مناد من السماء لبيك وسعديك زادك حلال وراحلتك حلال وحجك مبرور غير مأزور واذا خرج الرجل بالنفقة الخبيثة فوضع رجله في الغرز فنادى لبيك اللهم لبيك ناداه مناد من السماء لا لبيك ولا سعديك زادك حرام ونفقتك حرام وحجك غير مبرور مات رجل في طريق مكة فحفروا له فدفنوه ونسوا الفاس فى لحده فكشفوا عنه التراب ليأخذوا الفاس فاذا رأسه وعنقه قد جمعا في حلقة الفاس فردوا عليه التراب ورجعوا الى أهله فسألوهم عنه فقالوا صحب رجلا فاخذ ماله فكان منه يحج ويغزو شعر

اذا حججت بمال أصله سحت فما حججت ولكن حجت العير
لا يقبل الله الا كل طيبة ما كل من حج بيت الله مبرور

ومما يجب اجتنابه على الحاج وبه يتم برحجه أن لا يقصد بحجه رياء ولا سمعة ولا مباهاة ولا فخرا ولا خيلاء ولا يقصد به الا وجه الله ورضوانه ويتواضع فى حجه ويستكين ويخشع لربه روى عن أنس رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم حج على رحل رث وقطيفة ماتساوى أربعة دراهم وقال اللهم اجعلها حجة لا رياء فيها ولا سمعة وقال عطاء صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصبح بمنى غداة عرفة ثم غدا الى عرفات وتحته

قطيفة اشتريت له باربعة دراهم وهو يقول اللهم اجعلها حجة مبرورة متقبلة لارياء فيها ولاسمعة وقال عبدالله بن الحارث ركب رسول الله صلى الله عليه وسلم رحلا فاهتزبه فتواضع لله عزوجل وقال لبيك لاعيش الاعيش الآخرة قال رجل لابن عمر ما أكثر الحاج فقال ابن عمر ما أقلهم ثم رأى رجلا على بعير على رحل رث خطامه حبل فقال لعل هذا وقال شريح الحاج قليل والركبان كثير ما أكثر من يعمل الخير ولكن ما أقل الذين يريدون وجهه

خليلي قطاع الفيافي الى الحمى كثير وأما الواصلون[1] قليل

كان بعض المتقدمين يحج ماشيا على قدميه كل عام فكان ليلة نائما على فراشه فطلبت منه أمه شربة ماء فصعب على نفسه القيام من فراشه لسقي أمه الماء فتذكر حجه ماشيا كل عام وانه لايشق عليه فحاسب نفسه فرأى انه لايهونه عليه الارؤية الناس له ومدحهم اياه فعلم انه كان مدخولا قال بعض التابعين رب محرم يقول لبيك اللهم لبيك فيقول الله لالبيك ولا سعديك هذا مردود عليك قيل له لم قال لعله اشترى ناقة بخمسمائة درهم ورحلا بمائتي درهم ومفرشا بكذا وكذا ثم ركب ناقته ورجل رأسه ونظر في عطفيه فذلك الذي يرد عليه ومن هنا استحب للحاج أن يكون شعثا أغبروفي حديث المباهاة يوم عرفة ان الله تعالى يقول لملائكته انظروا الى عبادى أتوني شعثا غبرا ضاحين اشهدوا أني قد غفرت لهم قال عمر يوما وهو بطريق مكة تشعثون وتغبرون وتتفلون وتضحون لاتريدون بذلك شيئا من عرض الدنيا مانعلم سفرا خيرا من هذا يعني الحج وعنه قال انما الحاج الشعث التفل وقال ابن عمر لرجل رآه قد استظل في احرامه اضح لمن أحرمت له أى ابرز للضحى وهو حر الشمس

أتاك الوافدون اليك شعثا يسوقون المقلدة الصواف

فكم من قاصد للرب رغبا ورهبا بين منتعل وحاف

سبحان من جعل بيته الحرام مثابة للناس وأمنا يترددون اليه ويرجعون عنه ولايرون

(١) نسخة وان الواصلين

انهم قضوا منه وطرا لما أضاف الله تعالى ذلك البيت الى نفسه ونسبه اليه بقوله عز وجل لخليله ﴿ وطهر بيتي للطائفين ﴾ تعلقت قلوب المحبين ببيت محبوبهم فكلما ذكرهم ذلك البيت الحرام حنوا وكلما تذكروا بعدهم عنه أنوا شعر

لايذكر الرمل الاحن مغترب ... له بذي الرمل أوطار وأوطان

تهفو الى البان من قلبي نوازعه ... ومابي البان بل من داره البان

رأي بعض الصالحين الحاج في وقت خروجهم فوقف يبكي ويقول واضعفاه وينشد على أثر ذلك

فقلت دعوني واتباعي ركابكم ... أكن طوع أيديكم كما يفعل العبد

ثم تنفس وقال هذه حسرة من انقطع عن الوصول الى البيت فكيف تكون حسرة من انقطع عن الوصول الى رب البيت يحق لمن رأى الواصلين وهو منقطع أن يقلق ولمن شاهد السائرين الى ديار الاحبة وهو قاعد أن يحزن شعر

ياسائق العيس ترفق واستمع ... مني وبلغ السلام عني

عرض بذكري عندهم لعلهم ... ان سمعوك سألوك عني

قل ذلك المحبوس عن قصدكم ... معذب القلب بكل فن

يقول أملت بأن أزوركم ... في جملة الوفد فخاب ظني

أقعدني الحرمان عن قصدكم ... ورمت أن أسعى فلم يدعني

ينبغي للمنقطعين طلب الدعاء من الواصلين لتحصل المشاركة كما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر لما أراد العمرة ياأخي أشركنا في دعائك وفي مسند البزار عن أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعا اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج وفى الطبراني عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يقول فى الطواف اللهم اغفر لفلان بن فلان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا قال رجل حملني أن أدعو له بين الركن والمقام فقال قد غفر لصاحبك

ألا قل لزوار دار الحبيب ... هنيئا لكم في الجنان الخلود

أفيضوا علينا من الماء فيضا　　فنحن عطاش وأنتم ورود

لئن سار القوم وقعدنا وقربوا و بعدنا فما يؤمننا أن نكون ممن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين شعر

لله در ركائب سارت بهم　　تطوى القفار الشاسعات على الدجا
رحلوا الى البيت الحرام وقد شجا　　قلب المتيم منهمو مافد شجا
نزلوا بباب لايخيب نزيله　　وقلوبهم بين المخافة والرجا

على ان المتخلف لعذر شريك للسائر كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك ان بالمدينة أقواما ماسرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم خلفهم العذر شعر

ياسائرين الى البيت العتيق لقد　　سرتم جسوما وسرنا نحن أرواحا
انا أقمنا على عذر وقد رحلوا　　ومن أقام على عذر كمن راحا

وربما سبق بعض من سار بقلبه وهمته وعزمه بعض السائرين ببدنه رأى بعض الصالحين فى منامه عشية عرفة قائلا يقول له ترى هذا الزحام بالموقف قال نعم قال ماحج منهم الارجل واحد تخلف عن الموقف فحج بهمته فوهب الله له أهل الموقف ماالشأن فيمن سار ببدنه انما الشأن فيمن قعد بدنه وسار بقلبه حتى سبق الركب بيت

من لى بمثل سيرك المذلل　　تمشى رويدا وتجى فى الاول

ياسائرين الى دار الاحباب قفوا للمنقطعين تحملوا معكم رسائل المحصرين بيت

خذوا نظرة منى　　فلاقوا بها الحمى

شعر　ياسائرين الى الحبيب ترفقوا　　فالقلب بين رحالكم خلفته
مالى سوى قلبي وفيك أذبته　　مالى سوي دمعى وفيك سكبته

كان عمر بن عبد العزيز اذا رأى من يسافر الى المدينة النبوية يقول له أقرئ رسول الله صلى الله عليه وسلم منى السلام وروى انه كان يبرد عليه البريد من الشام شعر

هذه الخيف وهاتيك منى　　فترفق أيها الحادي بنا

واحبس الركب علينا ساعة نندب الربع ونبكي الدمنا
فلذا الموقف أعددنا البكا ولذا اليوم الدموع تقتني
أتراكم في النقا والمنحنا أهل سلع تذكرونا ذكرنا
انقطعنا ووصلتم فاعلموا واشكروا المنعم يا أهل منى
قد خسرنا وربحتم فصلوا بفضول الربح من قد غبنا
دار قلبي خلف أجمالكم غير ان العذر عاق البدنا
ماقطعتم واديا الا وقد جئته أسعى باقدام المنى
آه واشوقي الى ذاك الحمى شوق محروم وقد ذاق العنا
سلوا عني على أربابه أخبروهم انني خلف الضنا
أنا مذ غبتم على تذكاركم أترى عندكم ماعندنا
بيننا يوم اثيلات النقا كان عن غير تراض بيننا
زمنا كان وكنا جيرة فاعاد الله ذاك الزمنا

من شاهد تلك الديار وعاين تلك الآثار ثم انقطع عنها لم يمت الا بالاسف عليها والحنين اليها شعر

ما أذكر عيشنا الذى قد سلفا الا وجف القلب وكم قد وجفا
واها لزماننا الذى كان صفا وا أسفا وهل يرد فائتا وا أسفا

﴿ المجلس الثالث فيما يقوم مقام الحج والعمرة عند العجز عنهما ﴾

يذكر بعد خروج الحاج فى صحيح البخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال جاء الفقراء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا ذهب أهل الدثور من الاموال بالدرجات العلى والنعيم المقيم يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ولهم [1] فضل أموال يحجون بها ويعتمرون ويجاهدون ويتصدقون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أحدثكم بما لو أخذتم به لحقتم من سبقكم ولم يدرككم أحد بعدكم وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيه

(١) نسخة ولهم فضل من أموالهم

الا من عمل مثله تسبحون وتحمدون وتكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين وفى المسند وسنن النسائى عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قلنا يارسول الله ذهب الاغنياء بالاجر يحجون ولانحج ويجاهدون ولانجاهد وبكذا وبكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على شئ ان أخذتم به جئتم من أفضل مايجىء به أحد منهم أن تكبروا الله أربعا وثلاثين وتسبحوه ثلاثا وثلاثين وتحمدوه ثلاثا وثلاثين في دبر كل صلاة المال لمن استعان به على طاعة الله وأنفقه في سبل الخيرات المقربة الى الله سبب موصل له الي الله وهو لمن أنفقه فى معاصى الله واستعان به على نيل أغراضه المحرمة أواشتغل به عن طاعة الله سبب قاطع له عن الله كما قال أبو سليمان الداراني الدنيا حجاب عن الله لاعدائه ومطية موصلة اليه لاوليائه فسبحان من جعل شيئا[٧] واحدا للاتصال به والانقطاع عنه وقد مدح الله فى كتابه القسم الاول وذم القسم الثاني فقال في مدح الاولين ﴿ الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾ وقال ﴿ ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله انه غفور شكور ﴾ والآيات في المعنى كثيرة جدا وقال فى ذم الآخرين ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وأنفقوا ممارزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ﴾ وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما ليس أحد لايؤتى زكاة ماله الاسأل الرجعة عند الموت ثم تلا هذه الآية وأخبر عن أهل النار الذين يؤتى أحدهم كتابه بشماله انه يقول ﴿ ماأغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه ﴾ والاحاديث في مدح من أنفق ماله في سبل الخيرات وفي ذم من لم يؤد حق الله منه كثيرة جدا وقد قال صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وقال الاكثرون هم الاقلون يوم القيامة الا من قال بالمال هكذا وهكذا وهكذا عن يمينه وعن شماله ومن خلفه وقليل ماهم وقال ان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بحقه

(٧) نسخة سببا

ووضعه في حقه فنعم المعونة هو وان أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع فالمؤمن الذي يأخذ المال من حقه ويضعه في حقه فله أجر ذلك كله وكلما أنفق منه يبتغي به وجه الله فهو له صدقة يؤجر عليها حتى مايطعم نفسه فهو له صدقة ومايطعم ولده فهو له صدقة وما يطعم أهله فهو له صدقة ومايطعم خادمه فهو له صدقة وكان عامة أهل الاموال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من هذا القسم قال أبو سليمان كان عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف خازنين من خزان الله تعالى في أرضه ينفقان في طاعته وكانت معاملتهما لله بقلوبهما ورأس المنفقين أموالهم في سبيل الله من هذه الامة أبو بكر الصديق رضى الله عنه وفيه نزلت هذه الآية ﴿ وسيجنبها الاتقى الذي يؤتى ماله يتزكي ومالاحد عنده من نعمة تجزي الا ابتغاء وجه ربه الاعلى ولسوف يرضى ﴾ وفي صحيح الحاكم عن ابن الزبير قال قال أبو قحافة لابي بكر أراك تعتق رقابا ضعافا فلوانك اذا فعلت مافعلت أعتقت رجالا جلدا يمنعونك ويقومون دونك فقال أبو بكر ياأبت انى انما أريد ماأريد قال وانما أنزلت هذه الآيات فيه ﴿ فاما من أعطى واتقى ﴾ الى آخر السورة وروى من وجه آخر عن ابن الزبير وخرجه الاسماعيلى ولفظه ان أبا بكر كان يبتاع الضعفة فيعتقهم فقال له أبو قحافة يابنى لوابتعت من يمنع ظهرك فقال ياأبت منع ظهرى أريد ونزلت فيه ﴿ وسيجنبها الاتقى ﴾ الى آخر السورة وخرج أبو داود والترمذى من حديث عمر قال أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق ووافق ذلك عندى مالا فقلت اليوم أسبق أبابكر ان سبقته يوما قال فجئت بنصف مالى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماأبقيت لاهلك قلت مثله وان أبا بكر أتى بكل ماعنده فقال ياأبا بكر ماأبقيت لاهلك قال أبقيت لهم الله ورسوله فقلت لاأسابقه الى شئ أبدا وخرج الامام أحمد والنسائى وابن ماجه من حديث أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مانفعنى مال قط مانفعني مال أبى بكر فبكي أبو بكر وقال هل أنا ومالى الا لك يارسول الله وخرجه الترمذى بدون هذه الزيادة فى آخره وكان من المنفقين أموالهم في سبيل الله عثمان بن عفان ففى الترمذى عن عبد الرحمن بن خباب قال شهدت

النبي صلى الله عليه وسلم وهو يحث على جيش العسرة فقام عثمان فقال يارسول الله علي
مائة بعير باحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حض على الجيش فقام عثمان فقال يارسول الله
علي مائتا بعير باحلاسها وأقتابها في سبيل الله ثم حض على الجيش فقام عثمان فقال
يارسول الله علي ثلاثمائة بعير باحلاسها وأقتابها في سبيل الله قال فرأيت رسول الله صلى
الله عليه وسلم نزل على المنبر وهو يقول ما على عثمان مافعل بعد هذه ما على عثمان مافعل
بعد هذه وخرج الامام أحمد والترمذي من حديث عبد الرحمن بن سمرة رضي الله
عنه ان عثمان جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم بالف دينار حين جهز جيش العسرة
فنثرها في حجره قال فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم يقلبها في حجره ويقول ماضر
عثمان مافعل بعد هذا اليوم مرتين وكان أيضا منهم عبد الرحمن بن عوف وفي مسند
الامام أحمد انه قدم له عير الى المدينة فارتجت لها المدينة فسألت عائشة عنها وحدثت
حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم فبلغ عبد الرحمن فجعلها كلها في سبيل الله باقتابها
واحلاسها وكانت سبعمائة راحلة وخرجه ابن سعد من وجه آخر فيه انقطاع وعنده انها
كانت خمسمائة راحلة وخرج الترمذي من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف
عن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول تعني لازواجه
ان أمركن لمما يهمني بعدي ولن يصبر عليكن الا الصابرون قال ثم تقول عائشة لابي
سلمة سقى الله أباك من سلسبيل الجنة وكان قد وصل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
بمال (٧) بيعت باربعين ألفا وقال حسن غريب وخرجه الحاكم وصححه وخرج الامام
أحمد أوله وخرج الامام أحمد أيضا والحاكم من حديث أم بكر بنت المسور بن مخرمة
ان عبد الرحمن بن عوف باع أرضا له من عثمان باربعين ألف دينار فقسمها في فقراء بني
زهرة وفي المهاجرين وأمهات المؤمنين قال المسور فاتيت عائشة رضي الله عنها بنصيبها
من ذلك فقالت لنا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحنو عليكن
بعدي الا الصابرون سقى الله ابن عوف من سلسبيل الجنة وخرج الامام أحمد والترمذي
من حديث أم سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لازواجه ان الذي

(٧) لعله ضيعة

يحنو عليكن بعدى هو الصادق البار اللهم اسق عبدالرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة وخرجه ابن سعد وزاد ان ابراهيم بن سعد قال حدثني بعض أهلي من ولد عبدالرحمن ابن عوف ان عبدالرحمن بن عوف باع أمواله من كيدمة وسهمه من بني النضير بار بعين ألف دينار فقسمها على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وخرج الترمذي من حديث أبي سلمة بن عبدالرحمن رضى الله عنه ان أباه عبدالرحمن بن عوف أوصى بحديقة لامهات المؤمنين بيعت بار بعمائة ألف وخرجه الحاكم ولفظه بيعت بأر بعين ألف دينار واخبار الاجواد المنفقين أموالهم في سبيل الله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يطول ذكرها جدا وكان الفقراء من الصحابة كلما رأوا أصحاب الاموال منهم ينفقون أموالهم فيما يحبه الله من الحج والاعمار والجهاد في سبيل الله والعتق والصدقة والبر والصلة وغير ذلك من أنواع البر والطاعات والقربات حزنوا لما فاتهم من مشاركتهم في هذه الفضائل وقد ذكرهم الله في كتابه بذلك فقال تعالى ﴿ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ماينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ماينفقون ﴾ نزلت هذه الآية بسبب قوم من فقراء المسلمين أتوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز الى غزوة تبوك فطلبوا منه أن يحملهم فقال لهم لا أجد ما أحملكم عليه فرجعوا وهم يبكون حزنا على مافاتهم من الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعض العلماء هذا والله بكاء الرجال بكوا على فقدهم رواحل يتحملون عليها الى الموت في مواطن تراق فيها الدماء في سبيل الله وتنزع فيها رؤس الرجال عن كواهلها بالسيوف فاما من بكى على فقد حظه من الدنيا وشهواته العاجلة فذلك شبيه ببكاء الاطفال والنساء على فقد حظوظهم العاجلة بيت

سهر العيون لغير وجهك باطل ... وبكاؤهن لغير فقدك ضائع

انما يحسن البكاء والاسف على فوات الدرجات العلى والنعيم المقيم قال بعضهم يرى رجل في الجنة يبكي فيسأل عن حاله فيقول كانت لي نفس واحدة قتلت في سبيل الله

ووددت انه كانت لى قوس كثيرة تقتل كلها فى سبيله غزا قوم فى سبيل الله فلما صافوا عدوهم واقتتلوا رأى كل واحد منهم زوجته من الحور قد فتحت بابا من السماء وهي تستدعى صاحبها اليها وتحثه على القتال فقتلوا كلهم الا واحدا وكان كلما قتل منهم واحد غلق باب وغابت منه المرأة فافلت آخرهم فاغلقت تلك المرأة الباب الباقى وقالت مافاتك ياشقى فكان يبكي على حاله الى أن مات ولكنه أورثه ذلك طول الاجتهاد والحزن والاسف

على مثل ليلى يقتل المرء نفسه وان كان من ليلى على الهجر طاويا

لما سمع الصحابة رضى الله عنهم قول الله عزوجل ﴿ فاستبقوا الخيرات . سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض ﴾ فهموا أن المراد من ذلك أن يجتهد كل واحد منهم أن يكون هو السابق لغيره الى هذه الكرامة والمسارع الى بلوغ هذه الدرجة العالية فكان أحدهم اذا رأى من يعمل عملا يعجز عنه خشى أن يكون صاحب ذلك العمل هو السابق له فيحزن لفوات سبقه فكان تنافسهم في درجات الآخرة واستباقهم اليها كما قال تعالى ﴿ وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ ثم جاء من بعدهم فعكس الامر فصار تنافسهم في الدنيا الدنية وحظوظها الفانية قال الحسن اذا رأيت الرجل ينافسك فى الدنيا فنافسه في الآخرة وقال وهيب بن الورد ان استطعت أن لا يسبقك الى الله أحد فافعل وقال بعض السلف لوأن رجلا سمع باحد أطوع لله منه كان ينبغى له أن يحزنه ذلك وقال غيره لوأن رجلا سمع برجل أطوع لله منه فانصدع قلبه فمات لم يكن ذلك بعجب قال رجل لمالك بن دينار رأيت فى المنام مناديا ينادي أيها الناس الرحيل الرحيل فما رأيت أحدا يرحل الا محمد بن واسع فصاح مالك وغشى عليه (السابقون السابقون أولئك المقربون فى جنات النعيم) قال عمر بن عبدالعزيز في حجة حجها عند دفع الناس من عرفة ليس السابق اليوم من سبق به بعيره انما السابق من غفر له كان رأس السابقين الى الخيرات من هذه الامة أبو بكر الصديق رضى الله عنه قال عمر ما استبقنا الى شئ من الخير الا سبقنا أبو بكر وكان سباقا بالخيرات

ثم كان السابق بعده الى الخيرات عمر وفي آخر حجة حجها عمر جاء رجل لا يعرف كانوا يرونه من الجن فرثاه بأبيات منها بيت

فمن يسع أو يركب جناحى نعامة ليدرك ماقدمت بالامس يسبق

صاحب الهمة العالية والنفس الشريفة التواقة لا يرضى بالاشياء الدنية الفانية وانما همته المسابقة الى الدرجات الباقية الزاكية التى لا تفنى ولا يرجع عن مطلوبه ولو تلفت نفسه فى طلبه ومن كان في الله تلفه كان على الله خلفه قيل لبعض المجتهدين فى الطاعات لم تعذب هذا الجسد قال كرامته أريد

واذا كانت النفوس كبارا تعبت فى مرادها الاجساد (١)

قال عمر بن عبدالعزيز ان لى نفسا تواقة مانالت شيئا الا تاقت الى ماهو أفضل منه وانها لما نالت هذه المنزلة يعنى الخلافة وليس في الدنيا منزلة أعلى منها تاقت الى ماهو أعلى من الدنيا يعنى الآخرة

على قدر أهل العزم تأتى العزائم وتأتي على قدر الكرام المكارم

قيمة كل انسان مايطلب فمن كان يطلب الدنيا فلا أدني منه فان الدنيا دنية وأدني منها من يطلبها وهى خسيسة وأخس منها من يخطبها قال بعضهم القلوب جوالة فقلب يجول حول العرش وقلب يجول حول الحش (٢) الدنيا كلها حش وكل مافيها من مطعم ومشرب يؤل الى الحش ومافيها من أجسام ولباس يصير ترابا كما قيل وكل الذى فوق التراب تراب وقال بعضهم فى يوم عيد لاخوانه هل تنظرون الاخرقا تبلى أولحما يأكله الدود غدا وأما من كان يطلب الآخرة فقدره خطير لان الآخرة خطيرة شريفة ومن يطلبها أشرف منها كما قيل شعر

أثامن بالنفس النفيسة ربها وليس لها فى الخلق كلهم ثمن
بها تدرك الاخرى فان أنابعتها بشىء من الدنيا فذاك هو الغبن
لئن ذهبت نفسى بدنيا أصبتها لقد ذهبت نفسى وقد ذهب الثمن

(١) كذا والمعروف الاجسام لان القصيدة ميمية القافية (٢) هو من أسماء الكنيف

وأما من كان يطلب الله فهو أكبر الناس عنده كما ان مطلوبه أكبر من كل شئ كما قيل بيت

له همم لا منتهى لكبارها ‌ ‌ ‌ ‌ وهمته الصغرى أجل من الدهر

قال الشبلي من ركن الى الدنيا أحرقته بنارها فصار رماد اتذروه الرياح ومن ركن الى الآخرة أحرقته بنورها فصار سبيكة ذهب ينتفع به ومن ركن الى الله أحرقه بنور التوحيد فصار جوهرا لا قيمة له العالي الهمة يجتهد في نيل مطلوبه ويبذل وسعه في الوصول الى رضى محبوبه فأما خسيس الهمة فاجتهاده في متابعة هواه ويتكل على مجرد العفو فيفوته ان حصل له العفو منازل السابقين المقربين قال بعض السلف هب ان المسيء عفي عنه أليس قد فاته ثواب المحسنين بيت

فيامذنبا يرجو من الله عفوه ‌ ‌ ‌ ‌ أترضى بسبق المتقين الى الله

لما تنافس المتنافسون في نيل الدرجات غبط بعضهم بعضا بالاعمال الصالحات قال النبي صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا فهو ينفقه في سبيل الله آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار وفي رواية لا تحاسد الا في اثنين رجل آتاه القرآن فهو يتلوه آناء الليل والنهار يقول لو أوتيت مثل ما أوتي هذا لفعلت كما يفعل ورجل آتاه الله مالا فهو ينفقه في حقه يقول لو أوتيت مثل ما أوتي هذا لفعلت كما يفعل وهذا الحديث في الصحيحين وفي الترمذي وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما مثل هذه الامة كاربعة نفر رجل آتاه الله مالا وعلما فهو يعمل بعلمه في ماله ينفقه في حقه ورجل آتاه الله علما ولم يؤته مالا وهو يقول لو كان لي مثل هذا لعملت فيه مثل الذي يعمل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهما في الاجر سواء ورجل آتاه الله مالا ولم يؤته علما فهو يخبط في ماله ينفقه في غير حقه ورجل لم يؤته الله علما ولا مالا فهو يقول لو كان لي مال هذا عملت فيه مثل الذي يعمل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فهما في الوزر سواء وروى حميد بن زنجويه باسناده عن زيد بن أسلم قال يؤتى يوم القيامة بفقير وغني اصطحبا في الله فيوجد للغني فضل عمل فيما كان

يصنع في ماله فيرفع على صاحبه فيقول الفقير يارب لم رفعته وانما اصطحبنا فيك وعملنا لك فيقول الله تعالى له فضل عمل بما صنع في ماله فيقول يارب لقد علمت لو أعطيتني مالا لصنعت مثل ماصنع فيقول صدق فارفعوه الى منزلة صاحبه ويؤتى بمريض وصحيح اصطحبا في الله فيرفع الصحيح بفضل عمله فيقول المريض يارب لم رفعته عليّ فيقول بما كان يعمل في صحته فيقول يارب لقد علمت لو أصححتني لعملت كما عمل فيقول الله صدق فارفعوه الى درجة صاحبه ويؤتى بحر ومملوك اصطحبا في الله فيقول مثل ذلك ويؤتي بحسن الخلق وسيء الخلق فيقول يارب لم رفعته عليّ وانما اصطحبنا فيك وعملنا فيقول بحسن خلقه فلا يجد له جوابا العاقل يغبط من أنفق ماله في سبيل الخيرات ونيل علو الدرجات والجاهل يغبط من أنفق ماله في الشهوات وتوصل به الى اللذات المحرمات قال الله تعالى حاكيا عن قارون ﴿فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ماأوتي قارون انه لذوحظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا﴾ الى قوله ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا في الارض ولافسادا والعاقبة للمتقين﴾ فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم تأسف أصحابه الفقراء وحزنهم على مافاتهم من انفاق اخوانهم الاغنياء أموالهم في سبيل الله تقربا اليه وابتغاء لمرضاته طيب قلوبهم ودلهم على عمل يسير يدركون به من سبقهم ولايلحقهم فيه أحد بعدهم ويكونون به خيرا ممن هم معه الامن عمل مثل عملهم وهو الذكر عقب الصلوات المفروضات وقد اختلفت الروايات في أنواعه وعدده والاخذ بكل ماورد من ذلك حسن وله فضل عظيم وفي حديث أبي هريرة هذا انهم يسبحون ويحمدون ويكبرون خلف كل صلاة ثلاثا وثلاثين وقد فسره أبو صالح راويه عنه بالجمع وهو أن يقول سبحان الله والحمد لله والله أكبر ثلاثا وثلاثين مرة فيكون جملة ذلك تسعا وتسعين وقد يستشكل على هذا حديث ان رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عما يعدل الجهاد فقال هل تستطيع اذا خرج المجاهد أن تصوم فلا تفطر وتقوم ولاتفتر وهو حديث ثابت صحيح أيضا فلم يجعل للجهاد عدلا سوى الصيام

الدائم والقيام الدائم وفى هذا الحديث قدجعل الذكر عقب الصلوات عدلا له والجمع بين ذلك كله ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يجعل للجهاد فى زمانه عملا يعدله بحيث اذا انقضى الجهاد انقضى ذلك العمل واستوي العامل مع المجاهد فى الاجر وانما جعل الذي يعدل الجهاد الذكر الكثير المستدام في بقية عمر المؤمن من غير قطع له حتى يأتى صاحبه أجله فاذا استمر على هذا الذكر في أوقاته الى أن مات عليه عدل ذكره هذا الجهاد وقد دل على ذلك أيضا ماخرجه الامام أحمد والترمذى من حديث أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يارسول الله قال ذكر الله عزوجل وخرجه مالك فى الموطأ موقوفا وخرج الامام أحمد والترمذى أيضا من حديث أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل أى العبادة(١) أفضل درجة عندالله يوم القيامة قال ﴿الذاكرون الله كثيرا﴾ قلت يارسول الله ومن الغازي فى سبيل الله قال لوضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله عزوجل أفضل منه درجة وقدروى هذا المعنى عن معاذ بن جبل رضى الله عنه وطائفة من الصحابة موقوفا وان الذكر لله أفضل من الصدقة بعدته دراهم ودنانير ومن النفقة في سبيل الله وقيل لابى الدرداء رضى الله عنه رجل أعتق مائة نسمة قال ان مائة نسمة من مال رجل كثير وأفضل من ذلك ايمان ملزوم بالليل والنهار وأن لايزال لسان أحدكم رطبا من ذكر الله عزوجل وعنه قال لان أقول لااله الا الله والله أكبر مائة مرة أحب الىّ من أن أتصدق بمائة دينار ويروى مرفوعا وموقوفا من غير وجه من فاته الليل أن يكابده وبخل بالمال أن ينفقه وجبن عن عدوه أن يقاتله فليكثر من سبحان الله وبحمده فانها أحب الى الله من جبل ذهب أوفضة ينفقه فى سبيل الله عزوجل وذكر الله من أفضل أنواع الصدقة وخرج الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما مرفوعا ماصدقة أفضل من ذكر الله عزوجل وقدقال طائفة من السلف

(١) نسخة أى العمل

فى قول الله عزوجل ﴿ واقرضوا الله قرضا حسنا ﴾ ان القرض الحسن قول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وفى مراسيل الحسن عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما أنفق عبد نفقة أفضل عند الله عزوجل من قول ليس من القرآن وهو من القرآن سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وروى عبد الرزاق فى كتابه عن معمر عن قتادة قال قال ناس من فقراء المؤمنين يارسول الله ذهب أصحاب الدثور بالاجور يتصدقون ولا نتصدق وينفقون ولا ننفق فقال أرأيتم لو أن مال الدنيا وضع بعضه على بعض أكان بالغا السماء قالوا لا يارسول الله قال أفلا أخبركم بشئ أصله فى الارض وفرعه فى السماء أن تقولوا فى دبر كل صلاة لا اله الا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله عشر مرات فان أصلهن فى الارض وفرعهن فى السماء وقد كان بعض الصحابة يظن أن لا صدقة الا بالمال فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم ان الصدقة لا تختص بالمال وان الذكر وسائر أعمال المعروف صدقة كما فى صحيح مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه ان ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا يارسول الله ذهب أهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم فقال النبى صلى الله عليه وسلم أوليس قد جعل الله لكم صلاة العشاء فى جماعة تعدل حجة وصلاة الغد فى جماعة تعدل عمرة وقال أبو هريرة لرجل بكورك الى المسجد أحب الى من غزوتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكره الامام أحمد (١) أداء الواجبات كلها أفضل من التنفل بالحج والعمرة وغيرهما فانه ما تقرب العباد الى الله تعالى باحب اليه من أداء ما افترض عليهم وكثير من الناس يهون عليه التنفل بالحج والصدقة ولا يهون عليه أداء الواجبات من الديون ورد المظالم وكذلك يثقل على كثير من النفوس التنزه عن كسب الحرام والشبهات ويسهل عليها انفاق ذلك فى الحج والصدقة قال بعض السلف ترك دانق مما يكرهه الله أحب الىّ من خمسمائة حجة كف الجوارح عن المحرمات أفضل من التطوع بالحج وغيره وهو أشق على النفوس قال الفضيل بن عياض

(١) أداء الواجبات أفضل من التنفل بالحج والعمرة وغيرهما

ماحج ولار باط ولاجهاد أشد من حبس اللسان ولوأصبحت يهمك لسانك أصبحت في هم شديد ليس الاعتبار باعمال البر بالجوارح وانما الاعتبار بلين القلوب وتقواها وتطهيرها عن الآثام سفر الدنيا ينقطع بسير الابدان وسفر الآخرة ينقطع بسير القلوب قال رجل لبعض العارفين قدقطعت اليك مسافة قال ليس هذا الامر بقطع المسافات فارق نفسك بخطوة وقد وصلت الى مقصودك سير القلوب أبلغ من سير الابدان كم من واصل ببدنه الى البيت وقلبه منقطع عن رب البيت وكم من قاعد على فراشه في بيته وقلبه متصل بالمحل الاعلى

جسمي معي غيران الروح عندكم فالجسم في غربة والروح في وطن

قال بعض العارفين عجبا لمن يقطع المفاوز والقفار ليصل الى البيت فيشاهد فيه آثار الانبياء كيف لايقطع هواه ليصل الى قلبه فيرى فيه أثر وبيمنى قلب عبدى المؤمن أيها المؤمن ان لله بين جنبيك بيتا لوطهرته لاشرق ذلك البيت بنور ربه وانشرح وانفسح أنشد الشبلي

ان بيتا أنت ساكنه غير محتاج الى السرج
ومريضا أنت عائده قد أتاه الله بالفرج
وجهك المأمول حجتنا يوم يأتي الناس بالحجج

تطهيره تفريغه من كل مايكرهه الله تعالي من أصنام النفس والهوى ومتى بقيت فيه من ذلك بقية فالله أغنى الاغنياء عن الشرك وهو لايرضى بمزاحمة الاصنام قال سهل ابن عبدالله حرام على قلب أن يدخله النور وفيه شيء مما يكرهه الله شعر

أردنا كم صرفا فلما مزجتم بعدتم بمقدار التفاتكم عنا
وقلنا لكم لاتسكنوا القلب غيرنا فاسكنتم الاغيار ما أنتم منا

اخواني ان حبستم العام عن الحج فارجعوا الى جهاد النفوس فهوالجهاد الاكبر أوحصرتم عن أداء النسك فاريقوا على تخلفكم من الدموع ماتيسر فان اراقة الدماء لازمة للمحصر ولاتحلقوا روس أديانكم بالذنوب فان الذنوب حالقة الدين ليست حالقة الشعر وقوموا

لله باستشعار الرجاء والخوف مقام القيام بارجاء الخيف والمشعر ومن كان قد بعد عن حرم الله فلا يبعد نفسه بالذنوب عن رحمة الله فان رحمة الله قريب ممن تاب اليه واستغفر ومن عجز عن حج البيت أو البيت منه بعيد فليقصد رب البيت فانه ممن دعاه ورجاه أقرب من حبل الوريد شعر

اليك قصدي رب البيت والحجر فانت سؤلي من حجي ومن عمري
وفيك سعيي وتطوافي ومزدلفي والهدي جسمي الذى يغني عن الجزر
ومسجد الخيف خوفي من تباعدكم ومشعري ومقامي دونكم خطري
زادي رجائي لكم والشوق راحلتي والماء من عبراتي والهوى سفري

﴿ وظيفة شهر ذي القعدة ﴾

خرج الامام أحمد باسناده عن رجل من باهلة قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة مرة فقال من أنت قلت أما تعرفني قال ومن أنت قلت أنا الباهلي الذى أتيتك عام أول فقال انك أتيتني وجسمك ولونك وهيئتك حسنة فما بلغ بك ما أري قلت والله ما أفطرت بعدك الا ليلا قال من أمرك أن تعذب نفسك من أمرك أن تعذب نفسك ثلاث مرات صم شهر الصبر قلت انى أجد قوة وانى أحب أن تزيدني قال صم يوما من الشهر قلت انى أجد قوة وانى أحب أن تزيدني قال فيومين من الشهر قلت اني أجد قوة وانى أحب أن تزيدني قال ثلاثة أيام من الشهر قال وألح عند الرابعة فما كاد فقلت اني أجد قوة وانى أحب أن تزيدني قال فمن الحرم وأفطر وخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه بمعناه وفي ألفاظهم زيادة ونقص وفى بعض الروايات صم الحرم وأفطر فى هذا الحديث دليل على أن من تكلف من العبادة مايشق عليه حتى تأذى بذلك جسده فانه غير مأمور بذلك ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم له من أمرك أن تعذب نفسك وأعادها عليه ثلاث مرار وهذا كما قاله لمن رآه يمشى في الحج وقد أجهد نفسه ان الله لغني عن تعذيب هذا نفسه فمروه فليركب وقال لعبد الله ابن عمرو بن العاصى حيث كان يصوم النهار ويقوم الليل ويختم القرآن في كل ليلة ولا

ينام مع أهله فامره أن يصوم و يفطر و يقرأ القرآن فى كل سبع وقال له ان لنفسك عليك حقا وان لاهلك عليك حقا فات كل ذي حق حقه ولما بلغه عن بعض الصحابة انه قال أنا أصوم ولا أفطر وقال آخر منهم أنا أقوم ولا أنام وقال آخر منهم لا أتزوج النساء فخطب وقال مابال رجال يقولون كذا وكذا لكني أصوم وأفطر وأقوم وأنام وآكل اللحم وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس منى وسبب هذا ان الله تعالى خلق ابن آدم محتاجا الي مايقوم به بدنه من مأكل ومشرب ومنكح وملبس وأباح له من ذلك كله ماهو طيب حلال تقوى به النفس ويصح به الجسد ويتعاونان على طاعة الله عزوجل وحرم من ذلك ماهو ضار خبيث يوجب للنفس طغيانها وعماها وقسوتها وغفلتها وأشرها و بطرها فمن أطاع نفسه في تناول ماتشتهيه مما حرمه الله عليه فقد تعدي وطغى وظلم نفسه ومن منعها حقها من المباح حتي تضررت بذلك فقد ظلمها ومنعها حقها فان كان ذلك سببا لضعفها وعجزها عن أداء شئ من فرائض الله عليه وحقوق الله عزوجل أوحقوق عباده كان بذلك عاصيا وان كان ذلك سببا للعجز عن نوافل هى أفضل مما فعله كان بذلك مفرطا مغبونا خاسرا وقد كان رجل فى زمن التابعين يصوم و يواصل حتى يعجز عن القيام فكان يصلى الفرض جالسا فانكروا ذلك عليه حتى قال عمرو بن ميمون لوأدرك هذا أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لرجموه وكان ابن مسعود يقل الصيام و يقول انه يضعفني عن قراءة القرآن وقراءة القرآن أحب الىّ وأحرم رجل من الكوفة فقدم مكة وقد أصابه الجهد فرآه عمر بن الخطاب وهو سيئ الهيئة فاخذ عمر بيده وجعل يدور به الحلق ويقول للناس انظروا الى ما يصنع هذا بنفسه وقد وسع الله عليه فمن تكلف من التطوع مايتضرر به في جسمه كما فعل هذا الباهلى أويمنع به حقا واجبا عليه كما فعل عبدالله بن عمرو بن العاص وغيره ممن عزم على ترك المباحات في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فانه ينهى عن ذلك ومن احتمل بدنه ذلك ولم يمنعه من حق واجب عليه لم ينه عن ذلك الا أن يمنعه عما هو أفضل من ذلك من النوافل فانه يرشد الى عمل الافضل وأحوال الناس تختلف فيما تحمل أبدانهم من

العمل كان سفيان الثوري يصوم ثلاثة أيام من الشهر فيرى أثر ذلك عليه وكان غيره في زمنه يصوم الدهر فلا يظهر عليه أثره وكان كثير من المتقدمين يحملون على أنفسهم من الاعمال مايضر باجسادهم ويحتسبون أجر ذلك عند الله وهؤلاء قوم أهل صدق وجد واجتهاد فيحثون (٧) على ذلك ولكن لايقتدى بهم وانما يقتدي بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فان خير الهدى هديه ومن أطاعه فقد اهتدي ومن اقتدى به وسلك وراءه وصل الى الله عزوجل وقد كان النبي صلي الله عليه وسلم ينهى عن التعسير ويأمر بالتيسير ودينه الذى بعث به يسر وكان يقول خير دينكم أيسره ورأى رجلا يكثر الصلاة فقال انكم أمة أريد بكم اليسر ولم يكن أكثر تطوع النبي صلى الله عليه وسلم وخواص أصحابه بكثرة الصوم والصلاة بل ببر القلوب وطهارتها وسلامتها وقوة تعلقها بالله خشية له ومحبة واجلالا وتعظيما ورغبة فيما عنده وزهدا فيما يفنى وفى المسند عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم قال انى أعلمكم بالله وأتقاكم له قلبا قال ابن مسعود رضى الله عنه لاصحابه أنتم أكثر صلاة وصياما من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وهم كانوا خيرا منكم قالوا ولم قال كانوا أزهد منكم فى الدنيا وأرغب فى الآخرة وقال بكر المزني ماسبقهم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بشى وقر فى صدره قال بعض العلماء المتقدمين الذى وقر فى صدره هو حب الله والنصيحة لخلقه وسئلت فاطمة بنت عبد الملك زوجة عمر بن عبد العزيز بعد وفاته عن عمله فقالت والله ماكان باكثر الناس صلاة ولا باكثرهم صياما ولكن والله مارأيت أحدا أخوف لله من عمر لقد كان يذكر الله في فراشه فينتفض انتفاض العصفور من شدة الخوف حتي نقول ليصبحن الناس ولا خليفة لهم قال بعض السلف مابلغ من بلغ عندنا بكثرة صلاة ولا صيام ولكن بسخاوة النفوس وسلامة الصدور والنصح للامة وزاد بعضهم واحتقار أنفسهم وذكر لبعضهم شدة اجتهاد بنى اسرائيل فى العبادة فقال انما يريد الله منكم صدق النية فيما عنده فمن كان بالله أعرف فله أخوف وفيما عنده أرغب فهو أفضل ممن دونه فى ذلك وان كثر صومه وصلاته وقال أبو الدرداء رضى الله عنه ياحبذا نوم

الا كياس وفطرهم كيف يسبق سهر الجاهلين وصيامهم ولهذا المعنى كان فضل العلم النافع الدال على معرفة الله وخشيته ومحبته ومحبة مايحبه وكراهة مايكرهه لاسيما عند غلبة الجهل والتعبد به أفضل من التطوع باعمال الجوارح قال ابن مسعود رضى الله عنه أنتم في زمان العمل فيه أفضل من العلم وسيأتى زمان العلم فيه أفضل من العمل وقال مطرف فضل العلم أحب الىّ من فضل العبادة وخير دينكم الورع وخرجه الحاكم وغيره مرفوعا ونص كثير من الائمة على ان طلب العلم أفضل من صلاة النافلة وكذلك الاشتغال بتطهير القلوب أفضل من الاستكثار من الصوم والصلاة مع غش القلوب ودغلها ومثل من يستكثر من الصوم والصلاة مع دغل القلب وغشه كمثل من بذر بذرا فى أرض دغلة كثيرة الشوك فلا يزكو ماينبت فيها من الزرع بل يمحقه دغل الارض ويفسده فاذا نظفت الارض من دغلها زكى ماينبت فيها ونما قال يحيي بن معاذ كم من مستغفر ممقوت وساكت مرحوم هذا استغفر وقلبه فاجر وهذا سكت وقلبه ذاكر وقال غيره ليس الشأن فيمن يقوم الليل انما الشأن فيمن ينام على فراشه ثم يصبح وقد سبق الركب من سار على طريق الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهاجه وان اقتصد فانه يسبق من سار على غير طريقه وان اجتهد

من لى بمثل سيرك المذلل تمشى رويدا وتجى في الاول

والمقصود ان هذا الباهلى لما رآه النبى صلى الله عليه وسلم وقد أنهكه الصوم وغير هيئته وأضر به في جسده أمره أولا أن يقتصر على صيام شهر الصبر وهو شهر رمضان فانه الشهر الذي افترض الله صيامه على المسلمين واكتفى منهم بصيامه من السنة كلها وصيامه كفارة لما بين الرمضانين اذا اجتنبت الكبائر فطلب منه الباهلى أن يزيده من الصيام ويأمره بالتطوع وأخبره انه يجد قوة على الصيام فقال له صم يوما من الشهر فاستزاده وقال اني أجد قوة فقال صم يومين من الشهر فاستزاده وقال انى أجد قوة فقال صم ثلاثة أيام من الشهر قال وألح عند الثالثة فما كاد يعنى ما كاد يزيده على الثلاثة أيام من الشهر وهكذا قال لعبد الله بن عمرو بن العاص أيضا في صحيح مسلم عنه ان

النبي صلى الله عليه وسلم قال له صم يوما يعني من الشهر ولك أجر مابقي قال اني أطيق أكثر من ذلك قال صم يومين ولك أجر مابقي قال انى أطيق أكثر من ذلك قال صم ثلاثة أيام ولك أجر مابقي ففي هذا ان صيام ثلاثة أيام من الشهر يحصل به أجر صيام الشهر كله وكذلك صيام يومين منه ووجه ذلك ان الصيام يضاعف مالا يضاعف غيره من الاعمال وقد سبق ذكر ذلك عند الكلام على حديث كل عمل ابن آدم له الحسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف قال الله عزوجل الا الصيام فانه لى وأنا أجزي به فالصيام لايعلم منتهى مضاعفته الا الله عزوجل وكلما قوي الاخلاص فيه واخفاؤه وتنزيهه من المحرمات والمكروهات كثرت مضاعفته فلا يستنكر أن يصوم الرجل يوما من الشهر فيضاعف له بثواب ثلاثين يوما فيكتب له صيام الشهر كله وكذلك اذا صام يومين من الشهر وأما اذا صام منه ثلاثة أيام فهو ظاهر لان الحسنة بعشر أمثالها وخرج الترمذى والنسائى عن أبى ذر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صام من كل شهر ثلاثة أيام كان كمن صام الدهر فانزل الله عزوجل تصديق ذلك ﴿ من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ﴾ اليوم بعشرة أيام وفي الصحيحين عن عبدالله ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صم من الشهر ثلاثة أيام فان الحسنة بعشر أمثالها وذلك مثل صيام الدهر وفى رواية فيهما أيضا ان بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام فان لك بكل حسنة عشر أمثالها فاذن ذلك صيام الدهر كله وفي المسند عن قرة المزني عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صيام ثلاثة أيام من كل شهر صيام الدهر وافطاره يعنى صيامه فى مضاعفة الله وافطاره فى رخصة الله كما كان أبوهريرة رضى الله عنه وأبو ذر يقولان ذلك وكانا يصومان ثلاثة أيام من كل شهر ويقولان فى سائر أيام الشهر نحن صيام ويتأولان انهما صيام في مضاعفة الله وهما مفطران فى رخصة الله وقد وصى النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من أصحابه بصيام ثلاثة أيام من كل شهر منهم أبو هريرة رضى الله عنه وأبوالدرداء وأبو ذر وغيرهم وفى المسند ان النبي صلى الله عليه وسلم قال فى صيام ثلاثة أيام من كل شهر هو صوم حسن وفيه أيضا

عن أبي ذر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول صوم شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر صوم الدهر ويذهب مغلة الصدر قات وما مغلة الصدر قال رجس الشيطان وفيه أيضا عن رجل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صيام شهر الصبر وثلاثة أيام من كل شهر يذهبن كثيرا من وحر الصدر وفي غير هذه الرواية وغر الصدر وهما بمعنى واحد يقال وحر صدره ووغر اذا كان فيه غل وغش وقيل الوحر الغل والوغر الغيظ وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يتحرى صيام ثلاثة أيام من كل شهر وكذلك كان ابراهيم عليه السلام كما خرجه ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه مرفوعا قال صيام ابراهيم ثلاثة أيام من كل شهر صام الدهر وأفطر الدهر وفى السنن عن حفصة رضى الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم العشر وعاشوراء وثلاثة أيام من كل شهر وفى اسناده اختلاف وفي صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر قيل لها من ايه كان يصوم قالت كان لايبالى من أيه صام ففي هذا الحديث انه صلى الله عايه وسلم لم يكن يبالى من أى الشهر صام الايام الثلاثة وقد روي في صفة صيام النبي صلى الله عليه وسلم للايام الثلاثة من الشهر أنواع أخر أحدها ماخرجه الترمذى من حديث عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عايه وسلم يصوم من الشهر السبت والاحد والاثنين ومن الشهر الآخر الثلاثاء والاربعاء والخميس وقال حديث حسن وذكر أن بعضهم رواه موقوفا يعنى من قول عائشة رضي الله عنها غير مرفوع الثاني ماخرجه أبو داود وغيره من حديث حفصة ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر الاثنين والخميس والاثنين من الجمعة الاخري فعلى هذه الرواية كان النبي صلى الله عليه وسلم يجعلها من أول الشهر ولايوالي بينها بل كان يتحرى بها يوم الاثنين مرتين والخميس مرة الثالث عكس الثاني خرجه النسائى من حديث حفصة أيضا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم من كل شهر ثلاثة أيام أول اثنين من الشهر ثم الخميس ثم الخميس الذى يليه وفى رواية له أيضا أول اثنين من الشهر

وخميسين وخرج أبو داود من حديث أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم معنى ذلك وفي رواية في المسند الاثنين والجمعة والخميس وكانها غير محفوظة فان كانت محفوظة فهى نوع رابع والنوع الخامس ماخرجه أبو داود والنسائى والترمذى من حديث ابن مسعود رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم من غرة كل شهر ثلاثة أيام وحسنه الترمذى وذكر ان بعضهم لم يرفعه يعنى انه وقفه على ابن مسعود وظاهر هذا انه كان يوالى بين الايام الثلاثة من أول كل شهر والنوع السادس انه كان يصوم أيام البيض فخرج النسائي عن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لايدع صيام أيام البيض فى حضر ولا سفر وخرج الترمذى والنسائي عن أبي ذر رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم أمره بصيام أيام البيض ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة وفي السنن الاربعة خلا الترمذى عن قتادة بن ملحان عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه وخرج النسائي من حديث جابر البجلى عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه أيضا وقد روى عن الحسن انه كان يصوم خمسة أيام من أول الشهر ويقول مايدريني لعلى لاأدرك البيض وفى كتاب مناقب الحسن لابي حيان التوحيدى ان رجلا سأل الحسن لاي شئ استحب صيام أيام البيض فلم يدر مايقول فقال أعرابي عنده لان القمر ينكسف فى لياليهن فيكون الناس عند حدوث الآيات على عبادة فقال الحسن خذوها من غير فقيه وفي حديث الباهلى انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك انى أجد قوة وانى أحب أن تزيدني فقال له صم الحرم وأفطر وفي رواية صم الحرم وأفطر وفى رواية قال صم الاشهر الحرم فهذا دليل على فضل صيام الاشهر الحرم الاربعة التي ذكرها الله تعالي في كتابه بقوله منها أربعة حرم وقد فسرها النبي صلى الله عليه وسلم في حديث أبي بكرة بانها ثلاثة متواليات ذوالقعدة وذو الحجة والمحرم وشهر رجب وقد ذكرناه في وظيفة شهر رجب وذكرنا عن ابن عباس رضى الله عنهما ان العمل الصالح والاجر فى هذه الحرم أعظم وذكرنا فى وظائف المحرم قول النبى صلي الله عليه وسلم أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله الذى تدعونه المحرم وسيأتي في وظائف

ذي الحجة ذكر فضل صيام عشر ذي الحجة ان شاء الله وقد كان كثير من السلف يصوم الاشهر الحرم كلها روى ذلك عن ابن عمر والحسن البصري وأبي اسحاق السبيعي وقال سفيان الثوري الاشهر الحرم أحب الى أن يصام منها وروى خلاد الصفار عن أبي مسلم قال صيام يوم من أشهر الحج أوقال أشهر الحرم يعدل شهرا وصيام يوم من غير الاشهر الحرم يعدل عشرا وروي عن النخعي نحوه لكنه قال من المحرم فيحتمل أنه أراد جنس الاشهر المحرمة وروى معناه مرفوعا من حديث أنس واسناده ضعيف جدا ويروي باسناد مجهول عن أنس مرفوعا من صام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله له عبادة تسعمائة سنة وقال كعب اختار الله الزمان فاحبه اليه الاشهر الحرم ويروى من حديث أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعا ولا يصح وعن قيس بن عباد انه قال ليس في الاشهر الحرم شهر الافي اليوم العاشر منه خير قال في الحجة في العاشر النحر يوم الحج الاكبر وفى المحرم العاشر عاشوراء وفي العاشر من رجب ﴿ يمحو الله مايشاء ويثبت ﴾ قال الراوى ونسيت ماقال فى ذى القعدة وقد تقدم في ذكر وظيفة رجب انه روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه ذكر من عجائب الدنيا بارض عاد عمود من نحاس عليه شجرة من نحاس فاذا كان فى الاشهر الحرم قطر منها الماء فملؤا منه حياضهم وسقوا مواشيهم وزروعهم فاذا ذهبت الاشهر الحرم انقطع الماء وذوالقعدة من الاشهر الحرم بغير خلاف وهوأول الاشهر الحرم المتوالية وهل هو أول الحرم مطلقا أم لافيه خلاف ذكرناه فى وظيفة رجب وهوأيضا من أشهر الحج التي قال الله تعالى فيها ﴿ الحج أشهر معلومات ﴾ وقيل ان تحريم ذى القعدة كان فى الجاهلية لاجل السير الي الحج وسمى ذا القعدة لقعودهم فيه عن القتال وتحريم الحرم لرجوع الناس فيه من الحج الى بلادهم وتحريم ذي الحجة لوقوع حجهم فيه وتحريم رجب كان للاعتمار فيه من البلاد القريبة ومن خصائص ذي القعدة ان عمر النبي صلى الله عليه وسلم كلها كانت فى القعدة سوى عمرته التى قرنها بحجته معانه صلي الله عليه وسلم أحرم بها أيضا في ذى القعدة وفعلها فى ذى الحجة مع حجته وكانت عمره (١) صلى الله عليه وسلم

(١) عمره صلى الله عليه وسلم أربع

أربعا عمرة الحديبية ولم يتمها بل تحلل منها ورجع وعمرة القضاء من قابل وعمرة الجعرانة عام الفتح لما قسم غنائم حنين وقيل انها كانت فى آخر شوال والمشهور انها كانت فى ذى القعدة وعليه الجمهور وعمرته فى حجة الوداع كما دلت عليه النصوص الصحيحة وعليه جمهور العلماء أيضا وقد روى عن طائفة من السلف منهم ابن عمر وعائشة وعطاء تفضيل عمرة ذي القعدة وشوال على رمضان لان النبي صلى الله عليه وسلم اعتمر فى ذي القعدة وفى أشهر الحج حيث يجب عليه الهدى اذا حج من عامه لان الهدى زيادة نسك فيجتمع نسك العمرة مع نسك الهدى ولذى القعدة فضيلة أخرى وهى انه قد قيل انه الثلاثون يوما الذي واعد الله فيه موسى عليه السلام قال ليث عن مجاهد في قوله تعالى ﴿ وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ﴾ قال ذو القعدة ﴿ وأتممناها بعشر ﴾ قال عشر ذى الحجة يامن لا يقلع عن ارتكاب الحرام لافي شهر حلال ولا فى شهر حرام يامن هو فى الطاعات الى وراء وفى المعاصى الى قدام يامن هو فى كل يوم من عمره شرا مما كان فى قبله من الايام متى تستفيق من هذا المنام متى تتوب من هذه الاجرام يامن أنذره الشيب بالموت وهو مقيم على الآثام أما كفاك واعظ الشيب مع واعظ القرآن والاسلام الموت خير لك من الحياة على هذه الحال والسلام

يا غاديا فى غفلة ورائحا ... الى متى تستحسن القبائحا
وكم الى كم لا تخاف موقفا ... يستنطق الله به الجوارحا
واعجبا منك وأنت مبصر ... كيف تجنبت الطريق الواضحا
وكيف ترضى أن تكون خاسرا ... يوم يفوز من يكون رابحا

﴿ وظائف شهر ذى الحجة و يشتمل على مجالس ﴾

﴿ المجلس الاول فى فضل عشر ذى الحجة ﴾

خرج البخارى من حديث ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن أيام العمل الصالح فيها أحب الى الله من هذه الايام يعنى أيام العشر قالوا يارسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد فى سبيل الله الا رجلا خرج بنفسه وماله ثم

لم يرجع من ذلك بشيء * الكلام في فضل عشر ذي الحجة في فصلين في فضل العمل فيه وعليه دل هذا الحديث وفي فضله في نفسه * الفصل الاول في فضل العمل فيه وقد دل هذا الحديث على ان العمل في أيامه أحب الى الله من العمل في أيام الدنيا من غير استثناء شيء منها واذا كان أحب الى الله فهو أفضل عنده وقد ورد هذا الحديث بلفظ مامن أيام العمل فيها أفضل من أيام العشر وروي بالشك في لفظة أحب أو أفضل واذا كان العمل في أيام العشر أفضل وأحب الى الله من العمل في غيره من أيام السنة كلها صار العمل فيه وان كان مفضولا أفضل من العمل في غيره وان كان فاضلا ولهذا قالوا يارسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد ثم استثنى جهادا واحدا هو أفضل الجهاد فانه صلى الله عليه وسلم سئل أى الجهاد أفضل قال من عقر جواده وأهريق دمه وصاحبه أفضل الناس درجة عند الله سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو يقول اللهم أعطني أفضل ماتعطي عبادك الصالحين فقال اذن يعقر جوادك وتستشهد فهذا الجهاد بخصوصه يفضل على العمل في العشر وأما بقية أنواع الجهاد فان العمل في عشر ذي الحجة أفضل وأحب الى الله عزوجل منها وكذلك سائر الاعمال وهذا يدل على ان العمل المفضول في الوقت الفاضل يلتحق بالعمل الفاضل في غيره ويزيد عليه لمضاعفة ثوابه وأجره وقد روي في حديث ابن عباس رضي الله عنهما هذا زيادة والعمل فيهن يضاعف بسبعمائة وفي اسنادها ضعف وقد ورد في قدر المضاعفة روايات متعددة مختلفة فخرج الترمذي وابن ماجه من رواية النهاس بن قهم عن قتادة عن ابن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن أيام أحب الى الله أن يتعبد له فيها من عشر ذي الحجة يعدل صيام كل يوم منها بسنة وكل ليلة منها بقيام ليلة القدر والنهاس بن قهم ضعفوه وذكر الترمذي عن البخاري أن الحديث يروى عن قتادة عن سعيد مرسلا وروي ثوير بن أبي فاختة وفيه ضعف عن مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال ليس يوم أعظم عند الله من يوم الجمعة ليس العشر فان العمل فيها يعدل عمل سنة وروى أبو عمرو النيسابوري في كتاب الحكايات باسناده

عن حميد قال سمعت ابن سيرين وقتادة يقولان صوم كل يوم من العشر يعدل سنة وقد روي في المضاعفة أكثر من ذلك فروى هارون بن موسى النحوي قال سمعت الحسن يحدث عن أنس بن مالك قال كان يقال في أيام العشر بكل يوم ألف يوم ويوم عرفة عشرة آلاف قال الحاكم هذا من المسانيد التي لا يذكر سندها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى في المضاعفة أقل من سنة قال حميد بن زنجويه حدثنا يحيي ابن عبد الله الحراني حدثنا أبو بكر بن أبي مريم عن راشد بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال صيام كل يوم من أيام العشر كصيام شهر وهذا مرسل ضعيف الاسناد وروي عبد الرزاق في كتابه عن جعفر عن هشام عن الحسن قال صيام يوم من العشر يعدل شهرين وقال عبد الكريم عن مجاهد العمل في العشر يضاعف وفي المضاعفة أحاديث أخر مرفوعة لكنها موضوعة فلذلك أعرضنا عنها وعما أشبهها من الموضوعات في فضائل العشر وهي كثيرة وقد دل حديث ابن عباس على مضاعفة جميع الاعمال الصالحة في العشر من غير استثناء شئ منها وقد روى في خصوص صيام أيامه وقيام لياليه وكثرة الذكر فيه ما يذكر مما يحسن ذكره دون ما لا يحسن لعدم صحته وقد سبق حديث أبي هريرة في ذلك ومرسل راشد بن سعد وما روى عن الحسن وابن سيرين وقتادة في صومه وفي المسند والسنن عن حفصة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يدع صيام عاشوراء والعشر وثلاثة أيام من كل شهر وفي اسناده اختلاف وروي عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يدع صيام تسع ذى الحجة وممن كان يصوم العشر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وقد تقدم عن الحسن وابن سيرين وقتادة ذكر فضل صيامه وهو قول أكثر العلماء أو كثير منهم وفي صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم صائما العشر قط وفي رواية في العشر قط وقد اختلف جواب الامام أحمد عن هذا الحديث فاجاب مرة بأنه قد روى خلافه وذكر حديث حفصة وأشار

مرسلا وكذلك أجاب غيره من العلماء بانه اذا اختلفت عائشة وحفصة في النفي والاثبات أخذ بقول المثبت لان معه علما خفي على النافي وأجاب أحمد مرة أخري بان عائشة أرادت انه لم يصم العشر كاملا يعني وحفصة أرادت انه كان يصوم غالبه فينبغي أن يصام بعضه ويفطر بعضه وهذا الجمع يصح في رواية من روى مارأيته صائما العشر وأما من روي مارأيته صائما في العشر فيبعد أو يتعذر هذا الجمع فيه وكان ابن سيرين يكره أن يقال صام العشر لانه يوهم دخول يوم النحر فيه وانما يقال صام التسع ولكن الصيام اذا أضيف الى العشر فالمراد صيام مايجوز صومه منه وقد سبق حديث ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم العشر [1] ولو نذر صيام العشر فينبغي أن ينصرف الى التسع أيضا فلا يلزم بفطر يوم النحر قضاء ولا كفارة فانه غلب استعماله عرفا في التسع ويحتمل أن يخرج في لزوم القضاء والكفارة خلاف فان أحمد قال فيمن نذر صوم شوال فافطر يوم الفطر وصام باقيه انه يلزمه قضاء يوم وكفارة وقال القاضي أبو يعلى هذا اذا نوي صوم جميعه فاما ان أطلق لم يلزمه شئ لان يوم الفطر مستثنى شرعا وهذه قاعدة من قواعد الفقه وهي ان العموم هل يخص بالشرع أم لا ففي المسألة خلاف مشهور وأما قيام ليالي العشر فمستحب وقد سبق الحديث في ذلك وقد ورد في خصوص احياء ليلتي العيدين أحاديث لا تصح وورد اجابة الدعاء فيهما واستحبه الشافعي وغيره من العلماء وكان سعيد بن جبير وهو الذي روى هذا الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما اذا دخل العشر اجتهد اجتهادا حتي مايكاد يقدر عليه وروى عنه انه قال لا تطفئوا سرجكم ليالي العشر تعجبه العبادة وأما استحباب الاكثار من الذكر فيها فقد دل عليه قول الله عزوجل ﴿ ويذكروا اسم الله في أيام معلومات ﴾ فان الايام المعلومات هي أيام العشر عند جمهور العلماء وسيأتي ذكر ذلك فيما بعد ان شاء الله تعالى وفي مسند الامام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن أيام أعظم ولا أحب اليه العمل عند الله فيهن من هذه الايام العشر فاكثروا

(١) من نذر صيام العشر ينصرف الى التسع ولا يلزمه بفطر يوم النحر قضاء ولا كفارة

فيهن من التهليل والتكبير والتحميد فان قيل فاذا كان العمل في أيام العشر أفضل من العمل في غيرها وان كان ذلك العمل أفضل في نفسه مما عمل في العشر لفضيلة العشر في نفسه فيصير العمل المفضول فيه فاضلا حتى يفضل على الجهاد الذي هو أفضل الاعمال كما دلت على ذلك النصوص الكثيرة وهو قول الامام أحمد وغيره من العلماء فينبغي أن يكون الحج أفضل من الجهاد لان الحج مخصوص بالعشر وهو من أفضل ما عمل في العشر أو أفضل ما عمل فيه فكيف كان الجهاد أفضل من الحج فانه ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رجلا قال يارسول الله أي الاعمال أفضل قال ايمان بالله و رسوله قال ثم ماذا قال جهاد في سبيل الله قال ثم ماذا قال حج مبرور قيل التطوع بالجهاد أفضل من التطوع بالحج عند جمهور العلماء وقد نص عليه الامام أحمد وهو مروي عن عبدالله بن عمرو بن العاص وروى فيه أحاديث مرفوعة في أسانيدها مقال وحديث أبي هريرة هذا صريح في ذلك ويمكن الجمع بينه وبين حديث ابن عباس بوجهين أحدهما ان حديث ابن عباس قد صرح فيه بأن جهاد من لا يرجع من نفسه وماله بشئ يفضل على العمل في العشر فيمكن أن يقال الحج أفضل من الجهاد الا جهاد من لم يرجع من نفسه وماله بشئ ويكون هو المراد من حديث أبي هريرة ويجتمع حينئذ الحديثان والثاني وهو الاظهر ان العمل المفضول قد يقترن به ما يصير أفضل من الفاضل في نفسه كما تقدم وحينئذ فقد يقترن بالحج مايصير به أفضل من الجهاد وقد يتجرد عن ذلك فيكون الجهاد حينئذ أفضل منه فان كان الحج مفروضا فهو أفضل من التطوع بالجهاد فان فروض الاعيان أفضل من فروض الكفايات عند جمهور العلماء وقد روى هذا في الحج والجهاد بخصوصهما عن عبدالله بن عمرو بن العاص و روى مرفوعا من وجوه متعددة في أسانيدها لين وقد دل على ذلك ماحكاه النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه عزوجل انه قال ماتقرب الى عبدي بمثل أداء ماافترضت عليه وان كان الحاج ليس من أهل الجهاد فحجه أفضل من جهاده كالمرأة وفي صحيح البخاري عن عائشة انها قالت يارسول الله نرى الجهاد أفضل العمل أفلا نجاهد فقال أفضل الجهاد حج

مبرور وفي رواية له جهادكن الحج وفي رواية له أيضا نعم الجهاد الحج وكذلك اذا استغرق العشر كله عمل الحج وأتى به على أكمل وجوه البر من أداء الواجبات واجتناب المحرمات وانضم الى ذلك الاحسان الى الناس ببذل السلام واطعام الطعام وضم اليه كثرة ذكر الله عز وجل والعج والثج وهو رفع الصوت بالتلبية وسوق الهدى فان هذا الحج على هذا الوجه قد يفضل على الجهاد وان وقع عمل الحج في جزء يسير من العشر ولم يؤت به على الوجه المبرور فالجهاد أفضل منه وقد روي عن عمر وابن عمر وأبي موسى الاشعري ومجاهد مايدل على تفضيل الحج على الجهاد وسائر الاعمال وينبغي حمله على الحج المبرور الذى كمل بره واستوعب فعله أيام العشر والله أعلم فان قيل قوله صلى الله عليه وسلم مامن أيام العمل الصالح فيها أحب الى الله من هذه الايام هل يقتضى تفضيل كل عمل صالح وقع في شيء من أيام العشر على جميع مايقع في غيرها وان طالت مدته أم لا قيل الظاهر والله أعلم أن المراد أن العمل في هذه الايام العشر أفضل من العمل في أيام عشر غيرها فكل عمل صالح يقع في هذا العشر فهو أفضل من عمل في عشرة أيام سواها من أى شهر كان فيكون تفضيلا للعمل في كل يوم منه على العمل في كل يوم من أيام السنة غيره وقد قيل انما يفضل العمل فيها على الجهاد اذا كان العمل فيها مستغرقا لايام العشر فيفضل على جهاد في عدد تلك الايام من غير العشر وان كان العمل مستغرقا لبعض أيام العشر فهو أفضل من جهاد في نظير ذلك الزمان من غير العشر واستدل على ذلك بأن النبي صلى الله عليه وسلم جعل العمل الدائم الذى لايفتر من صيام وصلاة معادلا للجهاد في أى وقت كان فاذا وقع ذلك العمل الدائم في العشر كان أفضل من الجهاد في مثل أيامه لفضل العشر وشرفه ففي الصحيحين عن أبي هريرة قال جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال دلني على عمل يعدل الجهاد قال لا أجده قال هل تستطيع اذا خرج المجاهدان تدخل مسجدك فتقوم ولا تفتر وتصوم ولا تفطر قال ومن يستطيع ذلك ولفظه للبخارى ولمسلم معناه وزاد ثم قال مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم القانت بآيات الله الذى لايفتر من

صلاة ولا صيام حتى يرجع المجاهد فى سبيل الله وللبخارى مثل المجاهد فى سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله كمثل الصائم القائم وللنسائى كمثل الصائم القائم الخاشع الراكع الساجد و يدل على ان المراد تفضيله على جهاد في مثل أيامه خاصة ما في صحيح ابن حبان عن جابر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من أيام أفضل عند الله من أيام عشر ذى الحجة فقال رجل يارسول الله هو أفضل أم عدتهن جهاد فى سبيل الله قال هو أفضل من عدتهن جهادا فى سبيل الله فلم يفضل العمل فى العشر الا على الجهاد فى عدة أيام العشر لا مطلقا وأما ما تقدم من أن كل يوم منه يعدل سنة أو شهرين أو ألف يوم فكلها من أحاديث الفضائل وليست بقوية ثم ان أكثر ما ورد ذلك فى صيامها والصيام له خصوصية في المضاعفة فانه لله والله يجزي به فان قيل انه لا يختص بالصوم بل يعم سائر الاعمال فانما يدل على تفضيل كل عمل في العشر على مثل ذلك العمل فى غيره سنة فلا يدخل فيه الا تفضيل من جاهد فى العشر على من جاهد فى غيرها سنة واذا قيل يلزم من تفضيل العمل فى هذا العشر على كل عشر غيره أن يكون صيام هذا العشر أفضل من صوم عشر رمضان وقيام لياليه أفضل من قيام لياليه قيل اما صيام رمضان فافضل من صيامه بلا شك فان صوم الفرض أفضل من النفل بلا تردد وحينئذ فيكون المراد ان ما فعل في العشر من فرض فهو أفضل مما فعل فى عشر غيره من فرض فقد تضاعف صلواته المكتوبة على صلوات عشر رمضان وما فعل فيه من نفل فهو أفضل مما فعل فى غيره من نفل وقد اختلف عمر وعلى رضى الله عنهما فى قضاء رمضان فى عشر ذى الحجة فكان عمر يستحبه أفضل أيامه فيكون قضاء رمضان فيه أفضل من غيره وهذا يدل على مضاعفة الفرض فيه على النفل وكان على ينهى عنه وعن أحمد فى ذلك روايتان وقد علل قول على بأن القضاء فيه يفوت به فضل صيامه تطوعا وبهذا علله الامام أحمد وغيره وقد قيل انه يحصل به فضيلة صيام التطوع أيضا وهذا على قول من يقول ان نذر صيام شهر فصام رمضان أجزأه عن فرضه ونذره متوجه وقد علل بغير ذلك وأما قيام لياليه وتفضيل قيامه على قيام عشر رمضان فيأتى الكلام فيه ان شاء الله

﴿ الفصل الثاني في فضل عشر ذي الحجة على غيره من اعشار الشهور ﴾

قد سبق حديث ابن عمر المرفوع مامن أيام أعظم عندالله ولا أحب اليه العمل فيهن من هذه الايام العشر وفى صحيح ابن حبان عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن أيام أفضل عندالله من أيام عشر ذي الحجة وقد تقدم ورويناه من وجه آخر بزيادة وهي ولاليالي أفضل من لياليهن قيل يارسول الله هي أفضل من عدتهن جهادا في سبيل الله قال هي أفضل من عدتهن جهادا في سبيل الله لامن عفر وجهه تعفيرا وما من يوم أفضل من يوم عرفة خرجه الحافظ أبوموسى المديني من جهة أبي نعيم الحافظ بالاسناد الذي خرجه به ابن حبان وخرج البزار وغيره من حديث جابر أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أفضل أيام الدنيا أيام العشر قالوا يارسول الله ولا مثلهن فى سبيل الله قال ولامثلهن في سبيل الله الامن عفر وجهه بالتراب وروي مرسلا وقيل انه أصح وقدسبق ماروي عن ابن عمر قال ليس يوم أعظم عندالله من يوم الجمعة ليس العشر ويدل على ان أيام العشر أفضل من يوم الجمعة الذي هو أفضل الايام وقال سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن كعب قال اختار الله الزمان وأحب الزمان الى الله الاشهر الحرم وأحب الاشهر الحرم الى الله ذوالحجة وأحب ذي الحجة الى الله العشر الاول ورواه بعضهم عن سهيل عن أبيه عن أبى هريرة ورفعه ولايصح ذلك وقال مسروق فى قوله تعالى ﴿ وليال عشر ﴾ هي أفضل أيام السنة خرجه عبد الرزاق وغيره وأيضا فايام هذا العشر يشتمل على يوم عرفة وقدروي انه أفضل أيام الدنيا كما جاء فى حديث جابر الذي ذكرناه وفيه يوم النحر وفى حديث عبدالله بن قرط عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال اعظم الايام عندالله يوم النحر ثم يوم النفر خرجه الامام احمد وابو داود وغيرهما وهذا كله يدل على ان عشر ذى الحجة افضل من غيره من الايام من غير استثناء هذا فى ايامه فاما لياليه فمن المتأخرين من زعم ان ليالى عشر رمضان افضل من لياليه لاشتمالها على ليلة القدر وهذا بعيد جدا واحتج بعضهم بحديث عائشة فيمن ارسل بهديه مع غيره واقام فى بلده وكان ابن عمر اذا ضحي يوم النحر حلق رأسه ونص احمد على ذلك

واختلاف العلماء في التعريف بالامصار عشية عرفة وكان الامام أحمد لا يفعله ولا ينكر على من فعله لانه روي عن ابن عباس وغيره من الصحابة وأما مشاركتهم لهم في الذكر في الايام المعلومات فانه يشرع للناس كلهم الا كثار من ذكر الله في أيام العشر خصوصا وقد سبق حديث ابن عمر المرفوع فا كثروا فيهن من التهليل والتكبير والتحميد واختلاف العلماء هل يشرع اظهار التكبير والجهر به في الاسواق في العشر فانكره طائفة واستحبه أحمد والشافعي لكن الشافعي خصه بحال رؤية بهيمة الانعام وأحمد يستحبه مطلقا وقد ذكر البخارى فى صحيحه عن ابن عمر وأبى هريرة انهما كانا يخرجان الى السوق في العشر فيكبران ويكبر الناس بتكبيرهما ورواه عفان حدثنا سلام أبو المنذر عن حميد الاعرج عن مجاهد قال كان أبو هريرة وابن عمر يأتيان السوق أيام العشر فيكبران ويكبر الناس معهما ولا يأتيان لشئ الا لذلك وروى جعفر الفريابى فى كتاب العيدين حدثنا اسحاق بن راهويه أخبرنا جرير عن يزيد بن أبي زياد قال رأيت سعيد ابن جبير ومجاهدا وعبد الرحمن بن أبي ليلى أو اثنين من هؤلاء الثلاثة ومارأينا من فقهاء الناس يقولون في أيام العشر الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا اله الا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد لما كان الله سبحانه وتعالى قد وضع فى نفوس المؤمنين حنينا الى مشاهدة بيته الحرام وليس كل أحد قادرا على مشاهدته في كل عام فرض على المستطيع الحج مرة واحدة في عمره وجعل موسم العشر مشتركا بين السائرين والقاعدين فمن عجز عن الحج في عام قدر فى العشر على عمل يعمله فى بيته يكون أفضل من الجهاد الذى هو أفضل من الحج شعر

ليالي العشر أوقات الاجابة فبادر رغبة تلحق ثوابه
الا لا وقت للعمال فيه ثواب الخير أقرب للاصابه
من اوقات الليالى العشر حقا فشمر واطلبن فيها الانابه

احذروا المعاصى فانها تحرم المغفرة فى مواسم الرحمة وروى المروذي فى كتاب الورع باسناده عن عبد الملك بن عمير عن رجل اما من الصحابة أو من التابعين ان آتيا أتاه

في منامه في العشر من ذي الحجة فقال مامن مسلم الا يغفر له في هذه الايام كل يوم خمس مرار الا أصحاب الشاء يقولون مات ماموته يعني أصحاب الشطرنج فاذا كان اللعب بالشطرنج مانعا من المغفرة فما الظن بالاصرار على الكبائر المجمع عليها شعر

طاعة الله خير مالزم العبد فكن طائعا ولا تعصينه
ماهلاك النفوس الا المعاصي فاجتنب مانهاك لاتقربنه
ان شيئا هلاك نفسك فيه ينبغي أن تصون نفسك عنه

المعاصي سبب البعد والطرد كما ان الطاعات أسباب القرب والود

أيضمن لي فتى ترك المعاصي وأرهنه الكفالة بالخلاص
أطاع الله قوم فاستراحوا ولم يتجرعوا غصص المعاصي

اخوانكم في هذه الايام قد عقدوا الاحرام وقصدوا البيت الحرام وملؤا الفضاء بالتلبية والتكبير والتهليل والتحميد والاعظام لقد ساروا وقعدنا وقربوا وبعدنا فان كان لنا معهم نصيب سعدنا شعر

أتراكم في النقا والمنحنى أهل سلع تذكرونا ذكرنا
انقطعنا ووصلتم فاعلموا واشكروا المنعم يا أهل منى
قد خسرنا وربحتم فصلوا بفضول الربح من قد غبنا
سار قلبي خلف أحمالكم غير ان العذر عاق البدنا
ماقطعتم واديا الا وقد جئته أسعى باقدام المنى
أنا مذ غبتم على تذكاركم أترى عندكمو ماعندنا

القاعد لعذر شريك للسائر وربما سبق السائر بقلبه السائرين بابدانهم رأى بعضهم في المنام عشية عرفة في الموقف قائلا يقول له أترى هذا الزحام على هذا الموقف فانه لم يحج منهم أحد الارجل تخلف عن الموقف فحج بهمته فوهب له أهل الموقف شعر

ياسائرين الى البيت العتيق لقد سرتم جسوما وسرنا نحن أرواحا
انا أقمنا على عذر وقد رحلوا ومن أقام على عذر كمن راحا

الغنيمة الغنيمة بانتهاز الفرصة في هذه الايام العظيمة فما منها عوض ولا لها قيمة المبادرة المبادرة بالعمل والعجل العجل قبل هجوم الاجل قبل أن يندم المفرط على ما فعل قبل أن يسأل الرجعة فيعمل صالحا فلا يجاب الى ماسأل قبل أن يحول الموت بين المؤمل وبلوغ الامل قبل أن يصير المرء مرتهنا في حفرته بما قدم من عمل شعر

ليس للميت في قبره   فطر ولا أضحى ولا عشر

ناء عن الاهل على قربه   كذاك من مسكنه القبر

يامن طلع فجرشيبه بعد بلوغ الاربعين يامن مضى عليه بعدذلك ليالي عشرسنين حتى بلغ الخمسين يامن هو في معترك المنايا مابين الستين والسبعين ماتنتظر بعد هذا الخبر الا أن يأتيك اليقين يامن ذنوبه بعدد الشفع والوتر أما تستحي من الكرام الكاتبين أم أنت ممن يكذب بيوم الدين يامن ظلمة قلبه كالليل اذا يسرى أما آن لقلبك أن يستنير أو يلين تعرض لنفحات مولاك في هذا العشر فان فيه لله نفحات يصيب بها من يشاء فمن أصابته سعد بها آخر الدهر

﴿ المجلس الثاني في يوم عرفة مع عيد النحر ﴾

في الصحيحين عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان رجلا من اليهود قال له ياأمير المؤمنين آية في كتابكم لوعلينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا فقال أي آية قال ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾ فقال عمر اني لأعلم اليوم الذي نزلت فيه والمكان الذي نزلت فيه نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم بعرفة يوم جمعة وخرج الترمذي عن ابن عباس نحوه وقال فيه نزلت في يوم عيد من يوم جمعة ويوم عرفة * العيد هو موسم الفرح والسرور وافراح المؤمنين وسرورهم في الدنيا انما هو بمولاهم اذا فازوا باكمال طاعته وحازوا ثواب أعمالهم بوثوقهم بوعده لهم عليها بفضله ومغفرته كما قال تعالى ﴿ قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون ﴾ قال بعض العارفين مافرح أحد بغير الله الا بغفلته عن الله فالغافل يفرح بلهوه وهواه والعاقل يفرح بمولاه وأنشد سمنون في هذا المعنى

وكان فؤادي خاليا قبـل حبكم ... وكان بذكر الخلق يلهو ويمرح
فلمـا دعا قلـبي هواك أجابه ... فلست أراه عن فنائك يـبرح
رميت ببعد منك ان كنت كاذبا ... وان كنت في الدنيا بغيرك أفرح
وان كان شيءٌ في البـلاد بأسرها ... اذا غبت عن عيني لعيني يملح
فان شئت واصلني وان شئت لاتصل ... فلست أرى قلبي لغيرك يصلح

لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة كان لهم يومان يلعبون فيهما فقال ان الله قد أبدلكم يومين خيرا منهما يوم الفطر والاضحى فابدل الله هـذه الأمة بيومى اللعب واللهو يومى الذكر والشكر والمغفرة والعفو ففي الدنيا للمؤمنين ثلاثة أعياد عيـد يتكرر كل أسبوع وعيد ان يأتيان فى كل عام مرة مرة من غير تكرر في السنة فاما العيد المتكرر فهو يوم الجمعة وهو عيد الاسبوع وهو مترتب على اكمال الصلوات المكتوبات فان الله عزوجل فرض على المؤمنين فى كل يوم وليلة خمس صلوات وأيام الدنيا تدور على سبعة أيام فكلما كمل دور أسبوع من أيام الدنيا واستكمل المسلمون صلواتهم فيه شرع لهم فى يوم استكمالهم وهو اليوم الذى كمل فيه الخلق وفيه خلق آدم وأدخل الجنة وأخرج منها وفيه ينتهى أمد الدنيا فتزول وتقوم الساعة فالجمعـة من الاجتماع على سماع الذكر والموعظة وصلاة الجمعة وجعل ذلك لهم عيدا ولهذا نهى عن افراده بالصيام وفى شهود الجمعة شبه من الحج [1] أو روى انها حج المساكين وقال سعيد بن المسيب شهود الجمعة أحب الى من حجة نافلة والتبكير اليها يقوم مقام الهدي على قدر السبق فاولهم كالمهدي بدنة ثم بقرة ثم كبشا ثم دجاجة ثم بيضة وشهود الجمعة يوجب تكفير الذنوب الى الجمعة الاخرى اذا سلم مابين الجمعتين من الكبائر كمان الحج المبرور يكفر ذنوب تلك السنة الى الحجة الاخرى وقد روى اذا سلمت الجمعة سلمت الايام وروى ان الله تعالى يغفر يوم الجمعة لكل مسلم وفى الحديث الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ماطلعت الشمس ولاغربت على يوم أفضل من يوم الجمعة وفى المسند عنه صلى الله عليه وسلم انه قال في يوم الجمعة هو أفضل عندالله من يوم الفطر ويوم الاضحي فهذا عيد الاسبوع وهو

(١) نسخة بالحج

متعلق باكمال الصلوات المكتوبة وهي أعظم أركان الاسلام ومبانيه بعد الشهادتين وأما العيدان اللذان لا يتكرران في كل عام وانما يأتي كل واحد منهما في العام مرة واحدة فاحدهما عيد الفطر من صوم رمضان وهو مترتب على اكمال صيام رمضان وهو الركن الثالث من أركان الاسلام ومبانيه فاذا استكمل المسلمون صيام شهرهم المفروض عليهم واستوجبوا من الله المغفرة والعتق من النار فان صيامه يوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب وآخره عتق من النار يعتق فيه من النار من استحقها بذنوبه فشرع الله تعالى لهم عقب اكمالهم لصيامهم عيدا يجتمعون فيه على شكر الله وذكره وتكبيره على ما هداهم له وشرع لهم في ذلك العيد الصلاة والصدقة وهو يوم الجوائز يستوفي الصائمون فيه أجر صيامهم ويرجعون من عيدهم بالمغفرة والعيد الثاني عيد النحر وهو أكبر العيدين وأفضلهما وهو مترتب على اكمال الحج وهو الركن الرابع من أركان الاسلام ومبانيه فاذا أكمل المسلمون حجهم غفرلهم وانما يكمل الحج بيوم عرفة والوقوف فيه بعرفة فانه ركن الحج الاعظم كما قال صلى الله عليه وسلم الحج عرفة ويوم عرفة هو يوم العتق من النار فيعتق الله فيه من النار من وقف بعرفة ومن لم يقف بها من أهل الامصار من المسلمين فلذلك صار اليوم الذي يليه عيدا لجميع المسلمين في جميع أمصارهم من شهد الموسم منهم ومن لم يشهده لاشتراكهم في العتق والمغفرة يوم عرفة وانما لم يشترك المسلمون كلهم في الحج كل عام رحمة من الله وتخفيفا على عباده فانه جعل الحج فريضة العمر لا فريضة كل عام وانما هو في كل عام فرض كفاية بخلاف الصيام فانه فريضة كل عام على كل مسلم فاذا كمل يوم عرفة وأعتق الله عباده المؤمنين من النار اشترك المسلمون كلهم في العيد عقب ذلك وشرع للجميع التقرب اليه بالنسك وهو اراقة دماء القرابين فاهل الموسم يرمون الجمرة فيشرعون في التحلل من احرامهم بالحج ويقضون تفثهم ويوفون نذورهم ويقربون قرابينهم من الهدايا ثم يطوفون بالبيت العتيق وأهل الامصار يجتمعون على ذكر الله وتكبيره والصلاة له قال مخنف بن سليم وهو معدود من الصحابة الخروج يوم الفطر يعدل عمرة والخروج يوم الاضحى يعدل حجة ثم ينسكون عقب ذلك نسكهم

ويقربون قرابينهم باراقة دماء ضحاياهم فيكون ذلك شكرا منهم لهذه النعم والصلاة والنحر الذى يجتمع في عيد النحر أفضل من الصلاة والصدقة الذى فى عيد الفطر ولهذا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل شكره لربه على اعطائه الكوثر أن يصلى لربه وينحر وقيل له قل ﴿ ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ﴾ ولهذا ورد الامر بتلاوة هذه الآية عند ذبح الاضاحى والاضاحى سنة ابراهيم عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وسلم فان الله شرعها لابراهيم حين فدى ولده الذى أمره بذبحه بذبح عظيم وفي حديث زيد بن أرقم قيل يارسول الله ماهذه الاضاحى قال سنة ابراهيم قيل لهما لنابها قال بكل شعرة حسنة قيل فالصوف قال بكل شعرة من الصوف حسنة خرجه ابن ماجه وغيره فهذه أعياد المسلمين فى الدنيا وكلها عند اكمال طاعة مولاهم الملك الوهاب وحيازتهم لما وعدهم من الاجر والثواب * مر قوم براهب فى دير فقالوا له متي عيد أهل هذا الدير قال يوم يغفر لاهله[1] ليس العيد لمن لبس الجديد انما العيد لمن طاعاته تزيد ليس العيد لمن تجمل باللباس والركوب انما العيد لمن غفرت له الذنوب فى ليلة العيد تفرق خلع العتق والمغفرة على العبيد فمن ناله منها شئ فله عيد والا فهو مطرود بعيد كان بعض العارفين ينوح على نفسه ليلة العيد بهذه الابيات شعر

بحرمة غربتى كم ذا الصدود ألا تعطف على ألا تجود

سرور العيد قد عم النواحى وحزنى في ازدياد لا يبيد

فان كنت اقترفت خلال سوء فعذري فى الهوى أن لا أعود

وأنشد غيره للناس عشر وعيد وانا فقير وحيد

ياغايتى ومناي قد لذ لى ماتريد

وأنشد الشبلى

ليس عيد المحب قصد المصلى وانتظار الامير والسلطان

(١) ليس العيد لمن لبس الجديد وانما هو لمن طاعاته تزيد

انما العيد أن تكون لدي الحـب كريما مقربا فى أمان

وأنشد اذا ما كنت لى عيدا فما أصنع بالعيد

جرى حبك في قلبى كجري الماء في العود

وأنشد قالوا غدا العيد ماذا أنت لابسه فقلت خلعة ساق حسنه برعا

صبر وفقرهما ثوبان تحتهما قلب يرى الفه الاعياد والجمعا

أحرى الملابس أن تلق الحبيب به يوم التزاور فى الثوب الذي خلعا

الدهر لى مأتم ان غبت يا أملى والعيد ما كنت لى مرأً ومستمعا

وأما أعياد المؤمنين في الجنة فهى أيام زيارتهم لربهم عزوجل فيزورونه ويكرمهم غاية الكرامة ويتجلى لهم وينظرون اليه فما أعطاهم شيئا هو أحب اليهم من ذلك وهو الزيادة التي قال الله تعالى فيها ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ ليس للمحب عيد سوى قرب محبوبه

ان يوما جامعا شملى بهم ذاك عيد ليس لى عيد سواه

كل يوم كان للمسلمين عيدا فى الدنيا فانه عيد لهم فى الجنة يجتمعون فيه على زيارة ربهم ويتجلى لهم فيه ويوم الجمعة يدعى فى الجنة يوم المزيد ويوم الفطر والاضحى يجتمع أهل الجنة فيهما للزيارة وروي انه يشارك النساء الرجال فيهما كما كن يشهدن العيدين مع الرجال دون الجمعة فهذا لعموم أهل الجنة فاما خواصهم فكل يوم لهم عيد يزورون ربهم كل يوم مرتين بكرة وعشيا الخواص كانت أيام الدنيا كلها لهم أعيادا فصارت أيامهم فى الآخرة كلها أعيادا قال الحسن كل يوم لا يعصى الله فيه فهو عيد كل يوم يقطعه المؤمن في طاعة مولاه وذكره وشكره فهو له عيد أركان الاسلام التى بنى الاسلام عليها خمسة الشهادتان والصلاة والزكاة وصيام رمضان والحج فاعياد عموم المسلمين في الدنيا عند اكمال دور الصلاة واكمال الصيام والحج يجتمعون عند ذلك اجتماعا عاما فاما الزكاة فليس لها وقت معين ليتخذ عيدا بل كل من ملك نصابا لحوله بحسب ملكه وأما الشهادتان فاكما لهما يحصل بتحقيقهما والقيام بحقوقهما وخواص المؤمنين

يجتهدون على ذلك فى كل وقت فلذلك كانت أوقاتهم كلها أعيادا لهم فى الدنيا والآخرة كما أنشد الشبلى

عيدى مقيم وعيد الناس منصرف والقلب منى عن اللذات منحرف
ولى قرينان مالى منهما خلف طول الحنين وعين دمعها يكف

ولما كان عيد النحر أكبر العيدين وأفضلهما ويجتمع فيه شرف المكان والزمان لاهل الموسم كانت لهم فيه معه أعياد قبله وبعده فقبله يوم عرفة وبعده أيام التشريق وكل هذه الاعياد أعياد لاهل الموسم كما في حديث عقبة بن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم عرفة ويوم النحر وأيام التشريق عيدنا أهل الاسلام وهى أيام أكل وشرب خرجه أهل السنن وصححه الترمذى ولهذا لا يشرع لاهل الموسم صوم يوم عرفة لانه أول أعيادهم وأكبر مجامعهم وقد أفطره النبي صلي الله عليه وسلم بعرفة والناس ينظرون اليه وروى انه نهي عن صوم يوم عرفة بعرفة وروى عن سفيان بن عيينة انه سئل عن النهى عن صيام يوم عرفة بعرفة فقال لانهم زوار الله وأضيافه ولا ينبغي للكريم أن يجوع أضيافه وهذا المعنى يوجد فى العيدين وأيام التشريق أيضا فان الناس كلهم فيها فى ضيافة الله عزوجل لاسيما عيد النحر فان الناس يأكلون من لحوم نسكهم أهل الموقف وغيرهم وأيام التشريق الثلاثة هي أيام عيد أيضا ولهذا بعث النبى صلى الله عليه وسلم من ينادي بمكة انها أيام أكل وشرب وذكر الله عزوجل فلا يصومن أحد وقد يجتمع في يوم واحد عيدان كما اذا اجتمع يوم الجمعة مع يوم عرفة أو يوم النحر فيزداد ذلك اليوم حرمة وفضلا لاجتماع عيدين فيه وقد كان ذلك اجتمع للنبي صلى الله عليه وسلم في حجته يوم عرفة فكان يوم جمعة وفيه نزلت هذه الآية ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾ واكمال الدين في ذلك اليوم حصل من وجوه منها ان المسلمين لم يكونوا حجوا حجة الاسلام بعد فرض الحج قبل ذلك ولا أحد منهم هذا قول أكثر العلماء أو كثير منهم فكمل بذلك دينهم لاستكمالهم عمل أركان الاسلام كلها ومنها ان الله تعالى أعاد

الحج على قواعد ابراهيم عليه السلام ونفى الشرك وأهله فلم يختلط بالمسلمين في ذلك الموقف منهم أحد قال الشعبي نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة حين وقف موقف ابراهيم واضمحل الشرك وهدمت منار الجاهلية ولم يطف بالبيت عريان وكذا قال قتادة وغيره وقد قيل انه لم ينزل بعدها تحليل ولا تحريم قاله أبو بكر بن عياش وأما اتمام النعمة فانما حصل بالمغفرة فلا تتم النعمة بدونها كما قال لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ﴾ وقال تعالى في آية الوضوء ﴿ ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم ﴾ ومن هنا استنبط محمد بن كعب القرظى بأن الوضوء يكفر الذنوب كما وردت السنة بذلك صريحا ويشهد له أيضا ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يدعو ويقول أسألك تمام النعمه فقال له تمام النعمة النجاة من النار ودخول الجنة فهذه الآية تشهد لما روى فى يوم عرفة انه يوم المغفرة والعتق من النار فيوم عرفة له فضائل متعددة منها انه يوم اكمال الدين واتمام النعمة ومنها انه عيد لاهل الاسلام كما قاله عمر بن الخطاب وابن عباس فان ابن عباس قال نزلت فى يوم عيدين يوم جمعة ويوم عرفة وروي عن عمر انه قال وكلاهما بحمد الله لنا عيد خرجه ابن جرير فى تفسيره ويشهد له حديث عقبة بن عامر المتقدم لكنه عيد لاهل الموقف خاصة ويشرع صيامه لاهل الامصار عند جمهور العلماء وان خالف فيه بعض السلف ومنها انه قد قيل انه الشفع الذي أقسم الله به فى كتابه وان الوتر يوم النحر وقد روى هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث جابر خرجه الامام أحمد والنسائى فى تفسيره وقيل انه الشاهد الذي أقسم الله به فى كتابه فقال تعالى ﴿ وشاهد ومشهود ﴾ وفى المسند عن أبي هريرة مرفوعا وموقوفا الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم الجمعة وخرجه الترمذي مرفوعا وروى ذلك عن على من قوله وخرج الطبراني من حديث أبي مالك الاشعري مرفوعا الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة وعلى هذا فاذا وقع يوم عرفة في يوم جمعة فقد اجتمع فى ذلك اليوم شاهد ومشهود ومنها انه روى انه أفضل الايام خرجه ابن حبان في صحيحه من حديث

جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أفضل الايام يوم عرفة وذهب الى ذلك طائفة من العلماء ومنهم من قال يوم النحر أفضل الايام لحديث عبد الله بن قرط عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعظم الايام عند الله يوم النحر ثم يوم القر خرجه الامام أحمد وأبو داود والنسائي وابن حبان في صحيحه ولفظه أفضل الايام ومنها انه روى عن أنس بن مالك انه قال كان يقال يوم عرفة بعشرة آلاف يوم يعني في الفضل وقد ذكرناه في فضل العشر وروى عن عطاء قال من صام يوم عرفة كان له كاجر ألفي يوم ومنها انه يوم الحج الاكبر عند جماعة من السلف منهم عمر وغيره وخالفهم آخرون وقالوا يوم الحج الاكبر يوم النحر وروى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم ومنها ان صيامه كفارة سنتين وسنذكر الحديث في ذلك فيما بعد ان شاء الله تعالى ومنها انه يوم مغفرة الذنوب والتجاوز عنها والعتق من النار والمباهاة باهل الموقف كما في صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبيدا من النار من يوم عرفة وانه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول ماأراد هؤلاء وفي المسند عن عبد الله بن عمرو عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يباهي ملائكته عشية عرفة باهل عرفة فيقول انظروا الى عبادي أتوني شعثا غبرا وفيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله يباهي باهل عرفات يقول انظروا الى عبادي أتوني شعثا غبرا وخرجه ابن حبان في صحيحه وخرج فيه أيضا من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مامن يوم أفضل عند الله من يوم عرفة ينزل الله تبارك وتعالي الى السماء الدنيا فيباهي باهل الارض أهل السماء فيقول انظروا الى عبادي شعثا غبرا ضاحين جاؤا من كل فج عميق يرجون رحمتي ولم يروا عذابي فلم يرأكثر عتيقا من النار من يوم عرفة وخرجه ابن منده في كتاب التوحيد ولفظه اذا كان يوم عرفة ينزل الله الى سماء الدنيا فيباهي بهم الملائكة فيقول انظروا الى عبادي أتوني شعثا غبرا من كل فج عميق أشهدكم اني قد غفرت لهم فتقول الملائكة يارب فلان مرهق فيقول قد غفرت لهم فما من يوم أكثر عتيقا من النار من يوم عرفة وقال اسناد

حسن متصل انتهى ورويناه من وجه آخر بزيادة فيه وهي أشهدكم ياعبادي اني قد غفرت لمحسنهم وتجاوزت عن مسيئهم ورويناه من رواية اسماعيل بن رافع وفيه مقال عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال يهبط الله الي السماء الدنيا عشية عرفة ثم يباهي بكم الملائكة فيقول هؤلاء عبادي جاؤني شعثا من كل فج عميق يرجون رحمتي ومغفرتي فلو كانت ذنوبهم كعدد الرمل لغفرتها أفيضوا عبادي مغفورا لكم ولمن شفعتم فيه وخرجه البزار في مسنده بمعناه من حديث مجاهد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال لانعلم له طريقا أحسن من هذا الطريق وخرجه الطبراني وغيره من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم مختصرا ورويناه من طريق الوليد بن مسلم قال أخبرني أبو بكر بن أبي مريم عن الاشياخ ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الله عزوجل يدنو الى السماء الدنيا عشية عرفة فيقبل على ملائكته فيقول ألا ان لكل وفد جائزة وهؤلاء وفدي شعثا غبرا اعطوهم ماسألوا واخلفوا لهم ماأنفقوا حتى اذا كان عند غروب الشمس أقبل عليهم فقال ألا اني قد وهبت مسيئكم لمحسنكم وأعطيت محسنكم ماسأل أفيضوا بسم الله وروى ابراهيم ابن الحكم بن أبان حدثنا أبي حدثنا فرقد قال ان أبواب السماء تفتح كل ليلة ثلاث مرات وفي ليلة الجمعة سبع مرات وفي ليلة عرفة تسع مرات وروينا من طريق نفيع أبي داود عن ابن عمر مرفوعا وموقوفا اذا كان يوم عرفة لم يبق أحد في قلبه مثقال ذرة من ايمان الاغفر له قيل له ألاهل عرفة خاصة أم للناس عامة قال بل للناس عامة وخرج مالك في الموطأ من مراسيل طلحة بن عبيدالله بن كريز ان النبي صلى الله عليه وسلم قال مارؤي الشيطان يوما هوفيه أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة وماذاك الالما يرى من تنزل الرحمة وتجاوز الله عن الذنوب العظام الامارؤي يوم بدر قيل ومارؤي يوم بدر قال رأى جبريل عليه السلام وهو يزع الملائكة وروى أبو عثمان الصابوني باسناد له عن رجل كان أسيرا ببلاد الروم فهرب من بعض الحصون قال فكنت أسير بالليل وأكمن بالنهار فبينا أناذات ليلة أمشي بين جبال وأشجار

اذا أنا بحس فراعني ذلك فنظرت فاذا راكب بعير فازددت رعبا وذلك لانه لا يكون ببلاد الروم بعير فقلت سبحان الله في بلاد الروم راكب بعير ان هذا لعجب فلما انتهى الى قلت ياعبدالله من أنت قال لا تسأل قلت انى أرى عجبا فاخبرني فقال لا تسأل فابيت عليه فقال أنا ابليس وهذا وجهى من عرفات رافقتهم عشية اليوم اطلع عليهم فنزلت عليهم المغفرة ووهب بعضهم لبعض فداخلنى الهم والحزن والكآبة وهذا وجهى الى قسطنطينية انفرج بما أسمع من الشرك بالله وادعاء ان له ولدا فقلت أعوذ بالله منك فلما قلت هذه الكلمات لم أر أحدا ويشهد لهذه الحكاية حديث عباس بن مرداس الذى خرجه أحمد وابن ماجه في دعاء النبى صلى الله عليه وسلم لامته عشية عرفة ثم بالمزدلفة فاجيب فضحك صلى الله عليه وسلم وقال ان ابليس حين علم ان الله قد غفر لامتي واستجاب دعائي أهوي يحثى التراب على رأسه ويدعو بالويل والثبور فضحكت من الخبيث من جزعه ويروى عن على بن الموفق انه وقف بعرفة فى بعض حجاته فرأي كثرة الناس فقال اللهم ان كنت لم تتقبل منهم أحدا فقد وهبته حجى فرأى رب العزة فى منامه وقل له ياابن الموفق أتتسخى علىّ قد غفرت لاهل الموقف ولامثالهم وشفعت كل واحد منهم فى أهل بيته وذريته وعشيرته وأنا أهل التقوى وأنا أهل المغفرة ويروى نحوه عن غيره أيضا من الشيوخ فمن طمع فى العتق من النار ومغفرة ذنوبه في يوم عرفة فليحافظ على الاسباب التى يرجى بها العتق والمغفرة فمنها صيام ذلك اليوم ففى صحيح مسلم عن أبي قتادة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال صيام يوم عرفة أحتسب على الله أن يكفر السنة (١) التى قبله والتى بعده ومنها حفظ جوارحه عن المحرمات فى ذاك اليوم ففى مسند الامام أحمد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوم عرفة هذا يوم من ملك فيه سمعه وبصره ولسانه غفر له ومنها الاكثار من شهادة التوحيد باخلاص وصدق فانها أصل دين الاسلام الذي أكمله الله تعالي فى ذلك اليوم وأساسه وفى المسند عن عبدالله بن عمر قال كان أكثر دعاء

(١) نسخة التى قبلها والتي بعدها

النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة[1] لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شئ قدير وخرجه الترمذى ولفظه خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ماقلت أنا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير وخرجه الطبرانى من حديث على وابن عمر مرفوعا أيضا وخرج الامام أحمد من حديث الزبير بن العوام قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة يقرأ هذه الآية ﴿ شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم ﴾ الآية ويقول ﴿ وأنا على ذلك من الشاهدين ﴾ يارب ويروى من حديث عبادة قال شهدت النبي صلى الله عليه وسلم يوم عرفة فكان أكثر قوله ﴿ شهد الله أنه لا اله الا هو ﴾ الآية ثم قال أى رب وأنا أشهد فتحقيق كلمة التوحيد يوجب عتق الرقاب وعتق الرقاب يوجب العتق من النار كما ثبت في الصحيح ان من قالها مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وثبت أيضا ان من قالها عشر مرات كان كمن اعتق أربعة من ولد اسماعيل وفى سنن أبى داود وغيره عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح أو يمسى اللهم انى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك انك أنت الله لا اله الا أنت وأن محمدا عبدك ورسولك أعتق الله ربعه من النار ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار ومن قالها ثلاث مرات أعتق الله ثلاثة أرباعه ومن قالها أربع مرار أعتقه الله من النار ويروي من مراسيل الزهري من قال في يوم عشرة آلاف مرة لا اله الا الله وحده لاشريك له أعتقه الله من النار كما انه لو جاء بدية من قتل عشرة آلاف قبلت منه ومنها أن يعتق رقبة ان أمكنه فان من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار كان حكيم بن حزام رضى الله عنه يقف بعرفة ومعه مائة بدنة مقلدة ومائة رقبة فيعتق رقيقه فيضج الناس بالبكاء والدعاء ويقولون ربنا هذا عبدك قد أعتق عبيده ونحن عبيدك فاعتقنا وجرى للناس مرة مع الرشيد نحو هذا

(١) أكثر دعائه صلى الله عليه وسلم يوم عرفة لا اله الا الله وحده لاشريك له

وكان أبو قلابة يعتق جارية في عيـد الفطر يرجو أن يعتق بذلك من النار ومنها كثرة الدعاء بالمغفرة والعتق فانه يرجى اجابة الدعاء فيه روى ابن أبى الدنيا باسناده عن على قال ليس فى الارض يوم الاالله فيه عتقاء من النار وليس يوم أكثر فيه عتقا للرقاب من يوم عرفة[1] فاكثر فيه أن تقول اللهم أعتق رقبتي من النار وأوسع لى من الرزق الحلال واصرف عنى فسقة الجن والانس فانه عامة دعائى اليوم وليحذر من الذنوب التى تمنع المغفرة فيه والعتق فمنها الاختيال روينامن حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال مايرى يوم أكثر عتيقا ولاعتيقة من يوم عرفة لايغفر الله فيه لمختال وخرجـه البزار والطبراني وغيرهما والمختال هوالمتعاظم في نفسـه المتكبر قال الله تعالى ﴿ والله لايحب كل مختال فخور ﴾ وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله لاينظر الى من جر ثوبه خيلاء ومنها الاصرار على الكبائر روى جعفر السراج باسناده عن يونس بن عبد الاعلى انه حج سنة فرأى أمير الحاج فى منامه ان الله قد غفر لاهل الموسم سوى رجل فسق بغلام فامر بالنداء بذلك في الموسم وروى ابن أبى الدنيا وغيره ان رجـلا رأي فى منامه ان الله قد غفر لاهل الموقف كلهم الارجلا من أهل بلخ فسأل عنه حتى وقع عليه فسأله عن حاله فذكر انه كان مدمنا لشرب الخمر فجاء ليـلة وهو سكران فعاتبته أمه وهى تسجر تنورا فاحتملها فالقاها فيه حتى احترقت يامن يطمع فى العتق من النار ثم يمنع نفسه الرحمـة بالاصرار على كبائر الاثم والاوزار تالله مانصحت نفسـك ولا وقف في طريقك غيرك توبق نفسك بالمعاصى فاذا حرمت المغفرة قلت انى هذا قل هو من عند أنفسكم بيت

فنفسـك لم ولاتـلم المطايا ومت كمدا فليس لك اعتذار

ان كنت تطمع في العتق فاشتر نفسك من الله ﴿ فان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة ﴾ من كرمت عليه نفسه هان عليه كل مايبذل في افتكاكها من النار اشترى بعض السلف نفسه من الله ثلاث مرار أو أربعا يتصدق كل مرة بوزن نفسه

---

(١) ماينبغى أن يكثر به من الدعاء يوم عرفة

فضة واشتري عامر بن عبدالله بن الزبير نفسه من الله بديته ست مرات تصـدق بها واشترى حبيب العجمي نفسه من الله باربعين ألف درهم تصدق بها وكان أبوهريرة يسبح كل يوم اثنى عشر ألف تسبيحة بقدر ديته يفتك بذلك نفسه

بدم المحب يباع وصلهم　　فمن الذى يبتاع في الثمن

من عرف مايطلب هان عليه كل مايبذل ويحك قد رضينا منك فى فكاك نفسـك بالندم وقنعنا منك في ثمنها بالتوبة والحزن وفى هذا الموسم قد رخص السعر من ملك سمعه وبصره ولسانه غفرله مد اليه يدالاعتذار وقم على بابه بالذل والانكسار وارفع قصة ندمك مرقومة على صحيفة خدك بمداد الدموع الغزار وقـل ﴿ ربنا ظلمنا أنفسنا وان لم تغفرلنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين ﴾ قال يحيى بن معاذ العبد يوحش فيما بينه وبين سيده بالمخالفات ولا يفارق بابه بحال لعلمه بان عز العبيد فى ظل مواليهم وأنشأ يقول شعر

قرة عينى لابد لى منك وان　　أوحش بينى وبينك الزلل
قرة عيـنى أنا الغريق فخـذ　　كف غريق عليـك يتكل

كانت أحوال الصادقين فى الموقف بعرفة تتنوع فمنهم من كان يغلب عليه الخوف أو الحياء وقف مطرف بن عبدالله بن الشخير وبكر المزني بعرفة فقال أحـدهما اللهم لاترد أهل الموقف من أجلى وقال الآخر ماأشرفه من موقف وأرجاه لاهله لولا اني فيهم وقف الفضيل بعرفة والناس يدعون وهو يبكي بكاء الثكلى المحترقة قد حال البكاء بينه وبين الدعاء فلما كادت الشمس أن تغرب رفع رأسـه الي السماء وقال واسوتاه منك وان عفوت وقال الفضـيل أيضا لشعيب بن حرب بالموسم ان كنت تظن انه شهد الموقف أحد شرامنى ومنك فبئس ماظننت دعا بعض العارفين بعرفة فقال اللهم ان كنت لم تقبل حجى وتعبي ونصبي فلا تحرمنى أجر المصيبة على تركك القبول منى وقف بعض الخائفـين بعرفة الى أن قرب غروب الشمس فنادى الامان الامان فقد دنا الانصراف فليت شعرى ماصنعت في حاجة المساكين شعر

واني من خوفكم والرجا أرى الموت والعيش منكم عيانا
فمنوا على تائب خائف أتاكم ينادى الامانا الامانا

اذا طاب الاسير من الملك الكريم أمنه أمنه شعر

الامان الامان وزرى ثقيل وذنوبي اذا عددن تطول
أوبقتني وأوثقتني ذنوبي فترى لى الى الخلاص سبيل

وقف بعض الخائفين بعرفة فمنعه الحياء من الدعاء فقيل له لم لاتدعو فقال ثم وحشة فقيل له هذا يوم العفو عن الذنوب فبسط يديه ووقع ميتا شعر

جز أيها الحادى الى نعمان فاستذكرت عهدا لها بالبان
فسالت الروح من الاجفان تشوقا الى الزمان الفاني

غيره قد لج من الغرام حتى قالوا قد جن فيهم وهكذا البلبال
الموت اذا رضيته سلسال فى مثل هواك ترخص الآجال

وقف بعض الخائفين بعرفات وقال الهى الناس يتقربون اليك بالبدن وأنا أتقرب اليك بنفسى ثم خر ميتا بيت

للناس حج ولى حج الى سكنى تهدي الاضاحى واهدي مهجتى ودم

مايرضى المحبون لمحبوبهم باراقة دماء الهدايا وانما يهدون له الارواحا شعر

أرى موسم الاعياد انس الحبائب وما العيد عندى غير قرب الحبائب
اذا قربوا بدنا فقربانى الهوى فان قبلوا قلبي والا فقالبي
وما بدم الانعام أقضى حقوقهم ولكن بما بين الحشا والترائب

كان أبو عبيدة الخواص قد غلب عليه الشوق والقلق حتى يضرب على صدره فى الطريق ويقول واشوقاه الى من يرانى ولاأراه وكان بعد ما كبر يأخذ بلحيته ويقول يارب قد كبرت فاعتقنى وروى بعرفة وقد ولع به الوله وهو يقول

سبحان من لو سجدنا بالعيون له على حمى الشوك والمحمى من الابر
لم نبلغ العشر من معشار نعمته ولا العشير ولا عشرا من العشر

هو الرفيع فلا الابصار تدركه سبحانه من مليك نافذ القدر
سبحان من هو انسى اذخلوت به في جوف ليلى وفى الظلماء والسحر
أنت الحبيب وأنت الحب يا أملى من لى سواك ومن أرجوه يا ذخر

ومن العارفين من كان فى الموقف يتعلق باذيال الرجاء قال ابن المبارك جئت الى سفيان الثورى عشية عرفة وهو جاث على ركبتيه وعيناه تهملان فقلت له من أسوأ هذا الجمع حالا قال الذى يظن ان الله لا يغفر لهم وروى عن الفضيل انه نظر الى تسبيح الناس وبكائهم عشية عرفة فقال أرأيتم لو أن هؤلاء صاروا الى رجل فسألوه دانقا يعنى سدس درهم أكان يردهم قالوا لا قال والله للمغفرة عند الله أهون من اجابة رجل لهم بدانق شعر

وانى لادعو الله أطلب عفوه واعلم ان الله يعفو ويغفر
لئن أعظم الناس الذنوب فانها وان عظمت في رحمة الله تصغر

وعما قليل تقف اخوانكم بعرفة في ذلك الموقف فهنيئا لمن رزقه يجارون الى الله بقلوب محترقة ودموع مستبقة فكم فيهم من خائف أزعجه الخوف وأقلقه ومحب ألهبه الشوق وأحرقه وراج أحسن الظن بوعد الله وصدقه وتائب نصح لله في التوبة وصدقه وهارب لجأ الي باب الله وطرقه فكم هنالك من مستوجب للنار أنقذه الله وأعتقه ومن أسير للاوزار فكه وأطلقه وحينئذ يطلع عليهم أرحم الرحماء ويباهى بجمعهم أهل السماء ويدنو ثم يقول ماأراد هؤلاء لقد قطعنا عند وصولهم الحرمان وأعطاهم نهاية سؤلهم الرحمان هو الذى أعطى ومنع ووصل وقطع شعر

ماأصنع هكذا جري المقدور الجبر لغيرى وأنا المكسور[1]
أسير ذنب مقيد مأسور هل يمكن أن يبدل المسطور

من فاته في هذا العام القيام بعرفة فليقم لله بحقه الذي عرفه من عجز عن المبيت بمزدلفة فليبت عزمه على طاعة الله وقد قربه وأزلفه من لم يمكنه القيام بارجاء الخيف فليقم لله

(١) المهجور

بحق الرجاء والخوف من لم يقدر على نحر هديه بمنا فليذبح هواه هنا وقد بلغ المنا من لم يصل الى البيت لانه منه بعيد فليقصد رب البيت فانه أقرب الى من دعاه ورجاه من حبل الوريد نفحت فى هـذه الايام نفحة من نفحات الانس من رياض القدس على كل قلب أجاب الى مادعى ياهمم العارفين بغير الله لاتقنعى ياعزائم الناسكين لجمع انساك السالكين اجمعى لحب مولاك افردى وبين خوفه ورجائه اقرنى وبذكره تمتعى يا أسرار المحبين بكعبة الحب طوفي واركعى وبين صفاء الصـفا ومروة المروى اسعى وامرعى وفى عرفات الغرفات قفى وتضرعى ثم الى مزدلفة الزلفي فادفعي ثم الى مني نيل المنى فارجعى فاذا قرب القرابين فقربي الارواح ولاتمنعى لقد وضح الطريق ولكن قل السالك على التحقيق وكثر المدعى شعر

لئن لم أحج البيت أوشط ربعـه ... حججت الى من لايغيب عن الذكر
فاحرمت من وقـتى بخلع نقـائصى ... أطوف وأسعى فى اللطائف والبر
صفاى صفائى عن صـفاني ومروتي ... مروءة قلبى عن سوى حبـه فقر
وفى عرفات الانس بالله موقـفى ... ومزدلفى الزلفي لديه الى الحشر
وبت المـنى منى مبيتي في منا ... ورمى جمارى جمرشوق في صدرى
واشـعار هدبي ذبح نفسى بقهرها ... وخلى بمحو الكائنات عن السر
ومن رام نفرا بعد نسـك فاننى ... مقيم على نسكي حيـاتي بلا نفـر

﴿ المجلس الثالث في أيام التشريق ﴾

خرج مسلم فى صحيحه من حديث نبيشة الهذلى ان النبى صلي الله عليه وسلم قال أيام منى أيام أكل وشرب وذكر الله عزوجل وخرجه أهل السـنن والمسانيد من طرق متعددة عن النبي صـلى الله عليه وسـلم وفى بعضها ان النبي صلى الله عليه وسلم بعث فى أيام منى مناديا ينادى لاتصوموا هذه الايام فانها أيام أكل وشرب وذكر الله عزوجل وفى رواية للنسائى أيام أكل وشرب وصلاة وفى رواية للدار قطنى باسناد فيه ضعف أيام أكل وشرب وبعال وفى رواية للامام أحمد من كان صائما فليفطر فانها أيام أكل

وشرب وفي رواية انها ليست أيام صيام أيام منى هي الايام المعدودات التي قال الله عزوجل فيها ﴿ واذكروا الله في أيام معدودات ﴾ وهي ثلاثة أيام بعد يوم النحر وهي أيام التشريق هذا قول ابن عمر وأكثر العلماء وروى عن ابن عباس وعطاء انها أربعة أيام يوم النحر وثلاثة أيام بعده وسماها عطاء أيام التشريق والاول أظهر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم أيام منى ثلاثة ﴿ فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه ﴾ خرجه أهل السنن الاربعة من حديث عبدالرحمن بن يعمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وهذا صريح في انها أيام التشريق وأفضلها أولها يوم القر لان أهل منى يستقرون فيه ولايجوز فيه النفر وفي حديث عبدالله بن قرط عن النبي صلى الله عليه وسلم أعظم الايام عند الله يوم النحر ثم يوم القر وقد روى عن سعيد ابن المسيب ان يوم الحج الاكبر هو يوم القر وهو غريب ثم يوم النفر الاول وهو أوسطها ثم يوم النفر الثاني وهو آخرها قال الله تعالى ﴿ فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تأخر فلا اثم عليه ﴾ قال كثير من السلف يريد ان المتعجل والمتأخر يغفر له ويذهب عنه الاثم الذي كان عليه قبل حجه اذا حج فلم يرفث ولم يفسق ورجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه ولهذا قال تعالى ﴿ لمن اتقى ﴾ فتكون التقوى شرطا لذهاب الاثم على هذا التقدير وتصير الآية دالة على ماصرح به قول النبي صلى الله عليه وسلم من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه وقد أمر الله تعالى بذكره في هذه الايام المعدودات كما قال النبي صلى الله عليه وسلم انها أيام أكل وشرب وذكر الله عزوجل وذكر الله عزوجل المأمور به في أيام التشريق أنواع متعددة منها ذكر الله عزوجل عقب الصلوات المكتوبات بالتكبير في أدبارها وهو مشروع الى آخر أيام التشريق عند جمهور العلماء وقدروي عن عمر وعلى وابن عباس وفيه حديث مرفوع في اسناده ضعف ومنها ذكره بالتسمية والتكبير عند ذبح النسك فان وقت ذبح الهدايا والاضاحي يمتد الى آخر أيام التشريق عند جماعة من العلماء وهو قول الشافعي ورواية عن الامام أحمد وفيه حديث مرفوع كل أيام منى ذبح وفي اسناده مقال وأكثر

الصحابة على ان الذبح يختص بيومين من أيام التشريق مع يوم النحر وهو المشهور عن أحمد وقول مالك وأبي حنيفة والاكثرين ومنها ذكر الله عزوجل على الاكل والشرب فان المشروع في الاكل والشرب أن يسمى الله في أوله ويحمده في آخره وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله عزوجل يرضى عن العبد أن يأكل الاكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها وقد روى ان من سمى على أول طعامه وحمد الله على آخره فقد أدى ثمنه ولم يسأل بعد عن شكره ومنها ذكره بالتكبير عند رمي الجمار في أيام التشريق وهذا يختص به أهل الموسم ومنها ذكر الله تعالى المطلق فانه يستحب الاكثار منه في أيام التشريق وقد كان عمر يكبر بمنى في قبته فيسمعه الناس فيكبرون فترتج منى تكبيرا وقد قال الله تعالى ﴿ فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا ﴾ الى آخر الآية وقد استحب كثير من السلف كثرة الدعاء بهذا في أيام التشريق قال عكرمة كان يستحب أن يقال في أيام التشريق ﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾ وعن عطاء قال ينبغي لكل من نفر أن يقول حين ينفر متوجها الى أهله ﴿ ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ﴾ خرجهما عبد بن حميد في تفسيره وهذا الدعاء من أجمع الادعية للخير وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر منه وروي انه كان أكثر دعائه وكان اذا دعا بدعاء جعله معه فانه يجمع خير الدنيا والآخرة قال الحسن الحسنة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقال سفيان الحسنة في الدنيا العلم والرزق الطيب وفي الآخرة الجنة والدعاء من أفضل أنواع ذكر الله عزوجل وقد روى زياد الجصاص عن أبي كنانة القرشي انه سمع أبا موسى الاشعري يقول في خطبته يوم النحر بعد يوم النحر ثلاثة أيام التى ذكر الله الايام المعدودات لا يرد فيهن الدعاء فارفعوا رغبتكم الى الله عز وجل وفي الامر بالذكر عند انقضاء النسك معنى وهو ان سائر العبادات تنقضي ويفرغ منها وذكر الله باق لا ينقضي ولا يفرغ منه بل هو مستمر للمؤمنين في الدنيا والآخرة وقد أمر الله تعالى بذكره عند انقضاء الصلاة قال الله تعالى ﴿ فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله

قياما وقعودا وعلى جنوبكم ﴾ وقال في صلاة الجمعة ﴿ فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الارض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا ﴾ وقال تعالى ﴿ فاذافرغت فانصب والى ربك فارغب ﴾ روى عن ابن مسعود قال فاذافرغت من الفرائض فانصب وعنه في قوله ﴿ والى ربك فارغب ﴾ قال في المسئلة وأنت جالس وقال الحسن أمره اذا فرغ من غزوه أن يجتهد في الدعاء والعبادة فالاعمال كلها يفرغ منها والذكر لافراغ له ولا انقضاء والاعمال تنقطع بانقطاع الدنيا ولايبقى منها شئ في الآخرة والذكر لاينقطع المؤمن يعيش على الذكر ويموت عليه وعليه يبعث شعر

أحسبتموا ان الليالى غيرت ... عهد الهوي لا كان من يتغير

يفنى الزمان وليس يفنى ذكركم ... وعلى محبتكم أموت وأحشر

قال ذو النون ماطابت الدنيا الابذكره ولا الآخرة الابعفوه ولاالجنة الا برؤيته شعر

بذكر الله ترتاح القلوب ... ودنيانا بذكراه تطيب

اذاذكر المحبوب عند حبيبه ... ترنح نشوان وحن طروب

فايام التشريق يجتمع فيهاللمؤمنين نعيم أبدانهم بالاكل والشرب ونعيم قلوبهم بالذكر والشكر وبذلك تتم النعم وكلما أحدثوا شكرا على النعمة كان شكرهم نعمة أخرى فيحتاج الى شكر آخر ولاينتهى الشكر أبدا شعر

اذا كان شكرى نعمة الله نعمة ... على له في مثلها يجب الشكر

فكيف وقوع(1) الشكر الابفضله ... وان طالت الايام واتصل العمر

وفى قول النبي صلى الله عليه وسلم انها أيام أكل وشرب وذكر الله عزوجل اشارة الى ان الاكل في أيام الاعياد والشرب انما يستعان بهعلى ذكر الله تعالى وطاعته وذلك من تمام شكر النعمة أن يستعان بها على الطاعات وقد أمر الله تعالى فى كتابه بالاكل من الطيبات والشكر له فمن استعان بنعم الله على معاصيه فقد كفر نعمة الله وبدلها كفرا وهو جدير أن يسلبها كما قيل

(1) بلوغ

اذا كنت في نعمة فارعها　　فان المعاصى تزيل النعم

وداوم عليها بشكر الاله　　فشكر الاله يزيل النقم

وخصوصا نعمة الاكل من لحوم بهيمة الانعام كما فى أيام التشريق فان هذه البهائم مطيعة لله لاتعصيه وهى مسبحة له قانتة كما قال تعالى ﴿ وان من شئ الا يسبح بحمده ﴾ وانها تسجد له كما أخبر بذلك في سورة النحل وسورة الحج وربما كانت أكثر ذكرا لله من بعض بنى آدم وفى المسند مرفوعا رب بهيمة خير من راكبها وأكثر لله منه ذكرا وقد أخبر الله تعالى في كتابه ان كثيرا من الجن والانس كالانعام بل هم أضل فاباح الله عزوجل ذبح هذه البهائم المطيعة الذاكرة له لعباده المؤمنين حتى تتقوى بها أبدانهم وتكمل لذاتهم في أكلهم اللحوم فانها من أجل الاغذية وألذها مع ان الابدان تقوم بغير اللحم من النباتات وغيرها لكن لاتكمل القوة والعقل واللذة الا باللحم فاباح للمؤمنين قتل هذه البهائم والاكل من لحومها ليكمل بذلك قوة عباده وعقولهم فيكون ذلك عونا لهم على علوم نافعة وأعمال صالحة يمتاز بها بنو آدم على البهائم وعلى ذكر الله عزوجل وهو أكثر من ذكر البهائم فلا يليق بالمؤمن مع هذا الامقابلة هذه النعم بالشكر عليها والاستعانة بها على طاعة الله عزوجل وذكره حيث فضل الله ابن آدم على كثير من المخلوقات وسخر له هذه الحيوانات قال الله تعالى ﴿ فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون ﴾ فأما من قتل هذه البهيمة المطيعة الذاكرة لله عزوجل ثم استعان بأكل لحومها على معاصى الله عزوجل ونسى ذكر الله عزوجل فقد قلب الامر وكفر النعمة فلا كان من كانت البهائم خيرا منه وأطوع شعر

نهارك يامغرور سهو وغفلة　　وليلك نوم والردي لك لازم

وتتعب فيما سوف تكره غبه　　كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

وانما نهى عن صيام أيام التشريق لانها أعياد للمسلمين مع يوم النحر فلا تصام بمنى ولاغيرها عند جمهور العلماء خلافا لعطاء في قوله ان النهى يختص بأهل منى وانما نهى

عن التطوع بصيامها سواء وافق عادة أولم يوافق فأما صيامها عن قضاء فرض أو نذر

أو صيامها بمنى للمتمتع اذا لم يجد الهدى ففيه اختلاف مشهور بين العلماء ولا فرق بين يوم منها ويوم عند الاكثرين الا عند مالك فانه قال في اليوم الثالث منها يجوز صيامه عن نذر خاصة وفى النهي عن صيام هذه الايام والامر بالاكل فيها والشرب سر حسن وهو ان الله تعالى لما علم مايلاقى الوافدون الى بيته من مشاق السفر وتعب الاحرام وجهاد النفوس على قضاء المناسك شرع لهم الاستراحة عقب ذلك بالاقامة بمنى يوم النحر وثلاثة أيام بعده وأمرهم بالاكل فيها من لحوم نسكهم فهم فى ضيافة الله عزوجل فيها لطفا من الله بهم ورأفة ورحمة وشاركهم أيضا أهل الامصار في ذلك لان أهل الامصار شاركوهم في حصول المغفرة والنصب لله والاجتهاد في عشر ذى الحجة بالصوم والذكر والاجتهاد في العبادات وشاركوهم في حصول المغفرة وفي التقرب الى الله تعالى باراقة دماء الاضاحى فشاركوهم فى أعيادهم واشترك الجميع فى الراحة فى أيام الاعياد بالاكل والشرب كما اشتركوا جميعا في أيام العشر فى الاجتهاد فى الطاعة والنصب وصار المسلمون كلهم فى ضيافة الله عزوجل فى هذه الايام يأكلون من رزقه ويشكرونه على فضله ونهوا عن صيامها لان الكريم لايليق به أن يجيع أضيافه فكانه قيل للمؤمنين فى هذه الايام قد فرغ عملكم الذى عملتموه فما بقى لكم الا الراحة فهذه الراحة بهذا كالتعب كما أريح الصائمون لله شهر رمضان بأمرهم بافطار يوم عيد الفطر ويؤخذ من هذا اشارة الى حال المؤمنين فى الدنيا فان الدنيا كلها أيام سفر كايام الحج وهو زمان احرام المؤمن عما حرم الله عليه من الشهوات فمن صبر فى مدة سفره على احرامه وكف عن الهوى فاذا انتهى سفر عمره ووصل الى منى المنى فقد قضى تفثه ووفى نذره فصارت أيامه كلها كايام منى أيام أكل وشرب وذكر الله عزوجل وصار فى ضيافة الله عزوجل في جواره أبد الابد ولهذا يقال لاهل الجنة (كلوا واشربوا هنيئا بما أسلفتم فى الايام الخالية - وكلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون) وقد قيل انها نزلت في الصوام فى الدنيا بيت

وقد صمت عن لذات دهري كلها ... ويوم لقاكم ذاك فطر صيامي

قال بعض السلف صم عن الدنيا وليكن فطرك الموت بيت

فصم يومك الادنى لعلك فى غد　　تفوز بعيد الفطر والناس صوم

من صام اليوم عن شهواته أفطر عليها غدا بعد وفاته ومن تعجل ماحرم عليه من لذاته عوقب بحرمان نصيبه من الجنة وفواته شاهد ذلك من شرب الخمر فى الدنيا لم يشربها في الآخرة ومن لبس الحرير لم يلبسه فى الآخرة شعر

أنت فى دار شتات　　فتأهب لشتاتك

واجعل الدنيا كيوم　　صمته عن شهواتك

وليكن فطرك عند الله فى يوم وفاتك

قال الله تعالى ﴿ والله يدعوا الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم ﴾ الجنة ضيافة الله أعدها للمؤمنين نزلا فيها مالاعين رأت ولا أذن سمعت ولاخطر على قلب بشر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اليها بالايمان والاسلام والاحسان فمن أجابه دخل الجنة وأكل من تلك الضيافة ومن لم يجب حرم خرج الترمذي عن جابر قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فقال رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسى وميكائيل عند رجلى فقال أحدهما لصاحبه اضرب له مثلا فقال اسمع سمعت اذناك واعقل عقل قلبك انما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ دارا ثم بنى فيها بناء وجعل فيها مائدة ثم بعث رسولا يدعو الناس الى طعامه فمنهم من أجاب الرسول ومنهم من تركه فالله تعالى هو الملك والدار هى الاسلام والبيت الجنة وأنت يامحمد رسول الله من أجابك دخل الاسلام ومن دخل الاسلام دخل الجنة ومن دخل الجنة أكل مافيها وخرجه البخاري بمعناه ولفظه مثله كمثل رجل بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن أجاب الداعى دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعى لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة والدار الجنة والداعى محمد صلى الله عليه وسلم في بعض الآثار الاسرائيلية يقول الله تعالى ابن آدم ما أنصفتنى أذكرك وتنسانى وأدعوك الىّ فتفر منى الى غيرى واذهب عنك البلايا وأنت منعكف على الخطايا

ابن آدم مايكون اعتذارك غدا اذا جئتني طوبي لمن أجاب مولاه ﴿ ياقومنا أجيبوا داعى الله ﴾ شعر

يانفس ويحك قد أتاك هواكى أجيبي فداعى الحق قدناداكي
كم قددعيت الى الرشاد فتعرضى وتجيبي داعي الغى حين دعاكي

كل مافي الدنيا يذكر بالآخرة فمواسمها وأعيادها وأفراحها تذكر بمواسم الآخرة وأعيادها وأفراحها صنع عبدالواحد بن زيد طعاما لاخوانه فقام عتبة الغلام على رؤس الجماعة يخدمهم وهو صائم فجعل عبدالواحد ينظر اليه ويسارقه النظر ودموع عتبة تجرى فسأله بعدذلك عن (١) ذلك حينئذ فقال ذكرت موائد الجنة والولدان قائمون على رؤسهم فصعق عبدالواحد ابدان العارفين في الدنيا وقلوبهم في الآخرة بيت

جسمى معى غيران الروح عندكم فالجسم فى غربة والروح فى وطن

أعياد الناس تنقضي فاما أعياد العارفين فدائمة قال الحسن كل يوم لانعصى الله فيه فهو لك عيد جاء بعضهم الى بعض العارفين فسلم عليه وقال له أريد أن أكلمك فقال اليوم لنا عيد فتركه ثم جاء يوما آخر فقال له مثل ذلك ثم جاء يوما آخر فقال له مثل ذلك فقال له ما أكثر أعيادك قال يابطال أماعلمت ان كل يوم لانعصى الله فيه فهو لنا عيد أوقات العارفين كلها فرح وسرور بمناجاة مولاهم وذكره فهى أعياد وكان الشبلي ينشد

اذا ما كنت لي عيدا فما أصنع بالعيد
جرى حبك فى قلبي كجرى الماء فى العود

وأنشد أيضا

عيدى مقيم وعيد الناس منصرف والقلب منى عن اللذات منحرف
ولى قرينان مالى منهما خلف طول الحنين وعين دمعها يكف

﴿ المجلس الرابع في ختام العام ﴾

خرج الامام أحمد من حديث جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاتتمنوا الموت فان

(١) نسخة عن بكائه

هول المطلع شديد وان من السعادة أن يطول عمر العبد ويرزقه الله الانابة فتمنى الموت يقع على وجوه منها تمنيه لضر دنيوي ينزل بالعبد فينهى حينئذ عن تمنى الموت وفي الصحيحين عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لايتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فان كان لا بد فاعلا فليقل اللهم أحينى ما كانت الحياة خيرا لى وتوفنى اذا كان الوفاة خيرا لى ووجه كراهيته فى هذا الحال ان المتمنى للموت لضر نزل به انما يتمناه تعجيلا للاستراحة من ضره وهو لايدرى الى مايصير بعد الموت فلعله يصير الى ضر أعظم من ضره فيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال انما يستريح من غفر له فلهذا لاينبغى له أن يدعو بالموت الا أن يشترط أن يكون خيرا له عندالله عزوجل فكذلك كل مالايعلم العبد فيه الخيرة له كالغنى والفقر وغيرهما كما يشرع له استخارة الله تعالى فيما يريد أن يعمله مما لا يعلم وجه الخيرة فيه وانما يسأل الله عزوجل على وجه الجزم والقطع مما يعلم انه خير محض كالمغفرة والرحمة والعفو والعافية والتقى والهدى ونحو ذلك ومنها تمنيه خوف الفتنة في الدين فيجوز حينئذ وقد تمناه ودعا به خشية فتنة الدين خلق من الصحابة وأئمة الاسلام وفى حديث المنام واذا أردت بقوم فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون ومنها تمني الموت عند حضور أسباب الشهادة اغتناما لحصولها فيجوز ذلك أيضا وسؤال الصحابة الشهادة وتعرضهم لها عند حضور الجهاد كثير مشهور وكذلك سؤال معاذ لنفسه وأهل بيته الطاعون لما وقع بالشام ومنها تمنى الموت لمن وثق بعمله شوقا الى لقاء الله عزوجل فهذا يجوز أيضا وقد فعله كثيرمن السلف قال أبوالدرداء أحب الموت اشتياقا الى ربى وقال أبوعنبسة الخولانى كان من قبلكم لقاء الله أحب اليه من الشهد وقال بعض العارفين طالت علىّ الايام والليالى بالشوق الى لقاء الله عزوجل وقال بعضهم طال شوقى اليك فعجل قدومى عليك وقال بعضهم لاتطيب نفسي بالموت الااذا ذكرت لقاء الله عزوجل فانني حينئذ اشتاق الى الموت كشوق الظمآن الشديد ظمؤه فى اليوم الحار الشديد حره الى الماء البارد الشديد برده وفي هذا يقول بعضهم

أشتاق اليك ياقريبا نائي　　شوق ظام الى زلال الماء

وقد دل على جواز ذلك قول الله عزوجل (قل ان كانت لكم الدار الآخرة عندالله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت) وقوله (قل ياأيها الذين هادوا ان زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس فتمنوا الموت) فدل ذلك على ان أولياء الله لايكرهون الموت بل يتمنونه ثم أخبر انهم (لايتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم) فدل على انه انما يكره الموت من له ذنوب يخاف القدوم عليها كما قال بعض السلف مايكره الموت الا مريب وفى حديث عمار بن ياسر عن النبى صلى الله عليه وسلم أسألك لذة النظر الى وجهك وشوقا الى لقائك في غير ضراء مضرة ولافتنة مضلة فالشوق الى لقاء الله تعالى انمايكون بمحبة الموت وذلك لايقع غالبا الاعند خوف ضراء مضرة في الدنيا أوفتنة مضلة في الدين فاما اذاخلا عن ذلك كان شوقا الى لقاء الله عزوجل وهوالمسؤل في هذا الحديث وفي المسند عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لايتمنين الموت الامن وثق بعمله فالمطيع لله مستأنس بربه فهو يحب لقاء الله والله يحب لقاءه والعاصى مستوحش بينه وبين مولاه وحشة الذنوب فهو يكره لقاء ربه ولابدله منه قال ذوالنون كل مطيع مستأنس وكل عاص مستوحش وفى هذا يقول بعضهم

أمستوحش أنت مما جنيت　　فاحسن اذاشئت واستأنس

(١) قال أبو بكر الصديق لعمر رضى الله عنهمافي وصيته له عند الموت ان حفظت وصيتى لم يكن غائب أحب اليك من الموت ولابد لك منه وان ضيعتها لم يكن غائب أكره اليك من الموت وان تعجزه قال أبو حازم كل عمل تكره الموت من أجله فاتركه ثم لايضرك متى مت العاصى يفر من الموت لكراهية لقاء الله وأين يفر من هو فى قبضة من يطلبه

أين المفر والاله الطالب　　والمجرم المغلوب ليس الغالب

سئل أبو حازم كيف القدوم على الله قال أما المطيع فكقدوم الغائب على أهله المشتاقين

(١) وصية الصديق للفاروق عندالموت رضى الله عنهما

اليه وأما العاصي فكقدوم الآبق على سيده الغضبان رؤى بعض الصالحين فى النوم فقيل له مافعل الله بك قال خيرا (١) لم ير مثل الكريم اذاحل به مطيع الدنيا كلها شهر صيام المتقين وعيد فطرهم يوم لقاء ربهم كما قيل

وقد صمت عن لذات دهري كلها ويوم لقاكم ذاك فطر صيامي

ومنها تمنى الموت على غير الوجوه المتقدمة فقد اختلف العلماء في كراهيته واستحبابه وقد رخص فيه جماعة من السلف وكرهه آخرون وحكى بعض أصحابنا عن أحمد فى ذلك روايتين ولايصح فان أحمد انما نص على كراهة تمنى الموت لضرر الدنيا وعلى جواز تمنيه خشية الفتنة فى الدين وربما أدخل بعضهم فى هذا الاختلاف القسم الذي قبله وفى ذلك نظر واستدل من كرهه بعموم النهى عنه كما فى حديث جابر الذى ذكرناه وفى معناه أحاديث أخر يأتي بعضها ان شاء الله تعالى وقد علل النهى عن تمنى الموت فى حديث جابر بعلتين احداهما ان هول المطلع شديد (١) وهول المطلع هومايكشف للميت عند حضور الموت من الاهوال التي لاعهد له بشيء منها فى الدنيا من رؤية الملائكة ورؤية أعماله من خير أوشر ومايبشر به عندذلك من الجنة والنار هذا مع مايلقاه من شدة الموت وكربه وغصصه وفى الحديث الصحيح اذاحملت الجنازة وكانت صالحة قالت قدموني قدموني وان كانت غير ذلك قالت ياويلها أين تذهبون بها يسمع صوتها كل شيء الا الانسان ولوسمعها الانسان لصعق قال الحسن لوعلم ابن آدم ان له فى الموت راحة وفرحا لشق عليه أن يأتيه الموت لما يعلم من فظاعته وشدته وهوله فكيف وهولا يعلم ماله فى الموت نعيم دائم أوعذاب مقيم بكى النخعى عند احتضاره وقال انتظر ملك الموت لاأدرى يبشرني بالجنة أوالنار (٣) فالمتمنى للموت كأنه يستعجل حلول البلاء وانما أمرنا بسؤال العافية وسمع ابن عمر رجلا يتمنى الموت فقال لاتتمني

(١) لم ير مثل الكريم اذاحل بهمطيع (٢) هول المطلع مايكشف للميت عند الموت
(٣) المتمنى للموت كالمستعجل لحلول البلاء والمأمور به هوسؤال العافية نسألك اللهم اياها مع العفو

الموت فانك ميت ولكن سل الله العافية قال ابراهيم بن أدهم ان للموت كاسا لايقوي عليها الاخائف وجل مطيع لله كان يتوقعها وقال أبوالعتاهية شعر

ألا للموت كأس أي كاس   وأنت لكأسه لابد حاسى

الى كم والممات الى قريب   تذكر بالممات وأنت نامى

جزع الحسن بن على رضى الله عنهما عند موته وقال انى أريد أن أشرف على مالم أشرف عليه قط وبكي الحسن البصري عند موته وقال نفيسة ضعيفة وأمر مهول عظيم وانا لله وانا اليه راجعون وكان حبيب العجمى عند موته يبكي ويقول أريد أن أسافر سفرا ماسافرته قط واسلك طريقا ماسلكته قط وأزور سيدي ومولاي وما رأيته قط واشرف على أهوال ماشاهدتها قط فهذا كله من هول المطلع الذي قطع قلوب الخائفين حتى قال عمر عند موته لوأن لى مافى الارض لافتديت به من هول المطلع ومن هول المطلع مايكشف للميت عند نزوله قبره من فتنة القبر فان الموتي يفتنون بالمسئلة في قبورهم مثل أوقريبا من فتنة المسيح الدجال ومايكشف لهم في قبورهم عن منازلهم من الجنة والنار ومايلقون من ضمة القبر وضيقه وهوله وعذابه ان لم يعاف الله من ذلك روئي بعض الصالحين في المنام بعد موته فسئل عن حاله فانشد

وليس يعلم مافي القبر داخله   الا الاله وساكن الاجداث

والعلة الثانية أن المؤمن لايزيد عمره الاخيرا فمن سعادته أن يطول عمره ويرزقه الله الانابة اليه والتوبة من ذنوبه السالفة والاجتهاد في العمل الصالح فاذا تمنى الموت فقد تمني انقطاع عمله الصالح فلاينبغى له ذلك وروى ابراهيم الحربي من رواية ابن لهيعة عن ابن الهاد عن ابن المطلب عن أبيه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال السعادة كل السعادة طول العمر فى طاعة الله عزوجل وقد روى هذا المعنى عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة فى صحيح البخارى عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لايتمنين أحدكم الموت اما محسنا فلعله أن يزداد خيرا واما مسيئا فلعله أن يستعتب وفى صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى

الله عليه وسلم قال لا يتمنين أحدكم الموت ولا يدع به من قبل أن يأتيه انه اذا مات أحدكم انقطع عمله وانه لا يزيد المؤمن عمره الا خيرا وفى مسند الامام أحمد عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يتمنين أحدكم الموت ولا يدع به من قبل أن يأتيه الا أن يكون قد وثق بعمله فانه ان مات أحدكم انقطع عنه عمله وانه لا يزيد المؤمن عمره الا خيرا وفيه عن أم الفضل رضى الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم سمع العباس وهو يشتكى فتمنى الموت فقال لا تتمن الموت فانك ان كنت محسنا تزداد احسانا الى احسانك وان كنت مسيئا فان تؤخر تستعتب من اساءتك خيرلك وفيه أيضا عن أبى امامة رضى الله عنه قال جلسنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرنا ورققنا فبكى سعد بن أبي وقاص فاكثر البكاء وقال ياليتنى مت فقال النبي صلى الله عليه وسلم ياسعد ان كنت خلقت للجنة فما طال من عمرك وحسن من عملك فهو خير لك وفي المعنى أحاديث أخر كثيرة وكلها تدل على النهى عن تمنى الموت بكل حال وان طول عمر المؤمن خيرله فانه يزداد فيه خيرا وهذا قد قيل انه يدخل فيه تمنيه للشوق الى لقاء الله وفيه نظر فان النبي صلى الله عليه وسلم قد تمناه في تلك الحال واختلف السالكون أيما أفضل من تمنى الموت شوقا الى لقاء الله أو من تمنى الحياة رغبة فى طاعة الله أو من فوض الامر الى الله ورضى باختياره له ولم يختر لنفسه شيئا واستدل طائفة من الصحابة على تفضيل الموت على الحياة بقول الله عز وجل ﴿ وما عند الله خير للابرار ﴾ ولكن الاحاديث الصحيحة تدل على ان عمر المؤمن كلما طال ازداد بذلك ماله عند الله من الخير فلا ينبغى له أن يتمنى انقطاع ذلك اللهم الا أن يخشى الفتنة على دينه فانه اذا خشى الفتنة على دينه فقد خشى أن يفوته ماعند الله من الخير ويتبدل ذلك بالشر عياذا بالله من ذلك والموت خير من الحياة على هذه الحال قال ميمون بن مهران لا خير في الحياة الا لتائب أو رجل يعمل في الدرجات يعنى ان التائب يمحو بالتوبة ماسلف من السيئات والعامل يجتهد في علو الدرجات ومن عداهما فهو خاسر كما قال تعالى ﴿ والعصر ان الانسان لفى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا

بالحق وتواصوا بالصبر﴾ فاقسم الله تعالى ان كل انسان خاسر الامن اتصف بهذه الاوصاف الاربعة الايمان والعمل الصالح والتواصى بالحق والتواصى بالصبر على الحق فهذه السورة ميزان للاعمال يزن المؤمن بها نفسه فيبين له بهار بحه من خسرانه ولهذا قال الشافعى رضى الله عنه لوفكر الناس كلهم فيها لكفتهم رأى بعض المتقدمين النبي صلى الله عليه وسلم في منامه فقال له أوصنى فقال له من استوى يوماه فهو مغبون ومن كان يومه شرا من أمسه فهو ملعون ومن لم يتفقد الزيادة في عمله فهو فى نقصان ومن كان فى نقصان فالموت خيرله قال بعضهم كان الصديقون يستحيون من الله أن يكونوا اليوم على مثل حالهم بالامس يشير الى انهم كانوا لايرضون كل يوم الا بالزيادة من عمل الخير ويستحيون من فقد ذلك ويعدونه خسرانا كما قيل بيت

أليس من الخسران ان لياليا   تمر بلا نفع وتحسب من عمرى

فالمؤمن القائم بشروط الايمان لايزداد بطول عمره الاخيرا ومن كان كذلك فالحياة خير له من الموت وفي دعاء النبى صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل الحياة زيادة لى في كل خير والموت راحة لى من كل شر خرجه مسلم وفى الترمذي عنه صلى الله عليه وسلم انه سئل أى الناس خير قال من طال عمره وحسن عمله قيل فاى الناس شر قال من طال عمره وساء عمله وفى المسند وغيره ان نفرا ثلاثة قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم فأسلموا فكانوا عند طلحة فبعث النبي صلى الله عليه وسلم بعثا فخرج فيهم أحدهم فاستشهد ثم بعث بعثا آخر فخرج آخر منهم فاستشهد ثم مات الثالث على فراشه قال طلحة فرأيتهم فى الجنة فرأيت الميت على فراشه أمامهم و رأيت الذي استشهد آخرا يليه ورأيت الذى استشهد أولهم آخرهم فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال وما أنكرت من ذلك ليس أفضل عند الله عزوجل من مؤمن يعمر فى الاسلام لتسبيحه وتكبيره وتهليله وفى رواية قال أليس قد مكث هذا بعده سنة قالوا بلى قال وأدرك رمضان فصامه قالوا بلى قال وصلى كذا وكذا سجدة في السنة قالوا بلى قال فلما بينهما أبعد مابين السماء والارض قيل لبعض السلف طاب الموت قال لاتفعل

لساعة تعيش فيها تستغفر الله خير لك من موت الدهر وقيل لشيخ كبير منهم تحب الموت قال لاقيل ولم قال ذهب الشباب وشره وجاء الكبر وخيره فاذاقمت قلت بسم الله واذا قعدت قلت الحمدلله فانا أحب أن يبقى لى هذا وقيل لشيخ آخر منهم مابقى مما تحب له الحياة قال البكاء على الذنوب ولهذا كان السلف الصالح يتأسفون عند موتهم على انقطاع أعمالهم عنهم بالموت وبكى معاذ عند موته وقال انما أبكي على ظما الهواجر وقيام ليل الشتاء ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر وبكى عبدالرحمن ابن الاسود عند موته وقال وا أسفاه على الصوم والصلاة ولم يزل يتلو القرآن حتي مات وبكى يزيد الرقاشي عند موته وقال أبكي على مايفوتني من قيام الليل وصيام النهار ثم بكى وقال من يصلي لك يايزيد بعدك ومن يصوم ومن يتقرب لك بالاعمال الصالحة ومن يتوب لك من الذنوب السالفة وجزع بعضهم عندموته وقال انما أبكي على أن يصوم الصائمون لله ولست فيهم ويصلي المصلون ولست فيهم ويذكر الذاكرون ولست فيهم فذلك الذي أبكاني شعر

تحمل أصحابى ولم يجدوا وجدى ... وللناس أشجان ولى شجن وحدي
أحبكم مادمت حيا فان أمت ... فوا أسفى ممن يحبكم بعدى

في الترمذي عن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعا مامن ميت مات الا ندم ان كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم أن لا يكون استعتب اذا كان المحسن يندم على ترك الزيادة فكيف يكون حال المسيء رأى بعض المتقدمين فى المنام قائلا يقول له شعر

ياخدانك ان توسد لينا ... وسدت بعدالموت صم الجندل
فاعمل لنفسك فى حياتك صالحا ... فلتندمن غدا اذا لم تفعل

ورأى آخر فى المنام قائلا يقول له شعر

ان كنت لاترتاب انك ميت ... ولست لبعد الموت ماأنت تعمل
فعمرك مايغنى وأنت مفرط ... واسمك في الموتى معد محصل

رؤى بعض الموتى في المنام فقال ماعندنا أكثر من الندامة ولاعندكم أكثر من الغفلة
وجد على قبر مكتوب شعر

ندمت على ماكان مني ندامة ⁂ ومن يتبع ماتشتهي النفس يندم
ألم تعلموا أن الحساب أمامكم ⁂ وان وراكم طالبا ليس يسام
فخافوا لكيما تأمنوا بعد موتكم ⁂ ستلقون ربا عادلا ليس يظلم
فليس لمغرور بدنياه راحة ⁂ سيندم ان زلت به النعل فاعلموا

الموتى في قبورهم يتحسرون على زيادة في أعمالهم بتسبيحة أو بركعة ومنهم من يسأل الرجعة الى الدنيا لذلك فلا يقدرون على ذلك قد حيل بينهم و بين العمل وغلقت منهم الرهون ورؤى بعضهم في المنام فقال ندمنا على أمر عظيم نعلم ولا نعمل وأنتم تعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان في صحيفة أحدنا أحب اليه من الدنيا ومافيها قال بعض السلف كل يوم يعيش فيه المؤمن غنيمة وقال بعضهم بقية عمر المؤمن لاقيمة له يعني انه يمكنه أن يمحو فيه ماسلف منه من الذنوب بالتوبة وأن يجتهد فيه في بلوغ الدرجات العالية بالعمل الصالح فاما من فرط في بقية عمره فانه خاسر فان ازداد فيه من الذنوب فذلك هو الخسران المبين الاعمال بالخواتيم من أصلح فيما بقي غفر له مامضى ومن أساء فيما بقي أخذ بما بقي ومامضى شعر

ياباائع عمره مطيعا أمله ⁂ في معصية الله كفعل الجهله
ان ساومك الجهل بباقيه فقل ⁂ باقي عمر المؤمن لاقيمة له

مامضى من العمر وان طالت أوقاته فقد ذهبت لذاته و بقيت تبعاته وكانه لم يكن اذا جاء الموت وميقاته قال الله عزوجل ﴿ أفرأيت ان متعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ماأغنى عنهم ما كانوا يمتعون ﴾ تلا بعض السلف هذه الآية و بكى وقال اذا جاء الموت لم يغن عن المرء ماكان فيه من اللذة والنعيم وفي هذا المعنى ماأنشده أبو العتاهية للرشيد حين بني قصره واستدعى اليه ندماءه شعر

عش ما بدالك سالما ⁂ في ظل شاهقة القصور

يسعى عليك بما اشتهيت لدى الرواح وفى البكور
فاذا النفوس تقعقعت في ضيق حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنا ما كنت الا في غرور

فى صحيح البخاري عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أعذر الله الى من بلغه ستين من عمره وفى الترمذى أعمار أمتى ما بين الستين الى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك وفى رواية حصاد أمتى من بلغ الخمسين فقد تنصف المائة فماذا ينتظر شعر

لهفى على خمسين عاما قد مضت كانت امامى ثم خلفتها
لوكان عمري مائة هدني تذكرى انى تنصفتها

فى بعض الكتب السالفة ان لله مناديا ينادى كل يوم أبناء الخمسين زرع دنا حصاده أبناء الستين هلموا الى الحساب أبناء السبعين ماذا قدمتم وماذا أخرتم أبناء الثمانين لاعذر لكم ليت الخلق لم يخلقوا وليتهم اذخلقوا علموا لماذا خلقوا وتجالسوا بينهم فتذاكروا ماعملوا الا أتتكم الساعة فخذوا حذركم وقال وهب ان لله مناديا ينادى فى السماء الرابعة كل صباح أبناء الاربعين زرع دنا حصاده أبناء الخمسين ماذا قدمتم وما أخرتم أبناء الستين لاعذر لكم وفي حديث ان الله يقول للحفظة ارفقوا بالعبد مادامت حداثته فاذا بلغ الاربعين حققا وتحفظا فكان بعض رواته يبكى عند روايته ويقول حين كبرت السن ورق العظم وقع التحفظ قال مسروق اذا أتتك الاربعون فخذ حذرك وقال النخعى كان يقال لصاحب الاربعين احتفظ بنفسك وكان كثير من السلف اذا بلغ الاربعين تفرغ للعبادة وقال عمر بن عبد العزيز تمت حجة الله على ابن الاربعين (١) فمات لها ورأى فى منامه قائلا يقول له شعر

اذا ما أتتك الاربعون فعندها فاخش الاله وكن للموت حذارا

يا أبناء العشرين كم مات من أقرانكم وتخلفتم يا أبناء الثلاثين أصبتم بالشباب على قرب من العهد فما تأسفتم يا أبناء الاربعين ذهب الصبا وأنتم على اللهو قد عكفتم يا أبناء

(١) كذا ومعناه أنه مات عمر في سن الاربعين

الخمسين تنصفتم المائة وما أنصفتم يا أبناء الستين أنتم على معترك المنايا قد أشرفتم أتلهون وتلعبون لقد أسرفتم شعر

وإذا تكامل للفتى من عمره | خمسون وهو الى التقى لم يجنح
عكفت عليه المخزيات فماله | متأخر عنها ولا متزحزح
واذا رأى الشيطان غرة وجهه | حيا وقال فديت من لا يفلح

قال الفضيل لرجل كم أتى عليك قال ستون سنة قال له أنت منذ ستين سنة تسير الى ربك يوشك أن تصل شعر

وان امرأ قد سار ستين حجة | الى منهل من ورده لقريب

يامن يفرح بكثرة مرور السنين عليه انما تفرح بنقص عمرك قال أبو الدرداء والحسن رضى الله عنهما انما أنت أيام كلما مضى منك يوم مضى بعضك شعر

انا لنفرح بالايام نقطعها | وكل يوم مضى يدنى من الاجل
فاعمل لنفسك قبل الموت مجتهدا | فانما الربح والخسران في العمل

قال بعض الحكماء كيف يفرح بالدنيا من يومه يهدم شهره وشهره يهدم سنته وسنته تهدم عمره كيف يفرح من يقوده عمره الي أجله وحياته الى موته شعر

نجد سرورا بالهلال اذا بدا | وماهو الا السيف للحتف ينتضى
اذا قيل تم الشهر فهو كناية | وترجمة عن شطر عمر قد انقضي

قال الحسن الموت معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من ورائكم وهى مراحل شعر

نسير الى الآجال في كل لحظة | وأعمارنا تطوى وهن مراحل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى | فعمرك أيام وهن قلائل

قال بعض الحكماء من كانت الليالى والايام مطاياه سارتا به وان لم يسر شعر

وما هذه الايام الا مراحل | يحث بها حادالى الموت قاصد
وأعجب شئ لو تأملت انها | منازل تطوى والمسافر قاعد

يامن كلما طال عمره زاد ذنبه يامن كلما ابيض شعره بمرور الايام اسود بالآثام قلبه شعر

شيخ كبير له ذنوب　　تعجز عن حملها المطايا

قد بيضت شعره الليالى　　وسودت قلبه الخطايا

يامن تمر عليه سنة بعد سنة وهو مستثقل في نوم الغفلة والسنة يامن يأتى عليه عام بعد عام وقد غرق في بحر الخطايا فعام يامن يشاهد الآيات والعبر كلما توالت عليه الاعوام والشهور ويسمع الآيات والسور ولا ينتفع بمايسمع ولابما يرى من عظائم الامورما الحيلة فيمن سبق عليه الشقاء في الكتاب المسطور ﴿ فانها لاتعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور - ومن لم يجعل الله له نورا فماله من نور ﴾ شعر

خليلى كم من ميت قد حضرته　　ولكننى لم انتفع بحضورى

وكم من ليالى قد أرتنى عجائبا　　لهن وأيام خلت وشهور

وكم من سنين قد طوتنى كثيرة　　وكم من أمور قد جرت وأمور

ومن لم يزده السن ماعاش عبرة　　فذاك الذى لايستنير بنور

﴿ فصل ويلتحق بوظائف شهور السنة الهلالية ﴾

﴿ وظائف فصول السنة الشمسية وفيه ثلاثة مجالس ﴾

(المجلس الاول فى ذكر فصل الربيع)

خرجا في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان أخوف ماأخاف عليكم مايخرج الله لكم من بركات الارض قيل مابركات الارض قال زهرة الدنيا فقال له رجل هل يأتى الخير بالشر فصمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت انه سينزل عليه ثم جعل يمسح عن جبينه قال أين السائل قال أنا قال لايأتى الخير الا بالخير ان هذا المال خضرة حلوة وان كل ما أنبت الربيع يقتل حبطا أويلم الا آكلة الخضر أكلت حتي اذا امتدت خاصرتاها استقبلت الشمس فاجترت وثلطت وبالت ثم عادت فأكلت وان هذا المال خضرة حلوة من أخذه بحقه ووضعه في حقه فنعم المعونة هو وان أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولايشبع كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف على أمته من فتح الدنيا عليهم فيخاف

عليهم الافتتان بها ففى الصحيحين عن عمرو بن عوف ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للانصار لما جاء مال من البحرين ابشروا وأملوا مايسركم فوالله ماالفقر أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم وكان آخر خطبة خطبها على المنبر حذر فيها من زهرة الدنيا ففى الصحيحين عن عقبة بن عامر ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر فقال انى لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدى ولكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها فتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم قال عقبة فكان آخر مارأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر وفى صحيح مسلم عن عبدالله بن عمرو ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا افتتحت عليكم خزائن فارس والروم أي قوم أنتم فقال عبدالرحمن بن عوف نقول كما أمرنا الله عزوجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو غير ذلك تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون وفى المسند عن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لاتفتح الدنيا على أحد الا ألقى الله بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة قال عمر وأنا أشفق من ذلك وفيه أيضا عن أبي ذر ان اعرابيا قال يارسول الله أكلتنا الضبع يعنى السنة والجدب فقال النبي صلى الله عليه وسلم غير ذلك أخوف منى عليكم حين تصب عليكم الدنيا صبا فليت أمتى لايلبسون الذهب وفى رواية الديباج وفيه أيضا عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ماأخشى عليكم الفقر ولكنى أخشى عليكم التكاثر ويروى من حديث عوف بن مالك وأبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الفقر تخافون والذى نفسى بيده لتصبن عليكم الدنيا صبا حتى لايزيغ قلب أحدكم ان أزاغه الاهي وفي رواية عوف فان الله فاتح عليكم فارس والروم وفى المعنى أحاديث أخر وفي الترمذي انه صلى الله عليه وسلم قال لكل أمة فتنة وان فتنة أمتي المال فقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث أبي سعيد ان أخوف ما أخاف عليكم مايخرج الله لكم من بركات الارض ثم فسره بزهرة الدنيا ومراده مايفتح على أمته منها من ملك فارس والروم وغيرهم من الكفار الذين ورثت

هـذه الامة ديارهم وأموالهم وأراضيهم التى تخرج منها زروعهم وثمارهم وأنهارهم ومعادنهم وغير ذلك مما يخرج من بركات الارض وهذا من أعظم المعجزات وهو اخباره بظهور أمته على كنوز فارس والروم وأموالهم وديارهم ووقع على ما أخبر به ولكنه لماسمى ذلك بركات الارض وأخبر انه أخوف مايخافه عليهم أشكل ذلك على بعض من سمعه حيث سماه بركة ثم خاف منه أشد الخوف فان البركة انما هى خير ورحمة وقد سمى الله تعالى المال خيرا في مواضع كثيرة من القرآن فقال تعالى ﴿ وانه لحب الخير لشديد ﴾ وقال ﴿ ان ترك خيرا الوصية للوالدين والاقربين ﴾ وقال تعالى عن سليمان عليه السلام ﴿ اني أحببت حب الخير عن ذكر ربى ﴾ فلما سأله السائل هل يأتي الخير بالشر صمت النبى صلى الله عليه وسلم حتى ظنوا انه أوحى اليه والظاهر ان الامر كان كذلك ويدل عليه انه ورد فى رواية لمسلم فى هذا الحديث فافاق يمسح عنه الرحضاء وهو العرق وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أوحى اليه يتحدر منه مثل الجمان من العرق من شدة الوحى وثقله عليه وفى هذا دليل على انه صلى الله عليه وسلم كان اذا سئل عن شئ لم يكن أوحى اليه فيه شئ انتظر الوحى فيه ولم يتكلم فيه بشئ حتى يوحى اليه فيه فلما نزل عليه جواب ماسئل عنه قال أين السائل قال هاأنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الخير لايأتى الا بالخير وفي رواية لمسلم فقال أوخير هو وفى ذلك دليل على ان المال ليس بخير على الاطلاق بل منه خير ومنه شر ثم ضرب مثل المال ومثل من يأخذه بحقه ويصرفه في حقه ومن يأخذه من غير حقه ويصرفه فى غير حقه فالمال فى حق الاول خير وفى حق الثانى شر فتبين بهذا ان المال ليس بخير مطلق بل هو خير مقيد فان استعان به المؤمن على ماينفعه فى آخرته كان خيراله والا كان شراله فأما المال فقال انه خضرة حلوة وقدوصف المال والدنيا بهذا الوصف فى أحاديث كثيرة ففي الصحيحين عن حكيم بن حزام انه سأل النبي صلى الله عليه وسلم فأعطاه ثم سأله فأعطاه ثم سأله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ياحكيم ان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه

وكان كالذى يأكل ولا يشبع وفى صحيح مسلم عن أبى سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدنيا خضرة حلوة وان الله مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء فان أول فتنة بنى اسرائيل كانت فى النساء واستخلافهم فيها هو ماأورثهم الله منها مما كان فى أيدي الامم من قبلهم كفارس والروم وحذرهم من فتنة الدنيا وفتنة النساء خصوصا فان النساء أول ماذكره الله من شهوات الدنيا ومتاعها في قوله تعالى ﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا﴾ وفي المسند والترمذى عن خولة بنت قيس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان هذا المال خضرة حلوة فمن أصابه بحقه بورك له فيه ورب متخوض فيما شاءت نفسه من مال الله ورسوله ليس له يوم القيامة الا النار وفي المسند أيضا عن خولة بنت ثامر الانصارية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الدنيا خضرة حلوة وان رجالا سيخوضون في مال الله بغير حق لهم النار يوم القيامة وخرج البخارى من قوله ان رجالا الى آخره وفى المسند أيضا عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان هذه الدنيا خضرة حلوة فمن آتيناه منها شيئا بطيب نفس أوطيب طعمة ولا اسراف بورك له فيه ومن آتيناه منها شيئا بغير طيب نفس منا وغير طيب طعمة واسراف منه لم يبارك له فيه وفي المعنى أحاديث أخر وقوله صلى الله عليه وسلم ان مما ينبت الربيع يقتل حبطا أويلم الا آكلة الخضر مثل آخر ضربه صلي الله عليه وسلم لزهرة الدنيا وبهجة منظرها وطيب نعيمها وحلاوته في النفوس فمثله كمثل نبات الربيع وهو المرعي الخضر الذى ينبت في زمان الربيع فانه يعجب الدواب التى ترعى فيه وتستطيبه وتكثر من الاكل منه أكثر من قدر حاجتها لاستحلائها له فاما أن يقتلها فتهلك وتموت حبطا والحبط انتفاخ البطن من كثرة الاكل أو يقارب قتلها ويلم به فتمرض منه مرضا مخوفا مقاربا للموت فهذا مثل من يأخذ من الدنيا بشره وجوع نفس من حيث لاحت له لا بقليل يقنع ولا بكثير يشبع ولا بحلال ولا بحرم بل الحلال عنده ماحل بيده وقدر عليه والحرام

عنده مامنع منه وعجز عنه فهذا هو المتخوض فى مال الله ورسوله فيما شاءت نفسه وليس له الا النار يوم القيامة كما فى حديث خولة المتقدم والمراد بمال الله ومال رسوله الاموال التي يجب على ولاة الامور حفظها وصرفها في طاعة الله ورسوله من أموال الفيء والغنائم ويتبع ذلك مال الخراج والجزية وكذا أموال الصدقات التي تصرف للفقراء والمساكين كمال الزكاة والوقف ونحو ذلك وفى هذا تنبيه على أن من تخوض من الدنيا في الاموال المحرم أكلها كمال الربا ومال الايتام الذي من أكله أكل نارا والمغصوب والسرقة والغش في البيوع والخداع والمكر وجحد الامانات والدعاوى الباطلة ونحوها من الحيل المحرمة أولى أن يتخوض صاحبها في نار جهنم غدا فكل هذه الاموال وماأشبهها يتوسع بها أهلها فى الدنيا ويتلذذون بها ويتوصلون بها الى لذات الدنيا وشهواتها ثم ينقلب ذلك بعد موتهم فيصير جمرا من جمر جهنم فى بطونهم فما تفى لذتها بتبعتها كما قيل

تفنى اللذاذة ممن نال لذتها من الحرام ويبقى الاثم والعار
تبقى عواقب سوء من مغبتها لاخير فى لذة من بعدها النار

فلهذا شبه النبى صلى الله عليه وسلم من يأخذ الدنيا بغير حقها ويضعها في غير حقها بالبهائم الراعية من خضراء الربيع حتى تنتفخ بطونها من أكله فاما أن يقتلها واما أن يقارب قتلها فكذلك من أخذ الدنيا من غير حقها ووضعها في غير وجهها اما أن يقتله ذلك فيموت به قلبه ودينه وهو من مات على ذلك من غير توبة منه واصلاح حال فيستحق النار بعمله قال الله تعالى ﴿ والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الانعام والنار مثوي لهم ﴾ وهذا هو الميت حقيقة فان الميت من مات قلبه كما قيل

ليس من مات فاستراح بميت انما الميت ميت الاحياء

واما أن يقارب موته ثم يعافى وهو من أفاق من هذه السكرة وتاب قبل موته وقد قال على رضى الله عنه فى كلامه المشهور في أقسام حملة العلم أو منهوم باللذات سلس القياد للشهوات أو مغرى بجمع الاموال والادخار وليسوا من رعاة الدين أقرب شبها بهم

الانعام السارحة وفي الابيات المشهورة التى كان عمر بن عبدالعزيز ينشدها كثيرا

نهارك يامغـرور سهو وغفـلة　　وليلك نوم والردى لك لازم

وتتعب فيما سوف تكره غبه　　كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

وأما استثناؤه صلى الله عليه وسلم من ذلك آكلة الخضر فمراده بذلك مثل المقتصد الذي يأخذ من الدنيا بحقها مقدار حاجتـه فاذا نفذواحتاج عاد الى الاخـذ منها قدر الحاجة بحقه وآكلة الخضر دويبة تأكل من الخضر بقـدر حاجتها اذا احتاجت الى الاكل ثم تصرفه عنها فتستقبل عين الشمس فتصرف بذلك مافى بطنها وتخرج منه مايؤذيها من الفضلات وقد قيل ان الخضر ليس من نبات الربيع عند العرب انما هو من كلا الصيف بعد يبس العشب وهيجه واصفراره والماشـية من الابل لاتستكثر منه بل تأخذ منه قليلا قليلا ولاتحبط بطونها منه فهذا مثل المؤمن المقتصد من الدنيا يأخذ من حلالها وهو قليل بالنسبة الى حرامها قدر بلغته وحاجته ويجتزى من متاعها بادونه وأخشنه ثم لايعود الى الاخذ منها الا اذا انفذ ماعنده وخرجت فضلاته فلا يوجب له هذا الاخـذ ضررا ولامرضا ولاهلاكا بل يكون ذلك بلاغا له ويتبلغ به مدة حياته ويعينه على التزود لآخرته وفى هذا اشارة الى مدح من أخذ من حـلال الدنيا بقدر بلغته وقنع بذلك كما قال صلى الله عليه وسلم قد أفلح من هداه الله الى الاسـلام وكان عيشه كفافا فقنع به وقال صلى الله عليه وسلم خير الرزق مايكفى وقال اللهم اجعل رزق آل محمد قوتا شعر

خذ من الرزق ما كفا　　ومن العيش ماصـفا

كل هـذا سينقضى　　كسراج اذا انطفا

ثم قال صـلى الله عليه وسـلم ان هذا المال خضرة حلوة فاعاده مرة ثانية تحذيرا من الاغترار به لخضرته بهجة منظره وحلاوته طيب طعمه فلذلك تشتهيه النفوس وتسارع الى طلبه ولكن لو فكرت فى عواقبه لهربت منه * الدنيا في الحال حلوة خضرة وفى المآل مرة كدرة نعمت المرضعة وبئست الفاطمة شعر

انما الدنيا نهار ضوءه ضوء معار
بينما عيشك غض ناعم فيه اخضرار
اذ رماه زمناه فاذا فيه اصفرار
وكذاك الليل يأتي ثم يمحوه النهار

مثل حرام الدنيا كشجرة الدفلى تعجب من رآها وتقتل من أكلها

نرى الدنيا وزهرتها فنصبوا وما يخلو من الشهوات قلب
فضول العيش أكثره هموم وأكثر مايضرك ماتحب
اذا اتفق القليل وفيه سلم فلا ترد الكثير وفيه حرب

الذي بشر أمته بفتح الدنيا عليهم حذرهم من الاغترار بزهرتها وخوفهم من خضرتها وحلاوتها وأخبرهم بخرابها وفنائها وان بين أيديهم دارا لاتنقطع خضرتها وحلاوتها فمن وقف مع زهرة هذه العاجلة انقطع وهلك ومن لم يقف معها وسار الى تلك وصل ونجاه في المسند عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم أتاه فيما يري النائم ملكان فقعد أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فقال أحدهما للآخر اضرب له مثلا فقال ان مثله ومثل أمته كمثل قوم سفر انتهوا الى رأس مفازة فلم يكن معهم من الزاد مايقطعون به المفازة ولاما يرجعون به فبيناهم كذلك اذ أتاهم رجل فى حلة حبرة فقال أرأيتم ان وردت بكم رياضا معشبة وحياضا رواء أتتبعوني قالوا نعم قال فانطلق بهم فاوردهم رياضا معشبة وحياضا رواء فأكلوا وشربوا وسمنوا فقال لهم ألم ألفكم على تلك الحال فجعلتم لى ان وردت بكم رياضا معشبة وحياضا رواء أن تتبعونى قالوا نعم (1) قال فانطلق بهم فاوردهم رياضا معشبة وحياضا رواء فأكلوا وشربوا وسمنوا فقال لهم ألم ألفكم على تلك الحال فجعلتم لي ان وردت بكم رياضا معشبة وحياضا رواء أن تتبعوني قالوا بلى قال فان بين أيديكم رياضا هى أعشب من هذه وحياضا هى

(1) هذا مكرر من قوله نعم الى قوله قالوا بلى كما هو ظاهر ولعله سبق قلم من ناسخ الاصل المنتسخ منه هذا

أروى من هذه فاتبعوني قال فقالت طائفة صدق والله لنتبعنه وقالت طائفة قد رضينا بهذا نقيم عليه وقد خرجه ابن أبي الدنيا وغيره عن الحسن مرسلا بسياق أبسط من هذا وفيه انهم لمارتعوا وسمنوا وأعجبهم المنزل صاح بهم فقال ارتحلوا فان هذه الروضة ذاهبة وان هذا الماء غائر ذاهب وان امامكم روضة أعشب من هذه وماء أروى من هـذا الماء فكره ذلك عامـة الناس وقالوا ماتريد بهذه بدلا وهم أكثر الناس وقال آخرون والله ان آخر قوله كاوله ارتحلوا فابوا فارتحل قوم فنجوا ولم يشعر الذين أقاموا حتى طرقهم العدو ليلا فاصبحوا بين أسير وقتيل الدنيا خضراء الدمن ومعـني ذلك ان خضرتها نابتة على مزبلة منتنة يادنى الهمة قنعت بروضة على مزبلة والملك يدعوك الى فردوسه الاعلى ﴿أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا فى الآخرة الا قليل﴾ أرضيتم بخرابات البلى في الفردوس الاعلى يالها صـفقة غبن أتقنع بخسائس الحشائش والرياض معشبة بين يديك وقوله صلى الله عليه وسلم من أخذه بحقه ووضعه فى حقه فنعم المعونة هو ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولايشبع تقسيم لمن يأخذ المال على قسمين فاحدهما يشبه حال آكلة الخضر وهو من أخذه بحقه ووضعه فى حقه وذكر انه نعم المعونة هو فانه نعم العون لمن هذه صفته على الآخرة كما في حديث عمرو بن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم المال الصالح للرجل الصالح وهو الذي يأخذه بحقه ويضعه في حقه فهذا يوصله ماله الى الله عزوجـل فمن أخذ من المال بحقه مايقويه على طاعة الله ويستعين به عليها كان أخذه طاعة ونفقته طاعة وفي الحديث الصحيح عن النبي صـلى الله عليه وسلم قال انك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله الا أجرت عليها حتى اللقمة ترفعها الى في امرأتك وفي حديث آخر ماأطعمت نفسك فهو لك صدقة وماأطعمت أهلك فهو لك صدقة وماأطعمت ولدك فهو لك صدقة وما أطعمت خادمك فهو لك صدقة فما أخذ من الدنيا بنية التقوى على طلب الآخرة فهو داخل في قسم ارادة الآخرة والسعى لها لافي ارادة الدنيا والسعى لها قال الحسن ليس من حب الدنيا طلبك مايصلحك فيها ومن زهدك فيها ترك الحاجة يسدها عنك تركها

ومن أحب الدنيا وسرته ذهب خوف الآخرة من قلبه وقال سعيد بن جبير متاع الغرور مايلهيك عن طلب الآخرة ومالم يلهك فليس متاع الغرور ولكنه بلاغ الي ماهو خير منه وقال بعض العارفين كل ماأصبت من الدنيا تريد به الدنيا فهو مذموم وكل ماأصبت منها تريد به الآخرة فليس من الدنيا وقال أبو سليمان الدنيا حجاب عن الله لاعدائه ومطية موصلة اليه لاوليائه فسبحان من جعل شيئا واحدا سببا للاتصال به والانقطاع عنه والقسم الثاني يشبه حاله حال البهائم التى ترعى ممايُنبت الربيع فيقتلها حبطا أويلم وهو من يأخذ المال بغير حقه فيأخذه من الوجوه المحرمة فلا يقنع منه بقليل ولا بكثير ولا يشبع نفسه منه ولهذا قال وكان كالذى يأكل ولا يشبع وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتعوذ من نفس لاتشبع وفي حديث زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم قال من كانت الدنيا همه فرق الله عليه أمره وجعل فقره بين عينيه ولم يأته من الدنيا الاما كتب له فمن كان فقره بين عينيه لم يزل خائفا من الفقر لايستغني قلبه بشئ ولا يشبع من الدنيا فان الغنى غنى القلب والفقر فقر النفس وفي حديث خرجه الطبراني مرفوعا الغنى في القلب والفقر فى القلب ومن كان الغنى في قلبه فلا يضره مالقى من الدنيا ومن كان الفقر فى قلبه فلا يغنيه ما أكثر له منها وانما يضر نفسه وعن عيسى عليه السلام قال مثل طالب الدنيا كشارب البحر كلما زاد شربا منه زاد عطشا حتي يقتله قال يحيى بن معاذ من كان غناه فى قلبه لم يزل غنيا ومن كان غناه فى كسبه لم يزل فقيرا ومن قصد المخلوقين لحوائجه لم يزل محروما ويشهد لذلك كله الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم لوكان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا ولايملأ جوف ابن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب لوفكر الطامع في عاقبة الدنيا لقنع ولوتذكر الجائع الى فضول ماكلها لشبع شعر

هب انك قد ملكت الارض طرا … ودان لك العباد فكان ماذا
أليس اذا مصيرك جوف قبر … ويحثى الترب هذا ثم هذا

وقد ضرب الله في كتابه مثل الدنيا وخضرتها ونضرتها وبهجتها وسرعة تقلبها وزوالها

وجعل مثلها كمثل نبات الارض النابت من مطر السماء فى تقلب أحواله ومآله قال الله تعالى ﴿واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدرا﴾ وقل تعالى ﴿انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أونهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون﴾ وقل تعالى ﴿انما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحياة الدنيا الامتاع الغرور﴾ وقل تعالى ﴿ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع فى الارض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يجعله حطاما ان في ذلك لذكرى لاولى الالباب﴾ فالدنيا وجميع مافيها من الخضرة والبهجة والنضرة تتقلب أحواله وتتبدل ثم تصير حطاما يابسا وقد عدد الله سبحانه زينة الدنيا ومتاعها المبهج فى قوله تعالى ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب﴾ وهذا كله يصير ترابا ماخلا الذهب والفضة ولا ينتفع باعيانهما بل هما قيم الاشياء فلا ينتفع صاحبهما بامساكهما وانما ينتفع بانفاقهما ولهذا قال الحسن بئس الرفيق الدرهم والدينار لا ينفعانك حتى يفارقانك وأجسام بنى آدم بل وسائر الحيوانات كنبات الارض تتقلب من حال الى حال ثم تجف وتصير ترابا قل الله تعالى ﴿والله أنبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا﴾ بيت

وما المرء الا كالنبات وزهره يعود رفاتا بعد ماهو ساطع

فينتقل ابن آدم من الشباب الي الهرم ومن الصحة الى السقم ومن الوجود الى العدم كما قيل

وما حالاتنا الا ثلاث　　شباب ثم شيب ثم موت
وآخر مايسمى المرء شيخا　　ويتلوه من الاسماء ميت

مدة الشباب قصيرة كمدة زهر الربيع وبهجته ونضارته فاذا يبس وابيض فقد آن ارتحاله كان الزرع اذا ابيض فقد آن حصاده وأجل زهور الربيع الورد ومتى كثر فيه البياض فقد قرب زمان انتقاله قال وهيب بن الورد ان لله ملكا ينادى في السماء كل يوم أبناء الخمسين زرع دنا حصاده وفي حديث مرفوع ان لكل شئ حصادا وحصاد أمتى مابين الستين الي السبعين بيت

قد يبلغ الزرع منتهاه　　لابد للزرع من حصاد

وقد يدرك الزرع آفة قبل بلوغ حصاده فيهلك كما أشير اليه فى قوله تعالى ﴿حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أونهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس﴾ قال ميمون بن مهران لجلسائه يامعشر الشيوخ ماينتظر بالزرع اذا ابيض قالوا الحصاد فنظر الى الشباب فقال يامعشر الشباب ان الزرع قد تدركه الآفة قبل أن يستحصد وقال بعضهم أكثر من يموت الشباب وآية ذلك ان الشيوخ في الناس قليل شعر

أيا ابن آدم لا يغررك عافية　　عليك صافية فالعمر معدود
ما أنت الا كزرع عند خضرته　　بكل شئ من الآفات مقصود
فان سلمت من الآفات أجمعها　　فانت عند كمال الامر محصود

كل ما فى الدنيا فهو مذكر بالآخرة ودليل عليه فنبات الارض واخضرارها فى الربيع بعد محولها ويبسها فى الشتاء وايناع الاشجار واخضرارها بعد كونها خشبا يابسا يدل على بعث الموتى من الارض وقد ذكر الله تعالى ذلك فى كتابه في مواضع كثيرة قال الله تعالى ﴿وترى الارض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ذلك بأن الله هو الحق وانه يحي الموتى وانه على كل شئ قدير وان الساعة آتية لاريب فيها وان الله يبعث من في القبور﴾ وقال الله تعالى ﴿ ونزلنا من

السماء ماء مباركا فانبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج﴾ وقال الله تعالى ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتي لعلكم تذكرون﴾ قال أبو رزين للنبي صلى الله عليه وسلم ﴿كيف يحيي الله الموتى﴾ وما آية ذلك في خلقه قال هل مررت بواد أهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا قال نعم قال كذلك يخرج الله الموتي وذلك آيته في خلقه خرجه الامام أحمد وقصر مدة الزرع والثمار وعود الارض بعد ذلك الي يبسها والشجر الى حالها الاول كعود ابن آدم بعد كونه حيا الى التراب الذى خلق منه وفصول السنة تذكر بالآخرة فشدة حر الصيف يذكر بحر جهنم وهو من سمومها وشدة برد الشتاء يذكر بزمهرير جهنم وهو من زمهريرها والخريف يكمل فيه اجتناء ثمرات الاعمال في الآخرة وأما الربيع فهو أطيب فصول السنة وهو يذكر بنعيم الجنة وطيب عيشها وينبغى أن يحث المؤمن على الاستعداد لطلب الجنة بالاعمال الصالحة كان بعض السلف يخرج فى أيام الرياحين والفواكه الى السوق فيقف وينظر ويعتبر ويسأل الله الجنة ومر سعيد بن جبير بشباب من أبناء الملوك جلوس في مجالسهم فى زينتهم فسلموا عليه فلما بعد عنهم بكي واشتد بكاؤه وقال ذكرني هؤلاء شباب أهل الجنة ياهذا تزوج صلة بن أشيم بمعاذة العدوية وكانا من كبار الصالحين فادخله ابن أخيه الحمام ثم أدخله على زوجته فى بيت مطيب منجد فقاما يصليان الى الصباح فسأله ابن أخيه عن حاله فقال أدخلتنى بالامس بيتا أذكرتني به النار يعنى الحمام وأدخلتنى الليلة بيتا أذكرتنى به الجنة فلم يزل فكرى في الجنة والنار الى الصباح دعا عبدالواحد ابن زيد اخوانه الى طعام صنعه اليهم فقام على رؤسهم عتبة الغلام يخدمهم وهو صائم وهم يأكلون فجعلت عيناه تهملان فسأله عبدالواحد عن سبب بكائه فقال ذكرت موائد أهل الجنة اذا أكلوا وقام الولدان على رؤسهم انما خلقت الدنيا مرآة لتنظر بها الى الآخرة لا لتنظر اليها وتوقف معها شعر

كفى حزنا أن لا أعاين بقعة ... من الارض الا ازددت شوقا اليكم
وانى متى ماطاب لى خفض عيشة ... تذكرت أياما مضت لى لديكم

تدقيق النظر والفكر في حال النبات يستدل به المؤمن على عظمة خالقه وكمال قدرته ورحمته فتزداد القلوب هيمانا فى محبته والى ذالك الاشارة بقوله ﴿ وهو الذى أنزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شئ فاخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا أثمر وينعه ان فى ذلكم لآيات لقوم يؤمنون ﴾ زمان الربيع كله واعظ يذكر بعظمة موجده وكمال قدرته ويشوق الى طيب مجاورته فى دار كرامته كما قال ابن سمعون فى وصف الربيع أرضه حرير وأنفاسه عبير وأوقاته كلها وعظ وتذكير شعر

ياقومنا فاح الربيع ... ولاح للاحباب يحدو
الزهر مسك والرياض أريضة والماء جعد
والطل منثور وفى ... جيد الشقائق منه عقد
هذا النسيم معنبر ... وضباب هذا النوء ند
والغصن يرقص والغديـر مصفق والورق تشدو
والجو بعض منه يا ... قوت وبعض لازورد
والكل يشهد أن صا ... نعه قدير وهو فرد

ولبعضهم في وصف زمان الربيع شعر

الطل فى سلك الغصون كلؤلؤ ... رطب يصافحه النسيم فيسقط
والطير يقرا والغدير صحيفة ... والريح يكتب والغمام ينقط

رؤي بعض الشعراء المتقدمين فى المنام بعد موته فسئل عن حاله فقال غفر لى بابيات قلتها في النرجس شعر

تفكر فى نبات الارض وانظر ... الى آثار ما صنع المليك

عيون من اللجين ناظرات ... باحداق هى الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات ... بأن الله ليس له شريك

سبحان من سبحت المخلوقات بحمده فملأ الاكوان تحميده وأفصحت الكائنات بالشهادة بوحدانيته فوضح توحيده يسبحه النبات جمعه وفريده والشجر عتيقه وجديده ويمجده رهبان الطيور في صوامع الاشجار فيطرب السامع تمجيده كلما درس الهزار درس شكره فالبلبل بالحمد معيده وكلما أقام خطيب الحمام النوح على منابر الدوح هيج المستهام نوحه وتغريده ﴿ أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق ثم يعيده ﴾ واعجبا للمتقلب بين مشاهدة حكمه وتداول نعمه ثم لايشكر نعمه ولايبصر حكمه وأعجب من ذلك أن يعصي المنعم بنعمه هذا عود شجر الكرم يكون يابسا طول الشتاء ثم اذاجاء الربيع دب فيه الماء واخضر ثم يخرج الحصرم فينتفع الناس به حامضا ويتناولون منه طبخا واعتصارا ثم ينقلب حلوا فينتفع الناس به حلوا رطبا ويابسا ويستخرجون منه ماينتفعون بحلاوته طول العام وماياتدمون بحمضه وهو نعم الادام فهذه التنقلات توجب للعاقل الدهش والتعجب من صنع صانعه وقدرة خالقه فينبغى له أن يفرغ عقله للتفكر فى هذه النعم والشكر عليها وأما الجاهل فيأخذ العنب فيجعله خمرا فيغطى به العقل الذى ينبغى أن يستعمل في الفكر والشكر حتى ينسى خالقه المنعم عليه بهذه النعم كلها فلا يستطيع بعد السكر أن يذكره ولايشكره بل ينسى من خلقه ورزقه فلا يعرفه في شكره بالكلية وهذه نهاية كفر النعم شعر

فوا عجبا كيف يعصي الاله ... أم كيف يجحده الجاحد
ولله فى كل تحريكة ... وتسكينة أبدا شاهد
وفى كل شئ له آية ... تدل على انه الواحد

ومن وجوه الاعتبار فى النظر الى الارض التي أحياها الله بعد موتها فى فصل الربيع بما ساق اليها من قطر السماء انه يرجى من كرمه أن يحيي القلوب الميتة بالذنوب وطول الغفلة بسماع الذكر النازل من السماء والي ذلك الاشارة بقوله تعالى ﴿ ألم يأن للذين

آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق ﴾ الى قوله ﴿ اعلموا أن الله يحيي الارض بعد موتها ﴾ ففيه اشارة الى أن من قدر على احياء الارض بعد موتها بوابل القطر فهو قادر على احياء القلوب الميتة القاسية بالذكر عسى لمحة من لمحات عطفه ونفحة من نفحات لطفه وقد صلح من القلوب كل مافسد بيت

عسى فرج يأتي به الله انه　　له كل يوم فى خليقته أمر

اذا اشتد عسر فارج يسرا فانه　　قضى الله ان العسر يتبعه يسر

عسى من أحيا الارض الميتة بالقطر أن يحيي القلوب الميتة بالذكر عسى نفحة من نفحات رحمته تهب فمن أصابته سعد سعادة لايشقى بعدها أبدا شعر

اذا ماتجدد فصل الربيع　　تجدد للقلب فضل الرجاء

عسى الحال يصلح بعد الذنوب　　كما الارض تهتز بعد الشتاء

ومن ذا الذي ليس يرجوك ربي　　وربع عطائك رحب الفناء

﴿ المجلس الثاني في ذكر فصل الصيف ﴾

خرجا في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال اشتكت النار الى ربها فقالت يارب أكل بعضى بعضا فاذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فاشد ماتجدون من الحر من سموم جهنم واشد ماتجدون من البرد من زمهرير جهنم لاشك ان الله تعالى خلق لعباده دارين يجزيهم فيها باعمالهم مع البقاء في الدارين من غير موت وخلق دارا معجلة للاعمال وجعل فيها موتا وحياة وابتلى عباده فيها بماأمرهم به ونهاهم عنه وكلفهم فيها الايمان بالغيب ومنه الايمان بالجزاء والدارين المخلوقتين له وأنزل بذلك الكتب وأرسل به الرسل وأقام الادلة الواضحة على الغيب الذى أمر بالايمان به وأقام علامات وأمارات تدل على وجود داري الجزاء فان احدي الدارين المخلوقتين للجزاء دار نعيم محض لايشوبه ألم والاخرى دار عذاب محض لايشوبه راحة وهذه الدار الفانية ممزوجة بالنعيم والالم فما فيها من النعيم يذكر بنعيم الجنة ومافيها من الالم يذكر بألم النار وجعل الله تعالى فى

هذه الدار أشياء كثيرة تذكر بدار الغيب المؤجلة الباقية فمنها مايذكر بالجنة من زمان ومكان أما الاماكن فخلق الله بعض البلدان كالشام وغيرها فيها من المطاعم والمشارب والملابس وغير ذلك من نعيم الدنيا مايذكر بنعيم الجنة وأما الازمان فكزمن الربيع فانه يذكر طيبه بنعيم الجنة وطيبها وكاوقات الاسحار فان بردها يذكر ببرد الجنة وفي الحديث الذى خرجه الطبرانى ان الجنة تفتح في كل ليلة في السحر فينظر الله اليها فيقول لها ازدادي طيبا لاهلك فتزداد طيبا فذلك برد السحر الذى يجده الناس وروي سعيد الجريرى عن سعيد بن أبي الحسن ان داود عليه السلام قال ياجبريل أى الليل أفضل قال ماأدرى غير ان العرش يهتز اذا كان من السحر ألاترى انه يفوح ريح كل الشجر ومنها مايذكر بالنار فان الله تعالى جعل فى الدنيا أشياء كثيرة تذكر بالنار المعدة لمن عصاه وما فيها من الآلام والعقوبات من أماكن وأزمان وأجسام وغير ذلك أما الاماكن فكثير من البلدان مفرطة الحر أو البرد فبردها يذكر بزمهرير جهنم وحرها يذكر بحر جهنم وسمومها وبعض البقاع يذكر بالنار كالحمام قال أبو هريرة نعم البيت الحمام يدخله المؤمن فيزيل به الدرن ويستعيذ بالله فيه من النار كان السلف يذكرون النار بدخول الحمام فيحدث لهم ذلك عبادة دخل ابن وهب الحمام فسمع تاليا يتلو ﴿ واذ يتحاجون فى النار ﴾ فغشي عليه وتزوج صلة بن أشيم فدخل الحمام ثم دخل على زوجته تلك الليلة فقام يصلى حتى أصبح وقال دخلت بالامس بيتا أذكرني النار ودخلت الليلة بيتا ذكرت به الجنة فلم يزل فكرى فيهما حتي أصبحت كان بعض السلف اذا أصابه كرب الحمام يقول يابر يارحيم من علينا وقنا عذاب السموم صب بعض الصالحين على رأسه ماء من الحمام فوجده شديد الحر فبكى وقال ذكرت قوله تعالى ﴿ يصب من فوق رؤسهم الحميم ﴾ كل مافي الدنيا يدل على صانعه ويذكر به ويدل على صفاته فمافيها من نعيم وراحة يدل على كرم خالقه وفضله واحسانه وجوده ولطفه ومافيها من نقمة وشدة وعذاب يدل على شدة باسه وبطشه وقهره وانتقامه واختلاف أحوال الدنيا من حر وبرد وليل ونهار وغير ذلك يدل على انقضائها وزوالها

قال الحسن كانوا يعنى الصحابة يقولون الحمد لله الرفيق الذي لوجعل هذا الخلق خلقا دائما لاينصرف لقال الشاك فى الله لوكان لهذا الخلق رب لحادثه وان الله قد حادث بما ترون من الآيات انه جاء بضوء طبق مابين الخافقين وجعل فيها ﴿ معاشا وسراجا وهاجا ﴾ ثم اذا شاء ذهب بذلك الخلق وجاء بظلمة طبقت مابين الخافقين وجعل فيه سكنا ونجوما وقمرا منيرا واذا شاء بنى بناء جعل فيه المطر والرعد والبرق والصواعق ماشاء وان شاء صرف ذلك الخلق واذا شاء جاء ببرد يقرقف الناس واذا شاء ذهب بذلك وجاء بحر يأخذ بانفاس الناس ليعلم الناس ان لهذا الخلق ربا يحادثه بما ترون من الآيات كذلك اذا شاء ذهب بالدنيا وجاء بالآخرة وقال خليفة العبدى لوأن الله لم يعبد الاعن رؤية ماعبده أحد ولكن المؤمنين تفكروا في مجيء هذا الليل اذا جاء فطبق كل شيء وملأ كل شيء ومحا سلطان النهار وتفكروا فى مجيء هذا النهار اذا جاء فملأ كل شيء وطبق كل شيء ومحا سلطان الليل وتفكروا ﴿ في السحاب المسخر بين السماء [1] ﴾ وتفكروا ﴿ في الفلك التى تجرى في البحر بما ينفع الناس ﴾ وتفكروا في مجيء الشتاء والصيف فوالله مازال المؤمنون يتفكرون فيما خلق لهم ربهم حتي أيقنت قلوبهم وحتى كأنما عبدوا الله عن رؤيته مارأى العارفون شيئا من الدنيا الا تذكروا به ماوعد الله به من جنسه في الآخرة من كل خير وعافية بيت

قلوب العارفين لها عيون ترى مالا يراه الناظرونا

وأما الازمان فشدة الحر والبرد يذكر بما فى جهنم من الحر والزمهرير وقد دل هذا الحديث الصحيح على ان ذلك من تنفس النار في ذلك الوقت قال الحسن كل برد أهلك شيئا فهو من نفس جهنم وكل حر أهلك شيئا فهو من نفس جهنم وفي الحديث الصحيح أيضا عن النبى صلي الله عليه وسلم قال اذا اشتد الحر فابردوا عن الصلاة فان شدة الحر من فيح جهنم وفي حديث مرفوع خرجه عثمان الدارمي وغيره اذا كان يوم شديد الحر فقال العبد لا اله الا الله ماأشد حر هذا اليوم اللهم أجرنى من حر جهنم قال الله لجهنم ان عبدا من عبادى قد استجار بى منك وقد أجرته واذا كان يوم شديد

(١) لعله والارض

البرد فقال العبد لا اله الا الله ما أشد برد هذا اليوم اللهم أجرني من زمهرير جهنم قال الله لجهنم ان عبدا من عبادي قد استجار بي من زمهريرك واني أشهدك اني قد أجرته قالوا وما زمهرير جهنم قال بيت يلقى فيه الكافر فيتميز من شدة برده أبواب النار مغلقة وتفتح احيانا فتفتح أبوابها كلها عند الظهيرة ولذلك يشتد الحر حينئذ فيكون في ذلك تذكرة بنار جهنم وأما الاجسام المشاهدة في الدنيا المذكرة بالنار فكثيرة منها الشمس عند اشتداد حرها وقد روي انها خلقت من النار وتعود اليها وخرج الطبراني باسناده ان رجلا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم نزع ثيابه ثم تمرغ في الرمضاء وهو يقول لنفسه ذوق نار جهنم أشد حرا جيفة بالليل بطال بالنهار فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله غلبتني نفسي فقال النبي صلى الله عليه وسلم لقد فتحت لك أبواب السماء وباهى الله بك الملائكة وأما البروز للشمس تعبدا بذلك فغير مشروع فان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي اسرائيل لما رآه نائما في الشمس فأمره أن يجلس ويستظل وكان نذر أن يقوم في الشمس مع الصوم فامره أن يتم صومه فقط وانما يشرع البروز للشمس للمحرم كما قال ابن عمر رضى الله عنهما لمحرم رآه قد استظل اضح لمن أحرمت له أي ابرز الى الضحاء وهو حر الشمس كان بعضهم اذا أحرم لم يستظل فقيل له لو أخذت بالرخصة فأنشد

ضحيت له كي أستظل بظله اذا الظل أضحى في القيامة قالصا

فوا أسفا ان كان سعيك خائبا ووا أسفا ان كان حظك ناقصا

ومما يؤمر بالصبر فيه على حر الشمس النفر للجهاد في الصيف كما قال تعالى عن المنافقين ﴿ وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون ﴾ وكذلك في المشي الى المساجد للجمع والجماعات وشهود الجنائز ونحوها من الطاعات والجلوس في الشمس لانتظار ذلك حيث لا يوجد ظل خرج رجل من السلف الى الجمعة فوجد الناس قد سبقوه الى الظل فقعد في الشمس فناداه رجل من الظل أن يدخل اليه فابى أن يتخطى الناس لذلك ثم تلا ﴿ واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور ﴾ كان بعضهم اذا

رجع من الجمعة فى حر الظهيرة يذكر انصراف الناس من موقف الحساب الى الجنة أو النار فان الساعة تقوم فى يوم الجمعة ولاينتصف ذلك النهار حتي يقيل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار قاله ابن مسعود وتلا قوله ﴿ أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا ﴾ وينبغى لمن كان في حر الشمس أن يتذكر حرها فى الموقف فان الشمس تدنو من رؤس العباد يوم القيامة ويزاد فى حرها وينبغى لمن لايصبر على حر الشمس فى الدنيا أن يجتنب من الاعمال مايستوجب صاحبه به دخول النار فانه لاقوة لاحد عليها ولاصبر قال قتادة وقد ذكر شراب أهل جهنم وهو ماء يسيل من صديدهم من الجلد واللحم فقال هل لكم بهذا يدان أم لكم عليه صبر طاعة الله أهون عليكم ياقوم فاطيعوا الله ورسوله شعر

نسيت لظى عند ارتكانك للهوي ... وأنت توقى حر شمس الهواجر
كانك لم تدفن حميا ولم تكن ... له فى سياق الموت يوما بحاضر

رأى عمر بن عبدالعزيز قوما فى جنازة قد هربوا من الشمس الى الظل وتوقوا الغبار فبكي ثم أنشد

من كان حين تصيب الشمس جبهته ... أو الغبار يخاف الشين والشعثا
ويألف الظل كي يبقى بشاشته ... فسوف يسكن يوما راغما جدثا
في ظل مقفرة غبراء مظلمة ... يطيل تحت الثري في غمها اللبثا
تجهزى بجهاز تبلغين به ... يانفس قبل الردى لم تخلقى عبثا

ومما يضاعف ثوابه فى شدة الحر من الطاعات الصيام لما فيه من ظمأ الهواجر ولهذا كان معاذ بن جبل يتأسف عند موته على مايفوته من ظمأ الهواجر وكذلك غيره من السلف وروى عن أبي بكر الصديق رضى الله عنه انه كان يصوم في الصيف ويفطر فى الشتاء ووصى عمر رضى الله عنه عند موته ابنه عبدالله فقال له عليك بخصال الايمان وسمي أولها الصوم في شدة الحر في الصيف قال القاسم بن محمد كانت عائشة رضي الله عنها تصوم فى الحر الشديد قيل له ماحملها على ذلك قال كانت تبادر الموت

وكان مجمع التيمي يصوم في الصيف حتى يسقط كانت بعض الصالحات تتوخى أشد الايام حرا فتصومه فيقال لها في ذلك فتقول ان السعر اذا رخص اشتراه كل أحد تشير الى انها لاتؤثر الا العمل الذى لايقدر عليه الاقليل من الناس لشدته عليهم وهذا من علو الهمة كان أبو موسى الاشعرى في سفينة فسمع هاتفا يهتف يا أهل المركب قفوا يقولها ثلاثا فقال أبو موسى ياهذا كيف نقف ألا ترى مانحن فيه كيف نستطيع وقوفا فقال الهاتف ألا أخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه قال بلى أخبرنا قال فان الله قضى على نفسه انه من عطش نفسه لله في يوم حار كان حقا على الله أن يرويه يوم القيامة فكان أبو موسى يتوخى ذلك اليوم الحار الشديد الحر الذي يكاد الانسان ينسلخ منه فيصومه قال كعب ان الله تعالى قال لموسى انى آليت على نفسى انه من عطش نفسه لى أن أرويه يوم القيامة وقال غيره مكتوب في التوراة طوبى لمن جوع نفسه ليوم الشبع الا كبر طوبى لمن عطش نفسه ليوم الرى الا كبر قال الحسن تقول الحوراء لولى الله وهو متكئ معها على نهر الخمر في الجنة تعاطيه الكاس فى أنعم عيشة أتدري أى يوم زوجنيك الله انه نظر اليك في يوم صائف بعيد مابين الطرفين وأنت في ظما هاجرة من جهد العطش فباهى بك الملائكة وقال انظروا الى عبدى ترك زوجته ولذته وطعامه وشرابه من أجلى رغبة فيما عندي اشهدوا انى قد غفرت له فغفر لك يومئذ وزوجنيك لما سار عامر بن عبد قيس من البصرة الى الشام كان معاوية يسأله أن يرفع اليه حوائجه فيأبى فلما أكثر عليه قال حاجتى أن ترد على من حر البصرة لعل الصوم أن يشتد علي شيئا فانه يخف على فى بلادكم نزل الحجاج فى بعض أسفاره بماء بين مكة والمدينة فدعا بغدائه ورأى اعرابيا فدعاه الى الغداء معه فقال دعانى من هو خير منك فأجبته قال ومن هو قال الله تعالى دعانى الى الصيام فصمت قال فى هذا الحر الشديد قال نعم صمت ليوم أشد منه حرا قال فافطر وصم غدا قال ان ضمنت لى البقاء الي غد قال ليس ذلك الى قال فكيف تسألنى عاجلا باجل لاتقدر عليه خرج ابن عمر فى سفر معه أصحابه فوضعوا سفرة لهم فمر بهم راع فدعوه الى أن يأكل معهم

قال اني صائم فقال ابن عمر فى مثل هذا اليوم الشديد حره وأنت بين هذه الشعاب فى آثار هذه الغنم وأنت صائم فقال أبادر ايامى هذه الخالية فعجب منه ابن عمر فقال له ابن عمر هل لك أن تبيعنا شاة من غنمك ونطعمك من لحمها ماتفطر عليه ونعطيك ثمنها قال انها ليست لى انها لمولاى قال فما عسيت أن يقول لك مولاك ان قلت أكلها الذئب فمضى الراعى وهو رافع أصبعه الى السماء وهو يقول فاين الله فلم يزل ابن عمر يردد كلمته هذه فلما قدم المدينة بعث الى سيد الراعى فاشترى منه الراعى والغنم فاعتق الراعى ووهب له الغنم نزل روح بن زنباع منزلا بين مكة والمدينة في حر شديد فانقض عليه راع من جبل فقال له ياراع هلم الى الغذاء قال انى صائم قال أفتصوم فى هذا الحر قال أفأدع أيامى تذهب باطلا فقال روح لقد ضننت بأيامك ياراعى اذجادبها روح بن زنباع كان ابن عمر يصوم تطوعا فيغشى عليه فلا يفطر وكان الامام أحمد يصوم حتى يكاد يغمى عليه فيمسح على وجهه الماء وسئل عن من يصوم فيشتد عليه الحر قال لا باس أن يبل ثوبا يتبرد به و يصب عليه الماء كان النبي صلى الله عليه وسلم بالعرج يصب على رأسه الماء وهو صائم وكان أبو الدرداء يقول صوموا يوما شديدا حره لحر يوم النشور وصلوا ركعتين فى ظلمة الليل لظلمة القبور وفى الصحيحين عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض اسفاره فى اليوم الحار الشديد الحر وان الرجل ليضع يده على رأسه من شدة الحر ومافى القوم أحد صائم الا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبدالله بن رواحة وفى رواية ان ذلك كان فى شهر رمضان لما صبر الصائمون لله في الحر على شدة العطش والظمأ أفرد لهم بابا من أبواب الجنة وهو باب الريان من دخل شرب ومن شرب لم يظمأ بعدها أبدا فاذا دخلوا أغلق على من بعدهم فلا يدخل منه غيرهم وقد تحدث احيانا حوادث غير معتادة تذكر بالنار كالصواعق والريح الحارة المحرقة للزرع قال الله تعالى ﴿ ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء ﴾ وقد روى ان الصواعق قطعة من نار تطير من فى الملك الذى يزجر السحاب عند اشتداد غضبه وقال الله تعالى ﴿ فاصابها اعصار فيه نار فاحترقت ﴾

والاعصار الريح الشديدة العاصف التى فيها نار والصر الريح الشديدة البرد وقد عذب الله تعالى قوم شعيب بالظلة وروى انه أصابهم حر أخذ بانفاسهم فخرجوا من البيوت الى الصحراء فاظلتهم سحابة فوجدوا لها بردا فاجتمعوا تحتها كلهم فامطرت عليهم نارا فأحرقوا كلهم فكل هذه العقوبات بسبب المعاصى وهى من مقدمات عقوبات جهنم وأنموذجها ومما يدل على الجنة والنار أيضا مايعجله الله في الدنيا لاهل طاعته وأهل معصيته فان الله تعالى يعجل لاوليائه وأهل طاعته من نفحات نعيم الجنة وروحها مايجدونه ويشهدونه بقلوبهم مما لايحيط به عبارة ولاتحصره اشارة حتى قال بعضهم انه لتمر بى أوقات أقول ان كان أهل الجنة فى مثل ما أنا فيه فانهم في عيش طيب قال أبو سليمان أهل الليل فى ليلهم ألذ من أهل اللهو في لهوهم وقال بعضهم الرضا باب الله الاعظم وجنة الدنيا ومستراح العابدين قال الله تعالى ﴿ من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ﴾ قال الحسن نرزقه طاعة يجد لذتها في قلبه أهل التقوى في نعيم حيث كانوا فى الدنيا وفى البرزخ وفى الآخرة بيت

العيش عيشهم والملك ملكهم ماالناس الاهمو بانوا أواقتربوا

وأما أهل المعاصى والاعراض عن الله فان الله يعجل لهم في الدنيا من انموذج عقوبات جهنم مايعرف أيضا بالتجربة والذوق فلا تسأل عما هم فيه من ضيق الصدر وحرجه ونكده وعما يعجل لهم من عقوبات المعاصى فى الدنيا ولو بعد حين من زمن العصيان وهذا من نفحات الجحيم المعجلة لهم ثم ينتقلون بعد هذه الدار الى أشد من ذلك وأضيق ولذلك يضيق على أحدهم قبره حتى تختلف فيه اضلاعه ويفتح له باب الى النار فيأتيه من سمومها قال الله تعالى ﴿ ومن أعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ﴾ وورد في الحديث المرفوع تفسيرها بعذاب القبر ثم بعد ذلك يصيرون الى جهنم وضيقها قال الله تعالى (واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) ومما يدل أيضا فى الدنيا على وجود النار الحمى التى تصيب بنى آدم وهى نار باطنة فمنها نفحة من نفحات سموم جهنم ومنها نفحة من

نفحات زمهريرها وقد روي في حديث خرجه الامام أحمد وابن ماجه انها حظ المؤمن من النار والمدار ان الحمى تكفر ذنوب المؤمن وتنقيه منها كما ينقى الكير خبث الحديد واذا طهر المؤمن من ذنوبه فى الدنيا لم يجد حر النار اذا مر عليها يوم القيامة لان وجدان الناس لحرها عند المرور عليها بحسب ذنوبهم فمن طهر من الذنوب ونقى منها في الدنيا جاز على الصراط كالبرق الخاطف والريح ولم يجد شيئا من حر النار ولم يحس بها فتقول النار للمؤمن جزيامؤمن فقد أطفأ نورك لهبي وفي حديث جابر المرفوع في مسند الامام أحمد انهم يدخلونها فتكون عليهم بردا وسلاما كما كانت على ابراهيم حتي ان للنار ضجيجا من بردهم ومن أعظم مايذكر بنار جهنم النار التى فى الدنيا قال الله تعالى (نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين) يعنى ان نار الدنيا جعلها الله تذكرة تذكر بنار جهنم مر ابن مسعود بالحدادين وقد أخرجوا حديدا من النار فوقف ينظر اليه ويبكى وروى عنه انه مر على الذين ينفخون الكير فسقط وكان أويس يقف على الحدادين فينظر اليهم كيف ينفخون الكير ويسمع صوت النار فيصرخ ثم يسقط وكذلك الربيع ابن خثيم وكان كثير من السلف يخرجون الى الحدادين ينظرون الى مايصنعون بالحديد فيبكون ويتعوذون بالله من النار ورأى عطاء السليمى امرأة قد سجرت تنورها فغشى عليه قال الحسن كان عمر ربما توقد له النار ثم يدني يده منها ثم يقول يا ابن الخطاب هل لك على هذا صبر كان الاحنف بن قيس يجىء الى المصباح فيضع أصبعه فيه ويقول حس ثم يعاتب نفسه على ذنوبه أجج بعض العباد نارا بين يديه وعاتب نفسه فلم يزل يعاتبها حتى مات نار الدنيا جزء من سبعين جزءا من نار جهنم وغسلت بالبحر مرتين حتى أشرقت وخف حرها ولولا ذلك ماانتفع بها أهل الدنيا وهى تدعو الى الله أن لايعيدها اليها قال بعض السلف لوأخرج أهل النار منها الى نار الدنيا لقالوا فيها ألفي عام يعني انهم كانوا ينامون فيها ويرونها بردا كان عمر يقول اكثروا ذكر النار فان حرها شديد وان قعرها بعيد وان مقامعها حديد كان ابن عمر وغيره من السلف اذا شربوا ماء باردا بكوا وذكروا أمنية أهل النار وانهم يشتهون الماء البارد وقد حيل بينهم

وبين مايشتهون ويقولون لاهل الجنة (أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله فيقولون لهم ان الله قد حرمهما على الكافرين) والمصيبة العظمى حين تطبق النار على أهلها وييأسون من الفرج وهو الفزع الاكبر الذى يأمنه أهل الجنة (الذين سبقت لهم منا الحسنى) شعر

لو أبصرت عيناك أهل الشقا ... سيقوا الى النار وقد أحرقوا
شرابهم المهل في قعرها ... اذ خالفوا الرسل وماصدقوا
تقول أخراهم لاولاهم ... في لجج المهل وقد أغرقوا
قد كنتمو خوفتمو حرها ... لكن من النيران لم تفرقوا
وجيء بالنيران مذمومة ... شرارها من حولها محدق
وقيل للنيران أن أحرق ... وقيل للخزان ان أطبقوا

﴿ المجلس الثالث في ذكر فصل الشتاء ﴾

خرج الامام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الشتاء ربيع المؤمن وخرجه البيهقى وغيره وزاد فيه طال ليله فقامه وقصر نهاره فصامه انما كان الشتاء ربيع المؤمن لانه يرتع فيه فى بساتين الطاعات ويسرح في ميادين العبادات وينزه قلبه فى رياض الاعمال الميسرة فيه كما ترتع البهائم في مرعى الربيع فتسمن وتصلح أجسادها فكذلك يصلح دين المؤمن فى الشتاء بما يسر الله فيه من الطاعات فان المؤمن يقدر فى الشتاء على صيام نهاره من غير مشقة ولا كلفة تحصل له من جوع ولا عطش فان نهاره قصير بارد فلا يحس فيه بمشقة الصيام وفى المسند والترمذى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال الصيام فى الشتاء الغنيمة الباردة وكان أبو هريرة رضى الله عنه يقول ألا أدلكم على الغنيمة الباردة قالوا بلى فيقول الصيام فى الشتاء ومعنى كونها غنيمة باردة انها غنيمة حصلت بغير قتال ولا تعب ولا مشقة فصاحبها يحوز هذه الغنيمة عفوا صفوا بغير كلفة وأما قيام ليل الشتاء فلطوله يمكن أن تأخذ النفس حظها من النوم ثم تقوم بعد ذلك الى الصلاة فيقرأ المصلى ورده كله من

القرآن وقد أخذت نفسه حظها من النوم فيجتمع له فيه نومه المحتاج اليه مع ادراك ورده من القرآن فيكمل له مصلحة دينه وراحة بدنه ومن كلام يحيي بن معاذ الليل طويل فلا تقصره بمنامك والاسلام نقى فلا تدنسه بآثامك بخلاف ليل الصيف فانه لقصره وحره يغلب النوم فيه فلا تكاد تأخذ النفس حظها بدون نومه كله فيحتاج القيام فيه الى مجاهدة وقد لا يتمكن فيه لقصره من الفراغ من ورده من القرآن و يروى عن ابن مسعود رضى الله عنه قال مرحبا بالشتاء تنزل فيه البركة ويطول فيه الليل للقيام و يقصر فيه النهار للصيام وروى عنه مرفوعا ولا يصح رفعه وعن الحسن قال نعم زمان المؤمن الشتاء ليله طويل يقومه ونهاره قصير يصومه وعن عبيد بن عمير انه كان اذاجاء الشتاء قال ياأهل القرآن طال ليلكم لقراءتكم فاقرأوا وقصر النهار لصيامكم فصوموا قيام ليل الشتاء يعدل صيام نهار الصيف ولهذا بكي معاذ عند موته وقال انما أبكي على ظما الهواجر وقيام ليل الشتاء ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر وقال معضد لولا ثلاث ظمأ الهواجر وقيام ليل الشتاء ولذاذة التهجد بكتاب الله مابااليت أن أكون يعسوبا[1] القيام فى ليل الشتاء يشق على النفوس من وجهين أحدهما من جهة تألم النفس بالقيام من الفراش فى شدة البرد قال داود بن رشيد قام بعض اخواني الى ورده بالليل فى ليلة شديدة البرد فكان عليه خلقان فضربه البرد فبكى فهتف به هاتف أقمناك وأنمناهم وتبكى علينا خرجه أبو نعيم والثاني بما يحصل باسباغ الوضوء فى شدة البرد من التألم واسباغ الوضوء في شدة البرد من أفضل الاعمال وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ألا أدلكم على مايمحو الله به الخطايا و يرفع به الدرجات قالوا بلى يارسول الله قال اسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا الى المساجد وانتظار الصلاة بعدالصلاة فذلكم الرباط وفى حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه رأي ربه عز وجل يعنى في المنام فقال له يامحمد فيم يختصم الملأ الاعلى قال في الدرجات والكفارات

(١) اليعسوب ذكر النحل

قال والكفارات اسباغ الوضوء فى الكريهات ونقـل الاقدام الى الجمعات وفى رواية الجماعات وانتظار الصلاة بعد الصلاة من فعل ذلك عاش بخير ومات بخير وكان من خطيئته كيوم ولدته أمه والدرجات اطعام الطعام وافشاء السلام والصلاة بالليل والناس نيام وذكر الحديث خرجه الامام أحمد والترمذى وفي بعض الروايات اسباغ الوضوء في السبرات والسبرة شدة البرد [1] اسباغ الوضوء في شدة البرد من أعلى خصال الايمان روي ابن سعد باسناده ان عمر رضى الله عنه وصى ابنه عند موته فقال له يابنى عليك بخصال الايمان قال وما هي قال الصوم في شدة الحر أيام الصيف وقتل الاعداء بالسيف والصبر على المصيبة واسباغ الوضوء في اليوم الشاتى وتعجيل الصلاة فى يوم الغيم وترك ردغة الخبال قال فقال وما ردغة الخبال قال شرب الخمر وروي الاوزاعى عن يحيي ابن أبي كثير قال [2] ست من كن فيه فقد استكمل الايمان قتال أعداء الله بالسيف والصيام في الصيف واسباغ الوضوء في اليوم الشاتى والتبكير بالصلاة في اليوم الغيم وترك الجدال والمراء وأنت تعلم انك صادق والصبر على المصيبة وقد روي هذا مرفوعا خرجه محمد ابن نصر المروزي فى كتاب الصلاة له باسناد فيه ضعف عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ست من كن فيه بلغ حقيقة الايمان ضرب أعداء الله بالسيف وابتدار الصلاة فى اليوم الدجن واسباغ الوضوء عند المكاره وصيام فى الحر وصبر عند المصائب وترك المراء وأنت صادق وفي كتاب الزهد للامام أحمد عن عطاء بن يسار رضى الله عنه قال قال موسى عليه السلام يارب من هم أهلك الذين هم أهلك تظلهم في ظل عرشك قال هم البرية أيديهم الطاهرة قلوبهم الذين يتحابون لجلالى الذين اذا ذكرت ذكروني واذا ذكروا ذكرت بذكرهم الذين يسبغون الوضوء فى المكاره وينيبون الى ذكري كما تنيب النسور الى أوكارها ويكلفون بحبي كما يكلف الصبي بحب الناس ويغضبون لمحارمى اذا استحلت كما يغضب النمر اذا حرب [3] وقد روي عن داود بن رشيد قال قام رجل ليلة باردة ليتوضأ للصلاة فاصاب الماء باردا فبكى فنودي اما ترضى انا أنمنام

(١) ماهى خصال الايمان (٢) ست من كن فيه فقد استكمل الايمان (٣) أى اشتد غضبه

وأقناك حتى تبكى علينا خرجه ابن السمعاني معالجة الوضوء في جوف الليل للتهجد موجب لرضا الرب ومباهاة الملائكة في شدة البرد يتأكد ذلك ففى المسند وصحيح ابن حبان عن عقبة بن عامر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رجلان من أمتى يقوم أحدهما من الليل فيعالج نفسه الى الطهور وعليه عقد فيتوضأ فاذا وضأ يديه انحلت عقدة واذا وضأ وجهه انحلت عقدة واذا مسح رأسه انحلت عقدة واذا وضأ رجليه انحلت عقدة فيقول الرب عزوجل للذين وراء الحجاب انظروا الى عبدي هذا يعالج نفسه ما سألنى عبدي هذا فهوله وفى حديث عطية عن أبى سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يضحك الى ثلاثة نفر رجل قام من جوف الليل فأحسن الطهور ثم صلى ورجل نام وهو ساجد ورجل فى كتيبة منهزمة على فرس جواد لوشاء أن يذهب لذهب قال أبو سليمان الداراني كنت ليلة باردة في المحراب فأقلقنى البرد فخبأت احدى يدى من البرد وبقيت الاخرى ممدودة فغلبتنى عينى فهتف بي هاتف يا أبا سليمان قد وضعنا فى هذه ما أصابها ولو كانت الاخرى لوضعنا فيها قال فآليت أن لا أدعو الا ويداي خارجتان حرا كان أوبردا قال مالك رحمه الله كان صفوان بن سليم يصلى يعنى بالليل في الشتاء فى السطح وفى الصيف فى بطن البيت يتيقظ بالحر والبرد حتى يصبح ثم يقول هذا الجهد من صفوان وأنت أعلم وانه لترم رجلاه حتى يعود مثل السقط من قيام الليل ثم يظهر فيها عروق خضر وكان صفوان وغيره من العباد يصلون فى الشتاء بالليل في ثوب واحد ليمنعهم البرد من النوم ومنهم من كان اذا نعس ألقى نفسه فى الماء ويقول هذا أهون من صديد جهنم كان عطاء الخراساني ينادى أصحابه بالليل يافلان ويافلان ويافلان قوموا فتوضؤا وصلوا فقيام هذا الليل وصيام هذا النهار أهون من شرب الصديد ومقطعات الحديد غدا فى النار الوحا الوحا النجا النجا كان قوم من العباد يبيتون فى مسجد وكانوا يتهجدون بالليل فاستيقظ واحد منهم ليلة فوجد اخوانه نياما فسمع هاتفا يهتف من جانب المسجد شعر

أيا عجبا للناس من قرت عيونهم ... مطاعم غمض بعدها الموت منتصب

وطول قيام الليـل أيسر مؤنة وأهون من نار تفور وتلهب

وفي الحديث الصحيح ان ابن عمر رأى في منامه كان آتيا أتاه فانطلق به الى النار حتي رآها ورأي فيها رجالا يعرفهم معلقين بالسلاسل فاتاه ملك فقال له لن تراع لست من أهلها فقص ذلك على اخته حفصة فقصته حفصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم الرجل عبدالله لوكان يصلى من الليل فكان ابن عمر لا ينام بعد ذلك من الليل الاقليلا قال الحسن أفضـل العبادة الصـلاة فى جوف الليل وقال هو أقرب مما يتقرب به الى الله عزوجل وقال ماوجدت في العبادة أشد منها ورؤي سلمة بن كهيل في المنام فقال وجدت أفضل الاعمال قيام الليل ماعنـدهم أشرف منه ورأي بعض السلف خياما ضربت فسأل لمن هى فقيـل للمتهجدين بالقرآن فكان بعـد ذلك لاينام شعر

فمالى بعيد الدار لم أقرب الحمى وقد نصبت للسائرين خيـام

علامة طردى طول ليلى نائم وغيري يرى ان المنام حرام

ومن الصالحين من كان يلطف به فى الحر والبرد كما دعا النبى صلى الله عليه وسلم لعلى أن يذهب الله عنه الحر والبرد فكان يلبس فى الشتاء ثياب الصـيف وفى الصيف ثياب الشتاء ولا يجد حرا ولا بردا كان بعض التابعين يشتد عليـه الطهور فى الشتاء فدعا الله عزوجل فكان يؤتى بالماء فى الشتاء وله بخار من حره رأى أبو سليمان فى طريق الحج في شدة البرد شيخا عليه خلقان وهو يرشح عرقا فعجب منه وسأله عن حاله فقال انما الحر والبرد خلقان لله عزوجل فان أمرهما أن يغشياني أصاباني وان أمرهما أن يتركاني تركاني وقال انا فى هذه البرية من ثلاثين سنة يلبسنى فى البرد فيحا من محبته ويلبسنى فى الصيف بردا من محبته وقيل لآخر وعليه خرقتان فى يوم برد شديد لو استترت فى موضع يكنك من البرد فأنشد

ويحسـن ظنى انني فى فنائه وهل أحد فى كنه يجد البردا

وأما من يجد البرد وهم عامة الخلق فانه يشرع لهم دفع أذاه بما يدفعه من لباس وغيره

وقد امتن الله على عباده بأن خلق لهم من أصواف بهيمة الانعام وأوبارها وأشعارها مافيه دفء لهم قال الله تعالى ﴿ والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ﴾ وقال الله تعالى ﴿ ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا الى حين ﴾ وروى ابن المبارك عن صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر قال كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا حضر الشتاء تعاهدهم وكتب لهم بالوصية ان الشتاء قد حضر وهو عدو فتأهبوا له أهبته من الصوف والخفاف والجوارب واتخذوا الصوف شعارا ودثارا فان البرد عدو سريع دخوله بعيد خروجه وانما كان يكتب عمر الى أهل الشام لما فتحت فى زمنه فكان يخشي على من بها من الصحابة وغيرهم ممن لم يكن له عهد بالبرد أن يتأذي ببرد الشام وذلك من تمام نصيحته وحسن نظره وشفقته وحياطته لرعيته رضي الله عنه وروي عن كعب قال أوحي الله تعالى الى داود عليه السلام ان تأهب لعدو قد أظلك قال يارب من عدوي وليس بحضرتي عدو قال بلى الشتاء وليس المأمور به أن يتقى البرد حتى لايصيبه منه شئ بالكلية فان ذلك يضر أيضا وقد كان بعض الامراء يصون نفسه من الحر والبرد بالكلية حتى لايحس بهما بدنه فتلف باطنه وتعجل موته فان الله بحكمته جعل الحر والبرد فى الدنيا لمصالح عباده فالحر لتحلل الاخلاط والبرد لجمودها فمتى لم يصب الابدان شئ من الحر والبرد تعجل فسادها ولكن المأمور به اتقاء مايؤذي البدن من الحر المؤذى والبرد المؤذى المعدودان من جملة أعداء ابن آدم قيل لابى حازم الزاهد انك لتشدد يعنى في العبادة فقال وكيف لاأشدد وقد ترصد لى أربعة عشر عدوا قيل له لك خاصة قال بل لجميع من يعقل قيل له وما هذه الاعداء قال أما أربعة فمؤمن يحسدني ومنافق يبغضنى وكافر يقاتلنى وشيطان يغوينى ويضلنى وأما العشرة فالجوع والعطش والحر والبرد والعري والمرض والفاقة والهرم والموت والنار ولاأطيقهن الا بسلاح تام ولا أجد لهن سلاحا أفضل من التقوى فعد الحر والبرد من جملة أعدائه وقال الاصمعي كانت العرب تسمى الشتاء الفاضح فقيل لامرأة منهم أيما أشد عليكم القيظ أم القر قالت سبحان الله من جعل البؤس كالاذي فجعلت الشتاء بؤسا والقيظ

أذى قال بعض السلف ان الله وصف الجنة بصفة الصيف لا بصفة الشتاء فقال ﴿ في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة ﴾ وقد قال الله تعالى في صفة أهل الجنة (متكئين فيها على الارائك لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا) فنفى عنهم شدة الحر والبرد قال قتادة علم الله ان شدة الحر تؤذى وشدة البرد تؤذى فوقاهم أذاهما جميعا قال أبو عمرو بن العلاء انى لا بغض الشتاء لنقص الفروض وذهاب الحقوق وزيادة الكلفة على الفقراء وقد روي في حديث مرفوع ان الملائكة تفرح بذهاب الشتاء لما يدخل فيه على فقراء المؤمنين من الشدة ولكن لا يصح اسناده وروى أيضا مرفوعا خير صيفكم أشده حرا وخير شتائكم أشده بردا وان الملائكة لتبكي في الشتاء رحمة لبني آدم واسناده أيضا باطل وقال بعض السلف البرد عدو الدين يشير الى أنه يفتر عن كثير من الاعمال ويثبط عنها فتتكسل النفوس بذلك وقال بعضهم خلقت القلوب من طين فهى تلين في الشتاء كما يلين الطين فيه قال الحسن الشتاء ذكر فيه اللقاح والصيف انثى فيه النتاج يشير الى ان الصيف تنتج فيه المواشى والشجر (١) والصيف عند العرب هو الربيع وأما الذى تسميه الناس الصيف فالعرب يسمونه القيظ ففى الشتاء تغور الحرارة الى باطن الشجر فتنعقد مواد الثمر فتظهر في الربيع مباديها فتزهر الشجر ثم تورق ثم اذا ظهرت الثمار قوى حر الشمس لانضاجها الايثار فى الشتاء للفقراء بما يدفع عنهم البرد له فضل عظيم خرج صفوان بن سليم في ليلة باردة بالمدينة من المسجد فرأى رجلا عاريا فنزع ثوبه وكساه اياه فرأي بعض أهل الشام في منامه ان صفوان بن سليم دخل الجنة بقميص كساه فقدم المدينة فقال دلونى على صفوان فأتاه فقص عليه مارأي رأي مسعر أعرابيا يتشرق في الشمس وهو يقول

جاء الشتاء وليس عندى درهم ... ولقد يخص بمثل ذاك المسلم
قد قطع الناس الجباب وغيرها ... وكأننى بفناء مكة محرم

فنزع مسعر جبته فالبسه اياها رفع الى بعض الوزراء الصالحين ان امرأة معها أربعة

(١) الصيف عند العرب هو الربيع

أطفال أيتام وهم عراة جياع فأمر رجلا أن يمضي اليهم ويحمل معه ما يصلحهم من كسوة وطعام ثم نزع ثيابه وحلف لا لبستها ولا دفئت حتى تعود وتخبرني انك كسوتهم وأشبعتهم فمضى وعاد فاخبره انهم ا كتسوا وشبعوا وهو يرعد من البرد فلبس حينئذ ثيابه خرج الترمذي من حديث أبي سعيد مرفوعا من أطعم مؤمنا على جوع أطعمه الله يوم القيامة من ثمار الجنة ومن سقاه على ظمأ سقاه الله من الرحيق المختوم ومن كساه على عرى كساه الله من خضر الجنة وروى ابن أبي الدنيا باسناده عن ابن مسعود قال يحشر الناس يوم القيامة أعري ما كانوا قط وأجوع ما كانوا قط وأظمأ ما كانوا قط فمن كسا لله عزوجل كساه الله ومن أطعم لله أطعمه الله ومن سقا لله سقاه الله ومن عفا لله أعفاه الله ومن فضائل الشتاء انه يذكر بزمهرير جهنم ويوجب الاستعاذة منها وفي حديث أبي هريرة وأبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا كان يوم شديد البرد فاذا قال العبد لا اله الا الله ما أشد برد هذا اليوم اللهم أجرني من زمهرير جهنم قال الله تعالى لجهنم ان عبدا من عبادي استجار بي من زمهريرك واني أشهدك اني قد أجرته قالوا وما زمهرير جهنم قال بيت يلقى فيه الكافر فيتميز من شدة برده قام زبيد اليامي ذات ليلة للتهجد فعمد الي مطهرة له كان يتوضأ منها فغمس يده في المطهرة فوجد الماء باردا شديدا كاد أن يجمد من شدة برده فذكر الزمهرير ويده في المطهرة فلم يخرجها حتى أصبح فجاءته جاريته وهو على تلك الحال فقالت ما شأنك ياسيدي لم لا تصلي الليلة كما كنت تصلي وأنت قاعد هنا على هذه الحالة فقال ويحك اني أدخلت يدي في هذه المطهرة فاشتد علي برد الماء فذكرت به الزمهرير فوالله ماشعرت بشدة برده حتى وقفت علي فانطوى لا تحدثي بهذا أحدا ما دمت حيا فما علم بذلك أحد حتى مات رحمه الله في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان لجهنم نفسين نفسا في الشتاء ونفسا في الصيف فاشد ما تجدون من البرد من زمهريرها وأشد ما تجدون من الحر من سمومها وروي عن ابن عباس قال يستغيث أهل النار من الحر فيغاثون بريح باردة يصدع العظام بردها فيسألون الحر وعن مجاهد قال يهربون الى

الزمهرير فاذا وقعوا فيه حطم عظامهم حتي يسمع لها نقيض وعن كعب قال ان في جهنم بردا هو الزمهرير يسقط اللحم حتى يستغيثوا بحر جهنم وعن عبد الملك بن عمير قال بلغني ان أهل النار سألوا خازنها أن يخرجهم الى جانبها فاخرجوا فقتلهم البرد والزمهرير حتى رجعوا اليها فدخلوها مما وجدوه من البرد وقد قال الله عزوجل ﴿ لايذوقون فيها بردا ولاشرابا الاحميما وغساقا جزاء وفاقا ﴾ وقال الله تعالى ﴿ هذا فليذوقوه حميم وغساق ﴾ قال ابن عباس الغساق الزمهرير البارد الذي يحرق من برده وقال مجاهد هو الذى لايستطيعون أن يذوقوه من برده وقيل ان الغساق البارد المنتن أجارنا الله تعالى من جهنم بفضله وكرمه يامن تتلى عليه أوصاف جهنم ويشاهد تنفسها كل عام حتى يحس به ويتألم وهو مصر على مايقتضي دخولها مع انه يعلم ستعلم اذاجئ بها تقاد بسبعين ألف زمام من يندم ألك صبر على سعيرها وزمهريرها قل وتكلم ما كان صلاحك يرجي والله أعلم شعر

كم يكون الشتاء ثم المصيف ... وربيع يمضى ويأتي الخريف
وارتحال من الحرور الى البر ... د وسيف الردى عليك منيف
ياقليل المقام في هذه الدنيا الى كم يغرك التسويف
ياطالب الزائل حتى متى ... قلبك بالزائل مشغوف [1]
عجبا لامرئ يذل لذي الدنيا ويكفيه كل يوم رغيف

﴿ مجلس في ذكر التوبة والحث عليها قبل الموت وختم العمر بها ﴾

﴿ والتوبة وظيفة العمر وهى خاتمة مجالس الكتاب ﴾

خرج الامام أحمد والترمذى وابن حبان في صحيحه من حديث ابن عمر عن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الله عزوجل يقبل توبة العبد مالم يغرغر وقال الترمذى حديث حسن دل هذا الحديث على قبول توبة الله عزوجل لعبده مادامت روحه في جسده لم تبلغ الحلقوم والتراقى وقد دل القرآن على مثل ذلك أيضا قال الله عزوجل

(١) كذا وهو غير مستقيم الوزن

(انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما) وعمل السوء اذا انفرد يدخل فيه جميع السيئات صغيرها وكبيرها والمراد بالجهالة الاقدام على السوء وان علم صاحبه انه سوء[1] فان كل من عصى الله فهو جاهل وكل من أطاعه فهو عالم وبيانه من وجهين أحدهما ان من كان عالما بالله تعالى وعظمته وكبريائه وجلاله فانه يهابه ويخشاه فلا يقع منه مع استحضار ذلك عصيانه كما قال بعضهم لو تفكر الناس فى عظمة الله تعالى ماعصوه وقال آخر كفى بخشية الله علما وكفى بالاغترار بالله جهلا والثانى ان من آثر المعصية على الطاعة فانما حمله على ذلك جهله وظنه انها تنفعه عاجلا باستعجال لذتها وان كان عنده ايمان فهو يرجو التخلص من سوء عاقبتها[2] والتوبة فى آخر عمره وهذا جهل محض فانه تعجل الاثم والخزى ويفوته عز التقوى وثوابها ولذة الطاعة وقد يتمكن من التوبة بعد ذلك وقد يعاجله الموت بغتة فهو كجائع أكل طعاما مسموما لدفع جوعه الحاضر ورجا أن يتخلص من ضرره بشرب الدرياق بعده وهذا لايفعله الاجاهل وقد قال تعالى فى حق الذين يؤثرون السحر (ويتعلمون مايضرهم ولاينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق ولبئس ماشروا به أنفسهم لوكانوا يعلمون ولوأنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لوكانوا يعلمون) والمراد أنهم آثروا السحر على التقوى والايمان لمارجوا فيه من منافع الدنيا المعجلة مع علمهم انهم يفوتهم بذلك ثواب الآخرة وهذا جهل منهم فانهم لوعلموا لآثروا الايمان والتقوى على ماعداهما فكانوا يحرزون أجر الآخرة ويأمنون عقابها ويتعجلون عز التقوى في الدنيا وربما وصلوا الى مايأملونه في الدنيا أوالى خير منه وأنفع فان أكثر مايطلب بالسحر قضاء حوائج محرمة أومكروهة عند الله عزوجل والمؤمن المتقى يعوضه الله في الدنيا خيرا مما يطلبه الساحر ويؤثره مع تعجيله عزالتقوى وشرفها وثواب الآخرة وعلو درجاتها فتبين بهذا ان ايثار المعصية على الطاعة انما يحمل عليه الجهل ولذلك كان كل من عصى الله جاهلا وكل من أطاعه عالما وكفى بخشية الله

(١) كل من عصى الله فهو جاهل وكل من أطاعه فهو عالم (٢) نسخة بالتوبة

علما وبالاغترار به جهلا وأما التوبة من قريب فالجمهور على ان المراد بها التوبة قبل الموت فالعمر كله قريب ومن تاب قبل الموت فقد تاب من قريب ومن مات ولم يتب فقد بعد كل البعد كما قيل

فهم جيرة الاحياء أما قرارهم فدان وأما الملتقى فبعيد

فالحي قريب والميت بعيد من الدنيا على قربه منها فان جسمه في الارض يبلى وروحه عند الله تنعم أو تعذب واقاؤه لا يرجى في الدنيا شعر

مقيم الى أن يبعث الله خلقه لقاؤك لا يرجى وأنت قريب

تزيد بلى في كل يوم وليلة وتنسى كما تبلى وأنت حبيب

وهذان البيتان سمعهما داود الطائى رحمه الله من امرأة في مقبرة تندب بهما ميتا لها فوقعتا من قلبه موقعا فاستيقظ بهما ورجع زاهدا في الدنيا راغبا في الآخرة فانقطع الى العبادة الى أن مات رحمه الله فمن تاب قبل أن يغرغر فقد تاب من قريب فتقبل توبته وروى عن ابن عباس فى قوله تعالى ﴿ يتوبون من قريب ﴾ قال قبل المرض والموت وهذا اشارة الى أفضل أوقات التوبة وهو أن يبادر الانسان بالتوبة في صحته قبل نزول المرض به حتي يتمكن حينئذ من العمل الصالح ولذلك قرن الله تعالى التوبة بالعمل الصالح في مواضع كثيرة من القرآن وأيضا فالتوبة في الصحة ورجاء الحياة تشبه الصدقة بالمال في الصحة ورجاء البقاء والتوبة فى المرض عند حضور امارات الموت يشبه الصدقة بالمال عند الموت فكأن من لا يتوب الا في مرضه قد استفرغ صحته وقوته فى شهوات نفسه وهواه ولذة دنياه فاذا أيس من الدنيا والحياة فيها تاب حينئذ وترك ما كان عليه فأين توبة هذا من توبة من يتوب من قريب وهو صحيح قوى قادر على عمل المعاصى فيتركها خوفا من الله عزوجل ورجاء لثوابه وايثارا لطاعته على معصيته دخل قوم على بشر الحافي وهو مريض فقالوا له على ماذا عزمت فقال عزمت انى اذا عوفيت تبت فقال له رجل منهم فهلا تبت الساعة فقال يا أخى أما علمت أن الملوك لا تقبل الامان ممن في رجليه القيد وفي رقبته الغل انما يقبل الامان ممن هو راكب الفرس والسيف

مجرد بيده فبكى القوم جميعا ومعنى هذا ان التائب فى صحته بمنزلة من هو راكب على متن جواده وبيده سيف مشهور فهو يقدر على الكر والفر والقتال وعلى الهرب من الملك وعصيانه فاذا جاء على هذه الحال الى بين يدي الملك ذليلا له طالبا لامانه صار بذلك من خواص الملك وأحبابه لانه جاءه طائعا مختارا له راغبا في قربه وخدمته وأما من هو فى أسر الملك وفى رجله قيد وفي رقبته غل فانه اذا طلب الامان من الملك فانما طلبه خوفا على نفسه من الهلاك وقد لا يكون محبا للملك ولا مؤثرا لرضاه فهذا مثل من لا يتوب الا في مرضه عند موته والاول بمنزلة من يتوب في صحته وقوته وشبيبته لكن ملك الملوك أكرم الاكرمين وأرحم الراحمين وكل خلقه أسير فى قبضته لا يعجزه هارب ولا يفوته ذاهب ومع هذا فكل من طلب الامان من عذابه من عباده أمنه على أى حال كان اذا علم منه الصدق فى طلبه شعر

الامان الامان وزرى ثقيل — وذنوبي اذا عددت تطول

أو بقتني وأوثقتنى ذنوبى — فترى لى الى الخلاص سبيل

وقوله عزوجل ﴿ وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما ﴾ فسوى بين من تاب عند الموت ومن مات من غير توبة والمراد بالتوبة عند الموت التوبة عند انكشاف الغطاء ومعاينة المحتضر أمور الآخرة ومشاهدة الملائكة فان الايمان والتوبة وسائر الاعمال انما تنفع بالغيب فاذا كشف الغطاء وصار الغيب شهادة لم ينفع الايمان ولا التوبة في تلك الحال وروي ابن أبي الدنيا باسناده عن على قال لا يزال العبد فى مهل من التوبة مالم يأته ملك الموت بقبض روحه فاذا نزل ملك الموت فلا توبة حينئذ وباسناده عن الثورى قال قال ابن عمر التوبة مبسوطة مالم ينزل سلطان الموت وعن الحسن قال التوبة معروضة لابن آدم مالم يأخذ الموت بكظمه وعن بكر المزني قال لا تزال التوبة للعبد مبسوطة مالم تأته الرسل فاذا عاينهم انقطعت المعرفة وعن أبى مجلز قال لا يزال العبد في توبة مالم يعاين الملائكة وروي أيضا في كتاب الموت باسناده

عن أبي موسى الاشعري قال اذاعاين الميت الملك ذهبت المعرفة وعن مجاهد نحوه وعن حصين قال بلغني ان ملك الموت اذا غمز وريد الانسان حينئذ يشخص بصره ويذهل عن الناس وخرج ابن ماجه حديث أبي موسى مرفوعا قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم متى تنقطع معرفة العبد من الناس قال اذاعاين وفي اسناده مقال والموقوف أشبه وقدقيل انه انما منع من التوبة حينئذ لانه اذا انقطعت معرفته وذهل عقله لم يتصور منه ندم ولاعزم فان الندم والعزم انما يصح مع حضور العقل وهذاملازم لمعاينة الملائكة كما دات عليه هذه الاخبار وقوله صلي الله عليه وسلم في حديث ابن عمر مالم يغرغر يعنى اذالم تبلغ روحه عند خروجها منه الى حلقه فشبه ترددها في حلق المحتضر بما يتغرغر بهالانسان من الماء وغيره ويردده في حلقه والى ذلك الاشارة فى القرآن بقوله عزوجل ﴿فلولا اذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب اليه منكم ولكن لاتبصرون﴾ وبقوله عزوجل ﴿كلا اذا بلغت التراقى﴾ وروى ابن أبى الدنيا باسناده عن الحسن قل أشد مايكون الموت على العبد اذابلغت الروح التراقى قال فعند ذلك يضطرب ويعلو نفسه ثم بكى الحسن رحمه الله تعالى شعر

عش ما بدالك سالما ... في ظل شاهقة القصور
يسعى عليك بما اشتهيت لدى الرواح وفي البكور
فاذا النفوس تقعقعت ... فى ضيق حشرجة الصدور
فهناك تعلم موقنا ... ماكنت الا فى غرور

واعلم ان الانسان مادام يأمل الحياة فانه لايقطع أمله من الدنيا وقد لاتسمح نفسه بالاقلاع عن لذاتها وشهواتها من المعاصى وغيرها ويرجيه الشيطان بالتوبة فى آخر عمره فاذا تيقن الموت وأيس من الحياة أفاق من سكرته بشهوات الدنيا فندم حينئذ على تفريطه ندامة يكاد يقتل نفسه وطلب الرجعة الى الدنيا ليتوب ويعمل صالحا فلا يجاب الى شئ من ذلك فيجتمع عليه سكرة الموت مع حسرة الفوت وقد حذر الله فى كتابه عباده من ذلك ليستعدوا للموت قبل نزوله بالتوبة والعمل الصالح قال الله

تعالى ﴿ وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون واتبعوا أحسن ماأنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون أن تقول نفس ياحسرتى على مافرطت فى جنب الله ﴾ سمع بعض المحتضرين عند احتضاره يلطم على وجهه ويقول ﴿ ياحسرتى على مافرطت في جنب الله ﴾ وقال آخر عند احتضاره سخرت بى الدنيا حتى ذهبت أيامي وقال آخر عند موته لاتغرنكم الحياة الدنيا كما غرتنى وقال الله تعالى ﴿ حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت كلا انها كلمة هو قائلها ﴾ وقال الله تعالى ﴿ وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها ﴾ وقال الله تعالى (وحيل بينهم وبين مايشتهون) وفسره طائفة من السلف منهم عمر بن عبدالعزيز رحمه الله بأنهم طلبوا التوبة حين حيل بينهم وبينها قال الحسن اتق الله ياابن آدم لايجتمع عليك خصلتان سكرة الموت وحسرة الفوت وقال ابن السماك احذر السكرة والحسرة أن يفجأك الموت وأنت على الغرة فلايصف واصف قدر ماتلقى ولاقدر ماترى قال الفضيل يقول الله عزوجل ابن آدم اذا كنت تتقلب فى نعمتى وأنت تتقلب فى معصيتى فاحذرنى لا أصرعك بين معاصى وفى بعض الاسرائيليات ابن آدم احذر لايأخذك الله على ذنب فتلقاه لاحجة لك مات كثير من المصرين على المعاصى على أقبح أحوالهم وهم مباشرون للمعاصى فكان ذلك خزيا لهم في الدنيا مع ماصاروا اليه من عذاب الآخرة وكثيرا مايقع هذا للمصرين على الخمر المدمنين لشربها كما قال القائل شعر

أتأمن أيها السكران جهلا ... بأن تفجاك فى السكر المنية
فتضحي عبرة للناس طرا ... وتلقى الله من شر البرية

سكر بعض المتقدمين ليلة فعاتبته زوجته على ترك الصلاة فحلف بطلاقها ثلاثا لايصلى ثلاثة أيام فاشتد عليه فراق زوجته فاستمر على ترك الصلاة مدة الايام الثلاث فمات فيها على حاله وهو مصر على الخمر تارك الصلاة كان بعض المصرين على الخمر يكنى أبا

عمرو فنام ليلة وهو سكران فرأى في منامه قائلا يقول له شعر

جـد بك الامر أبا عمرو وأنت معكوف على الخمر
تشرب صهباء صراحيـة سال بك السيل ولا تدرى

فاستيقظ منزعجا وأخبر من عنده بما رأى ثم غلبه سكره فنام فلما كان وقت الصبح مات فجأة قال يحيي بن معاذ الدنيا خمر الشيطان من سكر منها لم يفق الا في عسكر الموتى نادما مع الخاسرين وفى حديث خرجه الترمذى مرفوعا مامن أحد يموت الا ندم قالوا وماندامته قل ان كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد وان كان مسيئا ندم أن لا يكون استعتب اذا ندم المحسن عنـد الموت فكيف يكون حال المسيء غاية أمنية الموتى فى قبورهم حياة ساعة يستدركون فيها مافاتهم من توبة وعمل صالح وأهل الدنيا يفرطون فى حياتهم فتذهب أعمارهم في الغـفلة ضياعا ومنهم من يقطعها بالمعاصى قال بعض السلف أصبحتم فى أمنية ناس كثير يعـنى ان الموتي كلهم يتمنون حياة ساعـة ليتوبوا فيها ويجتهدوا في الطاعة ولا سبيل لهم الى ذلك شعر

لو قيل لقوم مامنا كمو طلبوا حيـاة يوم ليتوبوا فاعـلم
ويحـك يانفس ألا تيقـظ ينفع قبل أن تزل قدمى
مضي الزمان فى توان وهوي فاستدركي ماقد بقى واغتنمى

الناس فى التوبة على أقسام فمنهم من لا يوفق لتوبة نصوح بل ييسر له عمـل السيئات من أول عمره الي آخره حتى يموت مصرا عليها وهذه حالة الاشقياء وأقبح من ذلك من يسر له في أول عمره عمل الطاعات ثم ختم له بعمل سيء حتي مات عليه كما فى الحديث الصحيح ان أحدكم ليعمل عمل أهل الجنة حتي ما يكون بينه وبينها الا ذراع ثم يسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وفي الحديث الذى خرجه أهل السنن ان العبد ليعمل بعمل أهل الجنة سبعين عاما ثم يحضره الموت فيجور في وصيته فيدخل النار ما أصعب الانتقال من البصر الى العمى وأصعب منه الضلالة بعد الهدي والمعصية بعد التقى كم من وجوه خاشعة وقع على قصص أعمالها عاملة ناصبة تصلى نارا حامية

كم من شارف مركبه ساحل النجاة فلماهم أن يرقى لعب به موج الهوي فغرق الخلق كلهم تحت هذا الخطر قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء قال بعضهم ماالعجب ممن هلك كيف هلك انما العجب ممن نجا كيف نجا شعر

يا قلبي الام تطالبني ... بلقا الاحباب وقد رحلوا

أرسلتك فى طلبي لهم ... لتعود فضعت وماحصلوا

ما أحسن ماعلقت بهم ... آمالك منهم لوقد فعلوا

سلم واصبر واخضع لهم ... كم قبلك مثلك قد قتلوا

وقسم يفنى عمره فى الغفلة والبطالة ثم يوفق لعمل صالح فيموت عليه وهذه حالة من عمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه و بينها الاذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها الاعمال بالخواتيم اذا أراد الله بعبد خيرا غسله قالوا وماغسله قال يوفقه لعمل صالح ثم يقبضه عليه وهؤلاء منهم من يوقظ قبل موته بمدة يتمكن فيها من التزود بعمل صالح يختم به عمره ومنهم من يوقظ عند حضور الموت فيوفق لتوبة نصوح يموت عليها قالت عائشة رضي الله عنها اذا أراد الله بعبد خيرا قيض له ملكا قبل موته بعام فيسدده و ييسره حتى يموت وهو خير ماكان و يقول الناس مات فلان خيرما كان وخرجه البزار عنها مرفوعا ولفظه اذاأراد الله بعبدخيرابعث اليه ملكامن عامه الذى يموت فيه فيسدده و ييسره فاذا كان عندموته أتاه ملك الموت فقعدعندرأسه فقال أيتها النفس المطمئنةاخرجى الى مغفرة من الله ورضوان فذلك حين يحب لقاء الله و يحب الله لقاءه واذا أراد الله بعبد شرا بعث اليه شيطانا من عامه الذى يموت فيه فاغواه فاذا كان عند موته أتاه ملك الموت فقعد عند رأسه فقال أيتها النفس الخبيثة اخرجى الى سخط من الله وغضب فتتفرق فى جسده فذلك حين يبغض لقاء الله و يبغض الله لقاءه وفي الدعاء المأثور اللهم اجعل خير عملى خاتمته وخير عمري آخره وفى المسند عن عبدالله بن عمرو بن العاصى قال من تاب قبل موته عاما تيب عليه ومن

تاب قبل موته شهرا تيب عليه حتي قال يوما حتى قال ساعة حتي قال فواقا قال قال له انسان أرأيت ان كان مشركا فاسلم قال انما أحدثكم ماسمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه أيضا عن عبدالرحمن البيلماني [1] قال اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أحدهم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عزوجل يقبل توبة العبد قبل أن يموت بيوم قال الآخر أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عزوجل يقبل توبة العبد قبل أن يموت بنصف يوم فقال الثالث أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عزوجل يقبل توبة العبد قبل أن يموت بضحوة قال الرابع أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم قال وأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله عزوجل يقبل توبة العبد مالم يغرغر بنفسه وفيه أيضا عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الشيطان قال وعزتك يارب لا أبرح أغوى عبادك مادامت أرواحهم في أجسادهم فقال الرب عزوجل وعزتي وجلالى لا أزال أغفر لهم ماستغفرونى ذكر ابن أبى الدنيا باسناد له ان رجلا من ملوك البصرة كان قد تنسك ثم مال الى الدنيا والشيطان فبنى داراوشيدها وأمر بها ففرشت له ونجدت واتخذ مأدبة وصنع طعاما ودعا الناس فجعلوا يدخلون فيأ كلون ويشربون وينظرون الى بنائه ويعجبون منه ويدعون له ويتفرقون فمكث بذلك أياما حتى فرغ من أمر الناس ثم جلس في نفر من خاصة اخوانه [2] فقال قد ترون سروري بداري هذه وقد حدثت نفسى ان أتخذ لكل واحد من ولدى مثلها فأقيموا عندي أياما أستمتع بحديثكم وأشاوركم فيما أريد من هذا البناء لولدى فأقاموا عنده أياما يلهون ويلعبون ويشاورهم كيف يبنى لولده وكيف يريد أن يصنع فبينماهم ذات ليلة في لهوهم اذسمعوا قائلا يقول من أقاصى الدار شعر

(١) البيلمانى هو ضعيف (٢) نسخة وأصحابه

يا أيها الباني الناسي منيته ... لا تأمنن فان الموت مكتوب
على الخلائق ان سروا وان فرحوا ... فالموت حتف لذي الآمال منصوب
لا تبنين ديارا لست تسكنها ... وراجع النسك كيما يغفر الحوب

قال ففزع لذلك وفزع أصحابه فزعا شديدا وراعهم ماسمعوا من ذلك فقال لاصحابه هل سمعتم ماسمعت قالوا نعم قال فهل تجدون ماأجد قالوا وماتجد قال أجد والله مسكة على قلبي ماأراها الاعلة الموت قالوا كلا بل البقاء والعافية قال فبكي وقال أنتم اخلائي واخواني فمالي عندكم قالوا مرنا بما أحببت قال فأمر بالشراب فاهريق وبالملاهي فاخرجت ثم قال اللهم اني أشهدك ومن حضر من عبادك اني تائب اليك من جميع ذنوبي نادم على مافرطت أيام مهلتي واياك أسأل ان أقلتني أن تتم علىّ نعمتك بالانابة الى طاعتك وان أنت قبضتني اليك أن تغفرلي ذنوبي تفضلا منك على واشتد به الامر فلم يزل يقول الموت والله الموت حتي خرجت روحه وكان الفقهاء يرون انه مات على توبة وروى الواحدى فى كتاب قتلى القرآن باسناد له ان رجلا من أشراف أهل البصرة كان منحدرا اليها فى سفينة ومعه جارية له فشرب يوما وغنته جاريته بعود لها وكان معهم في السفينة فقير صالح فقال له يافتى تحسن مثل هذا قال أحسن ماهو أحسن منه وكان الفقير حسن الصوت فاستفتح وقرأ ﴿ قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولاتظلمون فتيلا أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾ فرمى الرجل مابيده من الشراب فى الماء وقال أشهد أن هذا أحسن مما سمعت فهل غير هذا قال نعم فتلا عليه ﴿ وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا أعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها ﴾ الآية فوقعت فى قلبه موقعا ورمى بالشراب فى الماء وكسر العود ثم قال يافتى هل ههنا فرج قال نعم ﴿ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا انه هو الغفور الرحيم ﴾ الآية فصاح صيحة عظيمة فنظروا اليه فاذاهو قد مات رحمه الله وروى ابن أبى الدنيا باسناد له ان صالحا المرى رحمه الله كان يوما فى مجلسه يقص على الناس فقرأ عنده قارئ

﴿ وأنذرهم يوم الآزفة اذالقلوب لدى الحناجر كاظمين ماللظالمين من حميم ولاشـفيع يطاع ﴾ فذكر صالح النار وحال العصاة فيها وصـفة سياقهم اليها وبالغ في ذلك وبكي الناس فقام فتي كان حاضرا في مجلسه وكان مسرفا على نفسه فقال أكل هذافى القيامة فقال صالح نعم وماهو أكبر منه لقد بلغـنى انهم يصرخون فى النار حتى تنقطع أصواتهم فلا يبقى منهـم الا كهيئة الانين من المريض المدنف فصاح الفـتى أيا لله واغفلتاه عن نفسى أيام الحياة واأسفاه على تفريطي في طاعتك ياسيداه واأسفاه على تضييع عمري في دار الدنيا ثم اسـتقبل القبلة وعاهد الله على توبة نصوح ودعا الله أن يتقبـل منه وبكى حتى غشى عليـه فحمل من المجلس صريعا فمكث صالح وأصحابه يعودونه أياما ثم مات فحضره خلق كثير فكان صالح يذكره فى مجلسه كثيرا ويقول وبابي قتيل القرآن وبأبي قتيل المواعظ والاحزان فرآه رجل فى منامه فقال ماصنعت قال عمتنى بركة مجلس صالح فدخلت فى سعة رحمة الله ﴿ التي وسعت كل شئ ﴾ من آلمته سياط المواعظ فصاح فلاجناح ومن زاد ألمه فمات فدمه مباح بيت

قضى الله في القتلى قصاص دمائهم ولكن دماء العاشـقين جبار

وبقى ههنا قسم آخر وهو أشرف الاقسام وأرفعها وهو من يفنى عمره فى الطاعة ثم ينبه على قرب الاجل ليجد فى التزود ويتهيأ للرحيل بعمل يصلح للقاء ويكون خاتمة للعمل قال ابن عباس لما نزلت على النبي صـلى الله عليه وسـلم ﴿ اذاجاء نصر الله والفتح ﴾ نعيت لرسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه فاخذ فى أشد ماكان اجتهادا في أمر الآخرة قالت أم سلمة كان النبي صلى الله عليه وسلم في آخر أمره لايقوم ولايقعد ولايذهب ولايجيء الا قال سبحان الله وبحمده فذكرت ذلك له فقال اني أمرت بذلك وتلا هذه السورة كان من عادته أن يعتكف فى كل عام فى رمضان عشرا ويعرض القرآن على جبريل مرة فاعتكف في ذلك العام عشرين يوما وعرض القرآن مرتين وكان يقول ما أرى ذلك الا لاقتراب أجلى ثم حج حجة الوداع وقال للناس خـذوا عنى مناسككم فلعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا وطفق يودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع

ثم رجع الى المدينة فخطب قبـل وصوله اليها وقال أيها الناس انما أنا بشر يوشـك أن يأتيني رسول ربي فاجيب ثم أمر بالتمسك بكتاب الله ثم توفى بعد وصوله الى المدينة بيسير صلى الله عليه وسلم اذا كان سيد المحسنين يؤمر أن يختم عمره بالزيادة في الاحسان فكيف يكون حال المسيء دوبيت

خـذ في جـد فقد تولى العمر　　كم ذا التفريط قد تدانى الامر
أقبل فعسى يقبل منك العذر　　كم تبنى كم تنقض كم ذا الغدر

مرض بعض العابدين فوصف له دواء يشرب به فاتي في منامه فقيل له أتشرب الدواء والحور العين لك تهيأ فانتبه فزعا فصلى فى ثلاثة أيام حتى انحنى صلبه ثم مات فى اليوم الثالث كان رجل قد اعتزل وتعبد فرأى فى منامه قائلا يقول له يافلان ربك يدعوك فتجهز واخرج الى الحج ولست عائدا فخرج الى الحج فمات فى الطريق رأى بعض الصالحين فى منامه قائلا ينشده

تأهب للذي لابد منـه　　من الموت الموكل بالعباد
أترضى أن تكون رفيق قوم　　لهـم زاد وأنت بغير زاد

خرج ابن ماجه من حديث جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم خطب فقال فى خطبته أيها الناس توبوا الى ربكم قبل أن تموتوا وبادروا بالاعمال الصالحة قبـل أن تشغلوا وفى سنده ضعف فأمر بالمبادرة قبل الموت وكل ساعة تمر على ابن آدم فانه يمكن أن تكون ساعة موته بل كل نفس كما قيل

لا تأمن الموت فى طرف ولا نفس　　وان تمنعت بالحجاب والحرس

قال لقمان لابنه يابنى لا تؤخر التوبة فان الموت يأتي بغتة وقال بعض الحكماء لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ويؤخر التوبة لطول الامل شعر

الي الله تب قبل انقضاء من العمر　　أخى ولا تأمـن مفاجأة الامر
ولا تستصمن عن دعائي فانمـا　　دعوتك اشفاقا عليك من الوزر
فقد حـذرتك الحادثات نزولها　　ونادتك الا أن سـمعك ذو وقر

تنوح وتبكي للاحبة ان مضوا ونفسك لاتبكى وأنت على الاثر

قال بعض السلف أصبحوا تائبين وأمسوا تائبين يشير الى أن المؤمن لاينبغى أن يصبح ويمسى الا على توبة فانه لايدري متي يفجأه الموت صباحا أومساء فمن أصبح أوأمسى على غير توبة فهو على خطر لانه يخشى أن يلقى الله غير تائب فيحشر فى زمرة الظالمين قال الله تعالى ﴿ ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون ﴾ تأخير التوبة في حال الشباب قبيح ففي حال المشيب أقبح وأقبح شعر

نعى لك ظل الشباب المشيب ونادتك باسم سواك الخطوب

فكن مستعدا لداعى الفنا فكل الذى هوآت قريب

ألسنا نري شهوات النفو س تفنى وتبقى علينا الذنوب

يخاف على نفسه من يتوب فكيف يكن حال من لايتوب

فان نزل المرض بالعبد فتأخيره للتوبة حينئذ أقبح من كل قبيح فان المرض نذير الموت وينبغى لمن عاد مريضا أن يذكره التوبة والاستغفار فلا أحسن من ختام الاعمال بالتوبة والاستغفار فان كان العمل سيئا كان كفارة له وان كان حسنا كان كالطابع عليه وفي حديث سيد الاستغفار المخرج فى الصحيح ان من قاله اذا أصبح واذا أمسى ثم مات من يومه أوليلته كان من أهل الجنة وليكثر فى مرضه من ذكر الله عزوجل خصوصا كلمة التوحيد فانه من كانت آخر كلامه دخل الجنة وفى حديث أبى سعيد وأبي هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم ان من قال في مرضه لا اله الا الله والله أكبر لا اله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد لااله الا الله ولاحول ولاقوة الا بالله فان مات من مرضه لم تطعمه النار خرجه النسائي وابن ماجه والترمذى وحسنه وفى رواية للنسائي من قالهن فى يوم أوفي ليلة أوفى شهر ثم مات فى ذلك اليوم أوفى تلك الليلة أوفى ذلك الشهر غفر له ذنبه ويروى من حديث حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم من ختم له بقول لااله الا الله دخل الجنة ومن ختم له بصيام يوم أراد به وجه الله أدخله الله الجنة ومن ختم له باطعام مسكين أراد به وجه الله أدخله الله الجنة

كان السلف يرون ان من مات عقب عمل صالح كصيام رمضان أوعقيب حج أوعمرة يرجى له أن يدخل الجنة وكانوا مع اجتهادهم فى الصحة في الاعمال الصالحة يجددون التوبة والاستغفار عند الموت ويختمون أعمالهم بالاستغفار وكلمة التوحيد لما احتضر العلاء بن زياد بكى فقيل له مايبكيك قال كنت والله أحب أن أستقبل الموت بتوبة قالوا فافعل رحمك الله فدعا بطهور فتطهر ثم دعا بثوب جديد فلبسه ثم استقبل القبلة فأومأ برأسه مرتين أونحو ذلك ثم اضطجع ومات ولما احتضر عامر بن عبدالله بكى وقال لمثل هذا المصرع فليعمل العاملون اللهم انى أستغفرك من تقصيري وتفريطى وأتوب اليك من جميع ذنوبي لااله الاالله ثم لم يزل يرددها حتى مات رحمه الله وقال عمرو بن العاصى رحمه الله عند موته اللهم أمرتنا فعصينا ونهيتنا فركبنا ولا يسعنا الاعفوك لااله الا الله ثم رددها حتى مات وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله عند موته أجلسوني فاجلسوه فقال أنا الذى أمرتنى فقصرت ونهيتنى فعصيت ولكن لا اله الا الله ثم رفع رأسه فأحد النظر فقالوا انك تنظر نظرا شديدا ياأمير المؤمنين فقال أتاني حضرة ماهم بانس ولاجن ثم قبض رحمة الله عليه وسمعوا تاليا يتلو ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علوا فى الارض ولافسادا والعاقبة للمتقين﴾ شعر

ياغافل القلب عن ذكر المنيات	عما قليل ستثوى بين أموات
فاذكر محلك من قبل الحلول به	وتب الى الله من لهو ولذات
ان الحمام له وقت الى أجل	فاذكر مصائب أيام وساعات
لاتطمئن الى الدنيا وزينتها	قدحان للموت ياذا اللب أن ياتى

التوبة التوبة قبل أن يصل اليكم من الموت النوبة فيحصل المفرط على الندم والخيبة الانابة الانابة قبل غلق باب الاجابة الافاقة الافاقة فقد قرب وقت الفاقة ما أحسن قلق التواب ماأحلى قدوم الغياب ماأجمل وقوفهم بالباب شعر

أسأت ولم أحسن وجئتك هاربا	وأنى لعبد من مواليه مهرب
يؤمل غفرانا فان خاب ظنه	فما أحد منه على الارض أخيب

من نزل به الشيب فهو بمنزلة الحامل التي تمت شهور حملها فما تنتظر الا الولادة كذلك صاحب الشيب لاينتظر الا الموت فقبيح منه الاصرار على الذنب شعر

أى شئ تريد منى الذنوب ... شغفت بى فليس عني تغيب
ما يضر الذنوب لو أعتقتنى ... رحمة بى فقد علانى المشيب

ولكن توبة الشاب أحسن وأفضل فى حديث مرفوع خرجه ابن أبى الدنيا ان الله يحب الشاب التائب قال عمير بن هانى تقول التوبة للشاب أهلا ومرحبا وتقول للشيخ نقبلك على ماكان منك الشاب ترك المعصية مع قوة الداعى اليها والشيخ قد ضعفت شهوته وقل داعيه فلا يستويان في بعض الآثار يقول الله عزوجل أيها الشاب التارك شهوته المبتذل شبابه لاجلى أنت عندى كبعض ملائكتي قال عمر ان الذين يشتهون المعاصى ولا يعملون بها ﴿ أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾ كم بين حال الذى ﴿ قال معاذ الله انه ربي أحسن مثواى ﴾ وبين شيخ عنين يدعى لمثل ذلك كان عمر يعس بالمدينة فسمع امرأة غاب عنها زوجها تقول

تطاول هذا الليل واسود جانبه ... وأرقنى أن لاخليل ألاعبه
فوالله لولا الله لاشئ غيره ... لحرك من هذا السرير جوانبه
ولكن تقوي الله عن ذا تصدني ... وحفظا لبعلى أن تنال مراكبه

فقال لها عمر يرحمك الله ثم بعث الى زوجها أمره أن يقدم عليها وأمر أن لايغيب أحد عن امرأته أكثر من أربعة أشهر وعشرا الشيخ قد تركته الذنوب فلا حمد له على تركها كما قيل

تاركك الذنب فتاركته ... بالفعل والشهوة فى القلب
فالحمد للذنب على تركه ... لالك في تركك للذنب

أما تستحى منا لما أعرضت لذات الدنيا عنك فلم يبق لك فيها رغبة وصرت من سقط المتاع لاحاجة لاحد فيك جئت الى بابنا فقلت أنا تائب ومع هذا فكل من آوى الينا آويناه ومن استجار بنا أجرناه ومن تاب الينا أحببناه ابشر فربما يكون الشيب

شافعا لصاحبه من العقوبات مات شيخ كان مفرطا فرؤي في المنام فقيل له مافعل بك قال قال لى لولا انك شيخ لعذبتك وقف شيخ بعرفة والناس يضجون بالدعاء وهو ساكت ثم قبض على لحيته وقال يارب شيخ يارب شيخ يرجو رحمتك شعر

لما أتونا والشيب شافعهم ... وقد توالى عليهم الخجل
قلنا لسود الصحائف انقلبي ... بيضا فان الشيوخ قد قبلوا

كان بعض الصالحين يقول شعر

ان الملوك اذا شابت عبيدهم ... فى رقهم عتقوهم عتق أبرار
وأنت ياخالق أولى بذا كرما ... قد شبت فى الرق فاعتقني من النار

أيها العاصى مايقطع من صلاحك الطمع مانصبنا اليوم شرك المواعظ الا لتقع اذا خرجت من المجلس وأنت عازم على التوبة قالت لك ملائكة الرحمة مرحبا وسهلا فان قال لك رفقاؤك في المعصية هلم الينا فقل لهم كلا ذاك خمر الهوى الذى عهدتموه قد استحال خلا يامن سود كتابه بالسيئات قد آن لك بالتوبة أن تمحو ياسكران القلب بالشهوات أما آن لفؤادك أن يصحو شعر

ياندامای صحا القلب صحا ... فاطردوا عنى الصبا والمرحا
زجر الوعظ فؤادي فارعوى ... وأفاق القلب منى وصحا
هزم العزم جنودا للهوي ... فاسدي لاتعجبوا ان صلحا
بادروا التوبة من قبل الردي ... فمناديه ينادينا الوحا

﴿ تم كتاب لطائف المعارف بحمد الله وعونه وحسن توفيقه وكان الفراغ منه فى يوم الاربعاء حادى والعشرين من شهر شوال سنة خمس وستين وثمانمائة ﴾

وبعده فى الاصل المنتسخ منه وعلقه بخطه له ولمن شاء الله من بعده العبد الفقير الذليل الحقير أقل عبيد الله أقل خدام الفقراء عبدالوهاب بن محمد بن عمر المعروف بالفيومى غفر الله له ولوالديه ولكل المسلمين آمين

قد تم بحمد الله نسخ هذا الكتاب البديع المستطاب بخط كاتبه لنفسه ولمن شاء الله من بعده أقل عبيد الله الراجي عفو مولاه عبدالهادي بن محمد بن عبدالهادي التادلي السلوي غفرالله له ولوالديه ولكل المسلمين ضحوة يوم الاربعاء سابع وعشري شهرالله المحرم فاتح عام احد وأربعين وثلاثمائة وألف ١٣٤١ رزقنا الله خيره وخير مابعده ووقانا شره وشر مابعده والحمد لله رب العالمين انتهى

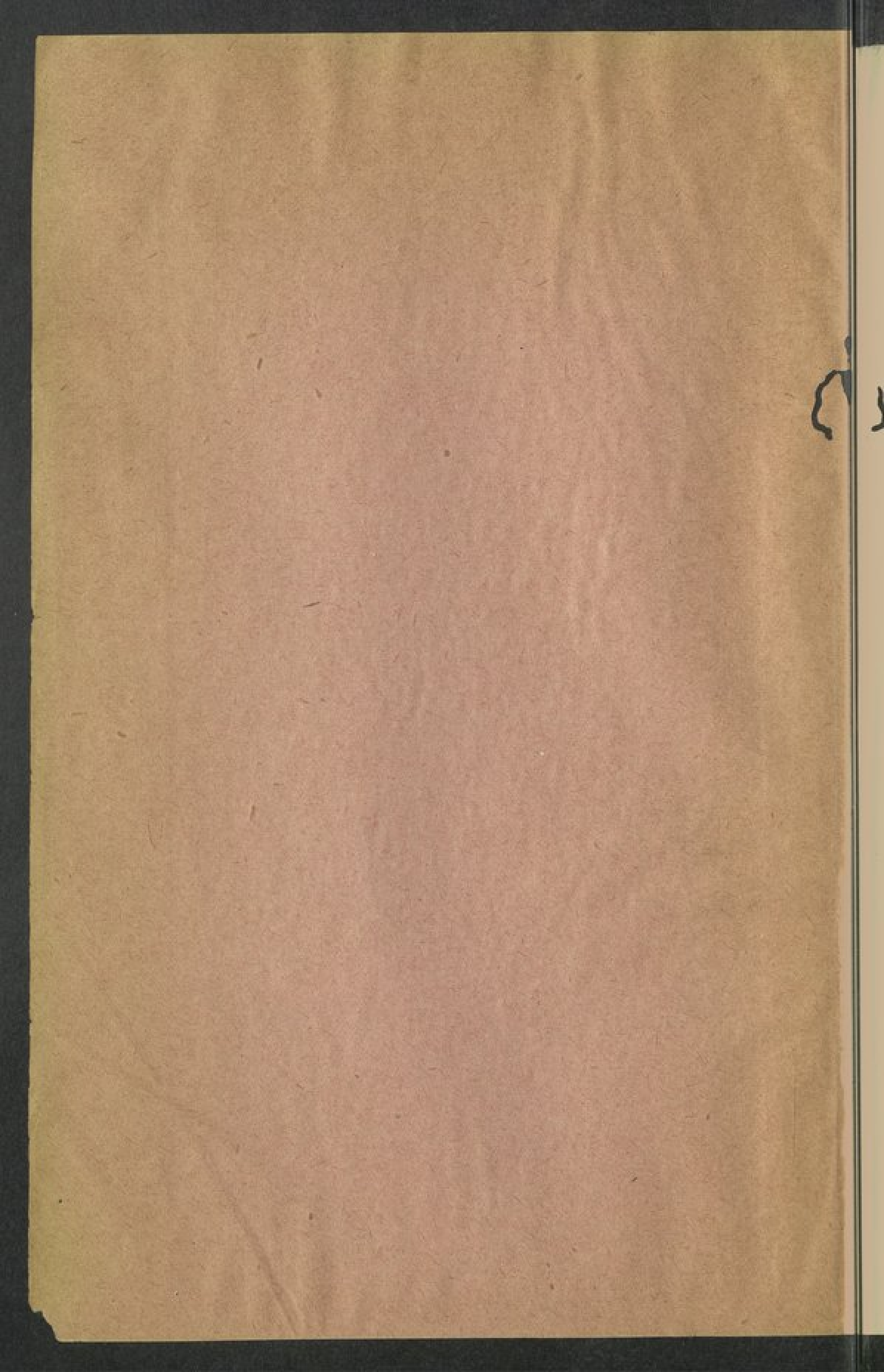
﴿ تمت مقابلته على الاصل المنتسخ منه عصريوم الاثنين ثالث وعشري ربيع النبوي عام احدوأربعين وثلاثمائة وألف على يد كاتبه ومحبه في الله الشريف البركة الخير سيدي أبي القاسم بن مسعود الدباغ الحسني والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ﴾

﴿ يقول راجي غفران المساوي مصححه محمد الزهري الغمراوي ﴾

الحمد لله الذي وفق أحبابه للقيام بخدمته وأفاض على قلوبهم سجال معرفته فهجروا كل هوى وشهوة وصرحوا الدنيا فنالوا كل صفوة وأصبحوا للخلق قادة وجددوا مااندرس من الشريعة فهم بالتحقيق السادة والصلاة والسلام على سيد خليقته سيدنا محمد أفضل رسول أتي بشريعته وعلى آله الطاهرين وصحابته أجمعين ﴿ أما بعد فقد تم بحمده تعالى طبع كتاب لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ﴾ تأليف الامام الحافظ زين الدين المشهور بابن رجب رحمه الله وأثابه رضاه وهو كتاب لم ينسق على منواله في المواعظ المرققة للقلوب وسوق الاحاديث مع التنبيه على القوى منها والضعيف والحكايات الدالة على ما كان عليه السلف من الخوف من علام الغيوب والجمع بين الاحاديث التي فيها شبه تعارض حتى يتبين للواقف ما المراد من كل منها فيصبح غير معارض وبالجملة فهو كتاب لايعرف قدره غير عالم باسراره واقف على رموزه وكامل أنواره فكان طبعه ونشره من حسنات هذا الزمان وفق الله الامة للعمل بما فيه انه كريم رحيم وكان الفراغ من طبعه وتحسين وضعه بمطبعة دار احياء الكتب العربية بمصر معتنى بتصحيحه على حسب ماله من الشأن والقدر في شهر ربيع الاول من شهور سنة ١٣٤٣ هجرية على صاحبها أفضل صلاة وأسنى تحية

﴿ فهرست كتاب لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف ﴾

(تمت)




AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الاميركية في بيروت

